الجزء الثالث المجلد الستون

# مجلة

# مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



شوال ١٤٠٥ هـ

تموز ( يوليو ) ١٩٨٥ م

مجلة

# مجمع اللغة العربية بدمشق

مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً

ص.ب ٢٢٧

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر اربعة اجـزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي
في جميع الاقطـــار العربية ٢٠ ليرة سورية
وفي ســائر الاقطـــار ٨ دولارات

واذا طلب ارسال المجلة بالبريد الجوي تضاف اجرته الى قيمة الاشتراك

( تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه )

● البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .

● ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات فنية .

● المقالات التي لاتنشر لا ترد لاصحابها .

الجزء الثالث المجلد الستون

# مجلة

# مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



شوال ١٤٠٥ هـ

تموز ( يوليو ) ١٩٨٥ م

# السيرة الذاتية

## للمستشرق الالماني بروكلمان

## ( ١٨٦٨ ـ ١٩٥٦ م )

الدكتور كامل عياد

### ١ ـ مقدمة

نشرت مجلة ( اوريانس Oriens ) التي تصدرها الجمعية الدولية للدراسات الشرقية في عددها المزدوج ( ٢٧ ـ ٢٨ ) ـ ليدن ١٩٨١ ـ ذكريات و ملاحظات كان سجلها المستشرق الكبير الأستاذ ( كارل بروكلمان ) في سنة ١٩٤٧ ، وبقيت محفوظة لدى أسرته حتى حصل عليها رئيس تحرير المجلة المستشرق الاستاذ ( رودولف زلهايم ) من جامعة ( فرانكفورت/على الماين ) .

وقد عرف الأستاذ ( زلهايم ) أن ( الذكريات والملاحظات ) لم يكتبها الأستاذ ( بروكلمان ) بقصد النشر ، بل أراد حفظها لولده الذي يحمل أيضاً اسم ( كارل ) والذي كان وقع في الأسر عند استسلام الجيش النازي في ( ستالينغراد ) سنة ١٩٤٣ .

ثم تسربت مؤخراً ، بعد انقطاع طويل ، أخبار عن الابن وعن احتمال رجوعه من الأسر . وبالفعل عاد الابن في أوائل الخمسينات وعمل طبيباً في مستشفيات المانيا الغربية قبل أن ينتقل إلى جزيرة ( سوماطرا ) للعمل فيها دون أن يجتمع بوالده في ( هاللة ) بالمانيا الشرقية .

كان الأستاذ ( بروكلمان ) أحيل في سنة ١٩٤٥ على التقاعد من كرسي أستاذية اللغات الشرقية في جامعة ( برسلاو ) ثم اضطر إلى النزوح عن هذه المدينة التي ضمت إلى ( بولونيا ) بعد دخول الجيش السوفياتي إليها في تموز من سنة ١٩٤٥ ، وهكذا فقد ( بروكلمان ) كل ما يملك وانقطع راتبه التقاعدي .

على أنه لما وصل إلى مدينة ( هاللة ) توسط له رئيس جامعتها المستشرق ( آيسفيلد ) في تشرين الأول ١٩٤٥ لتولي أمور مكتبة الجمعية الالمانية للمستشرقين والحصول بذلك على مورد للعيش مؤقتاً .

والى ( بروكلمان ) يرجع الفضل في المحافظة على هذه المكتبة القيمة في مكانها بأمر من الضابط المسؤول في الادارة العسكرية لمنطقة الاحتلال السوفياتية وذلك احتراماً لشخصية العلامة الالماني المشهور .

وقد أشرف ( بروكلمان ) على نقل الكتب من مخابئها إلى مقر الجمعية . ويتذكر رواد المكتبة أنهم في شتاء سنة ١٩٤٦ ـ ١٩٤٧ وفي البرد القارس الذي يهبط إلى ( ٣٠ ) درجة تحت الصفر كانوا يشاهدون رجلاً متقدماً في السن ملتحفاً بمعطفه الأسود ، جالساً في مدخل المكتبة والى جانبه مدفأة كهربائية تشعل اذا لم يكن التيار الكهربائي مقطوعاً في أكثر الأحيان . هذا الرجل كان الاستاذ ( بروكلمان ) نفسه الذي قام بإعداد الفهرس لكتب جمعية المشرقين الالمان ..

في خريف ١٩٤٧ تحرر الأستاذ ( بروكلمان ) من متاعب أعمال المكتبة اذ عهدت إليه جامعة ( مارتين لوثر ) في ( هاللة ) بكرسي أستاذ اللغة التركية ، فتهافت عليه الطلاب الذين كانوا يدرسون معه النصوص التركية والعربية والسريانية والآكادية والحبشية والذين كان يشرح لهم

اشتقاق الكلمات ومقارنتها في مختلف اللغات بالاضافة إلى معلومات غزيرة أدبية وتاريخية كان يجود بها .

كان بين الطلاب الذين التفوا حوله لدراسة اللغة العربية على كتابه ( قواعد اللغة العربية ) الشاب ( رودولف زلهايم ) الذي أرسله ( بروكلمان ) الى المانيا الغربية ، وكلفه بالاشراف على طبع الأجزاء الملحقة من كتاب ( تاريخ الآداب العربية ) المشهور لدى ناشره في هوللاندا .

جلس ( بروكلمان ) يوم ١٤ أيلول سنة ١٩٤٧ ، بعد أن بلغ التاسعة والسبعين من العمر وانتهى في عدة ساعات من كتابة سيرته الذاتية معتمداً على ذاكرته دون أن تكون لديه مذكرات مكتوبة . ولا عجب فقد اشتهر ( بروكلمان ) بقوة عجيبة في التذكر ، و بقدرة فائقة على تركيز أفكاره ، و بطاقة هائلة للعمل . وقد ظلت هذه السيرة الذاتية محفوظة لدى زوجته الثانية التي اقترن بها بعد وفاة زوجته الاولى في سنة ( ١٩٤٦ ) والتي كان محتاجاً لرعايتها بعد أن بلغ الثانين من العمر .

ولما جاء تلميذه ( زلهايم ) ، الذي أصبح استاذاً في فرانكفورت / ( على الماين ) في زيارة إلى ( هاللة ) في سنة ( ١٩٥٨ ) اطلع على هذه السيرة التي تنازلت زوجة ( بروكلمان ) عنها إليه .

كان ( زلهايم ) يعلم بأن أستاذه ( بروكلمان ) لم يفكر أبداً في نشر ما كتبه عن سيرته الذاتية . ولكنه رأى مع غيره من المستشرقين بأن للأجيال الناشئة كل الحق في معرفة جميع النواحي المتعلقة بهذه الشخصية العلمية الفذة وأن يقرؤوا ما كتبه عن نفسه هذا المستشرق الذي يحتل مكانة عالية في تاريخ علم الاستشراق . وهل هناك من مستشرق على

وجه الأرض لا يعرف اسم ( بروكلمان ) ولم يرجع إلى مؤلفاته ويحمده على ما يقتبسه عنها من علم سواء في الوقت الحاضر أو المستقبل على الرغم من التقدم العلمي المستمر في دراسة تراث الشرق وازدياد التخصص والتعمق في البحث ؟

**٢ ـ أسرة ( بروكلمان ) ونشأته**

يبدأ ( بروكلمان ) سيرته الذاتية بالكلام على أجداده وفروع أسرته ويذكر بعض أفراد عرفت أسماؤهم منذ القرنين السابع عشر والثامن عشر في مقاطعة ( هانوفر ) وبالأخص في مدينة ( روشتوك ) على بحر البلطيق ، حيث ولد ( بروكلمان ) سنة ١٨٦٨ . وكان والده يميل إلى الزراعة مثل أجداده ولكنه اضطر إلى الاشتغال بالتجارة دون رغبة منه حتى انتهى إلى الافلاس فتولى أعمالاً ادارية بسيطة في مستشفى الجامعة وفي احدى المكتبات ..

نشأ ( كارل بروكلمان ) ( Carl Brockelmann ) في ( روشتوك ) ، حيث أتم الدراسة الثانوية ( الجمنازيوم ) . وهو يذكر أسماء بعض أساتذته الذين عرفوا بالكفاية . ويمدح مدرسي اللغة الالمانية اللذين كان أحدهما يدرس أيضاً اللغة العبرية التي كان تعلمها اختيارياً ، فاختارها ( بروكلمان ) لأنه ظل خلال فترة قصيرة يفكر في دراسة اللاهوت بالجامعة . الا انه سرعان ما أحب اللغة ذاتها . ولا حظ المدرس اهتمامه بهذه المادة خلافاً لجميع زملائه فأخذ يشجعه و يساعده . ولما أثبت تفوقه في فحص الشهادة الثانوية اتصل مدرسه بأستاذ اللغات الشرقية في الجامعة لتقديم التوصية بشأنه ، وبالفعل كان للاستاذ ( فيليبي ) أكبر الأثر في مجرى حياة ( بروكلمان ) .

ويشكو ( بروكلمان ) من مدرس اللغتين الفرنسية والانكليزية الذي لم يتعلم التلاميذ منه شيئاً . فقد كان من خريجي معاهد اليسوعيين ، لفق كثيراً من الكتب التافهة وفرض على التلاميذ مراجعتها في حين كان يقضي دوماً نصف ساعة الدرس في الثرثرة ورواية حوادث البلدة .

وقد خص ( بروكلمان ) بالذكر مدرسين في الصفوف الوسطى : أحدهما مدرس اللغة الالمانية ( كرن ) الذي لمع اسمه اذ ذاك بين كتاب الشباب المحبوبين ، والذي كانت قصصه ورواياته تلهب خيال الناشئين وتغذي ميولهم إلى المغامرات في بلاد الشرق البعيدة . أما المدرس الثاني فهو الدكتور ( شتريليتس ) المتميز في اللغات الكلاسيكية ( اليونانية واللاتينية ) وهو ، على الرغم من كونه ( يهودياً ) ورغم ضؤولة مظهره كان قادراً على فرض النظام في الصف .

يقول ( بروكلمان ) : « منذ الصفوف العليا الاولى بدأت تظهر بوضوح ميولي التي ظلت تسيطر على حياتي . فقد كانت لنا في المدرسة اذ ذاك حلقة للقراءة تجتمع مرتين كل اسبوع ، فكنا نأتي كل يوم أربعاء بمجلة ( غلوبوس ) ، وكل يوم سبت بمجلة ( البلاد الأجنبية ) ، وهما المجلتان الرائدتان في تلك الفترة التي كانت ما زالت تشهد تعاقب الاكتشافات الجغرافية الكبيرة في آسيا وافريقيا . وبتأثير ذلك اتجه خيالي مبكراً نحو الشرق . وكان اهتمامي مركزاً في الدرجة الأولى على المعلومات اللغوية التي يرد ذكرها في المجلتين . وبالاستناد إلى ذلك قمت ، وأنا في الصف الثانوي قبل الأخير ، بوضع قواعد لهجة ( البانتو ) السائدة في المستعمرة البرتغالية ( آنغولا ) . وكانت أكبر أمنيتي أن أعيش فيما وراء البحار . ومما كان يدفعني إلى ذلك الأوضاع السيئة في ( روشتوك ) . فقد كانت الحياة التجارية في الحضيض ، وكان التجار الموهوبون يسعون إلى

خارج البلاد ، وكنا نسمع كثيراً عن أبناء جيراننا الذين كانوا يمارسون التجارة أو ادارة الشركات في أمريكا الجنوبية أو في روسيا ، وعن الذين أصبحوا أغنياء . وعلمت مثلاً أن اثنين من زملائي التلاميذ قاما بتأسيس شركة للتصدير في ( شانغهاي ) .

ولكن من المؤسف أنه لم تكن لدي أي ميول أو مواهب تجارية . ولذلك فكرت أحياناً في دراسة اللاهوت ثم القيام بأعمال التبشير . وكان يخطر لي في بعض الأوقات دراسة الطب حتى أصبح طبيباً في البحرية فأتمكن من الرحيل إلى كثير من أنحاء العالم .

وفي الأخير تغلبت اهتماماتي اللغوية على كل الاتجاهات الأخرى . فقد كنت ، بعد أن تعلمت اللغة العبرية ، بدأت في الحال دراسة الآرامية ـ الانجيلية التي وضعتُ لها القواعد النحوية بنفسي ، كما تعلمت وأنا في الصف الثانوي الأخير اللغة السريانية ..

عندما انتهيت من فحوص الدراسة الثانوية في سنة ١٨٨٦ كان قد تم تأسيس معهد الاستشراق في برلين لاعداد التراجمة المطلوبين في خدمة السفارات والقنصليات ، وكذلك العمل في مستعمراتنا ، وقد بدا لي أن هذه هي الطريق الصحيحة بالنسبة لمستقبلي ، واعتقدت انه يحسن بي دراسة اللغات الشرقية في المعهد الجديد . ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث لحسن الحظ . فإن التراجمة الذين تعرفت عليهم فيما بعد كانوا ، في أثناء أعمالهم الرتيبة ، قد فقدوا كل اهتمام علمي ولم يكتب لهم التقدم في مسلك حياتهم ماعدا واحداً منهم هو ( فريتس روزن ) الذي أصبح سفيراً ، بل تولى في عهد الجمهورية وزارة الخارجية مدة ستة أشهر .

إن ( بروكلمان ) يذكر فضل والدته التي كانت تطلب منه ، وهو في

المدرسة ، أن يقرأ لها مؤلفات جميع الكتاب الألمان ( الكلاسيكيين ) بالاضافة الى الروايات المرغوبة في ذلك الوقت وعلى الأخص الروايات التاريخية فكان لهذه القراءات أثر في توسيع ثقافته العامة .

ثم يروي ( بروكلمان ) كيف كان يخرج أيام الأحد للنزهة مع والده ويتحدث اليه عن مشاريعه للمستقبل . ولكن والده اضطر بعد مدة قصيرة أن يعترف له بعجزه عن مساعدته على دخول الجامعة وتحقيق أهدافه ، وأن عليه بعد الآن الاعتماد على نفسه فقط .

**٣ ـ الدراسة الجامعية والكفاح في سبيل العيش**

يقول ( بروكلمان ) : « لما « سجلت » بجامعة ( روشتوك ) في عيد الفصح سنة ١٨٨٦ انتقيت ، عدا اللغات الشرقية ، مادتي اللغات الكلاسيكية والتاريخ حتى يتسنى لي في يوم ما التقدم إلى فحص ( أهلية التعليم الثانوي ) لأن الاختصاص في اللغات الشرقية لم يكن ، كما بدا لي ، كافياً وحده لضمان العمل في المستقبل » .

ثم يذكر ( بروكلمان ) انه بدأ دراسة اللغتين العربية والحبشية على الاستاذ ( فيليبي ) الذي استطاع ، عندما اطلع على ظروف أسرة ( بروكلمان ) المادية السيئة ، أن يحصل له على أكبر منحة دراسية مخصصة للتوزيع اذ ذاك تبلغ ( ٧٥٠ ) مارك في السنة دون اشتراط الدراسة في مدينة ( روشتوك ) ذاتها . وبعد ذلك نصحه أستاذه بالانتقال إلى ( برسلاو ) ومتابعة دروس صديقه الاستاذ ( بريتوريوس ) .

يقول ( بروكلمان ) بعد انتقاله في عيد الفصح سنة ١٨٨٧ إلى ( برسلاو ) : « كانت المعيشة في ( برسلاو ) رخيصة ، فلم اضطر إلى العمل لكسب بعض المال الا في الفصل التالي ، و ذلك عن طريق

الدروس الخاصة بأغنياء اليهود الذين كانوا يحرصون على تعليم أولادهم اللغة العبرية . وقد درست في ( برسلاو ) مدة فصلين اللغات الشرقية لدى الاستاذ ( بريتوريوس ) وعلى الاستاذ بلا كرسي ( فرنكل ) ، وهو يهودي فطن جداً تتلمذ على ( بريتوريوس ) وعلى ( نولدكه ) . كذلك تابعت محاضرات ( فرنكل ) عن ( التلمود ) التي كان يلقيها على طلاب معهد ( الخاخامين ) . »

ويذكر ( بروكلمان ) ان ( فرنكل ) وصى به طبيب العيون ( كوهن ) الذي كان يرغب في زيارة ( استانبول ) مرة ثانية وطلب معلماً للغة التركية ، وكان ( بروكلمان ) بدأ دراسة هذه اللغة بنفسه ، فقبل العمل مدة ساعة في الاسبوع مقابل أجر حسن ، ولكن عمله اقتصر في الواقع على مجالسة ( كوهن ) لاحتساء القهوة معه والتدخين والاستماع إلى أحاديثه عن استانبول لتصحيح بعض الكلمات والتعابير ، لأن ( كوهن ) لم يكن حقاً يريد تعلم اللغة التركية وإنما اعتبر هذه الدروس نوعاً من الدعاية ..

ثم انتقل ( بروكلمان ) في عيد الفصح سنة ( ١٨٨٨ ) بنصيحة من استاذيه ( فيليبي ) و ( بريتوريوس ) إلى ( شتراسبورغ ) لتلقي العلم عن الاستاذ ( نولدكه ) ، أشهر مستشرق في ذلك الوقت . ويقول ( بروكلمان ) إنه بالفعل قد تعلم الكثير من ( نولدكه ) . وقد تركزت دراسته في الفصل الأول على اللغات الشرقية لدى ( نولدكه ) بالاضافة إلى اللغة ( السانسكريتية ) عند ( هوبشمان ) ثم ( الأرمنية ) و ( المصرية ) عند ( دوميشن ) . وكان هؤلاء الاساتذة يدرسون في بيوتهم لقلة الطلاب ، وكان ( بروكلمان ) يحضر في الغالب وحده عند ( نولدكه ) ، ويرافقه راهبان أرمنيان عند ( هوبشمان ) . ويلاحظ

( بروكلمان ) قائلاً : « كانت محاضرات ( هوبشمان ) شائقة ، مثيرة للاهتمام حتى إنني فكرت حيناً في الانتقال إلى التخصص باللغات الهندية - الجرمانية عوضاً عن الشرقية ، ولكن الاستاذ ( هوبشمان ) نصحني بالتخلي عن هذه الفكرة لأن جميع الكراسي في هذا القسم كان يتولاها في ذلك الوقت مدرسون في سن الشباب ولا أمل لذلك في الحصول على كرسي في القريب . »

يذكر ( بروكلمان ) ان المعيشة في ( شتراسبورغ ) كانت أغلى بكثير مما في ( برسلاو ) وانه لقي صعوبات كبيرة في أمر المسكن والطعام . ويبدو أن احد زملائه تحدث عن ضيق حاله الى الأستاذ ( نولدكه ) الذي استطاع أن يحصل له على منحة جيدة من إحدى المؤسسات الوقفية والذي نصحه في الوقت ذاته بأن يعود إلى دراسة اللغات الكلاسيكية والتاريخ حتى يضمن معيشته في المستقبل .

كذلك قام ( نولدكه ) في شتاء سنة ١٨٨٩ - ١٨٩٠ بترتيب جائزة عن موضوع طلب إلى ( بروكلمان ) معالجته ، واستجابة لذلك كتب ( بروكلمان ) أطروحته وعنوانها : « العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير وكتاب أخبار الرسل والملوك للطبري » فنالت الجائزة التي ساعدته على طبع الأطروحة ( شتراسبورغ سنة ١٨٩٠ ) والتقدم بها إلى الجامعة لنيل الشهادة وحق التدريس ...

وفي فصل الصيف ( ١٨٩٠ ) حصل ( بروكلمان ) على وظيفة معلم خاص مقابل المسكن والطعام مع راتب شهري يبلغ ( ١٠٠ ) مارك وبذلك تمكن من التقدم إلى ( امتحانات الدولة لنيل شهادة أهلية التعليم الثانوي ) وبدأ التدريس في المدرسة الثانوية البروتستانتية في

( شتراسبورغ ) لمدة سنة تجريبية . وقد عهد إليه بساعات اضافية عديدة في مختلف الصفوف ، ثم عين في بداية عام ١٨٩١ معلماً مساعداً براتب ( ١٠٠ مارك ) كما ظل يسعى إلى إعطاء دروس خاصة لتوفير بعض المال الذي سوف يحتاج إليه عندما يعين « مدرساً خاصاً » في احدى الجامعات .

[ ملاحظة : ان نظام الجامعات الالمانية ، الموروث عن القرون الوسطى ، كان اذ ذاك ولا يزال الآن مختلفاً عن سائر الأنظمة الغربية في تصنيف المدرسين وترتيب درجاتهم وأسلوب ترفيعهم ، اذ يقضي بأن يبدأ الأساتذة بلقب ( مدرس خاص ) لا يتقاضى راتباً ثابتاً وإنما يتلقى أحياناً منحة دراسية كما يحصل على مبلغ من الرسوم التي يدفعها الطلاب الذين يستمعون إلى محاضراته وهذا المبلغ يزيد أو ينقص حسب عدد الطلاب . ]

شعر ( بروكلمان ) في خريف سنة ١٨٩٢ بضرورة اتخاذ قرار فيما يتعلق بمستقبله ومهنته . وقد أدرك انه ليس هناك من أمل في أن يحصل على وظيفة مدرس دائم في ( الثانوية البروتستانتية ) التي كان يقوم بتدريس ساعات اضافية فيها ، وذلك لأنه لم يكن هناك مكان شاغر اذ ذاك ، عدا ان ادارة المدرسة لم تكن ترغب في تعيينه لمعرفتها باهتماماته العلمية وتجاربها السابقة مع المدرسين الذين ينتظرون أول فرصة للانتقال إلى الجامعة .

يقول ( بروكلمان ) : « لما طلبت المشورة من الاستاذ ( نولدكه ) في التقدم إلى التدريس في جامعة ( شتراسبورغ ) نصحني بالتخلي عن ذلك لأن هذه الجامعة لا تقدم أي منحة للمدرسين الخاصين عدا أن شخصاً

اختصاصياً في اللغة الآشورية تقدم إلى قسم اللغات الشرقية ثم تقدم بعد مدة مدرس للغة العربية .

وهكذا اتجهت إلى الأستاذ ( بريتوريوس ) في ( برسلاو ) أسأله عن رأيه في العمل تحت رعايته فلم يعارض .

**٤ ـ « مدرس خاص » في ( برسلاو ) و ( برلين ) ( ١٨٩٣ ـ ١٩٠٠ )**

انتقل ( بروكلمان ) في تشرين الثاني ١٨٩٢ إلى ( برسلاو ) وتقدم إلى الجامعة باطروحة لنيل حق التدريس ، كان موضوعها تحقيق مخطوطة في مكتبة برلين ( لعبد الرحمن أبي الفرج بن الجوزي ) عنوانها « تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار » . وقد تأخر تعيينه عدة أشهر لأن الاطروحة كان يجب أولاً طبعها في ( ليدن ) بهولاندا ، ثم لأن عميد الكلية ( كارو ) اليهودي لم يظهر اهتماماً خاصاً بالأمر بل كان ينتظر أن يتولى المدرس اليهودي ( فرنكل ) كرسي اللغة العربية بعد انتقال ( بريتوريوس ) إلى جامعة ( هاللة ) .

ويعترف ( بروكلمان ) ، الذي عين مدرساً خاصاً ، في أول سنة ١٨٩٣ ، أن الأستاذ ( فرنكل ) لم يحاول ، بعد وصوله إلى المنصب ، أن يثير العراقيل والمصاعب في طريقه ، بل كان يكتفي بأن يزوره مرة أو مرتين خلال الفصل الدراسي . ثم يقول ( بروكلمان ) :

« كانت مهنة التعليم في ( برسلاو ) لمستشرق مثلي تدعو إلى الرضى من حيث الدخل ، اذ كان هناك ، بالاضافة إلى ( كلية اللاهوت الكاثوليكية ) معهد للخاخامين اليهود يقصده عدد كبير من الطلاب الذين يدرسون اللغات السريانية والعبرية والعربية ، ويدفعون الرسوم المقررة لتأمين رواتب المدرسين الخاصين . »

يذكر ( بروكلمان ) انه توقف عن التدريس في فصل الشتاء سنة ١٨٩٥ ـ ١٨٩٦ للقيام برحلة الى ( لندن ) واستنساخ مخطوطة أحد اجزاء ( كتاب الطبقات الكبير ) لابن سعد ، الذي كان المجمع العلمي في ( بروسيا ) قرر نشره بإشراف الأستاذ ( ساخاو ) الذي كلف عدداً من المستشرقين الشباب بالتعاون معه . [ المقصود بذلك هو الجزء الثامن من الطبقات المتضمن تراجم النساء . وقد طبع في ليدن سنة ١٩٠٤ ] .

وفي الوقت نفسه أراد ( بروكلمان ) أن يحقق وينشر مؤلفاً آخر هو ( كتاب عيون الأخبار ) لابن قتيبة ، وكان قد استنسخ من قبل مخطوطة للكتاب استجلبها من ( بطرسبورغ ) ، ولكن تبين له أنها ناقصة وعلم أن النسخة الوحيدة الكاملة موجودة في ( استانبول ) فقرر متابعة رحلته إلى هناك وكان من الصعب أن يستنسخ المخطوطة بسرعة في مكتبة ( كوبريلي ) التي لم تكن تفتح أبوابها إلا بضعة أيام في الأسبوع ولمدة ساعتين فقط ، لذلك لجأ ( بروكلمان ) إلى السفارة الالمانية التي توسطت لدى مدير المكتبات العام في سبيل استعارة المخطوطة ، خلافاً للنظام ، ونسخها في دار السفارة . [ وقد طبع الكتاب في أربعة أجزاء في ( برلين ) و ( شتراسبورغ ) بين سنة ١٩٠٠ ـ ١٩٠٨ ]

تعرف ( بروكلمان ) في سنة ( ١٨٩٧ ) على السيدة التي أصبحت زوجته فيما بعد . إلا ان أحواله المالية لم تكن لتسمح له في ذلك الوقت بالارتباط بها فوراً . ولما كان راتب ( المدرس الخاص ) لايعتمد عليه في تكوين أسرة أدرك ( بروكلمان ) ضرورة السعي للوصول إلى منصب أستاذ في الجامعة . ولكن لما مات أستاذه المستشرق ( فيليبي ) الذي كان يأمل في احتلال مكانه ، استدعت الجامعة إلى الكرسي الشاغر أحد الاختصاصيين في اللغة ( السانسكريتية ) خلافاً للتقاليد ، فأصيب

( بروكلمان ) بخيبة الأمل ، وأخذ يفكر في التخلي عن السلك الجامعي وقد راودته الآمال بعض الوقت في الحصول على وظيفة ( مدير للمكتبة الوطنية ) في القاهرة التي كانت دوماً ، منذ تأسيسها يعهد بها إلى أحد المستشرقين الآلمان ، ولكن رئيس معهد الاستشراق الأستاذ ( ساخاو ) أسرع إلى تعيين أحد أتباعه في هذا المنصب . ثم تقدم ( بروكلمان ) في صيف سنة ١٨٩٩ إلى وظيفة مدرس ثانوي أعلنت عنها مدينة ( مونيخ ) ويقول ( بروكلمان ) : « لحسن الحظ لم يقبل طلبي لأن حكومة ( بافاريا ) كانت بطبيعة الحال ترغب في تعيين مدرس ( كاثوليكي ) . »

ثم يضيف قائلاً : « وأخيراً جاء الفرج فجأة في أوائل سنة ١٩٠٠ ، فقد توفي اذ ذاك ، في سن مبكرة ، الاستاذ ( سوسين ) صاحب كرسي اللغات الشرقية في ( لايبزيغ ) واقترح لخلافته ( المدرس الخاص ) في ( هاللة ) ، المستشرق ( فيشر ) الذي يكبرني ثلاث سنوات والذي كان يعلم اللغة العربية منذ أربع سنوات بمعهد الاستشراق في برلين ، وطلب الي اشغال مكانه ، فانتقلت في الربيع الى ( برلين ) واقتصرت على استئجار مسكن مؤقت لأنه كان من المنتظر أن يشغر قريباً منصبان آخران في الجامعات . »

« كان معهد الاستشراق تابعاً للجامعة ولكنه يخضع في الوقت نفسه لإشراف وزارة الخارجية ، ولهذا السبب كان يتمتع بميزات مالية . فعلى الرغم من أن وظيفتي كانت على سبيل الوكالة فقد زاد دخلي إلى ثلاثة أمثال ما كان عليه . »

« ان الاستاذ ( ساخاو ) الذي أسس المعهد في سنة ( ١٨٨٦ ) اصطدم بمشاكل كثيرة من جراء حبه للتسلط والاستبداد ، فلم تمض مدة طويلة حتى اضطر المدرسون الأوائل الذين تم اختيارهم إلى التخلي عن العمل في

المعهد . وكان مدرس اللغة العربية العالم الكبير ( مارتين هارتمان ) الذي عاش مدة ( ١٦ ) عاماً في بيروت يعمل ترجماناً ونشر أبحاثاً كثيرة عن العالم العربي . ولم يستطع ( ساخاو ) أن يفرض عليه ارادته أو أن يبعده عن المعهد . ولكنه لجأ إلى تعيين مدرسين آخرين للغة العربية عهد إليهما بجميع المواد الدراسية وهكذا ظل ( هارتمان ) يتقاضى راتباً عالياً ويتمتع بأوقات فراغ طويلة استغلها للقيام برحلات عديدة إلى الشرق . . »

يلاحظ ( بروكلمان ) أن ( مراكش ) كانت إذ ذاك ، مع الأسف ، تحتل مكانة خاصة في سياسة المانيا الخارجية حتى أصبحت فيما بعد من أهم أسباب الحرب العالمية الأولى لأنها أدت إلى الاصطدام مع الفرنسيين .

وقد عهد إلى ( بروكلمان ) بتعليم اللهجة المراكشية التي كانت غريبة عليه وكان لا بد له من تعلمها مستعيناً بمعيد مراكشي ، كان تاجراً غير مثقف من الرباط ولكنه كان نبيهاً ، مجتهداً وقد سبق أن دربه الاستاذ ( فيشر ) على متطلبات وظيفته . فكان ( بروكلمان ) يجلس معه كل يوم أربع ساعات حتى يتعب من الكلام . وكان على ( بروكلمان ) أن يقوم بالتعليم مدة ساعتين يومياً . ولحسن الحظ لم يكن هناك سوى ثلاثة طلاب أحدهم من الحقوقيين اعترف بأنه لم يتقدم إلى معهد الاستشراق إلا للخلاص من التعيين في الارياف . واستطاع الطالب الثاني في آخر الفصل الدراسي أداء الامتحان فاستخدم في شركة ( مانسمان ) التي كانت تستثمر بعض المناجم في ( مراكش ) ، أما الطالب الثالث فكان شاباً يهودياً تخصص في اللغة المصرية القديمة .

ويتابع ( بروكلمان قائلاً : « ان انشغالي بالمعيد المراكشي لم يترك مجالاً للاهتمام بالمعيدين العرب الآخرين الذين كان بينهم مدرس مصري

برز فيما بعد في حياة بلاده السياسية . وكان هناك زنجي من الحوساء يتكلم اللهجة التونسية عدا لغته الأصلية . اما المعيد لتعليم اللهجة السورية الذي لم يكن لديه طلاب يتولى أمرهم فكان يتيماً مسيحياً لجأ إلى المانيا في أثناء مذابح سنة ١٨٦٨ بدمشق وحصل على الجنسية الالمانية وعين كاتباً في بلدية ( برلين ) .

كانت لهجات المعيدين العرب تختلف بعضها عن الآخر إلى درجة يصعب معها التفاهم فيما بينهم فيضطرون إلى التحدث بالالمانية . »

**٥ ـ أستاذ بلا كرسي في ( برسلاو ) ( ١٩٠٠ ـ ١٩٠٣ )**

« في نهاية صيف سنة ١٩٠٠ عرضت علي في وقت واحد وظيفةُ أستاذ بلا كرسي في جامعة ( أرلانغن ) ومثلها في جامعة ( برسلاو ) . لم يكن الاختيار سهلاً لأن جامعة ( أرلانغن ) اقترحت راتباً يزيد بمقدار ( ٨٠٠ ) مارك ، عن ( برسلاو ) . ولما استشرتُ موظفاً في وزارة التعليم أعرفه جيداً إذ كان قبلاً استاذاً في ( برسلاو ) ، نصحني بعدم الذهاب إلى ( أرلانغن ) لأنه لم يكن هناك كرسي أستاذ يمكن أن يشغر الا في « مونيخ » وهو الكرسي الذي ظل الاستاذ ( هو ممل ) يشغله أكثر من ( ٢٥ ) عاماً بعد ذلك التاريخ . »

« ثم عرض علي معهد الاستشراق وظيفة ثابتة عوضاً عن الوكالة وبراتب يبلغ ضعف الراتب الذي ينتظرني في جامعة ( برسلاو ) . ولكن العمل في المعهد كان يعني الخضوع لسيطرة الأستاذ ( ساخاو ) الذي رفض طلب الأستاذ ( فيشر ) للتدريس في جامعة ( برلين ) كما لم يقبل أيضاً أن أتقدم باطروحة لنيل هذا الحق . »

يقول ( بروكلمان ) : « هكذا استقر رأيي على قبول العمل في جامعة

( برسلاو ) . وربما كانت فكرة السكنى في مدينة واحدة مع المرأة التي صممت على الاقتران بها من الحوافز الدافعة إلى هذا الاختيار . وعلى كل حال أثبتت لي الأيام صحة رأي صديقي . »

« وقد تبين لي أن منصب أستاذ بلا كرسي أسهل وألطف وظيفة جامعية . ولم أفهم لماذا ألغيت هذه المرتبة فيما بعد . إن صاحب هذا المنصب كان موظفاً براتب ثابت وان لم يكن مرتفعاً وكانت واجباته تقتصر على التعليم دون الاشتراك في أعمال الجامعة الادارية التي تؤدي إلى إضاعة كثير من الوقت . »

وقد التقى ( بروكلمان ) في ( برسلاو ) بعدد من أصدقائه القدماء كما كان يحضر حلقتين علميتين للمناقشة والقاء المحاضرات . وكانت احدى الحلقتين مؤلفة ، من الأساتذة أصحاب الكراسي الذين قرروا أن لا يقبلوا بينهم يهودياً بعد تجارب مؤسفة لهم مع مدرس كيمياء يهودي من أصحاب الملايين . عند ذلك اتفق عدد من الاساتذة اليهود على تأسيس حلقة ثانية دعوا إليها بعض المسيحيين ، بينهم ( بروكلمان ) وصديق آخر . وكان ( بروكلمان ) يرغب بالدرجة الأولى في الاجتماع بالمدرسين المشتغلين بعلوم الاستشراق . وقد حدد يوماً معيناً في الأسبوع لدراسة اللغة القبطية مع أستاذين متخصصين . ويشير ( بروكلمان ) إلى التجارب والفوائد الكثيرة التي اكتسبها في هذه الاجتماعات .

**٦ ـ الانتقال إلى ( كونيكسبرغ ) في منصب أستاذ ذي كرسي ( ١٩٠٣ ـ ١٩١٠ )**

يقول ( بروكلمان ) : « في شتاء ١٩٠٢ ـ ١٩٠٣ طلب صاحب كرسي اللغات الشرقية في جامعة ( كونيكسبرغ ) الاستاذ ( يان ) إحالته على التقاعد قبل بلوغ المدة القانونية ، إذ كان غنياً وسبق له أن عاش في ( برلين ) وهو شاب منتقلاً بين أندية الرّقص فأراد العودة إلى حياة

الراحة واللهو . وعلى الرغم من أن علاقاتنا لم تكن حسنة منذ التقائي به مدة قصيرة في ( استانبول ) عند البحث في المخطوطات فإنه لم يستطع أن يعارض ترشيحي للحلول مكانه . وهكذا انتقلت في ربيع ( سنة ١٩٠٣ ) إلى ( كونيكسبرغ ) وتوليتُ منصب كرسي اللغات الشرقية . لم يكن راتبي قد ازداد كثيراً في بادئ الأمر ، ولكن أصبح في استطاعتي الآن الاقدام على الزواج بالمرأة المختارة ، الا أنني لم أجسر على دعوتها إلى السكنى في هذه المدينة بسبب قساوة اقليمها ، عدا أن أملي كان كبيراً إذ ذاك في الانتقال بسرعة إلى ( ماربورغ ) . »

ظل ( بروكلمان ) استاذاً في ( كونيكسبرغ ) مدة سبع سنوات وعاش مع عدد من الزملاء الذين استرسل في وصفهم ولكنه لم يشترك كثيراً في حياتهم الاجتماعية ، كما لم يكن راضياً عن نشاطه في التعليم لأن سلفه لم يترك له من الطلاب سوى عدد قليل من اليهود الشرقيين الذين كانوا يتسابقون إلى نيل الاجازة ، فكان يثير العراقيل في سبيلهم للخلاص منهم بسرعة .

وكان ( بروكلمان ) يقضي فترات العطلة الجامعية في الأسفار . وقد رافق مرة صديقه ( روزن ) إلى ايطاليا التي تكررت رحلاته إليها بعد ذلك . وفي عطلة عيد الفصح سنة ( ١٩٠٥ ) اشترك في مؤتمر المستشرقين بالجزائر وكان يرغب في زيارة ( مراكش ) حسب البرنامج الذي أعلنه المؤتمر ولكن السلطات الفرنسية لم تسمح بذلك لتوتر العلاقات بين فرنسا والمانيا في تلك الفترة بسبب حادثة ( أغادير ) . فقام برحلة إلى واحة ( بسكرة ) في الصحراء التي سكن فيها ( ابن خلدون ) عند تأليف المقدمة . وفي طريق العودة إلى المانيا زار في ( شتراسبورغ ) استاذه ( نولدكه ) الذي كان تقدم في السن كثيراً .

ثم اشترك ( بروكلمان ) في مؤتمر المستشرقين المنعقد سنة ١٩٠٨ في ( كوبنهاغن ) بدعوة من رئيس المؤتمر المستشرق الدانياركي ( بول Buhl ) الذي أصر على أن يعهد إليه برئاسة فرع اللغات السامية . ويقول ( بروكلمان ) : « لم تكن هذه المهمة مستحسنة لأنها كانت ترغمني على حضور الجلسات جميعها ولأن المناقشات تخللتها حوادث شغب مؤسفة إذ حاول أحد الاميريكين الالمان اسمه ( هاوبت ) ، في خطاب ألقاه أن يبرهن على أن المسيح لم يكن يهودياً ، بل كان من العرق الآري . وقد أثار هذا القول عاصفة من الاستنكار لدى اليهود الكثيرين الحاضرين الذين كانوا يكفرون بالمسيح ولكنهم لم يكونوا يريدون فقدان هذا الرجل المشهور من جملة أبناء جنسهم . وعدا ذلك اصطدمت مع أحد رجال اللاهوت الكاثوليك من ( شتراسبورغ ) اسمه ( فولهاير ) ، وهو الذي أصبح رئيس أساقفة ( مونيخ ) فيما بعد ، اتهمني بالاعتداء على حرية الكلام وبمنعه عن إبداء آرائه كما يشتهي .

ويتابع ( بروكلمان ) سيرته قائلاً :

« إن السنوات السبع في ( كونيكسبرغ ) كان يمكن أن تصبح أسوأ مما وصفت لو لم أكن في تلك الفترة منهمكاً كلياً في تأليف أحب كتاب الي من سائر كتبي ، وأعني بذلك ( كتاب الأساس في قواعد اللغات السامية المقارنة ) الذي طبع في برلين ، الجزء الأول سنة ( ١٩٠٧ ) والجزء الثاني ( ١٩١٣ ) ، ومن المؤسف أن الكتاب لم يطبع ثانية لأن دار النشر ( رويتر ورايخارد ) أغلقت بعد موت صاحبها الرئيسي . وقد قام اثنان من الزملاء الفرنسيين بترجمة ملخص للكتاب حاولا فيه مراعاة متطلبات التعليم في المعاهد الاستعمارية الفرنسية . »

ويذكر الأستاذ ( زلهايم ) على الهامش ان ( بروكلمان ) كان قام في الوقت نفسه بتأليف كتاب صغير ضمن سلسلة كتب ( غوشن ) بعنوان « علم اللغات السامية » صدرت الطبعة الأولى منه في ( برلين ) سنة ١٩٠٦ والطبعة الثانية المنقحة سنة ١٩١٦ . ثم انتهى ( بروكلمان ) من الاعداد لطبعة ثالثة وكتب في أوائل ١٩٥١ إلى ( زلهايم ) بفرانكفورت يخبره أن مخطوطة هذه الطبعة موجودة لدى دار النشر منذ سنة دون أن يتم طبعها . ويلاحظ الأستاذ ( فوك ) في كتابه عن المشرقين ان ( بروكلمان ) قام في السنوات العشر الأخيرة من حياته بإعداد طبعة جديدة للكتاب تتلاءم مع التقدم العلمي ويراعى فيه قبل كل شيء لغة ( اوغاريت ) . وفي حين يدعي ( فوك ) ان هذا المشروع لم ينفذ ، يقول ( زلهايم ) ان مخطوطة ( كتاب الاساس ) ومخطوطة الأجزاء الملحقة من كتاب ( تاريخ الآداب العربية ) موجودة وقد اخترقها الرصاص ، ملقاة في ( هاللة ) دون أن يستفاد منها .

يروي ( بروكلمان ) انه تزوج في خريف سنة ١٩٠٩ وقضى شهر العسل في أحد منتجعات ( بافاريا ) ثم عاد إلى عمله في ( كونيكسبرغ ) و بقي هناك في فصل الشتاء الذي كان لحسن الحظ معتدلاً ..

**٧ ـ الانتقال إلى ( هاللة ) ( ١٩١٠ ـ ١٩٢٢ )**

في كانون الأول سنة ١٩٠٩ تلقى ( بروكلمان ) دعوة إلى تولي كرسي أستاذ اللغات الشرقية في جامعة ( هاللة ) الذي تخلى عنه أستاذه ( بريتوريوس ) مفضلاً احتلال مكان الأستاذ ( فرنكل ) بعد موته في ( برسلاو ) . وقد انتقل ( بروكلمان ) في بداية سنة ١٩١٠ إلى ( هاللة ) حيث ظل يعمل مدة ( ١٢ ) عاماً ( من ١٩١٠ ـ ١٩٢٢ ) وحيث رزق ابنته ثم ابنه .

يقول ( بروكلمان ) عن عمله الجامعي في ( هاللة ) :

« ان ظروف وظيفتي في ( هـــاللــة ) كانت أفضــل بكثير ممــا في ( كونيكسبرغ ) فقـد لقيت هنـا عـدداً من الطلاب الموهـوبين والمستمعين المهتمين باللغات الشرقيـة . ولما أرسل الأستـاذ ( مـاينهوف ) ، المتخصص باللغات الافريقيـة في ( هـامبورغ ) يسـألني ترشيح أحـد طلابي لوظيفـة أستاذ مساعد ذكرت له اسم ( كلينكن هيبل ) الذي أصبح فيما بعد خليفة ( مـاينهوف ) في ( هـامبورغ ) ، ثم ظهر في الفصـل الـدراسي التـالي بين الطلاب ( هلموت ريتر ) الذي كان لاهوتياً موهوباً ولكنـه انتقل بسرعـة إلى فرع اللغـات الشرقيـة وهو الـذي رشحتـه ليكـون مسـاعـداً لـلأستـاذ ( بيكر ) في ( هامبورغ ) . وقد تولى خلال الحرب العالمية الأولى وظيفـة ترجمـان في الشرق لمـدة سنتين ثم أصبـح خليفــة ( بيكر ) في جــامعــة ( هامبورغ ) . ولكنـه ، مع الأسف ، ارتكب بعض الأعمـال الشـاذة التي أدت إلى فصلـه عن العمل . وقـد عـاش منـذ ذلـك الوقت في استـانبـول حيث قام في بادئ الأمر بادارة فرع ( جمعية المستشرقين الالمـان ) هنـاك ثم عين أستاذاً في جامعة ( استانبول ) فـاستطـاع انجـاز كثير من الأعمـال البـاهرة . وقـد أضـاف ( بروكلمـان ) على هـامش مخطـوطتـه الملاحظـة التالية : عندما سرح الأتراك جميع الأسـاتـذة الالمـان في سنـة ١٩٤٧ جـاء ( ريتر ) إلى المانيا ولكن الدسـائس حـالـت دون إعـادتـه إلى وظيفتـه في جامعة ( هامبورغ ) ، لذلك شعر بالفرح لمـا استـدعي في سنـة ١٩٤٩ إلى التدريس في جامعة( فرانكفورت / ماين ) .

يتحدث ( بروكلمان ) بـالتفصيل عن انـدلاع الحرب العـالميـة الأولى ( ١٩١٤ ) التي كانت مفاجئـة للطبقـة ( البورجوازيـة ) كافـة . ويقول : « فقد كان الكثيرون يشعرون بالاستياء من هزائم المانيا الـدبلومـاسيـة في

قضية ( مراكش ) وظلوا يتابعون سياستنا في الشرق بكثير من الارتياب والقلق ولكن دون أن يدركوا ان هذه السياسة كانت تمهد لمسيرة الشعب الالماني في طريق الموت ، كما قال أحد المؤرخين الحديثين . ولم يكن ذلك رأي أساتذة الجامعات فقط ، الذين يوصفون بالبعد عن واقع الحياة ومجرى الأحداث . فقد صرح مثلاً صاحب أكبر مصرف في ( هاللة ) اذ ذاك بعد أيام قليلة من نشوب الحرب بأنها لن تدوم أكثر من أربعة أسابيع ( وذلك حسب رأيه ) بسبب تشابك المصالح الدولية ـ الرأسمالية . »

كانت الحرب في بادئ الأمر تسير سيراً حسناً يبعث على التفاؤل ، ولم يبدأ الناس يشعرون بالقلق على المستقبل الا بعد مرور سنتين عندما ازدادت المشاكل الاقتصادية والقيود المفروضة على شروط الحياة .

كان على ( بروكلمان ) في السنة الثالثة من مجيئه إلى ( هاللة ) أن يتولى عمادة الكلية التي كان يتجدد انتخاب صاحبها في كل فصل دراسي . وفي حين كان هذا المنصب يدر دخلاً جيداً في المعتاد تضاءلت وارداته كثيراً خلال الحرب .

ثم ماكاد ( بروكلمان ) في صيف سنة ١٩١٨ ينتخب رئيساً لجامعة ( هاللة ) حتى أخذت المشاكل الاقتصادية والادارية تزداد بسبب انهيار المانيا العسكري وتدفق الجنود العائدين من ساحات الحرب واندلاع الثورات والاضطرابات في كل مكان .

كان الاستياء شديداً في الجامعة ضد مدير المكتبة في ذلك الوقت حتى ان مجلس الجامعة قرر تكليف الرئيس ( بروكلمان ) مع أحد أساتذة التاريخ بالذهاب إلى برلين وتقديم الشكوى شخصياً . ولكن من المؤسف

أن مدير المكتبة كان يتمتع بحماية الوزير . ولذلك عندما عقد الاجتماع في الوزارة ، حيث انضم إلى الوفد المستشرق الأستاذ ( بيكر ) الذي كان يشرف على أمور الجامعات في الوزارة ، لم يستطع اقناع الوزير بسوء تصرفات مدير المكتبة . فبقي هذا المدير في وظيفته ولم تتمكن الوزارة من إثبات فساده الا بعد سنتين من وفاته ..

يقول ( بروكلمان ) : « لم تمض أيام على اندلاع الثورة على الامبراطور في ( كيل ) حتى تدفق جنود البحرية وأخذوا يسيرون في شوارع ( هاللة ) أيضاً رافعين الرايات الحمراء ، وقد حصلت بعض التغييرات في وظيفة عمدة المدينة وفي وزارة التعليم . واضطر مجلس الجامعة إلى تأليف ( لجنة اصلاح ) برئاستي تجمع كافة الاساتذة بكرسي أو بلا كرسي و باشرت عقد الاجتماعات مرة كل اسبوع تحتدم فيها المناقشات دون الوصول إلى أي نتيجة . وفي اجتماع حر للمدرسين تقرر أن « تخرج الجامعة إلى الشعب » كما كان يقال في روسيا . كذلك تقررت الدعوة إلى « أمسيات شعبية ، تجتمع في قاعة الجامعة كل اسبوعين مرة تلقى فيها محاضرات تعالج الموضوعات السياسية والاقتصادية و تعقبها مناقشات حرة . كانت هذه الأمسيات تمضي في المعتاد على أحسن وجه ، وان كانت أحياناً لاتخلو من طرائف غريبة واصطدامات مضحكة ، فقد قام مرة أستاذ الاقتصاد ( ونتيغ ) الذي كان والده يتمتع بثروة وسلطات جامعية واسعة وألقى محاضرة أعلن فيها أنه « بروليتارى » ( أي صعلوك ) أيضاً مثل أي عامل آخر لأنه إنما يعيش من عمله وجهده ، فارتفعت أصوات العمال تتهكم وتسخر من مظاهر ثيابه الفاخرة . ووقع مرة أخرى حادث مزعج إذ ما كدت أعلن افتتاح الاجتماع حتى اندفعت جماعة كبيرة من الشيوعيين ودخلت القاعة براياتها الحمراء وبرز بعضهم

فوق منصة الخطابة فأسرعت إلى إلغاء الاجتماع وخرج جميع الحاضرين وهم يزمجرون . وكان في القاعة عدد من رجال الشرطة لا حظوا بعض المشاغبين الذين اندسوا بين العمال فقبضوا عليهم بعد أيام ودعيت إلى السجن لمواجهتهم . »

يروي ( بروكلمان ) حوادث فترة الاضطرابات من استدعاء طلاب الجامعة العائدين من جبهات الحرب وجمعهم في ثكنات بألبستهم ومعداتهم العسكرية واتخاذهم حرساً خاصاً لحفظ الأمن والنظام حتى هدأت الأحوال في ( هاللة ) وغيرها من المدن ، ثم يقول :

« بعد أن نجح الاشتراكيون في توطيد سيطرتهم عهدوا بوزارة التعليم إلى زميلي المستشرق ( بيكر ) ، وهو من الديموقراطيين ، فتقدم بمشروع معقول يفرض على الجامعات أن تعمل بجميع الوسائل لنشر المعرفة بين الطلاب عن البلاد الأخرى ، لأن نقص هذه المعرفة هو الذي دفع الالمان إلى هاوية الحرب . ويقضي ذلك المشروع بأن تتولى جامعة ( غوتنغن ) الاعتناء خاصة بالحضارة الانكليزية والاميريكية وبأن يعهد إلى جامعة ( بون ) بالاهتمام بالحضارة الفرنسية وإلى جامعة ( برسلاو ) بحضارة العالم السلافي ، وأخيراً كان على جامعة ( هاللة ) ، وهي مركز جمعية المستشرقين الالمان ، أن تركز جهودها على الشرق . ولهذه الغاية عقدت اتفاقية بين الجمعية ووزارة التعليم تنص على تزويد الجمعية بالأموال اللازمة لاختيار رئيس قدير لمكتبة الجمعية ولشراء ما تحتاج إليه من كتب . كذلك تقرر الحاق المكتبة بمعهد للاستشراق يؤسس مجدداً وتكون له ميزانية خاصة . »

**٨ ـ الانتقال إلى ( برلين ) ( ١٩٢٢ ـ ١٩٢٣ )**

في شتاء ( ١٩٢١ ـ ١٩٢٢ ) شغر كرسيان لأستاذية اللغات الشرقية

في ( بـون ) و ( برلين ) و عرضت الـوزارة على ( بروكلمـان ) اختيـار أحدهما . فلم يكن الأمر سهلاً . كان هناك من جهة جمال ( جامعة بون ) على ضفـاف ( الراين ) التي كان الاحتلال الفرنسي ، مـع الأسف ، يشـوه روعتها ، وكان هناك من جهـة ثـانيـة امكانيـات للتـدريس في ( برلين ) ولكن مـع صعـوبـات كبيرة في العثـور على مسكن . وقـد سـافر ( بروكلمـان ) أولاً إلى ( بون ) لمشـاهـدة الـوضـع عن كثب . فلما التقى هناك بصديقه الأستاذ ( مايسنر ) نصحه بأن يرفض المجيء إلى ( بون ) . ذلك لأن سلفه الأستاذ ( ليتمان ) لم يقم بتنظيم المعهد الذي كانت تنقصـه كل الأجهـزة الـلازمـة ، ولأن سلطـات الاحتـلال الفرنسي كانت تتعمـد ازعاج المواطنين الالمان . هكذا علم ( بروكلمـان ) من أحـد معـارفـه وهو رجل غني جداً من ( برسلاو ) ان الضباط الفرنسيين أقـدموا على مزاحمتـه في قصره فلم يتركوا له سوى غرفتين بالطابق الأرضي لسكنـاه . وكان على المـواطن الالمـاني إذا قـابـل ضـابطـاً فرنسيـاً في الطريـق أن ينزل عن الرصيف . ومعروف أن أكثر الجنود القرنسيين كانوا من الهندالصينية .

يقول ( بروكلمـان ) : « استقر رأيي بعـد التفكير على اختيـار العمل في برلين ، حيث قطعت لي الوعود بتأمين منزل لي سريعاً ثم ببناء معهـد علمي جديد للاستشراق ، و قد تظاهر ( بيكر ) حسب العـادة ببـذل كل الجهود لتحقيق الوعود . ولكن تبين انه إنما كان يماطل في تقديم المساعـدة لأن منصبه في الوزارة لم يكن راسخـاً بسبب مطـالبـة الاشتراكيين تعيين أحـد منهم مكانـه ، فـأراد الاحتفـاظ بكرسي اللغـات الشرقيـة في برلين لنفسـه . » وهكـذا ظل ( بروكلمـان ) يسـافر كل اسبوع مـدة يومين إلى برلين لالقاء محاضراتـه . وكانت قيمـة المـارك الالمـاني تتـدهور من يوم إلى آخر من جراء التضخم الهائل في النقـد فكان الراتب الـذي يـدفع لـه كل

اسبوعين مرة لا يكاد يكفي للعيش في أبسط الفنادق والمطاعم . الا ان ( بروكلمان ) كان راضياً عن نشاطه في التعليم اذ كان عدد الطلاب في قسم اللغة العربية يبلغ السبعين كما أن عددهم حتى في فرع مهمل مثل اللغة الحبشية لم يكن يقل عن الخمسة .

**٩ ـ الانتقال إلى ( برسلاو ) ( ١٩٢٣ ـ ١٩٣٧ )**

في أواخر سنة ( ١٩٢٢ ) استدعي ( بروكلمان ) لاحتلال كرسي أستاذه السابق ( بريتوريوس ) الذي تقاعد في ( برسلاو ) . وكان التضخم النقدي قد بلغ أقصى الحدود فلاحظ ( بروكلمان ) عند انتقاله من ( هاللة ) ان كل مدخراته في المصرف لم تعد لها أية قيمة . ولم تستقر الاحوال الا بعد اصدار المارك الجديد في سنة ١٩٢٣ وبعد تدفق البضائع من البلاد الأجنبية .

استطاع ( بروكلمان ) ، بعد التغلب على مصاعب السكنى ، أن يقضي بضع سنوات هنيئة في ( برسلاو ) ، على الرغم من أن نشاطه في التعليم تقلص بالنسبة إلى الماضي لأن طلاب اللاهوت الكاثوليك الذين كانوا يقصدون دروسه قل الآن عددهم بعد أن صرح رئيس الأساقفة ان الطلاب التابعين له أصبح من الأفضل لهم أن يتعلموا اللغة البولونية عوضاً عن العبرانية .

انتخب ( بروكلمان ) في سنة ١٩٢٨ عميداً للكلية التي كانت في ( برسلاو ) ما زالت تجمع بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية ، فكثرت أعمال وظيفته ولكن دخله أيضاً زاد كثيراً حتى رأى انه يستطيع القيام في عطلة عيد الفصح ( ١٩٢٩ ) برحلة إلى استانبول ، على أن الطقس هناك كان في تلك السنة ما زال بارداً والعمل لم يكن سهلاً في المكتبات

التي كانت دون تدفئة في استانبول . ثم يستأنف ( بروكلمان ) سيرته الذاتية قائلاً :

« من المؤسف أن الحالة السياسية ازدادت اضطراباً وتوتراً في السنوات التالية بسبب الدعاية النازية . في سنة ( ١٩٣٢ ) طلب المعهد العالي التقني ( أي كلية الهندسة ) الانضمام إلى الجامعة لأن المعهد لم يكن يزدهر على الرغم من تجهيزاته الجيدة ، ومن البيئة الصناعية الغنية المجاورة . وكان المرشح لرئاسة الجامعة في سنة ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣ هو عالم الفيزياء ( شيفر ) الذي كانت مصلحته تدعو ، بطبيعة الحال ، الى توحيد المعهد التقني مع الجامعة ، وخوفاً من اتخاذ قرار متحيز طلب الي بصفتي محايداً لا علاقة لي بالأمر أن أتولى رئاسة الجامعة ، فكانت النتيجة ازدياد أعمالي الادارية إذ كان من واجبي أن أترأس اللجنة المختلطة من أساتذة الجامعة والمعهد التقني في جلسات لا نهاية لها . ولما أخذت سيطرة النازيين في الازدياد تخلى أكثر أساتذة المعهد عن مشروع التوحيد لأنهم كانوا يطمعون في الحصول على تأييد أكبر من حكومة جديدة .

ومن أسوأ الحوادث التي جابهتني في رئاسة الجامعة قضية ( كوهن ) . فقد كان أساتذة الحقوق استدعوا الى كرسي ( التشريع الالماني ) استاذاً يهودياً اسمه ( Cohn كوهن ) . وفي الحال أشيع ان النازيين سيحتجون على ذلك ، وفي اليوم الأول من الفصل الدراسي جاء ( كوهن ) إلى مكتب رئاسة الجامعة وطلب مني حمايته لأن الطلاب في قاعة المحاضرات كانوا يصرخون ويشاغبون . فرافقت الاستاذ الى القاعة وحذرت الحاضرين الذين كان بينهم الكثيرون من غير الطلاب وأنذرتهم بضرورة احترام كرامة الجامعة . وقد ساد الهدوء برهة ولكن ما كاد الاستاذ يبدأ الكلام حتى عاد الضجيج أكثر شدة . ولما تكرر ذلك ثلاث مرات طلبت

استدعاء الشرطة لاخلاء القاعة . وقد تكررت هذه الحوادث في شهري تشرين الثاني وكانون الأول ( ١٩٣٢ ) ولم تهدأ الحالة حتى بعد إغلاق الجامعة كلها مدة ثلاثة أيام . »

وقد تعرض الاستاذ ( بروكلمان ) الى هجمات الصحف النازية لقيامه بواجب رئيس الجامعة في منع الشغب والفوضى .

على انه بعد ابعاد ( كوهن ) عن الجامعة وتسلّم النازيين للسلطة في ( آذار ١٩٣٣ ) كان ( بروكلمان ) قد بلغ الخامسة والستين من العمر وكان يمكن حسب الانظمة الجديدة احالته على التقاعد في الحال . ولكن وزير التعليم الجديد الذي جاء لزيارة ( بروكلمان ) في رئاسة الجامعة ، قابله بلطف وطلب منه البقاء في وظيفته حتى خريف سنة ( ١٩٣٥ ) .

وقد انتقل ( بروكلمان ) في سنة ( ١٩٣٧ ) الى مدينة ( هاللة ) وظلّ يعيش براتب التقاعد وما يصله من مكافآت عن كتبه . ثم انقطع راتب التقاعد في شباط ١٩٤٥ بعد انهيار الحكم النازي واحتلال ( برسلاو ) من قبل البولونيين . وكان ( بروكلمان ) قد فقد جميع مدخراته في المصرف بعد دخول السوفييت والغاء كل الاوراق النقدية . وهو ما كان ليستطيع المعيشة خلال صيف ١٩٤٥ لولا أن ناشر كتابه ( القاموس السرياني ) [ الطبعة الثانية ، هاللة ١٩٢٨ ] أرسل اليه بقية المكافأة المستحقة .

حاول ( بروكلمان ) عبثاً في هذه الفترة أن يجد عملاً لكسب رزقه الى أن توسط له رئيس جامعة ( هاللة ) الاستاذ ( آيسفيلد ) فعين مستشاراً لمكتبة جمعية المستشرقين الالمان ، كما سبق ذكره في المقدمة . ثم تولى ( بروكلمان ) كرسي اللغة التركية مدة عدة سنوات اعتباراً من سنة

١٩٤٧ الى أن أحيل على التقاعد للمرة الثانية سنة ١٩٥٣ . وقد تعرض يوم عيد الميلاد سنة ١٩٥٥ الى برد شديد في احدى الكنائس القديمة فمرض ثم مات ( ٥ ايار ١٩٥٦ ) وقد قام زميله المستشرق ( آيسفيلد ) بالقاء كلمة تأبينية في حفل كنائسي بسيط ، ولكن اصدقاء ( بروكلمان ) وتلامذته الكثيرين تنادوا في ١٧ ايلول من السنة نفسها لاقامة احتفال ضخم في القاعة الكبرى بجامعة ( هاللة ) بمناسبة عيد مولده الثامن والثمانين فتحدث الخطباء عن مآثر هذا العلامة والاستاذ المشهور واستعرضوا مؤلفاته القيمة الكثيرة التي مازال المستشرقون يعتمدون عليها .

# العثور على النسخة المسروقة من كتاب
# تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر وأخبار الجزائر

الدكتور ابو القاسم سعد الله

### ١ ـ كيف عثرنا على النسخة ووصفها :

كل من قرأ النسخة المطبوعة من كتاب ( تحفة الزائر في مـآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر )[١] يذكر أن المؤلف محمد بـاشـا بن الأمير عبـد القادر ، كتب في مقدمتها ما يلي : « ولما فرغتُ من ترتيبـه ... وسميتـه ( تحفـة الزائر ... ) فسطت عليـه يـد من لا بـارك الله بـأصلـه ونسلـه ، وسرقته عمدا ... ثم شمرت عن ساعد الاجتهاد ، لجمع مـا تفرق من المواد ، بعد ان فقد منها الاكثر ... فجاء مطابقا للأصل ... »[٢] .

ومنذ قرأتُ انا تلك العبارات ، من نحو عشرين سنة خلت ، وسؤال يلح علي وهو : أين النسخـة المسروقـة من هـذا الكتـاب ، وهي النسخـة التي سماها المؤلف ( الاصل ) ؟ فالاشياء المسروقة عادة لا تعدم بـالضرورة ولكنها تنتقل من يد الى يـد ومن مكان الى آخر . ولم يكن السؤال : من سرقها ؟ أو لماذا سرقت ؟ قضية هـامـة عنـدئـذ . كما ان الفرق الـذي قـد يكون بين النسخة الاصل والنسخة الفرع لم يكن مهما ايضا . أما القضيـة الملحة في نظري فكانت البحث عن مكان تلك النسخـة التي ادعى المؤلف أنها سرقت منه بعد الانتهاء منها .

وقد استمر بحثي عنها في كل المظان الممكنة : دمشق والاسكندرية واسطانبول وباريس ، وهي البلدان التي تردد عليها المؤلف والتي يوجد فيها من يهمه موضوع الكتاب . وكانت النتائج دائما مخيبة للآمال ، ولكن اليأس لم يتطرق الى البال . وزاد من حماستي للبحث أن الطبعة الثانية للكتاب التي صدرت بعناية الدكتور ممدوح حقي لم تقدم نقدا ما لقضية النسخة المسروقة ، رغم أن المحقق كان قريبا من بيئة المؤلف وقريبا من أسرته الموزعة بين سورية واسطانبول[٢] .

وفي زيارتي لاسطانبول في شهر آب ( اغسطس ) ١٩٧٠ ، تمكنت من الاطلاع على نسخة مخطوطة من كتاب ( تحفة الزائر ... ) في احدى مكتبات اسطانبول . وكان عنوانها هناك ( تاريخ الامير عبد القادر ) وقد بادرتُ الى تصفحها وقرأت مقدمتها ، فاذا هناك فروق بين ما سبقت لي معرفته عن النسخة المطبوعة وهذه . وأول مالاحظته من فروق بين النسختين هو ان المخطوطة ليس فيها عبارة « فسطت عليه يد من لا بارك الله بأصله ونسله ، وسرقته عمدا .. الخ » كما أن المخطوطة احتوت على إهداء طويل الذيل الى السلطان عبد الحميد الثاني ، وهو شيء خلت منه النسخة المطبوعة . ثم أخذتُ ألاحظ بقية الفروق بين النسختين لا على سبيل التحقيق والمقارنة الدقيقة ولكن على سبيل الفضول ، لأن الوقت والظرف لا يسمحان بذلك عندئذ . ولكني سجلت بداية النسخة المخطوطة ونهايتها وبعض الملاحظات على خطها وشكلها ، ودونت كذلك رقمها ، ونويت تصويرها لعقد مقارنة بينها وبين المطبوعة عندما يكون هناك متسع من الوقت . ولكن تمويل التصوير عندئذ كان يعوزني ( والمخطوط في الف صفحة ) .

واليك ما كتبتُ في كناشي عندما رأيت النسخة المخطوطة من هذا الكتاب لأول مرة باسطانبول : « تاريخ الامير عبد القادر ، جزآن منفصلان . مخطوط بخط نسخي جميل ، مذهب ومجلد . أهداه المؤلف الى السلطان عبد الحميد الثاني . فرغ منه سنة ١٣٠٧ هـ ، ١٨٩٠ م . لا يذكر المؤلف في المقدمة أنه سرق منه . في الجزء الاول قصيدة منفصلة لمحمد الشاذلي القسنطيني ، اولها :

أيا ذاهباً نحو الخليفة بَلِّغَنْ سلاماً ...

وهو يحمل رقم ٤٧٨٨ ، مكتبة الحاج محمود افندي بالمكتبة السليمانية باسطانبول . ويحتوي الكتاب أيضا على عدة وثائق منفصلة ، منها واحدة في « ذكر هيئة المعسكر وترتيبه في السفر » وهي بخط رقعي مغاير للاصل . أول الجزء الاول « الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علما ، وأنفذ في كل مخلوق قضاء أزليا وحكما ... » ويقع الجزء الاول في ٤٩٨ صفحة ، والثاني في ٥٠٣ صفحة » انتهى من كناشي المؤرخ سنة ١٩٧٠ ، اسطانبول .

ولما رجعتُ الى الجزائر ، طلبت من مكتبة الجامعة تصوير المخطوط على نفقتي ، واعطيتها الرقم والمعلومات الاضافية . ووقعت المراسلة بينها وبين المكتبة التركية ، ولكن هذه المكتبة لجأت الى ما يمكن أن نسميه ( بالشانتاج ) ، فاشترطت لتصوير المخطوطة ، المبادلة بنسخة من كتاب الدكتور محمد بن أبي شنب عن مخطوطات مكتبة الجامع الكبير بالجزائر ، وقد وفت مكتبة جامعة الجزائر بالشرط وجاءت النسخة المخطوطة من كتاب ( تحفة الزائر ) على الميكروفيلم . ورغم أن النسخة كما رأيتها وكما

سأذكر ، جيدة وكاملة ، فان تصويرها جاء ناقصا ومشوها في بعض الحالات . ثم شُغِلت عنها بعض الوقت باعداد كتابي ( تاريخ الجزائر الثقافي ) ، الى أن حانت مصادفة رويت فيها للدكتور عبد الجليل التميمي حديث نسختي من كتاب تحفة الزائر ، فأخبرني أنه يملك هو أيضا صورة من نفس النسخة على الميكروفيلم وأرسل الي مشكورا نسخته لتدارك النقص وهذا ما تم فعلا[٤] .

**٢ ـ حياة المؤلف :**

ليس من غرضنا هنا التوسع في الحديث عن أسرة الأمير عبد القادر بالمشرق واستيطانها بلاد الشام وظروفها وعلاقاتها ، لان ذلك يخرجنا عن موضوعنا المحدد ، ولأن هناك مصادر أخرى تحدثت عن ذلك ، ومنها كتاب ( تحفة الزائر ) نفسه . ويكفي هنا أن نذكر بعض المعلومات عن مؤلف هذا الكتاب لعل ذلك يساعدنا على معرفة ظروف نسخته الضائعة ويلقي الاضواء على « سارقها » والهدف من أخذها منه ، وظروف تأليف النسخة الأولى ( الاصلية ) والثانية ( الفرعية ) .

ولد محمد لوالده عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن المختار ، في القيطنة بالجزائر عام ١٨٤٠ م ١٢٥٦ هـ[٥] . والقيطنة هي مسقط رأس والده ايضا ، وهي تقع على وادي الحمام ، غير بعيد من مدينة معسكر اليوم ( او أم العساكر ) ، عاصمة دولة الأمير عبد القادر . وكان محمد اكبر ابناء الامير عبد القادر من زوجه ، ابنة عمه ، خيرة . وقد عاش محمد طفولة مضطربة حقا . فقد ولد اثناء تصاعد الكفاح بين الجزائريين بقيادة والده ، وبين الفرنسيين . ففي آخر سنة ١٨٣٩ م استؤنفت الحربُ

بين الأمير والجيش الفرنسي ، بعد معاهدة التافنة التي كانت عبارة عن هدنة . وفي ١٨٤١ ، جاء الجنرال بوجو المشهور الى الجزائر وعنده صلاحيات لمحاربة الأمير في كل مكان وبكل الوسائل ، وهي الحرب التي استمرت الى سنة ١٨٤٧ ، تاريخ هزيمة الأمير وأخذه أسيراً الى فرنسا . اذن لقد عاش محمد ثماني سنوات من الحرب الضروس بين بلاده وفرنسا ، ثم خمس سنوات من الأسر في سجون فرنسا ، آخرها هو سجن امبواز بنواحي بوردو ، وبعد نحو سنتين في بروسة نزلت أسرة الأمير بدمشق حيث استقر بها المقام .

اذن لم يعرف الامير محمد الاستقرار لا في الجزائر ولا في فرنسا ولا في بروسة . لقد فتح عينيه على الحرب والخوف بالجزائر وعلى الاسر والغربة بفرنسا وعلى الزلزال في بروسة . فلم يتلق تعليما منتظما ولم يعرف حياة اجتماعية هادئة ولا اصدقاء ثابتين . ولاشك أن والده قد تكفل بتعليمه في امبواز ووضعه على الخصوص تحت إشراف صهره مصطفى بن التهامي . ولكن ذلك كان غير كاف ليتعلم الطفل محمد تعليما منتظما . ولاشك ايضا ان الطفل ، وقد دخل مرحلة المراهقة ، قد عوض في دمشق ما فقده في موطنه ومهاجره الاخرى ، فاختلف الى مدارسها وتمكن من دروس علمائها ونهل من مكتباتها ، ولكن قاعدة تعليمه تظل في نظرنا ، واهية على اية حال .

ومهما كان الامر ، فان الشام ، والمشرق عموما قد اخذت تدب في أوصالها بواكير النهضة الادبية والسياسية عندما نزلتها أسرة الامير عبد القادر . ولم يمض وقت طويل حتى انتشرت الصحافة والجمعيات الادبية

وحركة الجامعة الاسلامية والمنتديات العربية . وكانت أسرة الامير نهب الرياح تتجاذبها خيوط السياسة تارة نحو فرنسا وتارة نحو الدولة العثمانية وتارة نحو العزلة والانكماش وتارة اخرى نحو التيار العربي القومي . ولم يكن الامير محمد بعيداً عن هذه الاجواء . فهو كبير والده ، يرافقه حيث حل وارتحل ، ويطلع على أسراره وأخباره . لقد رافقه يوم ودع نابليون الثالث بباريس ويوم استقبله السلطان عبد الحميد باسطانبول . وسافر معه الى فرنسا ثانية وإلى مصر . ولكننا لاندري ان كان سافر معه في رحلته الى لندن[٦] . وكان يحضر مجالس والده مع أعيان الشام وغيرهم من زعماء العالم الاسلامي ، ومن الاوربيين ايضا . وقد اخبر هو عن نفسه أنه كان يلازم والده محتذيا حذوه في جميع أعماله ، وأنه قرأ عليه التوحيد والحديث والنحو ، وأنه استفاد منه ما يهمه في القديم والحديث .

وهكذا يتضح ان ثقافته ثقافة عصامية ـ اذا صح التعبير ـ تولاها والده ، والمجتمع الشامي ، ثم الحياة العامة وجهوده الشخصية . ويبدو أنه كان مهتما بالأدب والتاريخ . ذلك أن ثقافته التاريخيه الاسلامية تبدو غزيرة من كتابه ( تحفة الزائر ) ومن كتبه الأخرى التي سنذكرها . وأسلوبه الادبي ، المبني على السجع في معظمه ، غني ومتنوع مما يبرهن على كثرة مطالعاته ومحفوظاته . كما أن له اهتماما بالقضايا الاجتماعية المعاصرة كما سنرى أيضا . ورغم عيشته في فرنسا عدة سنوات سجيناً وزائراً فانه لم يتعلم الفرنسية ، كما يدل ذلك التجاؤه الى المترجمين في أسفاره من جهة وفي استحضار مادة كتابه من جهة أخرى .

ويبدو أن الامير محمداً قد اعتنق مبدأ الجامعة الاسلامية ، ولكنه لم يكن نشيطاً فيها نشاط بعض أنصارها الآخرين . وكأنه في ذلك كان يتبع سيرة والده الذي لا نجده قد اتخذ مواقف بارزة لصالح هذه الحركة رغم اجتماعه ومجالسته لبعض زعمائها مثل الشيخ محمد عبده ومحمد شمويل ( شامل ) الداغستاني . وتدل التعزية التي بعث بها محمد عبده الى الامير محمد واخيه محي الدين في والدهما الامير عبد القادر ، أنه كان يعرفهما شخصيا اثناء مجالسته لوالدهما . فقد كتب محمد رشيد رضا مقدما هذه التعزية بقوله : « وكتب منها ( اي من رسائل التعازي ) معزيا عن الامير عبد القادر الجزائري الشهير ، وكانت صلة المودة بينهما محكمة العرى ، كما اشير اليه في بعض المكتوبات الاصلاحية »[٧] ، ومما جاء في هذه الرسالة قول الشيخ محمد عبده : « وكفى في مصيبة أهل الايمان أن يقال : أصبحوا بلا امير ، وحسبهم تعزية عن مصابهم انكم بنوه وورثة فضله ومعززوه » وفي رسالة أخرى بعث بها محمد عبده الى الشيخ عبد المجيد الخاني طلب منه ابلاغ تحياته الى الامير محمد وأخيه محي الدين[٨] .

وكان ولاء الامير محمد للدولة العثمانية لا غبار عليه . فهو يكثر من الدعاء الى سلاطينها ، وبعد مبايعة الأسرة له جاءه وسام ( نيشان ) وراتب من السلطان عبد الحميد ، وكان على صلة بوالي دمشق عندئذ ، وقد حصل على لقب « الباشا » ، وأصبح فيما يقال ، ضابطا في الجيش العثماني . ولاشك ان هذا الولاء الواضح للدولة العثمانية قد كلفه غضب ، او على الاقل شك ، الفرنسيين فيه . ومع ذلك لانجد له عاطفة عداء قوية ضد الفرنسيين فوصفه لهم اثناء كتابه وصف محايد ، أو قل هو وصف تاريخي .

وكما لم نجد له موقفا متحمسا من الجامعة الاسلامية ، لم نجد له ايضا موقفا متحمسا من الوطنية أو من قضية الجزائر . فرغم أنه عاش الى سنة ١٩١٣[٩] ، وهو تاريخ سبقته عدة أحداث تهم القضية الجزائرية فاننا لا نجده قد شارك أو كتب ما يدل على عاطفته الوطنية القومية او العدائية نحو السلطة الاستعمارية . حقا ان حنينه الى الوطن قوي جدا ، يشير اليه في عدة مناسبات بألفاظ واضحة وأشعار مؤثرة ، ولكن الأمر لم يتجاوز الحنين الى الفعل . ولا نعلم انه زار الجزائر او حتى مسقط راسه الذي طالما حن اليه . فهل حاول ذلك ومنع منه ، او لم يكن ذلك في نيته اصلا ؟

ومهما كان الامر فقد أصبح ، بعد وفاة والده ، هو كبير الأسرة على اثر مبايعة اخوته له في وثيقة وقعوها بذلك . ولم يكن أبناء الامير العشرة من أم واحدة . وكان الولاء فيما بينهم ضعيفاً ، والمصالح الاجتماعية والسياسية تجعلهم في اتجاهات متعاكسة أحياناً . وكان ولاء أبناء الامير موزعا بين الدولة العثمانية وفرنسا . واذا كان ولاء الاخوة محي الدين ومحمد وعلي واضحا نحو الدولة العثمانية ، فان ولاء عمر ، والهاشمي ، وعبد المالك كان ، على الأقل ، قبل الحرب العالمية الاولى ، نحو فرنسا . ولانعرف ولاء بقية الاخوة[١٠] . وقد ترك الامير محمد بعض الابناء ، منهم علي زين العابدين الذي ترك احمد مختار الذي ترك السيدة أمل التي التقينا بها في الجزائر يوم ٢٥ أيار ( مايو ) ١٩٨٣[١١] .

وبالاضافة الى شؤون الاسرة ، كان الامير محمد ( باشا ) يشتغل بالتأليف . وقبل أن نتحدث عن مخطوطه ( تحفة الزائر ) ، نذكر أنه الف عدة كتب هي :

( ١ ) ـ تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر وأخبار الجزائر ، طبع للمرة الاولى في الاسكندرية ( مصر ) ، ١٩٠٣ . وهو في جزأين[١٢] وسنتحدث عنه .

( ٢ ) ـ مجموع فيه ثلاث رسائل او ابحاث ، مطبوعة في مصر ( القاهرة ) ، بدون تاريخ ، وهي :

أ ـ ذكرى ذوي الفضل في مطابقة أركان الاسلام للعقل .

ب ـ كشف النقاب عن أسرار الاحتجاب .

ج ـ الفاروق والترياق في تعدد الزوجات والطلاق .

( ٣ ) ـ عقد الاجياد في الصافنات الجياد ( مطول ) ، وهو مطبوع حسبما جاء في الاعلام[١٣] .

( ٤ ) ـ نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد ، وهو مختصر من الاول ، ومطبوع طبعتين في بيروت ، الاولى سنة ١٢٩٣ في ٤١٠ ص . والثانية سنة ١٣٢٦ ، في ٣٠٤ ص . وموضوع هذا الكتاب كما يدل عنوانه في أوصاف الخيل وتاريخها وآدابها .

( ٥ ) ـ نزهة الخاطر في قريض الامير عبد القادر ، طبع المعارف بمصر ، بدون تاريخ ، في ٥٨ ص . والكتاب الاخير جمع فيه بعض ما تفرق من شعر والده ، ولكن لم يأت عليه جميعا[١٤] .

واذا حكمنا على تفكيره واهتمامه من مؤلفاته فاننا نجد الأمير محمداً منسجماً مع التيار الاصلاحي الذي ظهر في النصف الثاني من القرن الماضي في المشرق عموماً وفي الدولة العثمانية على وجه الخصوص . فهو يتحدث عن قضية تعدد الزوجات ويقدم لها الحلول الاجتماعية والشرعية

او « الفاروق والترياق » كما يقول . وهو يكتب عن عقلانية الاسلام ( اذا صح التعبير ) أو مطابقة التعاليم الاسلامية لاحكام العقل ، وهو رأي يحاذي آراء المدرسة العبدوية ، وهو من جهة ثالثة يتناول موضوع السفور والحجاب الذي طال فيه النقاش ـ وما يزال ـ في عهد الدعوة الاصلاحية المشار اليه ، والف فيه كل من قاسم امين بمصر والطاهر الحداد بتونس ومصطفى بن الخوجة في الجزائر . واذا كانت رسائله قد ركزت على موضوعات اجتماعية فان كتابيه المطولين ( عقد الاجياد ) و ( تحفة الزائر ) لا يخرجان عن التاريخ والأدب . ويهمنا الآن تفصيل الحديث عن الاخير منهما .

**٣ ـ تحفة الزائر وظروف تأليفه :**

ان الظروف التي أقنعت الامير محمداً بتاليف ( تحفة الزائر ) تذكر المرء بالظروف التي أقنعت أحمد المقري بتأليف ( نفح الطيب ) رغم فارق ثلاثة قرون بين الرجلين . فكلا الرجلين أجبرته الظروف السياسية على الهجرة الى دمشق ، وكلاهما كان يكثر من الحنين الى وطنه الاول ويسترجع ذكرياته ، وكلاهما من غرب الجزائر ، فالمقري من تلمسان والامير محمد من نواحي معسكر ، وكلاهما له بطل يملأ عليه وجوده الأدبي والتاريخي ، وهذا البطل هو لسان الدين بن الخطيب والأندلس عند المقري ، وهو الأمير عبد القادر والجزائر عند الامير محمد ، وكلاهما كان يبكي مجداً غارباً وبلدا عربياً اسلاميا ضائعا (الاندلس والجزائر)، وأخيراً وليس آخرا ، فان اهل الشام هم الذين « أقنعوا » الرجلين بالكتابة وأغروهما بالتدوين بدل البكاء والحنين . ونحن بالطبع لا تهمنا هنا تجربة

المقري مع بطله ومع أهل الشام[١٥] لان موضوعنا هو ظروف تأليف ( تحفة الزائر ) .

كان الامير محمد كثير الشوق الى مراتع صباه ، وكانت مناظر الشام الطبيعية تذكره ربوع وادي الحمام وسهل غريس حيث فتح عينيه على الحياة لأول مرة . وكانت الوفود من أهل الشام ومن الجالية المغربية ترد على منزلهم في دمر[١٦] فيتفرع الحديث ويتشعب عن طبيعة الجزائر واهلها وكفاحها ضد الاستعمار الفرنسي وتطواف الأمير عبد القادر وأسرته من الجزائر الى دمشق عبر فرنسا واسطانبول وبروسة . وكان ذلك الحديث يهيج الذكريات ويسيل العبرات . وفي كتاب ( تحفة الزائر ) كثير من هذه العاطفة الجياشة التي أخرجت صاحب الكتاب احيانا عن مهمته كمؤرخ . ومنذ وفاة الامير عبد القادر[١٧] اصبح الحديث عن سيرته وجمعها في كتاب من آكد الأمور . وازداد الالحاح على الامير محمد في ذلك : اليس هو كبير الاسرة وملازم الوالد وموضع ثقته وأسراره ؟ الم يعرف اكثر من غيره عن كفاح والده وهو في سن الصبا وعن سجنه وهو في سن المراهقة وعن تحولاته من كفاح السيف الى كفاح النفس والتصوف والقلم ؟ الم يرافقه في كل أو جلّ أسفاره ويعرف من زاره أو كتب اليه من كبار العصر ؟ ثم اليس هو اكثر أخوته ثقافة وأميلهم الى الادب والتاريخ واكثرهم اطلاعا على الكتب ، بما في ذلك كتب والده ومذكراته التي آلت اليه ؟

اذن لقد كثر الالحاح وتوالت الرغبات ولكنها لم تنزل على اذن صماء او قلب من جماد ، بل نزلت على اذن مرهفة وقلب مفعم بالاستعداد .

ان الامير محمداً كان يحس أن عبئا ثقيلا قد ألقي على كاهله ، وان عليه ان يتحمله وحده كمسؤولية ثقيلة امام الوفاء لوالده ولوطنه ولاسرته التي اعطى لها اهتماما خاصا في الكتاب وابرز دورها التاريخي في الدفاع عن بيضة الاسلام والعربية في الجزائر ، حتى لقد يشعر من لايعرف الخلفيات ان المؤلف « بالغ » في ذكر كلمة « نحن » في كتابه التي لا تعني الا اسرته . ومهما كان الامر ، فانه استجابة لذلك الالحاح وتلك الرغبات قام بتأليف الكتاب : « فحرضوني على القيام بهذا المندوب ... وقالوا لا يخفى ان تحرير احوال الاكابر وتسطير مزاياهم في صفحات الدفاتر ، لمن سنة الكرام ... لاسيا هذا الامير الشهير ... حيث اشبه من السلف عمر بن عبد العزيز في زهده ورشاده ، ومن الخلف يوسف صلاح الدين في حركاته وغزواته وجهاده ، وحكى الشيخ الاكبر فيما يؤثر عنه ويذكر ،... فقلت لعمري قد اصبتم فيما ذكرتم ، وحق ان تجابوا الى ما به اشرتم ... »[١٨] .

ولكن من اين يبدأ ؟ ان هذا النوع من التأليف يحتاج الى مصادر كثيرة ، عربية وأجنبية ، قديمة وحديثة ، وهو عمل غير سهل ايضا ، لأن عليه أن يعود بتاريخ الجزائر الى اقدم العصور وان يلم باحداث المغرب والمشرق وأن يعرض سياسة الدول الخارجية والداخلية ، وأن تكون له فكرة عن التاريخ السياسي والعسكري والاقتصادي لبلاده اثناء كفاح والده ، ثم عليه أن يكون على اطلاع بالعلاقات القبلية والطرق الصوفيه وصراع القيادات الشخصية اثناء ذلك الكفاح ، وهو موضوع معقد ذو نسيج متشابك لا يخوضه الا خبير معتدل في احكامه . ولكي يوازن الامير محمد ذلك ويتغلب على الصعوبات وفر له مكتبة غنية بالكتب

والمذكرات والصحف والوثائق والمراسلات ، بالاضافة الى عمله على ترجمة بعض الكتب الاجنبية للعربية . ويمكننا ان نصنف مراجعه الى هذه الاصناف :

١ ـ حديثه مع والده ومشاركته هو في الأحداث او مشاهدته لها ، وهو مايمكن ان نسميه بالتجربة الشخصية .

٢ ـ وثائق الأسرة كالرسوم والانساب ، مثل شجرة الاسرة وسندها المفصل .

٣ ـ الوثائق الرسمية مثل المعاهدات والاتفاقات والتعهدات ( مثل معاهدة ديميشال والتافنة .. الخ ) .

٤ ـ الكتب الأجنبية المترجمة الى العربية سواء كانت عن والده أو عن تاريخ الجزائر عموما .

٥ ـ الكتب العربية عن الأمير والجزائر والمغرب العربي والأندلس ( مثل كتب ابن خلدون ، وابن حزم ، وابن الخطيب )[١٩] .

٦ ـ المراسلات وهي كثيرة سواء منها الرسمية أو الشخصية .

٧ ـ الصحف المعاصرة ، عربية واجنبية .

٨ ـ انتاج الامير نفسه من الشعر والنثر .

ويقول الامير محمد عن الطريقة التي اتبعها لاستخراج الحقائق من هذه المصادر ، انه جعل والده هو الحكم . ذلك أن بعض المصادر قد جانبت ، في نظره ، الصواب لاعتبارات قومية وسياسية وشخصية ، رغم اعترافه بان بعضها قد مارس ضبط النفس وسار في طريق الحق . ومن

الممكن ان يقال هذا عن الامير محمد نفسه ، فما دام قد جعل والده هو مرجعه في تصويب المصيبين وتخطئة المخطئين ، فمن ادراه ان والده ايضا كان على خطأ فيما رأى وقدر ؟ ونحن وان كنا سنقول كلمة عن القيمة التاريخية للكتاب ( تحفة الزائر ) فاننا نبادر الى القول هنا بانه كتاب ادب ومذكرات وليس كتاب تاريخ بالمعنى العلمي للكلمة .

ويهمنا أن نسوق عبارة الامير محمد نفسه في هذا المجال ، تلك العبارة التي تكشف عن طريقته ومنهجه في كتابه . فهو يقول : « جلبتُ تواريخه ووقائعه ( اي والده ) المدونة باللغة الافرنجية ، وتكلفت ترجمتها الى العربية[٢٠] ، وبعد مطالعتها وامعان النظر فيها وجدت بعض مؤلفيها قد أصاب ، والبعض اخطأ جادة الصواب ، وحافظ فريق على انتصارات قومه ، ونسي الآخر احوال امسه وذكر وقائع يومه ... فلذا وضعت الاخبار في ميزان واحد ، وجعلت الحكم العدل شهادة سيدي الوالد ، فانه رب تلك المشاهد ، ولايستوي الغائب والشاهد ، وقد استخرجت من آثار مولاي خبرا يدل عليه دلالة اللفظ على المعنى »[٢١] . ولعل لفظة « آثار مولاي » ذات معنى هام في هذا المجال . ذلك انها تبرهن على أن الامير محمداً كانت له عند التأليف ثروة والده من المذكرات والاوراق الشخصية .

ويحتوي ( تحفة الزائر ) على معلومات غزيرة عن الجزائر في عهد كفاح الامير عبد القادر وعن الامير نفسه ، منذ نفيه سنة ١٨٤٧ الى وفاته ١٨٨٣ . ونحن نقول « في عهد كفاح الامير عبد القادر » لان الجزء الخاص بجغرافية المغرب العربي والجزائر خصوصا ، والدول الاسلامية

المتعاقبة على هذا الجزء من العالم العربي ، وان كان مفيدا ، الا انه غير اساسي ويظل مدخلا فقط للموضوع الرئيسي . كما اننا عنينا بكلمة « كفاح » ان المؤلف لم يؤرخ للجزائر في عهد حياة الامير الطويلة بل توقف معها بخروج الامير منها . فتاريخ الجزائر بين ١٨٤٧ و ١٨٨٣ غير مدروس في الكتاب . ذلك أن الامير محمداً يبقى متتبعا في كتابه تحركات والده وليس تطورات بلاده . كما ان القسم الاخير من الكتاب ضعيف من الناحية التاريخية لانه اقتصر فيه على ايراد الاشعار المديحية والرثائية ومقالات الصحف ونحو ذلك ، مما يقرب الى الجمع والحشو اكثر من التاريخ والدرس .

ولكن الكتاب يضم وثائق هامة تجعله مصدرا لا غنى عنه لدراسة تاريخ الجزائر خلال فترة الأمير . ولا شك أن ذلك راجع بالدرجة الاولى الى تمكن المؤلف من الاطلاع على اوراق الأسرة واستعمالها والى احساسه الفطري بالتاريخ وأهميته عند الامم والشعوب والأسر . ذلك ان حرصه على تدوين مآثر والده قد جعل الكتاب يخدم أيضا وطنه الجزائر وقومه واسرته ، بالاضافة الى تسجيل صفحة مجيدة في تاريخ الكفاح العربي والاسلامي ضد الغزو الاجنبي ، ومن ذلك يصدق تشبيه الامير بيوسف صلاح الدين الايوبي الى حد بعيد . وعلى هذا الاساس فان كتاب ( تحفة الزائر ) كان ، ولعله ، مايزال ، الكتاب الوحيد باللغة العربية الذي فصل الحديث عن المرحلة الاولى من الصراع الجزائري الفرنسي ( ١٨٣٠ ـ ١٨٤٧ ) .

ولكن الكتاب يبقى كتاب أدب أيضا . فمجاله هو عرض سيرة الامير عبد القادر البطل مع اعجاب واضح بمواقف البطولة ، وانتماء

شخصي وعرقي الى البطل نفسه . وفي كثير من الحالات حجبت العاطفة والولاء والاعجاب قضايا التاريخ المعقدة . ثم ان اشتمال الكتاب على اشعار مختلفة ابياتا وقطعا وقصائد ، واسلوب التأليف القائم اساسا على السجع ، والحنين ( او النوستلجيا ) التي يتميز بها ـ كلها جعلت الكتاب قطعة أدبية اكثر منه دراسة تاريخية . ولعل المرء لا يترك الحديث عن هذه النقطة حتى يشير ايضا الى الجانب الصوفي من الكتاب . ذلك ان الوفاء لسيرة الامير جعلت المؤلف يسوق نصوصا له في هذا المجال ايضا . وهذا حق له ، ولكن المجال الصوفي ـ الفلسفي في الكتاب أضعف ايضا جانبه التاريخي .. فهل يمكننا القول اذن ان ( تحفة الزائر ) هو كتاب في سيرة الامير عبد القادر وليس في تاريخ الجزائر ؟ ان في العنوان الفرعي للكتاب جوابا على هذا السؤال ، اذ هو في مآثر الامير عبد القادر وأخبار الجزائر ولاشك ان كلمة « مآثر » أقوى من كلمة « أخبار » وهذه بدورها أخف من كلمة « تاريخ » .

لقد قسم الامير محمد كتابه الى قسمين منذ البداية . فجعل القسم الاول في سيرة الامير عبد القادر السيفية او الحربية وهو القسم الذي يحويه الجزء الاول من الكتاب سواء منه المطبوع والمخطوط . وهذا ما يمكن ان نسميه فترة مقاومة الامير في الجزائر بين ١٨٣٠ و ١٨٤٧ . وفي القسم مدخل طويل عن جغرافية وتاريخ المنطقة من أقدم العصور الى الاحتلال الفرنسي . اما القسم الثاني فقد خصصه لسيرة الامير العلمية او القلمية[٢٢] ، ويغطي هذا القسم من الناحية الزمنية سيرة الأمير منذ خروجه من الجزائر في آخر كانون الأول ( ديسمبر ) سنة ١٨٤٧ الى وفاته في شهر أيار ( مايو ) ١٨٨٣ م . وبمعنى آخر حياة الامير في فرنسا

والمشرق العربي والاسلامي . ولعله من الخطأ ان نسمي هذا القسم بقسم السيرة القلمية ( او العلمية ) لان الامير نظم الشعر وكتب الرسائل وألف ايضا قبل مغادرته الجزائر . حقيقة ان بعض انتاجه الصوفي قد كتب في مهجره ولكن الفترة التي يتناولها هذا القسم اطول بكثير من تاريخ تأليف انتاجه الصوفي .

ومهما كان الامر ، فان الامير محمداً لم يبوب عمله الى فصول وأبواب ولم يخضع كتابه الى منهج علمي دقيق ، وانما استخدم طريقة العناوين الصغيرة والانتقالات المتقاربة حسب موضوعات ذات مدلول ضيق ، مثل : ذكر كذا ، أو انتقال الامير الى ...، ونحو ذلك . وهي طريقة مملة ومشتتة للذهن . وهذا ينطبق على النسخة المطبوعة والمخطوطة معاً . وهو أحيانا يستعمل عبارة « فصل في كذا » ولكن ذلك لا يدل حقا على التبويب المتبع حتى عند بعض القدماء وانما هو طريقة من طرق التفريع في البحث .

**٤ ـ المقارنة بين النسخة المخطوطة والمطبوعة :**

طبع كتاب تحفة الزائر ، كما أشرنا ، مرتين ، مرة في حياة المؤلف ، سنة ١٩٠٣ م والثانية سنة ١٩٦٤ م ، الطبعة الاولى في الاسكندرية والثانية في بيروت . وقد تميزت الطبعة الاولى بضيق السطور وصغر الحروف وانعدام الفقرات تقريبا وكثرة الاخطاء المطبعية وعدم وجود خرائط او صور او ثبت عام ، وليس فيها نبذة عن حياة المؤلف . اما الطبعة الثانية فتميزت بمقدمة للمحقق[٢٢] ، وبعض التعاليق والصور ، وسعة السطور وكبر الحروف ، كما لم تشتمل هذه الطبعة ايضا على ثبت

عام باسماء البلدان والاشخاص ولا على جدول بالخطأ والصواب . واذا كان يجوز لطبعة ١٩٠٣ أن تخرج بدون ثبت عام فانه لا يجوز ، في نظرنا ، لطبعة سنة ١٩٦٤ ، وهي طبعة تحمل سمة التحقيق ، ان تخرج بدون هذا الثبت .

والنسخة المخطوطة تقع أيضا كما قلنا ، في قسمين ، كل في مجلد منفصل . وهي مكتوبة بخط نسخي جيد وحروف بارزة وفنية ، في إطار جميل ومذهب . وتكاد تكون بدايات الجزأين ونهايتهما واحدة ، مع اختلاف سنذكره في القسم الاخير من هذه الدراسة . ولا يوجد في النسخة المطبوعة تاريخ انتهاء المؤلف من تأليف كتابه ولكن هذا التاريخ في النسخة المخطوطة هو سنة ١٣٠٧ هـ ( ١٨٩٠ ) أي سبع سنوات بعد وفاة الامير عبد القادر . ولايمكن في نظرنا ان تكون النسخة المخطوطة التي اطلعنا عليها مكتوبة بخط المؤلف ، لانه لا يعقل أن يؤلف احد المؤلفين عمله على ذلك النحو من التخطيط والتجميل والتذهيب والتأطير والصفاء . فلو كانت هذه النسخة « الاصلية » حقا لكانت غير مجملة كل هذا التجميل ولكانت فيها تخريجات وحواش وحذف واضافات ونحو ذلك مما يوجد عادة في النسخة الاولى من التأليف[٢٤] .

اذن ، هل نحن نتكلم هنا عن « النسخة الاصلية » أو نسخة مخطوطة مأخوذة عنها ؟ واذا كنا نتعامل مع نسخة مأخوذة عن الاصل ، وهو ما نميل اليه ، فأين هي نسخة المؤلف المسروقة منه ؟ هل اعدمت بعد ان نسخت يد الخطاط الماهر منها هذه النسخة التي بين ايدينا ؟ نحن نستبعد ذلك . ونميل الى أن نسخة المؤلف ما تزال موجودة في احدى المكتبات الخاصة سواء مكتبة الشخص الذي سرقها ، أو الشخص الذي

آلت اليه بسبب من الاسباب[٢٥] . وعلى فرض ان هذا صحيح ، فمن هو خطاط نسختنا يا ترى ؟ انه لا يوجد على النسخة المصورة اسم الخطاط او الناسخ ، ويبدو من المؤكد ان الذي خططها على الشكل الذي وجدناها عليه اراد بها وجه السلطان عبد الحميد لأن عبارة الاهداء اليه في النص مكتوبة بخط جميل وغليظ ، وكأنها هي المقصودة من التخطيط كله . ولكن من كان وراء فكرة التخطيط اصلا ؟ هل هو المؤلف نفسه الذي ، نفترض ، انه سلم عمله لأحد الخطاطين فدبج له ما اراد ولكن السرقة وقعت لهذه النسخة المدبجة من عند الخطاط او من عند المؤلف ، قبل ان يقوم هذا بتقديمها الى السلطان ؟ او ان مسودة المؤلف هي التي سرقت منه واخذت الى احد الخطاطين فاستخرج عليها النسخة التي رايناها وقدمها السارق نفسه الى السلطان لغرض ما ؟ اننا نميل الى الاحتمال الثاني ، لأنه هو الذي يحرم المؤلف من نسخته الاصلية ويجعله يلجأ الى كتابة عمله من جديد . اما الاحتمال الاول فهو بعيد لان المؤلف عندئذ يكون قد حافظ على نسخته الاصلية وان ضاعت منه المدبجة ، ولم يكن في حاجة الى اعادة التأليف .

ولكن السؤال المحير حقا هو : من كان وراء السرقة وما الهدف منها ؟ ان اخوة المؤلف وأسرة الأمير عبد القادر على العموم لم تكن ، كما ذكرنا ، متفقة على الولاء للدولة العثمانية . وكان هناك انقسام في صفوف الأسرة اشار اليه المؤلف نفسه عند حديثه عن المبايعة له بعد وفاة الوالد . كما كان هناك تحاسد وتنافس على الفوز برضا هذا أو ذاك من كبار الدولة العثمانية او الفرنسية . وقد لمح المؤلف نفسه الى كون المسألة « عائلية » عندما دعا على سارق النسخة بقوله : « فسطت عليه يد من

لابارك الله بأصله ونسله ، وسرقته عمدا من حرز مثله ، جزاه الله على ما ابداه من حسده ، في نفسه وماله وولده ... » ونعتقد ان سارقها الذي قدمها بذلك الاهداء الفخم اراد التقرب بذلك الى السلطان لغرض دنيوي ، سياسي او مالي مثلا . اقرأ معي ما جاء في النسخة المخطوطة من اهداء ( وهو مفقود تماما من النسخة المطبوعة ) « وبعد ان انتهيت من ترتيبه ، وامعنت النظر في تحريره وتهذيبه ، قدمته لسدة سلطنة ولي النعم ، ومالك ملوك العرب والعجم ، حامي حوزة الملك بالسيف الباتر والحزم الوافر والحلم السافر ، الجامع بحسن الابتداء بذكر اسمه الحميد ، وتشنفت المسامع بدر وصفه العزيز المجيد ، امير المؤمنين ، وظل الله على العالمين الخليفة الأعظم الخاقان الأفخم السلطان الغازي عبد الحميد خان ، أيده الله بسر الكتاب المبين ، وأمد جنوده بالملائكة المقربين :

آمين آمين لا يرضى بواحدة حتى اضيف اليها الف آمينا

راجيا ان يحظى بلثم رائحته الكريمة ، ويلحظ بعين عنايته الفخيمة ، فينجلي نجم سعده في سماء الاقبال ، ويتحلى بحلى القبول ويرفل في حلل الكمال ، وسميته ... تحفة الزائر ، الخ . » .

وهناك قضية اخرى ما زلنا لم نجد لها حلا ، وهي لماذا طبع الامير محمد كتابه في الاسكندرية بالذات ؟ واين كان هو عند طبع الكتاب ، في الآستانة او في دمشق او في مصر ؟ ولماذا المطبعة التجارية بالذات ايضا ؟ وهل لوجود الانجليز في مصر دخل في تغيير وجهة نظر المؤلف من الدولة العثمانية ، ومن السلطان عبد الحميد خصوصا ؟ وهل يفسر لنا ذلك حذف الاهداء السابق من النسخة المطبوعة تماما ؟ أسئلة كثيرة لا

يمكننا الجواب عليها الآن . وبالاضافة الى ذلك هناك احتمال دخول المؤلف في حزب اللامركزية الإسلامي الذي كان بعض أتباعه مغضوبا عليهم فهاجروا او هربوا في اوائل هذا القرن الى مصر ، ومنهم المؤلف ، فهل هذا ايضا وارد ؟ اننا لانملك الجواب عليه الآن .

واثناء عقدنا للمقارنة بين النسختين المخطوطة والمطبوعة وجدنا ان الاولى أشمل وأوفى ، وانها قد احتوت على تفاصيل ووثائق مفقودة في الثانية ، ولكن العكس احيانا صحيح ايضا . كما يلاحظ المرء تقديم او تأخير الحوادث بين النسختين . ويوجد في المخطوطة تاريخ الانتهاء من التأليف ، وهو ١٨٩٠ ، كما ذكرنا بينما المطبوعة خالية من هذا التاريخ . وقد قرأت نصيبا كبيرا من النسختين على وجه المقارنة مع كل من الاستاذين : الشيخ محمد الطاهر التليلي بقمار ، والدكتور ابو العيد دودو بمدينة الجزائر ، وقارنا الفهارس في النسختين وبعض الوثائق والاشعار ، فوجدناهما نسختين مختلفتين حقا ، ولا يمكن ان يقال ان المطبوعة نسخة عن المخطوطة وانما المؤلف في الواقع كتب تأليفه مرتين ، ففصل في المرة الاولى وأوجز في الثانية ، كما انه قد عكس احيانا ، وان الذي يجمع بين النسختين هو وحدة الموضوع ووحدة العاطفة ووحدة المؤلف وليس وحدة النص او المتن .

ولكي نشرك القارئ معنا في إدراك بعض الفروق بين النسختين عمدنا الى استخراج عبارات من مقدمة النسختين ، ونصوص من اوائل واواخر الجزئين وبعض النصوص الداخلية ، وجعلنا هذه النقول على هذا النحو :

١ ـ نص من مقدمة النسخة المطبوعة فيه ذكر سرقة النسخة وليس معه الاهداء الى السلطان عبد الحميد الثاني ، يقابله نص من مقدمة النسخة المخطوطة فيه الاهداء الى السلطان وليس فيه ذكر السرقة .

٢ ـ نص يتضمن نهاية الجزء الاول في النسختين ، وفيه يظهر التوسع في المطبوعة اكثر من المخطوطة .

٣ ـ نص يتضمن بداية الجزء الثاني في النسختين ، وفيه يظهر التقديم والتأخير ، والتوازن والتوسع .

٤ ـ نص يتضمن نهاية الجزء الثاني في النسختين ، وفيه يظهر الفرق واضحا ، اذ اقتضب المؤلف في المطبوعة وأسهب في المخطوطة ، مع ذكر تاريخ الانتهاء من التأليف .

٥ ـ نص عام من النسختين كنموذج للفرق بينهما ، وفيه يظهر كيف قصر في المطبوعة وطول في المخطوطة ويظهر من النص الطويل رأي المؤلف في عدة أمور تاريخية ومعاصرة ( ومن هذا النوع كثير في الفرق بين النسختين ) .

٦ ـ نماذج من اختلاف العبارات في متن النسختين ، وقد استخرجنا النماذج من المقدمتين فقط . ويمكن القياس عليها في بقية المتن .

وقد أردنا من ذلك ان نوضح للقارئ مدى الاختلاف بين النسختين سواء من حيث النصوص الكاملة او من حيث نسج العبارات والألفاظ .

وفي نهاية هذه المقالة نود أن نطرح سؤالا وهو هل يمكن نشر النسخة المخطوطة على انها الاصلية من ( تحفة الزائر ) ؟ يبدو أن ذلك

ممكن وواجب لأنها هي النسخة التي وضعها المؤلف اساسا لكتابه وهي التي تعبر عن وجهة نظره في الاحداث وفي والده وفي العلاقات العامة قبل ان تبرد عاطفته وتؤثر فيها بعض مجريات الامور المستجدة ، وقبل أن يفقد بعض مواد الكتاب التي نبه عليها . ولذلك فنحن عازمون على اخراجها الى الناس محققة ان شاء الله ، ولكن هذا لا يمنعنا ، ولا يمنع غيرنا ، من البحث عن النسخة التي كتبت بخط المؤلف اصلا .

**الدكتور ابو القاسم سعد الله**

**آن آربر ( امريكا ) ، جامعة ميشيغان**

## ٥ ـ نصوص من النسختين للمقارنة

### من ديباجة النسخة المطبوعة

ولما فرغت من ترتيبه ، وأمعنت النظر في تحريره وتهذيبه ، حصرته في قسمين الاول في سيرته السيفية ، والثاني في سيرته القلمية[٢٦] ، وسميته : تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر . فسطت عليه يد من لابارك الله بأصله ونسله ، وسرقته عمدا من حرز مثله . جزاه الله على ما ابداه من حسده ، في نفسه وماله وولده ثم شمرتُ عن ساعد الاجتهاد ، لجمع ما تفرق من المواد ، بعد ان فقد منها الاكثر ، وبقي من المسودة ما لايذكر ، فجاء مطابقاً للاصل ، وخاب من الحاسد ، والمنة لله ، الأعلى ..

( المقدمة في ذكر جغرافية اقسام المغرب ) الخ .

### من ديباجة النسخة المخطوطة

وبعد ان انتهيت من ترتيبه وأمعنت النظر في تحريره وتهذيبه ، قدمته لسدة سلطنة ولي النعم ، ومالك ملوك العرب والعجم ، حامي حوزة الملك بالسيف الباتر ، والحزم الوافر والحلم السافر ، والجامع بحسن الابتداء بذكر اسمه الحميد ، وتشنفت المسامع بدر وصفه العزيز الجيد ، امير المؤمنين وظل الله على العالمين ، الخليفة الاعظم ، الخاقان الافخم ، السلطان الغازي عبد الحميد خان ، ايده الله بسر الكتاب المبين ، وامد جنوده بالملائكة المقربين

آمين آمين لا يرضى بواحدة
حتى اضيف اليها الف آمينا

راجيا ان يحظى بلثم راحته الكريمة ، ويلحظ بعين عنايته الفخيمة ، فينجلي نجم سعده في سماء الاقبال ، ويتحلى بحلى القبول ويرفل في حلل الكمال ، وسميته : تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر وأخبار الجزائر ، راجيا ان يطابق اسمه مسماه ، ويقتنيه من جعل الادب غاية مرماه ، فيتخذه في خلوته سميرا وجليسا ، وعلى الله قصد السبيل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

( المقدمة في ذكر جغرافية اقسام المغرب ) الخ .

## نهاية ج ١ مطبوع

وفي غد تلك الليلة ( ليلة اجتماع الامير بابن الملك ، الدوق دومال ) توجه ابن الملك نحو الجنود الفرنساوية المقبلة من مخيمها الى جامع الغزوات وعند رجوعه تلقاه الامير على جواده الادهم . وبعد ان نزل عنه اهداه اليه مع طبانجته وساعته فقبلهم ، ثم اجتمعا اجتماعا مخصوصا جدد فيه ابن الملك العهد للامير وزاده وثوقا ، واهدى للامير ايضا طبانجته وساعته . ثم سأله عمن يرافقه في غربته الى المشرق فسمى له اهله واولاده وخليفته السيد مصطفى بن التهامي والسيد قدور بن علال وغيرهما من حشمه واتباعه في مائتي نفس . قال بعض مؤرخيهم ان مما يجب الحيرة ويستحق التعجب ان عسكر الامير عبد القادر كاد ان يصل عدده الى الفين من الخيالة وعشرة آلاف من المشاة وقد قاوم به جيشا عظيما من جيوش اكبر دولة من دول اوروبا يبلغ عدده مائة الف وستة آلاف ما بين فارس وراجل مدة ست عشرة سنة الخ .

( وبعد ٢٢ سطرا قال المؤلف : )

وبتسليم سيفه انتهت سيرته السيفية . وهي الجزء الأول ، ويليه الجزء الثاني في سيرته العلمية[٢٧] ، والله ولي التوفيق .

( ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦ )

## نهاية ج ١ مخطوط

وفي غد تلك الليلة توجه ابن الملك نحو الجنود الفرنساوية المقبلة من مخيمها الى جامع الغزوات ، وعند رجوعه تلقاه الأمير على جواده الأدهم . وبعد ان نزل عنه أهداه اليه مع طبانجتيه وساعته فقبلهم ثم اجتمعا اجتماعا مخصوصا جدد فيه ابن الملك العهد للامير وزاده وثوقا ، واهدى للامير ايضا طبانجتيه وساعته . ثم سأله عمن يرافقه في غربته الى المشرق فسمى له اهله وأولاده وخليفته السيد مصطفى ابن التهامي والسيد قدور بن علال وغيرهما من حشمه وأتباعه في مائتين نفسا .

وهنا انتهت سيرته السيفيه ونشرع في سيرته الكفّية ، وهي أول الجزء الثاني .

( ص ٤٩٧ ـ ٤٩٨ )

## بداية الجزء الثاني ـ مطبوع

بسم الله الرحمن الرحيم
ذكر ركوب الامير البحر ووصوله الى طولون وما اتفق له مع دولة فرنسا

انه في ثالث يوم وصوله الى جامع الغزوات سار بأهله ومن بمعيته الى المرسى والناس على اليمين والشمال يبكون وينتحبون ، ولم يزالوا على ذلك الى ان ركب البارجة الحربية المعدة لركوبه واسمها ( احموده ) وتوجه نحو فرانسا ، ولسان الحال ينشد قول ابن ابي لبانة[1] شاعر ابن عباد :

تبكي السماء بمزن رائح غادي
على البهاليل من ابناء عبادي (كذا)
( الخ ١٥ بيتا منها )

ثم ان المسلمين صاروا آسفين تتصعد زفراتهم وتنسكب عبراتهم ، ولا سيا شيعته واهل محبته . كيف لا وقد طار من بينهم من كانوا يستمطرون خيره ويقيهم اعتداء العدو وشره ويحيطهم من كل مكروه ، وينيل كل واحد ما يؤمله ويرجوه ،

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا اهلها فابادنا
صروف الليالي والجدود العواثر

وقد تذكرت هنا ما قاله خاتمة ادباء الاندلس صالح ابن شريف :

## بداية الجزء الثاني ـ مخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم
ذكر ما اتفق للامير مع دولة فرنسا بعد ركوبه البحر ووصوله الى طولون .

وفي الثالث من وصولنا الى الغزوات سار الأمير بأهله وبمن تعين بمعيته الى المرسى والناس على اليمين والشمال يبكون وينحبون ولم يزل الحال على ذلك الى ان ركبنا البارجة الحربية المعدة لركوبنا وسارت بنا نحو فرنسا :

سارت سفائنهم والنوح يصحبها
كأنها ابل يحدو بها الحادي

وبقي المسلمون آسفين تتصعد زفراتهم وتنسكب عبراتهم وتتوقد حسراتهم لا سيا شيعته وأهل محبته فانهم غدا عليهم فراقه بالمكاره وراح ، وضاق عليهم المتسع من اوطانهم والبراح ، وعمهم الجزع والهلوع ، واغب اجفانهم النوم والهجوع ، وكيف لا وقد طار من بينهم من كانوا يرتضعون دره ، ويستمطرون خيره ، ويقيهم اعتداء العدو وشره ، ويحيطهم من كل مكروه ، وينيل كل واحد منهم ما يأمله ويرجوه ، ثم أمسوا فرادى لا أنيس لهم ولا جليس ، ولا مال لهم حتى اليعافر والعيس ، كدربهم يغور وينجد ، ولسان حالهم يقول وينشد :

لكل شيء اذا مـــا تم نقصـــان
فـــلا يغر بطيب العيش انســـان
(الخ .١٢ بيتا) (ص ٤-٥).

كأن لم يكن بين الحجـون الى الصفـــا
انيس ولم يسمر بمكـــة ســـامر
بلى نحن كنـا اهلهـا فـابـادتـا
صروف الليـــالي والجـــدود العـواثر

وقد تذكرت هنا ما قـالـه شـاعر بني عبـاد عند نكبته الشهيرة :

تبكي السماء بـمزن رائـح غـــادي
على البهـاليـل من ابنـا (كـذا) عبـادي
(كـــــــذا)
( الخ . ثمانية أبيات . )

## نهاية الجزء الثاني ـ مطبوع

وها هنـا جواد المقـال بنـا قـد وقف ، وأقر لســانُ اليراع بـالعجـز عن استقصـاء مناقبه واعترف ، وقصر الباع مع قلة المتـاع يـوجبـان لهـذا الفقير العـذر ، والم الفراق الـذي لا يطـاق برهـان التبلـد والحصر ، وغاية ما أقول : العـذر عنـد خيـار النـاس مقبول ، والحمد لله في البدء والختـام ، وعلى حبيبه الاعظم وآله واصحـابـه افضل الصلاة والسلام .

( ص ٢٠٧ ) .

## نهاية الجزء الثاني ـ مخطوط

وهنـــا انتهى القلم في تنسيـق مـــا قصدناه ، على الوجه الـذي أردنـاه ، فجـاء بحمده تعالى كتابا كلل الصـدق تيجـانـه ، وسلسـل التحقيـق غـدرانـه ، ولعبت يـد التهذيب بأغصـان سطوره ، وصقلت وجوه تحبيره فانطبع في طروسه خيال سيرة الامير كأنهـا روض آس ، أو كعـــذارى ميـــاس ، وابـان عن أخبـاره وأحوالـه ، ومثـل كيف كان في احـــوال كبره وفي ايــام اقبـالــه . وبـذلـك يعرف المطـالع ان محـل الامير من الفضل المحل الاسنى ومقامه من الكمال المقام الاسمى ، وقــد رمت استقصـاء منـاقبـه فوقفت وقوف من افحمه الحصر ، وقصـدت استيعـاب فضـائلـه فـادرك بـاعي القصر ، فـاقتصرت على مـا يوضح الغرض ، ويؤدي في الجملـة مـا يجب علي من حقـه المفترض ، معترفا بقصر الباع ، وقلة الراويـة ( كـذا )

وكلال الدراية ، هذا مع ما نحن عليه من شغل البال والتنقل في الحيرة من حال الى حال . وقد وفق الله سبحانه لاتمامه واستنشاق مسك ختامه في منتصف ربيع الأول الانور سنة ١٣٠٧ هجرية وسنة ١٨٩٠ ميلادية . والحمد لله في الابتدا والانتها ، والصلاة والسلام على ذي السنا والبها ، وعلى آله وأصحابه اولي النُّهى ، صلاة وسلاما دائمين متلازمين الى يوم الدين .

( ص ٥٠٢ )

نص من ج ١ ـ المطبوع

ولما تولى بابا علي باشا بانتخاب اهل الشورى رفع الى حضرة السلطان احمد عريضة تنبئ بان وجود والبين في الجزائر موجب للفساد مستلزم للنزاع فقبل ذلك وأمر بان يكون انتخاب الولاة وعزلهم الى مجلس الشورى ، وأن يكون التصديق على ذلك من السلطنة . وقد تقدم ما كان للحكومة الجزائرية في سالف أمرها من سمو المنزلة وباهر السطوة ، الخ .

( ص ٧٢ )

نص من ج ١ ـ المخطوط

الى أن تولى بابا علي رئيسا لمجلس الشورى سنة خمسة عشر ومائة والف . وكان شديد البأس قوي الجأش وله اعداء في نفس الحضرة فتمكن عامل الجزائر من اغرائهم عليه والسعي في تفريق الكلمة فاحس بابا علي بذلك ، واشخص عامل الجزائر الى الآستانة وقتل من وافقه ورفع شكاية الى سدة السلطان احمد خان الثالث معرضا بعدم قبول الجزائر عاملين لما يحدث عن ذلك من النزاع والخلاف فقبل السلطان شكايته وجعل امر التولية والعزل وتنفيذ الاحكام منوطا بالمجلس مع تصديق السلطان وابقاء الرايات والخطبة وضرب المسكوكات باسمه . واستمر الحال على ذلك الى تسلط الفرنسيس عليها . وقد وقع في يدي سكة من تلك المسكوكات مكتوبا على واحد منها سلطان البرين وخاقان

البحرين السلطان ابن السلطان ، السلطان عبد الحميد خان عز نصره ضرب في الجزائر سنة سبع وتسعين ومائة والف وعلى الآخر سلطان البرين وخاقان البحرين السلطان ابن السلطان ، السلطان محمود خان عز نصره ، ضرب في الجزائر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين والف . ولذلك فان الدولة العلية الى الآن لا تقر ولا تعترف بتملك الفرنساوية على القطر الجزائري ولا لها وكيلا ( كذا ) به . واقول ، كما قيل ، الحق مع القوي ، ولكن الدوائر من شأنها ان تدور ( ثم نقد لاذع لولاة الجزائر وسيرتهم في الرعية الى استيلاء الفرنسيين على الجزائر . وهو كلام غير موجود في النسخة المطبوعة . )

( ص ١١٥ ـ ١١٦ )

## تعابير مختلفة للفرق بين النسختين

| المطبوعة ( من المقدمة ) | المخطوطة ( من المقدمة ) |
| --- | --- |
| ١ ـ بينما شمس سيادتنا في افق المغرب الاوسط طالعة ... | ١ ـ بينما شمس امارتنا في افق المغرب الاوسط طالعة . |
| ٢ ـ وجاءتنا جنود فرنسا من البحر كالذر فطفقنا ندافع عن الوطن بكل حمية ، ونبذل النفوس في حماية سكانه من كل بلية . | ٢ ـ وجاءتنا جنود فرنسا من البر والبحر . فطفقنا ندافع عن الوطن بكل حمية ، ونبذل النفوس والنفيس في حماية الاهل والرعية . |
| ٣ ـ فأحاطت بنا جيوش تعدو وتناوش من دولتي فرانسا ومراكش . ولله في خلقه علم الغيب ... | ٣ ـ فاحاطت بنا جيوش فرانسا وساموا بضائع راحتنا بخسا . وأبدلوا سعود تلك الايام نحسا ، ولله في خلقه علم الغيب ... |
| ٤ ـ ولما أراد الله تعالى ان لا تثبت في | |

وجوههم ، ولا نقوم بدفع صدماتهم وهجومهم ، رأينا التسليم للاقدار اولى ... فالقينا السلاح للفرنساويين بشروط مقررة .. وبالقدر فارقنا البلاد .. الخ .

٥ ـ ثم خرجنا من فرانسا ممتطين غارب البحر الى ان وصلنا اسلامبول المحمية ، دار السعادة ومقر الخلافة الاسلامية . فكثنا بها سبعة ايام ... الخ .

( ١ : ٣ ـ ٤ )

٤ ـ ولما تم للعدو تغلبه على الوطن ، ودخل في حوزته من كان ارتحل من اهله ومن قطن ، ولم يعد في وسعنا أن نثبت في وجهه ... رأينا التسليم للاقدار اولى ... فالقينا السلاح اليه بشروط مقررة ... ثم انتقلنا الى فرنسا وفارقنا البلاد ... الخ .

٥ ـ فلبثنا في فرانسا خمسة أعوام ، في اكرام لائق واحترام ، نستنجز من الحكومة سالف عهدها ونترقب وفاء وعدها ، ... فاخذنا نجوب أرضا بعد ارض ... الى ان وصلنا الى الاستانة السنية ، دار السعادة ومحل الخلافة الاسلامية ، فمكثنا بها أسبوعا ... الخ .

الهوامش

(١) ـ طبع مرتين : الأولى سنة ١٩٠٣ بالمطبعة التجارية بالاسكندرية ( مصر ) ، والثانية بمطبعة دار اليقظة ، بيروت ، سنة ١٩٦٤ ، وقد عدنا في هذه المقالة الى الطبعة الاولى .

(٢) ـ من مقدمة الطبعة الاولى من كتاب ( تحفة الزائر ) ١ : ٧ .

(٣) ـ صدرت الطبعة الثانية بتحقيق الدكتور ممدوح حقي ، سنة ١٩٦٤ . وكان يبدو على التحقيق ، رغم حسن النية ، الارتجال الواضح والعمل التجاري وخدمة بعض أفراد اسرة الأمير عبد القادر اكثر من الخدمة العلمية ، وقد اكتفى الدكتور حقي بقوله عن النسخة المسروقة : « ولو وقع في أيدينا الكتاب الاول لرأينا فيه خيرا كثيرا . » ص ( ح ) .

(٤) ـ تجمدت العناية بتحفة الزائر والتعريف بالنسخة المفقودة منه ، لاهتمامي بمشروع ( تاريخ الجزائر الثقافي ) ، الذي صدر منه حتى الآن جزآن ( الجزائر ، ١٩٨١ ) ، ولكن تنظيم جامعة الجزائر لسلسلة من المحاضرات بمناسبة الذكرى المئوية لوفاة الامير عبد القادر جعلني اساهم فيها بمحاضرة بعنوان ( عن النسخة الأصلية من كتاب تحفة الزائر ) يوم ٤ ايار ( مايو ) ١٩٨٣ . ومن الخطوط العريضة لهذه المحاضرة كتبت هذه المقالة ، التي لم تنشر .

(٥) ـ يقول صاحب ( الأعلام ) ، ٧ / ٨٢ ، « ولعله ولد بدمشق » وهو خطأ واضح . ولاتوجد دراسة وافية عن حياة الامير محمد ، التي ما تزال يكتنفها الغموض رغم قربها منا ووجود بعض أحفاده واقاربه بيننا . ويمكن حصر مصادره في : الاعلام للزركلي ٧ / ٨٢ ، وبروكلمان ( الذيل ) ، ٢ / ٨٨٧ ، ومعجم المطبوعات لسركيس ص ، ٦٩٤ ، وتآليفه هو الخاصة ، اذ فيها سياقة لأحداث حياته في الطفولة والشباب . وقد ذكر صاحب ( الاعلام ) أن في مذكرات احمد عبيد أخباراً عنه ، ولكننا لم نطلع عليها . وهناك اخبار مطولة عن حياة أسرة الأمير عبد القادر في امبواز ، اثناء الاسر ، وفيها بالطبع اخبار عن الامير محمد ، وذلك في الارشيف الفرنسي الوطني بمدينة ايكس ( فرنسا ) . وكذلك يوجد عن حياته في كتاب الرحلة الحجازية لمحمد السنوسي التونسي ولا شك ان ارشيف القنصلية الفرنسية بدمشق خلال القرن الماضي يحتوي على أخبار هامة عنه ، لان هذه القنصلية كانت تتبع اخبار المهاجرين الجزائريين وتسجل نشاطهم وأفكارهم .

(٦) ـ ذكر في ( تحفة الزائر ) ج ٢ / ١٢ أنه سافر سنة ١٨٦٦ ( ١٢٨٣ هـ ) الى فرنسا وقصد بوردو ، واستعاد ذكريات سجنه هناك وشرب في الفنجان الذي شرب فيه والده القهوة وأقام في الفندق الذي اقام فيه والده ايضا . ووجد ذلك مسجلا هناك . وقد ذكر الامير محمد ايضا ان والده كتب له من الحجاز بكل ما جرى له وشاهده من خروجه من بيروت الى الاسكندرية فالقاهرة فالسويس فجدة فمكة ، وهذا يدل على أنه لم يرافق والده في حجته الثانية .

(٧) ـ ( تاريخ الاستاذ الامام ) ، ج ٢ / ٦٣٤ .

(٨) ـ نفس المصدر ، ٢ / ٦١٣ .

(٩) ـ توفي باسطانبول سنة ١٣٣١ هـ ( ١٩١٣ ) . الاعلام ، ٧ / ٨٢ .

(١٠) ـ أبناء الامير عبد القادر هم : محمد ، محي الدين ، علي ، أحمد ، عبد الله ، عمر ، عبد الرزاق ، الهاشمي ، عبد المالك ، ومحي الدين هو الذي حاول المشاركة في ثورة ١٨٧١ بالجزائر . واصبح علي نائبا عن دمشق في مجلس المبعوثين باسطانبول ، وقتل عمر في دمشق عشية الحرب العالمية الاولى ، ومات الهاشمي الذي كان ضريرا ( وهو والد الامير خالد ) بالجزائر . وتولى عبد المالك وظيفة فرنسية في المغرب ثم ثار على فرنسا هناك وقتل سنة ١٩٢٤ . وعن المبايعة انظر ( تحفة الزائر ) ج ٢ / ٢٤٩ .

(١١) ـ جاءت للمشاركة في احتفالات الذكرى المئوية لوفاة جدها الأمير عبد القادر . وقد نقت لنا ان تكون تلك نسخة خطية من كتاب جدها ، الامير محمد ، ( تحفة الزائر ) ، كما اكد لنا ذلك الاستاذ محمد الطاهر بن عيشة يوم ٧ ايار ( مايو ) ١٩٨٣ م ، اذ قال انه

شاهد وصور للتلفزة نسخة من مخطوطة ( تحفة الزائر ) اثناء حديث أجراه مع السيدة امل عبد القادر الجزائري .

(١٢) ـ اما الطبعة الثانية بتحقيق ممدوح حقي صدرت بعنوان ( تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والامير عبد القادر ) ، دار اليقظة ، بيروت ، ١٩٦٤ . ولم ينبه على ذلك العنوان رغم انه ليس من وضع المؤلف .

(١٣) ـ اعادت طبع هذا الكتاب بـ ( دمشق ، ١٩٦٣ ، ط٢ ) منشورات المكتب الاسلامي على نفقة الشيخ احمد بن الشيخ علي آل ثاني . جعل له الناشر مقدمة ، ورسالة في الخيل ايضا الفها عبد الله بن الحسين مؤسس الدولة الاردنية . وعدد صفحات ( عقد الاجياد ) في هذه الطبعة ٣٧٦ ص . وكان المؤلف قد فرغ من تأليفه سنة ١٢٩٠ هجرية .

(١٤) ـ عن مؤلفات الامير محمد باشا ، انظر معجم المطبوعات لسركيس ص ٦٩٤ ، والاعلام ٧ / ٨٢ .

(١٥) ـ تحدثنا عن ذلك في كتابنا ( تاريخ الجزائر الثقافي ) ج٢ .

(١٦) ـ كان منزل الأمير محمد بدمشق ، وقد أصبح ، بعد وفاة والده ومبايعة الاسرة له ، هو مركز النشاط ومقصد الزائرين .

(١٧) ـ توفي بقصره في دمر ، بضواحي دمشق ليلة السبت ١٩ رجب سنة ١٣٠٠ هـ ( ٢٤ أيار ( ماي ) ١٨٨٣ م ) ، وحمل الى دمشق في منزل ابنه الاكبر ، الامير محمد ، صاحب ( تحفة الزائر ) ، وبعد الصلاة عليه في الجامع الأموي حمل الى الصالحية حيث دفن عند قبر الشيخ ابن العربي .

(١٨) ـ من مقدمة النسخة المطبوعة من كتاب ( تحفة الزائر ) ١ : ٥ ـ ٦ .

(١٩) ـ اعتمد على الخصوص على شرح منظومة ( رقم الحلل في نظم الدول ) للسان الدين ابن الخطيب ، و ( ديوان العبر ) لابن خلدون فيا يتعلق بتاريخ المغرب الاوسط وجغرافيته ودوله الاسلامية .

(٢٠) ـ في هذا دلالة على ان الامير محمد لم يكن يقرأ الفرنسية او غيرها من اللغات « الافرنجية » ولعله تعلم اللغة التركية . ومن الكتب الاجنبية التي استعملها في كتابه بكثرة كتاب شارل هنري تشرشل ( حياة الامير عبد القادر ) الذي ترجمناه نحن الى العربية ، وطبع طبعتين حتى الآن ، الجزائر ، ١٩٨٢ ، ط٢ . وكتاب الاسكندر بيلمار ( حياة عبد القادر ) . انظر المدخل الذي كتبناه لترجمتنا المذكورة لكتاب تشرشل .

(٢١) ـ تحفة الزائر ١ : ٦ ـ ٧ .

(٢٢) ـ جاء في النسخة المخطوطة « سيرته الكفية » وليس العلمية ولا القلمية .

(٢٣) ـ هو الدكتور ممدوح حقي .

(٢٤) ـ اطلعنا زميلنا الدكتور صالح خرفي على نسخة خطية من ( نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر ) قد جلبها من دمشق من عائلة الامير محمد نفسه . وعند مقارنة خط ( نزهة الخاطر ) وخط ( تحفة الزائر ) وجدناهما متشابهين . وقد يدل هذا على أن خطاط النسختين واحد وان اصول النسختين كانت عند الامير محمد .

(٢٥) ـ يشير صاحب ( الاعلام ) ج ١١ ( الخطوط والصور ) ، القسم الثاني رقم ١١١٩ ، و ١١٢٠ ، أن نسخة من ( تحفة الزائر ) بخط المؤلف توجد في المكتبة العربية في دمشق . وقد أورد نموذجا من خطه فيها فاذا هو :

١ ـ فيه شطب واضافة ويدل على قلم عادي وليس قلم خطاط ( خلافاً لنسختنا المخطوطة ونسخة نزهة الخاطر التي عند الدكتور صالح خرفي ) .

٢ ـ إن فاتحة نسخة المكتبة العربية لا تتطابق ( حسب النبوذج الذي أورده صاحب الاعلام ) مع نسختنا المخطوطة ولا مع النسخة المطبوعة .

فهل بعد هذا يمكن القول بأن نسخة المكتبة العربية هي النسخة الأصل التي سرقت من المؤلف والتي منها خططت نسختنا ؟ الجواب على هذا يتوقف في نظرنا على الاطلاع على نسخة المكتبة العربية ، ونحن لم نفعل ذلك .

(٢٦) ـ كانت العلمية ومصححة القلمية .

(٢٧) ـ في صفحة عنوان الجزء الثاني : سيرته القلمية .

(1) [ هو أبو بكر محمد بن اللبانة شاعر المعتمد بن عباد ]

# المعجمات الطبية

## ( القسم الثاني )

الدكتور نشأت الحمارنة

- ٦ -

## المصطلحات الطبية في كتاب التنوير

### 1 ـ الرمد

**التنوير :** ( وجع العين ، أي ورم حار في الملتحم )

وكان ابن ماسويه قد استعمل كلا التعبيرين في ( دغل العين ) : **الرمد والورم** . بينما لانجد في ( معرفة محنة الكحالين ) الاّ « **الورم** » . .

وقد أستعمل حنين تعبير« **الرمد** » . وكذلك فعل الطبري والرازي وصاحب الذخيرة .

وقد ورد ذكر هذا المرض عند الاغريق : إيتيوس ، بولص ، الاسكندر ، ابقراط ، جالينوس ، ديموستينس .

وقد فرّق الإغريق والعرب بين الرمد الذي يكون سببه ( من داخل ) فتصاب العين ( بالاحمرار والانتفاخ والضربان ودرور العروق )

---

● نشر القسم الأول من المقالة في مجلة المجمع ( مج ٦٠ ص ١٠٤ ) .

وسموه **الرمد** أو **الورم** أو **الوجع** ونسميه اليوم « التهاب الملتحمة » ، والرمد الذي يكون سببه ( من خارج ) وسمّوه **التكدّر** ، وهو مانسميه اليوم « تخرش الملتحمة أو احتقانها » .

وفي مرحلة متأخرة[٢] قسموا الرمد إلى أربعة أقسام من حيث أسبابه ، أو إلى ثلاثة أقسام من حيث شدّته .

**وفي اللغة : الرمد** : وجع العين وانتفاخها . ( ابن سيده عن أبي حاتم ) وقد رَمِد رَمَداً فهو أَرْمَدُ وهي رَمداء . وعينٌ رَمداء ورَمِدَة . وقد أرمدها الله تعالى .

وقد ورد تعبير ( أرْمَد ) في الحديث الشريف ( مسند الإمام أحمد بن حنبل[٣][4] ) .

## 2 ـ الطَرْفَة

**التنوير** : ( نقطة حمراء تحدث في العين ) .

وقد ذكرها بهذا المعنى حنين والطبري والرازي ولم نجد لها ذكراً في

(٢) في نهاية القرن العاشر الميلادي ، وقد اعتمد عليّ بن عيسى التصنيف المبني على أساس شدّة المرض . بينما اعتمد عمّار بن علي التصنيف السببي .

(٣) الجزء الرابع ـ الصفحة ١٥ .

(4) [ ورد لفظ ( أرمد ) في ج ٤ ص ١٥ من مسند الإمام أحمد بن حنبل الطبعة الأولى لكنه ليس من صلب مسند الإمام وإنما هو من كتاب كنز العمال المطبوع في حاشية المسند . أما المصطلح نفسه ( الرمد ) ومشتقاته فقد تكررت في كتب الحديث أكثر من ٣٥ مرة . وحديث علي كرم الله وجهه الذي أشار إليه المؤلف هو في مسند الإمام أحمد : ١ : ١٨٥ ، ٣٣١ ، ٤ : ٥٢ ، ٥ : ٣٥٤ ، ٣٥٨ انظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ٢ : ٣٠٤ ـ ٣٠٥ / المجلة ] .

مخطوطات كتابي ابن ماسويه التي رأيناها[٤] .

ومن الإغريق ذكر هذا المرض إيتيوس وبولص وجالينوس وارشيجينيس وكريتون وابولّونيوس وهيراس .

والطرفة على حدّ تعبير حنين : ( هي دم ينصب في الملتحمة من تمزيق الأوردة التي فيها ... ويقال له : هيپوسفاغما ) وهذا التعبير الاغريقي الذي أورده حنين مايزال مستعملاً في الطب إلى اليوم .

ولم يجد التراجمة[٥] في العصر الحديث لهذا التعبير كلمة مناسبة فقالوا : ( النزف تحت الملتحمة ) مدللين بذلك على عدم معرفتهم للاصطلاح الفني العربي الذي استعمل منذ القرن التاسع .

والقمري في « غنى ومنى » حينما يريد أن يفصّل يعطي تعريفاً وافياً : ( دمٌ ينصب إلى الملتحم من انخراق أوردة ، من ضربة أو سقطة أو نحوهما . ويكون في الندرة من مدّة ويقيح .

وفي اللغة لايوجد لهذا الاصطلاح أي معنى آخر[٦] ( الثعالبي في فقه اللغة : الطَرْفة عندهم : أن يحدث في العين نقطة حمراء من ضربة أو غيرها . ويقصد : عند الأطباء ) .

## 3 ـ الظَفَرَة

**التنوير** : ( زيادة عصبية تنبت من المأق الذي يلي الأنف فتطول

(٤) ثمة مخطوطات من « دغل العين » و « معرفة محنة الكحالين » لم نرها بعد .

(٥) حتى في جامعة دمشق نستعمل ( النزف تحت الملتحمة ) .

(٦) يستعمل ابن ماسويه كلمة ( طرف ) ، بمعنى ( حركة الجفن ) ، وبمعنى ( وخز ) ( ... « عن الشعر المنقلب » ... ولاتطرف إلا طرفها ) يقصد العين .

وتنبسط حتى تغطي سواد العين كلّه ) .

وقد استعمل ابن ماسويه وحنين والطبري والرازي وصاحب الذخيرة هذا التعبير ، وقد أورده الثعالبي[٧] في « فقه اللغة » ومازال نستعمله في اللغة الطبية حتى اليوم .

وقد وصف بولص الظَفَرة . وفي رأي هيرشبيرج أن أحسن وصف للظفرة عند الإغريق هو وصف ايتيوس لها .

و ( سواد العين ) هو القرنية . ذلك أن شفافية القرنية تسمح بظهور لون القزحية الكائنة خلفها ، وهذا اللون ضارب إلى السواد عند الشعوب ذات الشعر الأسود والبشرة غنية الصباغ . بينما تكون القزحية زرقاء أو خضراء عند الشعوب قليلة صبغ البشرة والشعر . وقد استعمل معظم الأطباء العرب تعبير ( سواد العين ) ، مع علمهم بأن القرنية شفّافة .

أما الملتحمة التي تحيط بالقرنية فقد سمّاها بعض المؤلفين العرب ( بياض العين ) ، ذلك لأن شفافيتها تسمح برؤية لون الصلبة الأبيض من خلالها .

فالظَفَرة امتداد أو زيادة من بياض العين تطغى على سوادها .

وقد ورد تعبير ( الظفرة ) في الحديث الشريف ( ابن حنبل )[5]

(٧) الثعالبي : الظَّفَر : ظهور الظَفَرة ( وهي جُلَيْدة تُغَشّي العين من تِلقاء المـآقي ، وربما قطعت . وإن تُركت غَشيَت العين حتى تكلّ ، والأطباء يقولون لها الظَفَرة . وكأنّها عربية باحتة ) ( فقه اللغة ١٠٠ ) .

وكذلك : الفراء وأبو عبيدة والجوهري ( عن لسان العرب ) ، بهذا المعنى .

(5) [ مسند الإمام أحمد ٣ : ١١٥ ، ٣٠١ ، ٥ : ٣ ، ٢٢١ ، ٣٨٦ ، ٤٠٥ المعجم المفهرس / المجلة ] .

## 4 ـ السَّبَل

**التنــوير :** ( أن تنتسـج في العين عروق كثيرة حمر ، حتى تصير شبـه غشاوة تبلـغ إلى السـواد ، ويحـدث فيهـا الحكاك ) والسبـل هـو أحـد اختلاطات الحَثَر ( التراخوم ) الذي سماه العرب ( جرب العين ) .

وقـد عرف الإغريـق ( القرحـات القرنيـة ) التي تنجم عن الرمـد الحبيبي ( الحَثَر = التراخوم ) ولكنهم لم يعرفوا السبـل فلم يرد لـه أي ذكر في كتبهم . وقـد عرفـوا أيضـاً اتسـاع الأوعيـة في الملتحمـة العينيـة ، واعتبروها نوعاً من « الدوالي » .

وابن ماسويه هو أول من وصف السبل ، وعنـه نقل حنين والطبري والرازي وصاحب الذخيرة .

وقد حاول البعض أن يفسر عـدم معرفـة الأسـاتـذة الإغريق للسبل بـأن هـذا المرض لم يكن معروفاً في بلادهم . بينـما كان واسع الانتشـار في العراق والشـام ومصر . ومن الـواضـح أن هـذا التفسير لا أسـاس لـه من الصحـة فهـذا المرض كان منتشراً في كلّ أرجـاء العـالم القـديم بمـا فيهـا اليونان ، وما يزال .

( والسواد ) الذي يذكره القمري هو ( القرنية ) .

**ابن مـاسويـه :** ( ... الحُمرة التي تُرى في سواد العين في الحجـاب الذي يشبـه القرن ... ) ( ... يرى في الحجـاب الـذي يشبـه القرن شبـه الغمام ) ( ... يعتري الناظرَ غشاوة ... ) .

( دغل العين ص ٣٤ من مخطوط تيمور ) .

وقد تبنت كتب اللغة هذا الاصطلاح الفني .

**الثعـالبي** : ( السبـل عنـد الأطبـاء أن يكـون على بيـاض العين وسوادها شبه غشاء ينتسج بعروق حمر ) ( فقه اللغة ١٠٠ ) .

وقد ذكر هـذا المصطلح أيضـاً **ابن سيـده** في **المخصص** نقلاً عن أبي حـاتم ، دون أن يشرح معنـاه . ( ريح السبل : داءٌ في العين ) ( المخصص لابن سيده ١ : ١١٠ )

## 5 ـ الجَرَب

**التنـوير** : ( يكون في سطح باطن الجفن مع خشونة ووجع وحكاك ) .

وقد ورد التعبير بهذا المعنى في كتابي ابن ماسويه وفي كتابي حنين . وكذلكْ عند الطبري وصاحب الذخيرة والرازي .

**والجرب** اصطـلاحـاً عنـد الأطبـاء العرب هـو **التراخـوم** عنـد الاغريق ، الـذي نسميـه اليوم **الرمـد الحبيبي** والـذي اختير لـه مـؤخراً تعبير آخر هو **الحثر** .

وتعبير « **الحثر** » لانصادفه في التراث الطبي[٨] العربي . وقـد استعمل العرب كلمة « **الجرب** » اصطلاحـاً ، وهي في اللغـة تشير إلى الآفـة التي تصيب الجلد .

---

(٨) أطبـاء العين العرب لم يستعملـوا تعبير « الحثر » وهـو تعبير معروف في اللغـة ( الثعالبي ص ١٠٠ )

وعن ابن سيده : ( المخصص ١ : ١١٠ )

ثابت : الحثر : خشونة في العين .

أبو عبيد : حَثِرَت عينه : خرج فيها حبٌ أحمر .

وفي مرحلة متأخرة استُعمل تعبير **الجرب** عند الأطباء[٩] للدلالة على آفة جلدية محددة ناجمة عن كائن طفيلي .

ومن الأطباء الإغريق الذين ذكروا جرب الجفن : بولص وايتيوس وسفيروس .

وقد ربط الرازي بين **الجرب** كآفة مسببة **والسبل** كافة تالية . ( الطب المنصوري ـ المقالة التاسعة ـ الباب التاسع عشر ) .

وكان سفيروس قد لاحظ أن من جملة أسباب هذا المرض استعمالُ القطرات العينية . وهذا صحيح .

ومن المهم أن نلاحظ هنا أن الباحثين في تاريخ الطب العربي لم ينتبهوا إلى أن وصف بعض أشكال الجرب في كتب الطب العربية لاينطبق على ( **التراخوم** ) بل على ( **الرمد الربيعي** ) الذي يصيب الأطفال .

فالصورة السريرية[١٠] للرمد الربيعي نجدها في الفصول المتعلقة بالجرب في كتب الكحل .

---

(٩) وعن الأطباء ... أخذ اللغويون هذا التعبير باعتباره اسماً لمرض يصيب العين . ابن سيده ينقل هذا التعبير عن ثابت ، وصاحب العين ، وابن السكيت . ( المخصص ١ : ١٠٩ ) .

(١٠) أحد هذه الأمثلة : أن العرب وصفوا أربعة أشكال للجرب ، في الشكلين الثالث والرابع المتميزين بشدة الأعراض الحادة كالدماع والحكة والخوف من الضياء ـ كما نقول اليوم ـ لاحظوا النمو المفرط للجريبات ( الحليمات ) وتوضعها المتراصّ وأشكالها المضلّعة ، وقد شبهوا ذلك بما يُرى في باطن التين . واستعمل بعضهم تعبير ـ الشكل التيني ـ وكذلك ماوصفه سفيروس : ناجم عن آفة جلدية حبيبية ، سببها تأذي الجفن بالمواد الغريبة الموجودة في الدواء .

وقد أورد ابن سيده تعبير « الجرب » في **المخصص** نقلاً عن **صاحب العين** .

وقال الثعالبي عن الحَثَر : ( وأظنه الذي يقول له الأطباء الجَرَب ) ( فقه اللغة ص ١٠٠ ) . ولعل الثعالبي هو الذي أوحى لأصحاب ( المعجم الطبي الموحد ) بأن يغيروا التعبير المستعمل في جامعة دمشق ، وأن يستعملوا مصطلح ( الحثر ) .

## 6 ـ السُّلاق

**التنوير :** ( حُمرة وصلابة تحدثان في الأجفان ، وتنتثر معها الأشفار ) .

ويسمى هذا المرض اليوم باللغات السائدة في عالم الطب Blepharitis ، وترجمته العربية المعاصرة : ( التهاب الجفن ) .

وقد فطن « حتي » « وحسن كمال » في معجميهما إلى استعمال كلمة ( السلاق ) بهذا المعنى فوضعاها مرادفة لكلمة « التهاب الجفن » .

ولما كان هذا المرض يمتاز بوجود الالتهاب في الحافة الحرة للجفن بشكل رئيسي فقد نجد أنه يُعَبَّر أحياناً باستعمال تعبير ( التهاب حافة الجفن )[١١] أو ( التهاب حواف الأجفان ) . وقد شاع استعمال هذين التعبيرين في كتب التدريس في جامعة دمشق ... بينما ظل تعبير ( السلاق ) بعيداً مجهولاً أو منبوذاً .

---

(١١) خاطر ـ خياط ـ كواكبي ـ معجم المصطلحات الطبية ـ كليرڤيل .

وسبب وجود الالتهاب على أشدّه في حافة الجفن الحرة هو أن مصدر الالتهاب يكون عادة من بصيلات الأهداب أو الغدد الملحقة بها التي تتوضع في سمك حافة الجفن حيث منبت **الأشفار** .

وقد استعمل العرب كلمة ( الأشفار ) لتدل مرة على ( الأهداب ) ومرة على ( حافة الجفن الحرة ) حيث تنبت الأهداب[١٢][6] .

---

**(١٢) في كتب الطب :**

**أ ـ الشُّفْر بمعنى الهدب :**

صاحب الذخيرة : ( في انتثار الأشفار ، وهي الهدب ) وكذلك : حنين ، الطبري ، الرازي ، القمري .

ابن ماسويه : ( ... وليست هذه أجزاء العين فقط بل الألحاظ والأشفار والحاجبان ) يقصد : الأجفان والأهداب « دغل العين ـ الفصل التاسع ـ ص ٣٣ من مخطوط تيمور » .

**ب ـ الشفر بمعنى حافة الجفن الحرة :**

ابن ماسويه : يصف الحجاب الملتحم : ( ... وهو ملصق حول السواد كمثل اللحم الملصق بالأظافير من حولها ..... مربوط من خارج بالأشفار والموق ) نفس المصدر ص ٣٣ .

**وفي كتب اللغة :**

**أ ـ الشفر بمعنى الهدب :**

ابن سيده عن صاحب العين ، ( المخصص ١ : ١٠٨ ) [ نص عبارته : « صاحب العين : الرَّمَش تفتل في الشفر وحمرة في الجفون .. » / المجلة ] .

ابن سيده عن ابن السكيت ، ( المخصص ١ : ١٠٨ ) [ نص عبارته : « ابن السكيت : القَمَع بثر يخرج بين الأشفار » / المجلة ]

وروى الثعالبي حديثاً بمعنى الشفر = الهدب ( فقه اللغة ٩٥ ) [ نص عبارته : « الوَطَف : طول أشفارها وتمامها ، وفي الحديث : إنه كان في أشفاره وطف » / المجلة ] .

**ب ـ الشفر بمعنى حافة الجفن :**

ابن سيده عن ثابت : ( الأشفار وهي حروف الأجفان ، وأصول منابت الشعر في =

لذلك فان العَرَض الذي يتميز به هذا المرض - وهو سقوط الأهداب - عُبِّر عنه أحياناً بكلمة « تناثر الأشفار » أو « انتثار الأشفار » فبينما يستعمل ابن ماسويه كلمة ( السلاق ) يستعمل كل من حنين والطبري كلمة ( انتثار الأشفار ) . اما الرازي فانه يستعمل المصطلحين كليهما .

والقمري نفسه في كتابه **غنى ومنى** يستعمل تعبير ( انتثار الأشفار ) وبعد أن يصف المرض يقول عنه : ( ويسمى السلاق ) .

القمري - غنى ومنى : ( هذا يحدث إمّا لرطوبة في أصل الأشفار وعلامته أن يكون مع الانتثار غلظ في أصولها ، وربما كان مع الانتثار حمرة ، وصلابة في الأجفان . ويسمى السلاق ) .

ويلخص صاحب الذخيرة هذه المسألة بقوله : ( السلاق : غلظ في

---

= الجفن ، التي تلتقي عند التغميض ، وليست الأشفار من الشعر في شيء ) ( المخصص ١ : ٩٥ )

وبنفس المعنى ابن سيده عن أبي زيد ( المخصص ١ : ١٠٤ )

وكذلك في لسان العرب عن اللحياني وأبي منصور والجوهري .

(6) [ قال ابن قتيبة في « باب معرفة مايضعه الناس في غير موضعه : من ذلك أشفار العين يذهب الناس إلى أنها الشعر النابت على حروف العين . وذلك غلط . إنما الأشفار حروف العين التي ينبت عليها الشعر . والشعر هو الهدب ... فإن كان أحد من الفصحاء سمى الشعر شفراً فإنما سماه بمنبته . والعرب تسمي الشيء باسم الشيء إن كان مجاوراً له أو بسبب منه » ( أدب الكاتب . ط . مؤسسة الرسالة ص ٢١ ) وقال مفسراً العَطَف في حديث أم معبد : « وهو أن تطول الأشفار ثم تنعطف » ( غريب الحديث ١ : ٢٧١ - ٢٧٢ ) وقال ابن الأثير تعليقاً على هذا الحديث : « وأرادت بالأشفار شعر الأشفار ، فحذفت المضاف » ( منال الطالب في شرح طوال الغرائب ص ١٨٦ ) / المجلة ]

الأجفـان وحمرة وانتشـار الأشفـار ) . والطبري يستعمـل تعبير ( غلـظ الجفون ) .

وفي الحقيقة فقد تسقـط الأهـداب بسبب التهـابي ( السلاق ) ، وقـد تنتثر لأسبـاب أخرى ( بعض الأمراض التي تقـع في اختصـاص الأمراض الجلـديـة ) . وقـد ميّز علي بن عيسى ( في آخر القرن العـاشر الميـلادي = الرابع الهجري ) بين هـاتين الصـورتين المرضيتين ، فـأفرد للسـلاق البـاب السادس عشر من المقالة الثانية ، بينما خصص لانتثار الهدب الباب الثـاني عشر من نفس المقالة من كتابه **تذكرة الكحالين** .

وفي الطب الحديث نميّز بين مراحل عديدة في سير ( التهـاب حواف الأجفان ) . فالمرحلة الأولى تمتاز بالوذمة والاحمرار وغلظ حافـة الجفن . وقد يبدأ فيها تساقـط الأهـداب . والمرحلـة الثـانيـة تتميز بظهور القشور بين الأهداب ملتصقة على حافة الجفن وتسقط فيهـا الأهـداب . والمرحلـة الثالثة تتميز بتقرح حـافـة الجفن ثم انـدمـال هـذه القروح ، ونـدرة وجود الأهداب على حافة الجفن .

وعلى ذلك فغلظ الأجفان هو العرض الرئيسي في المرحلـة الأولى من هذا المرض . فإذا كان هذا العرض طاغيـاً على الأعراض الأخرى ـ وكثيراً ما نشاهد ذلك في الممارسة الطبيـة ـ وجـدنـا تفسيراً لعلي بن عيسى الـذي أفرد ( لغلـظ الأجفـان ) بـابـاً خـاصـاً ( البـاب التـاسع عشر من المقـالـة الثانية ) معتبراً إياه مرضـاً مستقلاً ، ومميزاً إيـاه عن تسمّـك الجفن المرافق للجرب وعن ( جسـأ الجفن ) الـذي هو جزء من تظـاهرة مرضيـة تشمـل الجفن والملتحمة .

ويشهد هيرشبرغ بأن وصف علي بن عيسى للسلاق أحسن من وصف بولص للمرض نفسه .

وفي كتب اللغة يتضح لنا أن اللغويين نقلوا عن الأطباء هذا الاستعمال الفني للتعبير .

أبو زيد : الانسلاق ، هي حمرة تعتريها فتَتَقَشَّرُ منها . ( المخصص ١ : ١٠٨ ) .

أبو حاتم : اللّحَح : التزاق في العين وصُلاَق ( المخصص ١ : ١١٠ ) .

## 7 ـ الشعر المنقلب

**التنوير** : ( أن ينبت بعض أشفار العين مائلاً إلى داخلها فيؤذيها وينخسها ) .

وفي نسخة أخرى : ( أن تنقلب بعض أشفار العين ، أو تنبت زائدة في طرف الجفن الأعلى ، فتؤذي وتنخس ) .

ونميل إلى اعتبار أن التعريف الأول هو الأصل .. ذلك أن ثمة فرقاً بين ( الشعر الزائد ) ( والشعر المنقلب ) .

فقد ذكر المرضين كليهما بولص ، وايتيوس نقلاً عن سفروس . وكذلك فعل علي بن عيسى . ومن قبله ابن ماسويه[١٣] وحنين .

والشعر المنقلب في التسمية اللاتينية هو Entropium بينما الشعر

(١٣) ابن ماسويه : نبات شعر في غير موضعه ( معرفة محنة الكحالين ) و ( الانقلاب إلى داخل ) ( إذا انحنت الأجفان إلى داخل ) في ( دغل العين ) ، ( معرفة محنة الكحالين ) .

الزائد هو Distichiasis ويفرق بولص بين نوعين من الشعر المنقلب : « الآلي » والتشنجي ، كما نفعل اليوم . والاصطلاح الفني ( الشعر المنقلب ) ينقله القمري عن حنين ( المسائل ) ذلك أن ابن ماسويه استعمل تعبير ( تقلّب الاجفان ) أو ( الانقلاب إلى داخل ) وذلك في « معرفة محنة الكحالين » ، وانحنت في « دغل العين » . وتعبير حنين استعمله الرازي[١٤] وكذلك صاحب الذخيرة .

ونسمي هذا المرض اليوم ( الشتر الداخلي ) .

## 8 ـ الماء

**التنوير** : ( الماء النازل في العين : أن تبطل حاسّة البصر قليلاً قليلاً مع تخيّلات تحدث أمام العين ) .

وهذا التعبير استعمله كل من ابن ماسويه وحنين والطبري والرازي وصاحب الذخيرة .

وقد جاء وصف الماء عند ايتيوس وبولص وجالينوس وكذلك عند ديموستينس محفوظاً عند ايتيوس .

ويتضح للطبيب المختص أن حرص القمري على ألا يذكر في قاموسه ( أسباب الأمراض ) بل يكتفي بوصفها نجم عنه هنا ضعف في تعريف « الماء » اذ اقتصر الوصف على مايشعر به المريض . وهذا الأمر يسهل بيانه إذا قارنا عبارة القمري هذه بما أورده المؤلف نفسه في كتابه « غنى ومنى » :

---

(١٤) في المشجرة : الشعر المنقلب ، وفي المنصوري : الأشعار المنقلبة .

( الماء : رطوبة غليظة تنعقد في ثقب العين الذي منه يتأدى إليها حسّ البصر ) .

فعبارة التنوير تلخص أعراض المرض التي يرويها المريض ، دون أن تصف طبيعة الآفة .

والماء هو مانسميه اليوم ( السّاد ) وهو تكثف البلورة = Catatact .

وقد ظن القدماء أن الماء ( غشاوة طارئة ) تأخذ لها مكاناً بين العنبية والجليدية أي أنها تتوضع خلف القزحية وأمام البلورة ـ على حد تعبيرنا اليوم ـ وهذا غير صحيح . ولم يُعرَف أن السادّ مرض يصيب البلورة نفسها إلا في القرن الثامن عشر[١٥] .

وإذا درسنا بدقة الأوصاف التي ذكرها المؤلفون العرب للماء ، وأنواعه العديدة ، وأعراضه ، وإنذاره وجَدْنا أنهم وصفوا أيضاً أمراضاً لا علاقة لها بالسادّ ولا بالبلورة ، ظنّاً أنها أنواع من الماء . وليس هذا مجال التفصيل في ذلك الموضوع[١٦] .

## 9 ـ القَرْح

**التنوير :** ( القرح الحادث في العين : أن يحمّر موضع منها ، أو تحمّر كلّها ويكون في مكان واحد فضل حمرة ) .

---

(١٥) أول من عرف أن السادّ مرض يصيب البلورة نفسها . وبرهن على ذلك هو الطبيب الفرنسي بريسو Brisseau عام ١٧٠٥ .

(١٦) ومن هذه الحالات :

الزرق Glaucoma وبعض أمراض الجسم الزجاجي .

ونجد هذا التعبير عند جميع المؤلفين ( ابن ماسويه ـ حنين ـ الطبري ـ الرازي ) مرة بصيغة المفرد ، ومرة بصيغة الجمع ( قروح ) .

وقد وصفها : جالينوس ، وبولص ، وايتيوس واريباسيوس .

وقد وصف العرب قروح القرنية كما وصفوا قروح الملتحمة . والواضح أن القمري هنا يصف قروح الملتحمة .

وتمتاز قروح الملتحمة بأنها تبدو حمراء ، بينما تكون قروح القرنية بيضاء . ونجد الوصف كاملاً عند القمري في غنى ومنى .

( وإذا قلبت الجفن وجدتَ في بياض العين مكاناً قد احمرّ ، أو وجدتَ في البياض وإن كان كلّه أحمر مكاناً له فضل حمرة ، أو في سوادها موضعاً قد ابيضّ ) .

وقروح الملتحمة على ماوصفها المؤلفون العرب ـ يمكن أن تشير الى عدد كبير من الإصابات الملتحمية الالتهابية الموضعة على حدّ تعبير الطب الحديث .

## 10 ـ البياض

**التنوير :** ( أثر القروح إذا اندمل في الأكثر ) .

وقد استعمل هذا التعبير ابن ماسويه وحنين والطبري والرازي وصاحب الذخيرة .

ونجد تعبيراً آخر : ( الأثر ) يستعمله حنين والطبري كما يستعمله الرازي[١٧] .

---

(١٧) الرازي : المنصوري : البياض . المشجرة ، الحاوي : الأثر .

وفي مرحلة متأخرة استعمل اصطلاح **الأثر** للدلالة على الندبات القرنية السطحية ، **والبياض** للدلالة على الندبات الأشد .

كما نجد تسميات أخرى منها ( السحاب ) ( الغمام ) ( القتام ) للدلالة على ندبات القرنية أو قروحها .

وقد وصف بولص هذا المرض .

ونحن اليوم[١٨] لانستعمل إلا تعبيراً واحداً : ( ندوب القرنية ) .

## 11 ـ الغَرَب

**التنوير** : ( ناصور يحدث مأق العين ) .

وقد استعمل المؤلفون العرب لفظ ( الغَرَب ) للدلالة على عدة حالات : انتباج كيس الدمع ( القِيلَة ) . والتهابه دون أن يتقيح ، وتقيحه ، وتنوسره إلى الجلد .

وقد وصفه بولص وايتيوس وسفروس وارشيجانس .

ولعل أحسن وصف لغَرَب وأكمله هو ما أورده السجزي في القرن الرابع عشر الميلادي في كتابه ( حقائق أسرار الطب ) .

( الغرب : ورم في الموق الإنسي من العين ، وقد يصير صلباً ، وقد يصير خراجاً[7] فيتفجر ، ويصير ناصوراً ، فما دام لم يتفجّر سمي خراجاً وإذا تفجّر سمي غَرَباً ) .

(١٨) في كتب التدريس في كلية طب دمشق .

(7) [ خَراج بالتخفيف كغراب ورم يخرج بالبدن من ذاته والجمع أخرجة وخرجان . تاج العروس : مادة خرج . وانظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١ : ٤٠٩ ـ ٤١٠ / المجلة ] .

والسجزي هنا يختصر ماقاله حنين .

وقد استعمل الرازي في المنصوري كلمة ناصور بينما جاء في الحاوي : ناصور ، وخراج ، وغرب .

وقد استعمل حنين كلمة ناصور إلى جانب كلمة غرب .

والغرب في الأصل لها في اللغة معنىً مختلفٌ ، ولكن أئمة اللغة تبنوا الاستعمال الجديد الذي وضعه الأطباء .

**الثعالبي :** ( الغرب عند أئمة اللغة ورم في المآقي . وهو عند الأطباء أن ترشح مآقي العين ، فيسيل منها إذا غمزت صديد ، وهو الناصور أيضاً ) ( فقه اللغة ١٠٠ ) .

## 12 ـ الرشح

**التنوير :** ( سيلان الدموع من العين بغير إرادة ويسمى الدمعة أيضاً ) .

ابن ماسويه في معرفة محنة الكحالين استعمل تعبيري ( الدمعة ) و ( السيلان ) . وكذلك الرازي .

أما حنين فقد استعمل هذين التعبيرين في العشر مقالات ، أما في المسائل فقد استعمل اصطلاح ( السيلان ) . وكذلك فعل الطبري .

أما تعبير الرشح فجاء في الحاوي مقتبساً عن جالينوس . والتعبير لحبيش بن الأعسم وقد أجازه حنين .

وقد وصف الإغريق هذا المرض ولم يعرفوا سببه الحقيقي الذي هو انسداد القنية الدمعية بين فوهتها على حافة الجفن ( النقطة الدمعية )

وكيس الدمع : بولص ، سلزوس ، ايتينوس .

والطبيب الاغريقي الوحيد الذي عَرَف انسداد قنية الدمع هو ليكوس Lykos . وربط بين هذا الانسداد والسيلان . ولكن جالينوس لم يأخذ بذلك . وقد اتبع المتأخرون من المؤلفين الإغريق جالينوس .

وكان الأطباء الإغريق يظنّون أن اللحيمة الدمعية Caruncula lacrimalis تشكل سدّادة تمنع سيلان الدمع الفائض ، فإذا نقصت هذه ( اللحيمة ) سال الدمع .

جالينوس ، **حيلة البرء** ، المقالة الرابعة عشرة ( الرشح هو سيلان الدموع دائماً إذا نقصت اللحمة التي في المأق الأعظم ) .

جالينوس ، **منافع الأعضاء** ، المقالة العاشرة ( الرشح والدمعة والسيلان هو أن تسيل الفضول دائماً من المأق الأكبر ، وذلك يكون لنقصان اللحمة الموضوعة فيه ) .

ومن تعبير جالينوس هذا المحفوظ في « الحاوي » يتضح أن القمري استعمل تعبير ( الرشح ) نقلاً عن الحاوي .

وتوحي لنا عبارة جالينوس بأن التعابير الثلاثة : ( الرشح ، الدمعة ، السيلان ) قد تكون حالات ثلاثة متدرجة لشدة غزارة الدَمَاع ، أخفُّها الرشح فإذا زاد فهو الدمعة ، وإذا زاد كثيراً سُمّي السيلان .

ونجد في « الحاوي » تعبيراً آخر نقله الرازي عن « مجهول » يستعمل عبارة « رطوبة العين » مقرونة « بالدمعة » . ولعل المقصود بهذا التعبير

هو درجة خفيفة من الدماع أقلّ من « الدمعة » ، وهي هنا تناسب « الرشح » إذا صَحّ تفسيرنا لعبارة جالينوس .

ويستعمل ابن ماسويه في « معرفة محنة الكحالين » تعبير « البلّة » بمعنى الدمعة . وكذلك الطبري في « فردوس الحكمة »[١٩] .

( والدماع ) هو التعبير العصري عن حالة غير طبيعية يسيل معها الدمع من العين على الخدّ . وينسجم هذا مع استعمال الكلمة في اللغة : ( الدماع : ماء العين من عِلّة أو كِبَر ) . ( لسان العرب ) .

## 13 ـ المورسرج

**التنوير :** ( خروج الحدقة وزوالها عن مكانها ) .

وهذا المرض يستدعي وجود « التصاقات أمامية » بين القزحية والقرنية أو « تفتق قزحي » كما نعبر اليوم ، تنحرف فيه الحدقة عن مكانها المركزي وتتشوه استدارتها . وقد تكون هذه الآفة خلقية وقد تكون طارئة ، ناجمة عن التهاب او انبثاق قرحة قرنية أو بسبب جرح في القرنية .

حنين ، **المسائل** ( مسألة : على كم جهة يكون **زوال الحدقة ؟**

جواب : على جهتين : إما بالطبع ، وإما بالعرض .

والذي يكون بالعرض يكون إذا انخرق الحجاب القرني في غير موضع الحدقة والتحم الخرق ... ) .

وقد استعمل حنين في « العشر مقالات » كلا التعبيرين زوال

(١٩) فردوس الحكمة لابن ربن الطبري المطبوع بتحقيق الصديقي ص١٧٧ .

الحدقة ، والمورسرج .

أما يوحنا بن ماسويه فقد قال في « معرفة محنة الكحالين » « اعوجاج الناظر » مشيراً إلى انحراف الحدقة عن موقعها المركزي وإلى تغيّر شكلها الدائري . بينما استعمل في « دَغَل العين » تعبير المورسرج أو المورسرق .

وبسبب اشتراك القزحية والقرنية في هذه الآفة نجد أن بعض المؤلفين أورد ذكر هذا المرض حينما ذكر أمراض القرنية ( ابن ماسويه ، معرفة محنة الكحالين ) بينما أورده بعضهم الآخر حينما عدد أمراض القزحية ( حنين ، المسائل في العين ) .

أما التعبير « مورسرج » الذي كتبه بعض الناسخين خطأ ( موسرج ، موسرق ) باهمال الراء وأشاروا بذلك حفيظة بعض المستشرقين الذين وصفوا هذا بأنه تشويه للأصل الفارسي للكلمة فهو مأخوذ عن الفارسية مور Mor سرك serek ومعناه : رأس النملة .

وبعض المؤلفين ذكر التعبير مترجماً : « رأس النملة » دون أن يذكر اللفظ الفارسي .

والأصل في هذا التعبير يوناني . فقد استعمل الأطباء الإغريق تعبير « رأس الذبابة » للإشارة إلى الحالة نفسها . وهم يريدون بذلك تشبيه تفتق القزحية الصغير جداً برأس الذبابة .

وتفتق القزحية هو تبارز جزء منها إلى الأمام حيث يلتصق بالقرنية عند موضع انبثاق القرحة أو ينحشر بين شفتي الجرح القرني

الصغير . فإذا خرجت القزحية ووصلت إلى الوجه الأمامي للقرنية نقول عن ذلك « تفتق » وإذا ظلّت في مستوى الوجه الخلفي للقرنية نقول عنه « التصاق أمامي » .

وقد استعمل ابن ماسويه التعبير الفارسي كما ورد ( مورسرج مورسرق ) بينما وضع إلى جانبه ترجمة للتعبير اليوناني ( رأس الذبابة ) . ( ابن ماسويه ، دغل العين ، الباب ١٧ ) .

وقد صنّف الإغريق هذا المرض حسب درجته فذكروا عدة حالات : البسيطة منها لايبدو فيها تغيير في القرنية ، والشديدة منها يتغير فيها شكل القرنية فتتبارز منطقة فيها إلى الأمام وتبدو كالعِنَبة[8] ( عِنَبة = Staphyloma ) ، فإذا كبرت هذه العنبة تظاهرت في الفرجة الجفنية حتى بعد إطباق الجفنين .

وقد تأثر المؤلفون العرب بالإغريق فاقتبس علي بن عيسى عن بولص دون أن يتقيد بتصنيفه . بينما أخذ ابن سينا عن بولص وايتيوس . وقد وصف هذا المرض أيضاً جالينوس والاسكندر .

---

(8) [ يقول الرازي في أمراض ثقب العنبية « أما اعوجاج ثقب العنبية فإنه لايضر بالبصر البتة ويعوج من أجل قرحة حدثت بالقرنية فإذا كانت صغيرة نتأ شيء قليل من العنبي وهو المورسرج فيعوج بذلك ثقبتها ولايضر بالبصر ، وإن نتأ شيء كثير أبطل البصر لأن ثقب العنبي يبطل البتة .. » الحاوي ٢ : ٢٠ .

وابن سينا كالرازي يستعمل لفظ ( العنبية ) للدلالة على طبقة من طبقات العين فإذا حدث فتق أدى إلى خروجها سمي هذا الفتق « النملي والمورشارج والذبابي وذلك بحسب العظم والصغر وإن كان أزيد من ذلك حتى تظهر حبة العنبية سمي العنبي ، وما هو أعظم سمي التفاخي فإذا خرجت العنبية حتى حالت بين الجفنين والانطباق سمي المساري وإن ابيضت العنبية فلا برء له » القانون ٢ : ١٢٢ ط . بولاق / المجلة ]

وأما الأصناف التي ذكرها العرب فهي : النمليّ ، الذبابيّ ، العِنَبيّ ، النُفاخيّ ، المساريّ ، الفلكيّ[٢٠] .

وقد رتبنا هنا هذه الأصناف حسب فداحة الآفة . ويجب أن نعرف أن المؤلفين العرب لم يتفقوا في وصف وتصنيف الدرجات المختلفة من هذه الإصابة شأنهم في ذلك شأن الإغريق .

## 14 ـ الانتشار

**التنوير** : ( اتساع الناظر من الجوانب كلها حتى يلحق ببياض العين ) ونستعمل اليوم تعبير « توسع الحدقة » Mydriasis .

وكان ابن ماسويه قد استعمل تعبيريّ **الاتساع والانتشار** .

أما حنين فاستعمل تعبيرين آخرين : **اتساع الحدقة ، واتساع ثقب العينية** .

وقد استعمل الطبري اصطلاح **الانتشار** .

بينما استعمل الرازي في المنصوري كلا التعبيرين **الانتشار والاتساع** .

**والثعالبي في فقه اللغة** يستعمل هذا الاصطلاح كما أورده الأطباء . ويكاد ينقل ماقاله القمري : ( والانتشار عند الأطباء أن يتسع ثقب الناظر حتى يلحق البياض من كل جانب ) .

ونجد وصفاً لهذه الحالة عند بولص وايتيوس واوريباسيوس .

---

(٢٠) تشبيها لها بالنُفاخة ، ورأس المسار ، وفلكة المِغزَل .

وقد ذكر المؤلفون القدامى عدداً من الأسباب لهذه العلة وعلى ذلك فقد صنّفها بعضهم مع جملة أمراض القزحية بينما صنّفها بعضهم الآخر مع أمراض العصب البصري أو الروح الباصر .

وفي وصفهم لهذه الحالة نكتشف جملة من الأمراض التي وصل تطورها إلى مرحلة العمى النهائي دون أن يتغير منظر العين اللهّم إلا اتساع الحدقة ، ومن بينها الزَّرَق المطلق ، وليس هذا مجال التفصيل في هذه المسألة .

## 15 ـ الشَعيرة

**التنوير :** ( ورم مستطيل في الجفن يشبه الشعيرة ) .

وشكل هذا الورم مستطيل لأنه يأخذ شكل الغدة المصابة أو شكل قناتها . فهو التهاب في إحدى غدد الجفن الملحقة بالهدب .

وقد استعمل ابن ماسويه وحنين والرازي هذا التعبير .

ومن الإغريق وصف هذا المرض جالينوس وبولص وإيتيوس .

ونستعمل في مصطلحاتنا اليوم التعبيرَ نفسَه .

## 16 ـ الجَسأ

**التنوير :** ( يَبَس يحدث في الأجفان فيعسر فتحها وقت النوم ) .

وهذا التعريف ينسجم مع ما أورده القمري في **غنى ومنى** : ( إذا عَسُر على الإنسان فتح عينيه بعقب النوم ، وصارت كأنها ملئت رملاً أو

تراباً فذلك من اليَبَس الحادث فيها )[٢١] .

بينما يقول حنين : ( واعلم أن الانتفاخ والجَسَأ والحكة ليست هي من أمراض الأجفان خاصّة ولكن من أمراض الأجفان والحجاب الملتحم ) ( حنين ، المسائل ، ص ٦١ ، المسألة ١٦٠ ) .

( مسألة : ما الجَسَأ وما علامته ؟

جواب : أمّا ماهيّته فانه صلابة تعرض في العين كلّها ، وربما شاركت الأجفان ، وأما علامته فأنه تعسُرُ له حركة العين ، ويعرض لها تمدّد ووجع وحمرة ويعسر فتحها وقت الانتباه من النوم ، ويحدث جفوف شديد ، ولاتنقلب الأجفان لصلابتها ، وربما اجتمع في المأق رمص يسير صلب جافّ ) .

وفي المقالات العشر يورد حنين نصاً شبيهاً ويضيف : ( ... ويقال لهذه العلّة باليونانية سقليروفثالميا ) .

ويبدو جليّاً هنا أن القمري ينقصه الوضوح الذي أتى به حنين .

والرازي في « المشجرة » يصنف الجسأ ـ أسوة بالحكة والانتفاخ ـ مع أمراض الملتحمة .

وقد استعمل تعبير « الجسأ » كل من الطبري وصاحب الذخيرة : ( الجسأة ) .

وقد حفظ ايتيوس نصّاً مأخوذاً من ديموستينس يصف هذا المرض

---

(٢١) الاستعمال الطبي الحديث لهذا التعبير يختلف تماماً عن استعماله التاريخي . ويعني اليوم « صولبة القرنية » أي تحوّل نسيجها بحيث يشبه نسيج الصلبة .

تأثر به ابن سينا .

وكذلك نجد وصفاً للجسأ عند بولص .

وفي اللغة : الجسأ : هو اليبس أو الصلابة أو الغِلَظ أو الخشونة .

« عن الوسيط » ينقله البكري أما الثعالبي فيقول : ( الجُسَأة : أن يعسُر على الإنسان فتح عينيه إذا انتبه من النوم ) ( فقه اللغة ١٠٠ )

### 17 ـ العشا

**التنوير :** ( العشا : أن لايبصر بالليل ) .

وقد استعمل ابن ماسويه إلى جانب هذا التعبير التعبير الفارسي معَرّباً « الشبكرة »[9] . كما استعمل تعبير « العشاوة » .

وقد ذكر حنين صفة العليل مستعملاً التعبير الفارسي معرّباً « شبكور » بمعنى « أعشى » .

حنين : ( ويقال لصاحب هذه العلة شبكور وبالعربية أعشى ) .

وقد استعمل الطبري وصاحب الذخيرة تعبير العشا . بينما أورد الرازي التعبيرين العربي والفارسي المعرّب .

وقد وصلتنا نصوص إغريقية في وصف هذا المرض لبولص وايتيوس واوريباسيوس وارسطاطاليس . كما ذكر عدد آخر من المؤلفين

(9) [ « الشَبْكرة : تعطل البصر ليلاً مركب من شب أي ليل ومن كور أي أعمى ومنه شبكور بالكردية » الألفاظ الفارسية المعربة لادي شير ص ٩٨ . ولم يرد هذا اللفظ في المعرب للجواليقي / المجلة ] .

معالجات عديدة لهذا المرض : ديوسقوريدس ، جالينوس ، الاسكندر ، تيوفيلوس )[٢٢] .

وبالفارسية شَبْ S̆ab تعني الليل و كور kūr تعني أعمى ، والثعالبي يتبنى تعريف القمري للعشا بنصّه .

وابن سيده ينقل عن ثابت : العشا والعَشَاء .

## 18 ـ الجَهَر

**التنوير :** ( الجهر : أن لايبصر بالنهار ) .

وقد استعمل ابن ماسويه هذا التعبير في كتابيه .

أمـا حنين فقـد استعمـل في « المسـائـل » التعبير الفـارسي « روز كور » .

( حنين ، المسائل ، المسألة ٢٠٣ )
( ... ويقال لمن يبصر بالليل ولا يبصر بالنهار روز كور )[10] .

ولم يستعمـل حنين تعبير « الجَهَر » وكـذلـك الرازي في « المشجرة » فقد اكتفى باستعمال « يبصر بـالليل ولا يبصر بـالنهـار » . بينما ورد في الحاوي هذا الاصطلاح « روز كور » . ( الحاوي ٢ : ١٩٦ ) .

وقد وصف ايتيوس هذا المرض .

---

(٢٢) هيرشبرغ في تعليقه على عليّ بن عيسى الترجمة ص ٢٥٣ .

(10) [ لم يرد هذا اللفظ في المعرب للجواليقي ولا في الألفاظ الفارسية المعربة لادي شير / المجلة ] .

وكلمة « روز » تعني بالفارسية « النهار » بينما كلمة « كور » تعني « أعمى » .

والثعالبي يستعمل كلمات القمري نفسها .

## 19 ـ الخفش

**التنوير :** ( أن يبصر بصراً خفيفاً كما يبصر الخفاش ) .

وفي **غني ومنى** لم يرد هذا التعبير . وقد عالج القمري فصلاً بعنوان : ( ضعف البصر ) وصف فيه أربع حالات مختلفة الأسباب والعلامات من هذا المرض : تتظاهر جميعها بضعف البصر .

أحد هذه الأشكال منسوب إلى جالينوس : ( قال جالينوس : رأيت كثيراً ممن استقصى النظر في الشمس في وقت الكسوف وغيره فصار لايبصر شيئاً ، وأشرف على العمى ) .

ولم يستعمل أحد من المؤلفين في الطب قبل القمري هذا الاصطلاح[11] .

وكان الرازي قد أورد في الحاوي اصطلاحاً مشتقاً من ( خَفَشَ ) وبمعنى مختلف تماماً : ( ... ومن انخرقت عيناه ذهب بصره ، وذلك أن الرطوبة البيضية تسيل ، وتنخسف وتخفش عيناه ) ( الحاوي ٢ : ٤١٠ ) .

وفي الكتاب الفاخر المنسوب إلى الرازي ورد تعبير « الأخفش » .

(11) [ قال الرازي « من كتاب العلامات لجالينوس قال : من الناس من لايبصر بالليل جيداً ولا يبصر بالنهار جيداً ويسمون باسم الخفاش » الحاوي ٢ : ١٧٠ / المجلة ] .

وقد عالج الكثيرون موضوع « ضعف البصر » فمثلاً على بن عيسى يفرد لضعف البصر الباب الثاني والعشرين من المقالة الثالثة .

وقد ورد اصطلاح « ضعف البصر » عند الطبري وصاحب الذخيرة .

وقد ورد وصف « ضعف البصر » عند جالينوس وايتيوس .

وفي اللغة يتفق ابن سيده والثعالبي على تعريف الخفش بأنه : ( صِغَر العينين وضعف البصر ) وينفرد الثعالبي بقوله : ( ويقال إنه فساد في العينين يضّيق له الجفن من غير وَجَع ولاقرح ) ( فقه اللغة ٩٦ ) .

ويضيف ابن سيده : ( ومن ذلك اشتق اسم الخفّاش لأنه يَشُقّ عليه ضوء النهار ) ( المخصص ١ : ١٠٥ ) .

## 20 ـ الحَوَل

**التنوير** : ( ميل العين إلى أحد الجانبين ) .

وقد استعمل يوحنا بن ماسويه هذا الاصطلاح . بينما استعمل حنين إلى جانبه اصطلاحاً آخر ( مَيَلان ) .

ولم يستعمل الطبري أو صاحب الذخيرة اصطلاح الحول بينما ورد هذا الاصطلاح في الحاوي .

وقد وصف هذا المرض من المؤلفين الإغريق جالينوس وبولص .

والحَوَل في اللغة هو ميل العين إلى الأعلى أو إلى اللحاظ ، على رأي ثابت الذي ينقله ابن سيده بينما ميل العين إلى ناحية الأنف هو القَبَل

على رأي ثابت . أما أبو عبيدة فيورد الحول أيضاً بمعنى الميل إلى المِحْجَر كالقَبَل ( المخصص ١ : ١٠١ ) ( والمحجر هو العظم الذي يحيط بالعين من أسفل ) .

ونرى من هنا أن تسمية الاتجاه الذي تميل العين إليه أمر لم يتفق عليه أئمة اللغة .

وإذا أردنا أن نورد آراءهم المختلفة فهي كثيرة . ولامجال لذكرها هنا .

## 21 ـ الجحوظ

التنوير : ( زوال جميع العين من مكانها ويسمى نتوء العين أيضاً ) .

وهذا التعبير استعمله ابن ماسويه الذي استعمل أيضاً اصطلاح ( النتوء ) .

وكذلك استعمل صاحب الذخيرة هذين الاصطلاحين اللذين لم يرد ذكرهما عند الطبري .

وقد أورد حنين في المقالات تعبير نتوء العين .

أما الرازي فقد استعمل في المنصوري والحاوي اصطلاح ( الجحوظ ) : وهو نتوء جملة العين .

ومن الأساتذة الإغريق ورد وصف الجحوظ عند بولص وايتيوس واوريباسيوس .

ويشهد هيرشبرج أن وصف ابن سينا لهذا المرض يفوق في وضوحه

ماأتى به الإغريق جميعاً[12] .

والمعجم الوسيط يورد كلمة الجحوظ مرادفة للنتوء والبروز .

ويقول ابن سيده : الجِحاظ : خروج المقلة وظهورها . جَحَظ ـ يَجْحَظُ ـ جُحوظاً ( المخصص ١ : ١٠١ ) .

وإذا أردنا أن نجمل باختصار شديد بعض الملاحظات حول كتاب التنوير بمقدار ماتسمح هذه الدراسة المتواضعة المقتصرة على اصطلاحات أمراض العين ، فإننا نذكر مايلي :

١ ـ يتميز هذا الكتاب بالاختصار الشديد الذي يفوق كل المؤلفات الأخرى .

٢ ـ لم ينجم عن هذا الاختصار قصور في المعنى المراد إلا في حالات نادرة .

---

(12) [ قال ابن سينا في وصفه للجحوظ : « قد يقع الجحوظ إما لشدة انتفاخ المقلة لثقل بها وامتلائها ، وإما لشدة انضغاطها إلى خارج ، وإما لشدة استرخاء علاقتها والعضلات الحافظة لعلاقتها المذكورة . والواقع لشدة انتفاخ المقلة لثقلها وامتلائها فإما أن تكون المادة في نفس العين ريحية أو خلطية رطبة وربما كان الامتلاء خاصاً بها وربما كان بمشاركة الدماغ أو البدن مثلما يعرض عند احتباس الطمث للنساء . والذي يكون لشدة انضغاطها إلى خارج فكما يكون عند الخنق وكما يكون عند الصداع الشديد وكما يكون بعد القيء والصياح وللنساء بعد الطلق الشديد ... وأما الكائن لاسترخاء العضلة فلأن العضلة المحيطة بالعصبة المجوفة إذا استرخت لم تقل المقلة ومالت إلى خارج . والجحوظ قد يكون من استرخاء العضلة فقط فلا يبطل البصر وقد يكون مع انهتاكها فيبطل البصر . وقد يجحظ العينان في مثل الخوانيق وأورام حجاب الدماغ وفي ذات الرئة . ويكون السبب في ذلك انضغاطاً . وقد يكون السبب في ذلك امتلاء أيضاً . وأكثر مايكون مع دسومة وتورم في القرنية » القانون ٢ : ١٢٩ ـ ١٣٠ ط . بولاق / المجلة ] .

٣ ـ لقد نقل الثعالبي تعبير القمري بنصه في حالتين .

٤ ـ لم ينفرد القمري باصطلاح خاص غير وارد عند المؤلفين الذين عاشوا قبله إلا باصطلاح واحد هو ( الخَفَش ) حيث استعمله بمعنى مختلف عن المعنى الذي ورد في الحاوي .

٥ ـ إن عدد الأمراض التي ذكرها القمري أقل بكثير من تلك التي وردت في المؤلفات الخاصة بالكحل . ولكنها تتناسب مع العدد الذي نجده في كتب الطب العامة .

وعلى ذلك فهي أقل منها في كتابيّ ابن ماسويه أو كتابي حنين بينما يتناسب عددها مع ما ورد في فردوس الحكمة أو الذخيرة .

**للبحث صلة**

# رسالة يعقوب الكندي

## في اللُّثغة

تحقيق الأستاذ محمد حسان الطيان

**مقـــدمة**

اللثغة مرض من أمراض الكلام التي عنيت بها الدراسات اللغوية الحديثة ( اللسانيات ) وأصبح لها شأن كبير في مجال الصوتيات التجريبية ، حتى لقد أحدثت أقسام خاصة في الجامعات العالمية لدراسة ظواهرها والتخصص بها[1] . ولقد كانت لعلماء العربية مشاركة في هذا الباب إلا أنها على مايبدو اندثرت وضاعت مع ماضاع من كنوز تراثنا ، ولم يبق منها إلا آثار تدل عليها ، كالذي في البيان والتبيين للجاحظ والكامل للمبرد[2] . وقد أتيح لي مؤخراً أن أقف على رسالة مخطوطة متخصصة بهذا الفن ـ أعني اللثغة ـ وضعها فيلسوف العرب يعقوب بن إسحاق الكندي ، ولا أعلم أحداً خص هذا الفن برسالة سوى الكندي .

(١) وكانت جامعة الجزائر أول جامعة عربية قفت أثر الجامعات العالمية في هذا ففي معهد العلوم اللسانية والصوتية التابع لها تخصص يمنح بموجبه خريج الطب درجة الماجستير في علم أمراض الكلام بأحد فرعيه : السمعي الصوتي أو اللساني الكلينيكي . .

(٢) انظر كتاب العربية ليوهان فك ترجمة د . رمضان عبد التواب . فقد تتبع فيه المؤلف مواضع ذكر اللثغة في كتب المتقدمين . ص ١٢٢ ومابعدها . وانظر البيان والتبيين ١ / ص ١٤ وما بعدها ، وص ٣٤ ـ ٤٠ . وانظر الكامل للمبرد : ٣ / ١٩٢ ـ ١٩٥ .

وقد تكشف لنا قادمات الأيام عن مؤلفات أخرى تنحو هذا النحو ، إلا أن رسالة الكندي هذه تبقى على غاية الأهمية لقدمها من جهة إذ يعود تأليفها إلى القرن الثالث الهجري ، وتخصصها بهذا الجانب من العلوم دون سواه من جهة أخرى(٣) .

ودع ذا فإن مؤلفها نهج فيها نهجاً فريداً في وصف حروف العربية وتتبع هيئات النطق بها وما يعترض ذلك من حركات وسكنات ، هذا النهج يعيد إلى الأذهان عمل الشيخ الرئيس ابن سينا في رسالته أسباب حدوث الحروف(٤) ، ولعل ابن سينا صدر في رسالته تلك عن عمل الكندي في رسالته هذه ، إلا أن وصف ابن سينا لمخارج الحروف كان أقرب إلى وصف الطبيب المشرح ، في حين برز في وصف الكندي عمل الفيلسوف الفيزيائي ، وفي كلٍّ خير .

ويتضح لنا مدى الصلة بين كلا الرجلين إذا علمنا أن المجموع الذي وجدت فيه رسالة الكندي عليه تملك منسوب إلى ابن سينا هذا نصه : « هذا الكتاب كان لأبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا ، وصنف من رسائل كثيرة والله أعلم » . بل إن الأمر ليتعدى التملك إلى ما هو أهم منه

---

(٣) ولعل من المفيد أن أذكر أن لها نسخة وحيدة في العالم تسنى لي الاطلاع عليها في المكتبة السليمانية باستانبول ، فصورتها مع مجموعة من رسائل الكندي . وقد وهم بروكلمان أو المترجم في تسميتها فدعاها : « رسالة في اللغة » وهي « رسالة في اللثغة » انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ( الترجمة العربية ) : ٤ / ١٣٦ .

(٤) وقد نهضت والزميل يحيى مير علم بتحقيقها ونشرت ضمن مطبوعات المجمع عام ١٩٨٣ م .

أعني الناسخ الذي نسخ المخطوط فقد كتب تحت العبارة السابقة بخط مغاير مانصه : « وذكر أن هذا الخط خط الشيخ الرئيس حجة الحق شرف الملك أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا رحمه الله .. » ثم كررت هذه العبارة أيضاً بشكل عرضي وبخط جميل إلا أنه ممسوح غير بيِّن .

أردت أن أخلص من كل ذلك إلى أن الرسالة التي بين أيدينا أثر من آثار التراث النفيسة ينبغي أن تأخذ محلها بين كنوز التراث المحققة ، وقد بذلتُ وسعي في تقويم ماانآد من عباراتها(٥) وشرح ماشمس من معانيها ، وآثرت أن أنشرها على مابقي فيها من علات - في النقص والتحريف - عسى أن يهتدي الباحثون إلى نسخة أخرى تتم نقص هذه وتقيم منآدها . والله الموفق .

**وصف النسخة**

تقع رسالة الكندي هذه في مجموع كبير يضم رسائل مختلفة لثابت بن قرة ويعقوب الكندي ، وهو محفوظ في المكتبة السليمانية في استانبول تحت رقم ( ٤٨٣٢ ) وتبلغ عدة أوراقه : ( ٢٣٢ ) ورقة من القطع المتوسط : ( ١٢×٢٢ ) . تشغل هذه الرسالة الأوراق ( ٢١٦ - ٢١٨ ) إلا أن نصف الصفحة الأولى منها ممسوح لم يظهر منه سوى عنوان الرسالة تحت البسملة : « رسالة يعقوب الكندي في اللثغة » .

---

(٥) لابد لي هنا من تسجيل شكري العميق لأستاذنا العلامة أحمد راتب النفاخ لما تفضل به من مقابلة النص وحل بعض المشكلات المستعصية فيه . فجزاه الله عن العربية وأهلها خير ماجزى عالماً عن قومه ولغته .

أما الخط الذي كتبت به الرسالة فهو قديم يعود إلى المئة الخامسة على وجه التقريب ، فحروفه يابسة والتنقيط قليل وطريقة كتابة الأعداد توحي بقدمه[٦] . وقد أثبتُ فيمايلي نموذجاً يظهر فيه بداية الرسالة وخطها ورسم بعض الأرقام فيها .

(٦) هذا تقدير الأستاذ الفاضل عدنان جوهرجي وهو صاحب اختصاص لاينكر في هذا الباب .

[illegible]

[illegible] وصلى الله على رسوله محمد وآله أجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة [illegible]

ظهر الورقة [ ٢١٦ ب ]

وجه الورقة [ ٢١٧ أ ]

## بسم الله الرحمن الرحيم

## رسالة يعقوب الكندي في اللُّثغة[١]

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

[ ٢١٧ أ ] معه الشاملة له ، فلما تكاملت هـذه الثلاثـة الأشراج[٢] وائتلفت كان النطق ، فلما ظهر النطق بحركات مختلفـة مرة برفـع ومرة تضـع[٣] بجـزم ومرة بتسريح العضو الذي هو آلة للنطق مثل مقـاديم[٤] الأسنـان وصـدر الحنك والأرحية[٥] واللهوات وخارج الأسنـان والشفتين ، فمتى تغيرت آلـة النطق وزالت عن الأمـاكن الواجبـة للنطق فسـد لـذلـك المنطـق ، وأتى بخلاف ما قصد له الناطق .

فلما كانت هذه اللغـة لازمـة للنطق في القليل من النـاس احتـاجت اللغة إلى رباط يحويها ويمسكها لنظر مافي حقيقتها يعرف مقصودهـا من

(١) كتب هذا العنوان في وسط الصفحة بعد تمام رسالة الكنـدي في استخراج المعمى ، وماتحته بياض في الأصل ، غابت فيه مقدمة الرسـالـة إلى قولـه في الصفحـة التـاليـة : « معه الشاملة له .. » وهو مابدأنا بنسخه هنا .

(٢) لعلها جمع شرجة أو شريج وهي اللدة المماثلة . وإذا شق العود بنصفين فـأحـدهـا شريج الآخر . انظر أساس البلاغة للزمخشري مادة ( شرج ) .

(٣) كذا في الأصل ولعل فيها تحريفاً .

(٤) في الأصـل المقـاديم الأسنـان . ولايصح . والمقـاديم جمع مُقْـدِم ومُقـدّم وهي ماستقبلت من الأسنان .

(٥) الأرحيـة جمع رحى وهي الأضراس وتجمع على أرحـاء أيضاً وهـو الأصـح . انظر اللسان ( رحى ) والمخصص : ١ / ١٤٦ ـ ١٤٧ .

الصواب والخطأ ، فربطها الفاعل الأولي[٦] باثنين وعشرين حرفاً[٧] تحويها وتنبي عن حقائقها لإظهار مافي الحكمة ، وذلك أن الحاجة ماسة إليها ، ولعلة أخرى أيضاً إذ كانت المكاتبة تحتاج إليها حاجة شديدة ليُدوِّن بها علم الظاهر والباطن ، فأما العلم الظاهر البيّن فعلم سقراط وأفلاطون ، والعلم الباطن فعلم موسى وسليمان بن داود . ولعلة أخرى أيضاً ، وذلك إذا كان الإنسان بالقرب من صاحبه ، وناطقه صاحبه بشيء فهم عنه وأجابه عن كلامه ، وإذا كان في بعد لايسمع منه فالحاجة في ذلك ماسَّة إلى المراسلة .

فإذا كثر الخطب إلى المكاتبة ، فلهذه العلة ربط الفاعل الأول اللغات كلها ، كل لغة بقدر ماتحتاج تستعمل من الحروف ، وذلك أن منها مايحتاج إلى ثمانية وعشرين حرفاً وهي لغة العرب[٨] ، ومنها

(٦) كذا وردت في الأصل وقد تكررت بعد أسطر بصيغة الفاعل الأول .

(٧) نص بعض المتقدمين على أن أصل وضع العربية على اثنين وعشرين حرفاً وماتبقى فهو روادف وإلى ذلك أشار ابن النديم في كلامه على القلم العربي :

« اختلف الناس في أول من وضع الخط العربي فقال هشام الكلبي : أول من وضع ذلك قوم من العرب العاربة نزلوا في عدنان بن أد . وأساؤهم : أبو جاد ، هواز ، حطي ، كلمون صعفض ، قريسأت . هذا من خط ابن الكوفي ، بهذا الشكل والإعراب وضعوا الكتاب على أسمائهم ، ثم وجدوا بعد ذلك حروفاً ليست من أسمائهم وهي : الثاء والخاء والذال والظاء والشين والغين . فسموها الروادف .. » الفهرست ص ٧ . طبعة طهران .

وفي المعجم الوسيط : أما ثخذ وضظغ فحروفها من أبجدية اللغة العربية وتسمى الروادف المعجم الوسيط : ( أبجد ) . وانظر مقال الدكتور عدنان الخطيب « المعجم العربي » في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٤٠ ج ٢ ص : ١٩٢ ـ ١٩٩ .

(٨) جمهور اللغويين على أنها تسعة وعشرون حرفاً بما في ذلك الهمزة . انظر الكتاب : ٤ / ٤٣١ ( ط . بولاق : ٢ / ٤٠٤ ) ومعجم تهذيب اللغة : ١ / ٤٨ وسر صناعة الإعراب : ١ / ٥٢ .

مايحتاج إلى ٢٤ حرفاً وهي لغة اليهود[٩] ، والنصارى مثل ذلك ، وزعموا أن لغة الفرس تحتاج إلى ٣٦ حرفاً[١٠] ، ولغة الهند ٢٥ حرفاً ، ولغة الزنج اثنا عشر حرفاً ، ولغة الفراعنة ٢٢ . فقد بيّنا زيادات اللغات ونقصانها .

**نقول في علل الحروف ، وفي أي الحروف منها تعرض اللثغة**

نقول : إن تعسّر اللسان عن الحال الجاري المجرى الطبيعي يكون من عرّضين لازمين ؛ إما من تشنج ، وإما لاسترخاء .

فأما التشنج فهو أن يأتي الإنسان بألفاظ غير تامة .

وأما الاسترخاء فهو أن يأتي الإنسان بألفاظ زائدة خارجة عن الجاري المجرى الطبيعي على غير نظام .

فأما التشنج فمثل القائل في موضع الراء اللام[١١] ، ومثال ذلك قول القائل في موضع السين الشين . ومن الكلام مالا يحصى كثرة . ونحن واصفون بعون الله جل ذكره ، وبادون بالأصل في الوصف[١٢] لدلائله بأكثر مانقدر عليه من بيان ماتحتاج إليه العربية ، لأن ليس لغة أفصح ولا أعرب ولا أخف من اللغة العربية .

---

(٩) حروف اللغة العبرية اثنان وعشرون حرفاً كما تشير إليه المصادر الحديثة . انظر دروس اللغة العبرية للدكتور ربحي كمال : ص ٦٤ ـ ٥٦ .

(١٠) حروف الفارسية اثنان وثلاثون حرفاً كما تبين المصادر الحديثة وهي حروف العربية نفسها يضاف عليها أربعة حروف هي ( پ ـ چ ـ ژ ـ گ ) انظر اللغة الفارسية للدكتور جواد مشكور ص ٧ .

(١١) رسمت في الأصل : الا ، والصواب ماأثبتّه .

(١٢) تحرفت في الأصل إلى : الواصف . [ وبادون : مخففة من بادئون ] .

نبـدأ بعون الله ومنّـه في نعت الألف لأنهـا أول مجيء الفـاعل الأولي واللغة الأولى .

نقول : إن **الألف**[١٣] تحتاج إلى نغمـة[١٤] وفتحـة ورد طرف اللسـان إلى صدر الحنك ، وإخراج نَفَسٍ يسير بين الشفة السفلى والأسنان العليا .

**الباء** : نقول في الباء : إنها تحتاج إلى نغمة مع ضم الشفتين وفتحها بهمزة[١٥] .

**الجيم** : نقول في الجيم : إنها تحتاج إلى نغمة مع ضم جانبي اللسان إلى جانبي الأرحية والحنك وضم الشفتين وفتحها بكسرة .

**الـدال** : نقـول في نعت[١٦] الدال : إنهـا تحتـاج إلى نغمـة مـع همـزة بطرف اللسان على طرف الحنك ومقاديم اللسان وفتحة ثم عطفـة اللسـان إلى داخل طرف الحنك .

**الهـاء** : نقول في نعت الهـاء : إنهـا تحتـاج إلى نَفَسٍ يخرج من عمـق الرئة ففتحة وهمزة اللهوات بمبدأ نغمة ووقفة .

**الواو** : نقول في نعت الواو : تحتاج الواو إلى نغمة مع جمع الشفتين

---

(١٣) يعني بـالألف هنـا الهمزة لأن الألف المصوتـة تخرج من إطلاق الهواء سلسـاً غير مزاحم . كما يقول ابن سينا انظر أسباب حدوث الحروف لابن سينا ( تح حسان طيـان ويحيى مير علم / دمشق ١٩٨٣ ) : ٨٤ ، ١٢٦ .

(١٤) النغمـة جرس الكلمـة ولعل المقصود بهـا هنـا مجرد التصويت أو الصوت السـاذج لأنها تتكرر في وصف كل الحروف . وقد جاء في كتب اللغة : سكت فما نغم بحرف .

(١٥) الهمز هنا بمعنى الضغـط ومنـه الهمز في الكلام لأنـه يضغـط . وقـد همزت الحرف فانهمز . انظر اللسان : ٥ / ٤٢٦ .

(١٦) استدركت عبارة ( في نعت ) في هامش النسخة .

وتضييقهما[١٧] حتى يخرج نفس[١٨] خفي وفتحة وجمعةٍ أخرى كالأولى .

**الزاي** : تقول في نعت الزاي : تحتاج إلى نغمة مع إلزام طرف اللسان و[١٩]مقدم الأسنان ، وإخراج النفس خروجاً يسيراً من بين الأسنان بزمزمة[٢٠] .

[ ٢١٧ ب ] **الحاء** : تقول في نعت الحاء : تحتاج إلى نفس يخرج مع الحنك بتنحنح مسرع مضغوط بأصل اللسان واللهوات مع رأس المري وفتحة .

**الطاء** : تقول في نعت الطاء : تحتاج إلى همزة شديدة بطرف اللسان على مقدم الأسنان بلا نفس وفتحة .

**الياء** : تقول في نعت الياء : تحتاج إلى نغمة مع إلزام جانبي اللسان جانبي الأرحية بكسرة[٢١] وإخراج نفس يسير وفتحة .

**الكاف** : والكاف تحتاج إلى إلزام جانبي اللسان على أول الأرحية وفتحة ، وإلزام الأسنان العليا الشفة السفلى مع إخراج نفس يسير من بين الأسنان[٢٢] العليا .

**اللام** : تقول في نعت اللام : تحتاج إلى نغمة مع إلزام طرف اللسان صدر الحنك وفتحة ، وإلزام الشفتين بعد ذلك .

**الميم** : تقول في نعت الميم : تحتاج إلى نغمة وإلزام الشفتين ورفعها وردها ثانية إلى لزوم بكسرة .

(١٧) الكلمة غير بينة في الأصل والأشبه بالصواب ماأثبتّه .

(١٨) وردت في الأصل : ( النفس ) .

(١٩) الواو مقحمة لامعنى لها . والعبارة ينبغي أن تكون : « مع إلزام طرف اللسان مقدم الأسنان .. » .

(٢٠) الزمزمة : صوت خفي لايكاد يفهم ولعلها هنا تتابع هذا الصوت .

(٢١) في الأصل : ( لكسرة ) .

(٢٢) في الأصل : ( أسنان ) والألف واللام زيادة يقتضيها النص .

**النـون** : نقـول في نعت النـون : تحتـاج إلى نغمــة مـع إلـزام رأس الحنك ومقاديم الأسنان[٢٣] وتطويل الشفتين وتضييقها وفتحها تـامـة ورد رأس اللسان إلى صدر الحنك .

**السين** : تقول في نعت السين : تحتاج إلى إلزام طرف اللسان مقاديم الأسنـان العليـا ، وإخراج نَفَسٍ من بين الأسنـان خفي يسير ، فـإن زاد ذلـك النفس قليلاً[٢٤] من المقـدار الواجب لـه لم تجئ منـه سين ، ويكون ذلك مع كسرة ورد اللسان إلى الحنك بهمزة .

**العين** : تقول في نعت العين : تحتاج إلى نغمـة مع نفس يمتـد[٢٥] إلى اللهاة ويقف معها فهمزة اللسان إلى اللهوات وفتحة بالغلصمـة ، وكسرة ، ورد اللسان إلى صدر الحنك .

**الفاء** : تقول في نعت الفاء : تحتاج إلى نفس يخرج من بين الأسنان العليا مع تركيب الشفة السفلى على الأسنان العليا وفتحة ونغمة بعد .

**الصـاد** : تقول في نعت الصـاد : تحتـاج إلى قـدر[٢٦] يسير من نَفَسٍ يخرج من بين اللسان والحنك فيما بين الأسنان العليا بهمزة فيما بين اللسان وصعد مقاديم الأسنان والحنك وفتحة .

**القـاف** : تقول في نعت القـاف : تحتـاج إلى إلزام الغلصمـة الخيـاشيم لزوماً شديداً ، وتفرق فيما بين ذلك بـدفع النفس بقوة وفتحـة ، وإسبـال

---

(٢٣) جاءت هذه الكلمة في نهـايـة السطر وبعـدهـا رسمت ( الـ ) وكأن هنـاك كلامـاً محذوفاً والعبارة على كل حال ناقصة والوجـه أن تكون : ( مع إلزام رأس اللسـان رأس الحنـك ومقاديم الأسنان ) يدل على ذلك قوله فيما بعد : ( ورد رأس اللسان إلى صدر الحنك ) .

(٢٤) في الأصل : ( قليل ) ولاتصح .

(٢٥) في الأصل : ( يبدوا ) وهو تحريف .

(٢٦) تحرفت في الأصل إلى ( قوى ) ولا معنى لها .

الشفة العليا على الأسنان السفلى وإخراج النفس مما بين ذلك .

**الراء :** نقول في نعت الراء : إنها تحتاج إلى تحريك رأس اللسان على تفرُّج الحنك .

**الشين :** الشين تحتاج إلى إلزام [ اللسان ][٢٧] جانبي الحنك والأرحية وإخراج نفس شديد فيما بين ذلك وكسرة ، وهمزة طرف اللسان على مقاديم الأسنان وصدر الحنك .

**التاء :** تحتاج إلى إلزام طرف اللسان مقاديم الحنك وبسط اللسان على الحنك كله ( تلك اللسان بدفع النفَس لحميه )[٢٨]

فرغنا من حروف اللغة[٢٩] بعون الله .

نبدأ فيما بقي من حروف ا ب ت ، ث :

**[ الثاء ]**[٣٠] : تحتاج ردّ رأس اللسان إلى الأسنان العليا وإخراج النفس فيما بين ذلك ونغمة وفتحة .

**الخاء :** تحتاج إلى إخراج نفس وإلزام وسط اللسان تفريج الحنك واللهوات ومايلي الخياشيم ، وتقطيع النفس فيما بين ذلك بالحركة والتدافع له .

**الذال :** تحتاج إلى غمزة بطرف اللسان على الأسنان العليا ، وردّ رأس اللسان إلى صدر الحنك .

---

(٢٧) زيادة يقتضيها السياق .

(٢٨) في العبارة خلل واضح ، وقد أبقيتها كما هي في الأصل .

(٢٩) وهي حروف : ( أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن ، سعفص ، قرشت ) وعددها اثنان وعشرون حرفاً ، أما بقية حروف العربية الستة وهي الروادف فسيأتي الحديث عنها .

(٣٠) ما بين الحاصرتين زيادة يقتضيها السياق .

**الضاد** : تقول في نعت الضاد : تحتاج إلى إلزام طرف اللسان مقاديم الأسنان ، وإخراج النفس من وسط اللسان على الأرحية وجانبي الشدق وفتحة ، وردٍّ رأس اللسان إلى الحنك بهمزة .

**الظاء** : تقول في نعت الظاء : تحتاج إلى إخراج نفس مع إلزام طرف اللسان والأسنان العليا وفتحة ونغمة بعد ذلك .

**الغين** : تقول في نعت الغين : تحتاج إلى إخراج نفس مع النغانغ(٣١) ووسط اللسان ، وكسرة وردِّ اللسان إلى الحنك .

تمَّ قصصنا في نعت الحروف ومايجب لها من الحدود بعون الله .

**ونحن بادون في عرضنا من تبيان علل اللثغة .**

اعلم ياأخي ـ فدتك نفسي ـ أن اللثغة تظهر في لغة العرب في عشرة
[ ٢١٨ أ ] أحرف للمسنين ، والأصاغر في أكثر من ذلك في المنطق . ولقد عسر على الشيوخ أن يعلموا مااللثغة وما العلة في الطفل أنه إذا قلت بين يديه مرة ومرتين خبراً حكى قولك في ذلك وهو لايعلم أين ينبغي له أن يضع لسانه من الأماكن الواجبة النطق التي قدمنا ذكرها في صدر كتابنا هذا في نعت الحروف ومايجب لها . وقد لخصنا في ذلك قدر الطاقة ، والعلة التي حدتنا إلى ذلك ليعرف حقيقة ماقصدنا من ذلك ويعود علمه على السامع له .

فأما العشرة حروف فهو هذا الذي أنا ذاكرها منها :

---

(٣١) النغانغ : لحمات تكون في الحلق عند اللهاة ، واحدها نغنغ وهي اللغانين .

العين ، والسين ، والشين ، والكاف ، والصاد ، والجيم ، والحاء ، والراء ، والقاف ، والزاي[٣٢] .

واعلم ياأخي أن اللثغة إنما تعرض من سببين إما لنقصان آلة النطق وإما لزيادتها فلا تقدر [ على ][٣٣] تسريح الأماكن الواجبة للنطق مثل مقاديم الأسنان وجميع الأماكن الواجبة للنطق .

فأما الحروف التي تعرض فيها اللثغة من قِبَل زيادة العضو فهي[٣٤] : السين ، والصاد ، والجيم ، والزاي ، والشين ، تعرض في الزيادة والنقصان . وقد تعرض اللثغة أيضاً من جهة أخرى من ضعف العضو المنطقي ، وليس هذا مما يجري في الأكثر وإنما يحدُّ الشيء بالحد الأكثر ، وذلك أن الفلاسفة حدّوا الإنسان أنه حي ناطق ميت ومنهم من زاد في الحد العقل ، فلما زادوا العقل في الحدّ أخرجوا من حدّ الإنسانية من كان جاهلا . وقد ترى إنساناً أخرس[٣٥] فليس بملغي الحد بالإنسانية لأنه ليس بناطق وهذا محال ، ولكن لايقع الحد إلا على الأكثر كما قلنا مراراً .

نريد الآن أن نسمّي[٣٦] هذه الأعراض اللازمة كل واحد مما يجب أن

---

(٣٢) اقتصر الجاحظ في كلامه عن اللثغة على أربعة أحرف هي : القاف والسين واللام والراء انظر البيان والتبيين : ١ / ٣٤ ط . هارون .

وجعلها ابن الأنباري في ستة أحرف . قال فيما نقله عنه الرافعي في تاريخ آداب العرب ١ / ١٦٠ : « اللثغة تكون في السين ، والقاف ، والكاف ، واللام ، والراء ، وقد تكون في الشين . » .

(٣٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٣٤) في الأصل : ( فهو ) .

(٣٥) وردت في الأصل ( أخرسا ) ولا وجه لها .

(٣٦) في الأصل : ( نسمى إلى ) ولا وجه لها .

يسمى : التأتاء[٣٧] **المتمتم** ، واللاثغ بالجيم يقال له : **المدموم**[٣٨] ، واللاثغ بالراء يقال له : **ذا العقل**[٣٩] ، واللاثغ بالغين يقال له : **المناغي العَيُّ** ، واللاثغ بالقاف يقال له : **ذا الحبس**[٤٠] ، واللاثغ بالفاء يقال له : **الفأفاء**[٤١] .

وهاهنا علتان أخريان ، وهي **الأخنّ**[٤٢] **والألكن**[٤٣] ، وإنما تعرض هاتان العلتان من غلط آلة النطق وهو اللسان وسعة الخياشيم ، والعلة في ذلك أن العضل المحركة لهذا العضو لاتطيق حمله وتحركه وتنقله عن الأماكن الواجبة للنطق فيعرض من ذلك اللكن[٤٣] . وأما الأخنُّ فإن النفَس يسبق إلى الخَياشيم .

---

(٣٧) هذه الكلمة غير بيّنة في الأصل ، وقد رجحت أنها التأتاء ، لأن المتمتم أو التمتام هو اللاثغ بالتاء .قال الجاحظ : « وقال الأصمعي : إذا تتعتع اللسان في التاء فهو تمتام .. » البيان والتبيين : ١ / ٣٧ وجاء في اللسان : « والتمتمة : رد الكلام إلى التاء والميم .. ورجل تمتام » اللسان : ١٢ / ٧١ ( تمم ) وكذا في المخصص لابن سيده : ٢ / ١١٨ .

(٣٨) لم أعثر عليها في المعجمات بهذا المعنى .

(٣٩) قال الجاحظ : « ويقال في لسانه عقله ، إذا تعقل عليه الكلام » البيان والتبيين : ١ / ٣٩ .وجاء في متن اللغة ٤ : ١٦٧ « اعتُقل لسانه : امتسك ولم يقدر على الكلام » .

(٤٠) جاء في المخصص ٢ : ١٢٢ « ابن السكيت : في لسانه حبسة أي تحبُّس » .

(٤١) قال الجاحظ : « وإذا تتعتع في الفاء فهو فأفاء » البيان والتبيين : ١ / ٣٧ وكذا في المخصص : ٢ / ١١٨ . واللسان ( فأفأ ) .

(٤٢) رجل أخنُّ أي أغنُّ مسدود الخياشيم .. والخنخنة : أن لايبين الكلام فيخنخن في خياشيمه .

(٤٣) في الأصل : ( والأكن ) وهو تحريف صوابه ماأثبتّه ، يدل على ذلك قوله فيما بعد ( اللكن ) وقد جاء في المخصص ٢ : ١١٨ ـ ١١٩ « والألكن الذي لايقيم العربية من عجمة في لسانه والأنثى لكناء وقد لَكِنَ لَكَناً ولُكْنة ولُكُونة » .

تمّ تبيان الأسماء بعون الله .

**نريد أن نبين من أي العلل يعرض ذلك**

اعلم ياأخي أن هذه تعرض من ثلاثة وجوه :

أحدها : تكون لقوى النفس الناطقة فيزول عن الحال الجاري المجرى الطبيعي .

الثاني : لضعف النفس الناطقة ، فلا تقدر أن تحرك العضل تحريكاً شديداً فيفسد لذلك النطق .

والوجه الثالث : يكون إما لزيادة آلة النطق وإما لنقصانه . فأما علة زيادة العضو المنطقي فتكون من البرد والرطوبة ، أو من الحرارة والرطوبة مع سعة مجاري العضو فتدغم آلة الطبيعة أكثر مما يجب له من المقدار فيغلظ العضو ويكبر ، ويفسد النطق لذلك ، وذلك أنه يسترخي .

وأما نقصان العضو المنطقي فيكون من برد ويبس ، أو من حرٍّ ويبس مفرط ، وتعرض هذه العلة أيضاً من جهة أخرى وهو أن العضو المنطقي يغلظ أكثر من المقدار ، ويصغر ويزيد أكثر من المقدار ، فلا يقدر العضو المنطقي أن يستريح على الأماكن الواجبة للنطق فيفسد لذلك المنطق .

وهذه العلة [ و ][٤٤] التي قبلها واحدة في الزيادة والنقصان ، وذلك

(٤٤) زيادة يقتضيها السياق .

أن العلة الأولى تزيد وتنقص في الطول ، والعلة الثانية تزيـد وتنقص في العرض .

وينبغي لقارئ هذه الرسالة أن يتدبرها بعقله ، فإنه يصح لـه منهـا علم كثير .

تمت رسالة الكندي في اللثغة

والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله .

# القمري وكتابه « غنى ومنى »

وفاء تقي الدين

مازلت مذ سنوات عاكفة على موسوعة ابن سينا الطبية « القانون » أحاول استخراج مافيها من مصطلحات علمية . وقد جعلني عملي هذا آلفُ الطب العربي ومصطلحاته ، وأطلعني على جانب مشرق من جوانب تراثنا العربي لم ينل من الدرس والعناية مانالته العلوم الأخرى كاللغة والتاريخ وغيرهما ، فرغبت في الاطلاع على مزيد من المؤلفات العربية في هذا العلم . وكان أن لفت الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نظري إلى كتاب طب عربي لم ينشر بعد - وهو أهل لهذا - ولم يحظ باهتمام دارسي تاريخ الطب العربي ، وهو كتاب « غنى ومنى » للقمري . فأحببت أن أزيل عنه بعض مانزل به وبمؤلفه من حيف ، وأن أعرف بها ولو في صفحات قلائل .

- ١ -

## المؤلف

**اسمه :**

هو أبو منصور الحسن بن نوح القمري . وجاء اسمه في مخطوط الظاهرية لكتاب « غنى ومنى » ذي الرقم ٧٨٨٣ الحسين بن نوح القمري . وفي كشف الظنون لحاجي خليفة ورد اسمه مرة الحسين ومرة الحسن[1] . وذكر الدكتور سامي حمارنة في فهرست مخطوطات الظاهرية الاسمين

معاً فقال : « الحسين ( ولعله الحسن ) .. »[٢] والأرجح ماذكرته أولاً .

أما نسبته « القمري » فقد ضبطتها المراجع ضبط قلم بضم القاف وسكون الميم . وانفرد الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات بضبطها بفتحها[٣] . والقُمري بالضم نسبة إلى قُمْر وهي بلدة بمصر ، أو موضع وراء بلاد الزنج ، أو هي نسبة إلى مسجد قُمْرية غربي مدينة السلام . أما القَمَري بالتحريك فهي نسبة إلى القَمَر . ولم تذكر المعاجم ولا كتب الأنساب صاحبنا الطبيب في أي من النسبتين[٤] .

**حياته ووفاته :**

عاش هذا الطبيب في بخارى ، ولعله قد ولد فيها في أوائل القرن الرابع الهجري . ترجم له ابن أبي أصيبعة في الباب الحادي عشر من كتابه « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » وهذا الباب هو في طبقات الأطباء الذين ظهروا في بلاد العجم . قال فيه :

« أبو منصور الحسن بن نوح القمريّ : كان سيد وقته وأوحد زمانه ، مشهوراً بالجودة في صناعة الطب ، محمود الطريقة في أعمالها ، فاضلاً في أصولها وفروعها . وكان ـ رحمه الله ـ حسن المعالجة ، جيد المداواة ، متميزاً عند الملوك في زمانه[٥] ، كثيري الاحترام له . وحدثني الشيخ الإمام شمس الدين عبد الحميد بن عيسى الخسروشاهي[٦] أن الشيخ الرئيس ابن سينا كان قد لحق هذا وهو شيخ كبير ، وكان يحضر مجلسه ، ويلازم دروسه ، وانتفع به في صناعة الطب .. »[٧] .

لم يذكر ابن أبي أصيبعة سنة ولادته ولاسنة وفاته ، ولكننا نستنتج من الطبقة التي وضعه فيها بعد أبي بكر الرازي[٨] وقبل ابن سينا أنه

عاش في القرن الرابع الهجري . كما نستطيع أن نحدد تاريخ وفاته بأواخر هذا القرن . لأن ابن سينا المولود سنة ٣٧٥ هـ يقول عن نفسه إنه انتهى من تحصيل العلوم كلها وهو ابن ثماني عشرة سنة[٩] . وقد اختلفت المراجع في تحديد السنة التي توفي فيها القمري ؛ فابن أبي أصيبعة لم يذكر عنها شيئاً كما أسلفنا ، وإسماعيل البغدادي صاحب هدية العارفين ذكر أنها سنة ٣٨٠ هـ[١٠] ، وهي أيضاً عند بروكلمان ٣٨٠ هـ = ٩٩٠ م[١١] ، وعند فؤاد سزكين ٣٩٠ هـ = ٩٩٩ م[١٢] ، وعند سامي حمارنة ٩٩٢ م[١٣] . والغريب أن البغدادي نفسه جعلها ـ في كتابه إيضاح المكنون ـ سنة ٨٥٧ هـ[١٤] وردت هكذا بالأرقام والكلمات ، ولا أشك في أن هذا إنما هو خطأ من المؤلف . والذي أميل إليه هو التاريخ الذي ذكره سزكين أي سنة ٣٩٠ هـ وذلك للسبب الذي ذكرته قبل وهو تتلمذ ابن سينا على القمري .

لقد سخر القمري عمره المديد لخدمة مهنة الطب وللتخفيف من آلام المرضى ، فكان طبيباً معالجاً متخصصاً ، لا حكيماً فيلسوفاً موسوعياً . قد حصر همه في علم الطب لايتعداه إلى غيره من سائر العلوم ، كما يظهر لنا من آثاره الباقية ، وبهذا خالف ماكان شائعاً عند أعلام تراثنا العربي في تلك العصور . ومن هنا يمكننا أن نتلمس أحد أسباب قلة احتفال المؤرخين بالترجمة له في كتبهم ، سواء في ذلك الكتب الموسوعية[١٥] وكتب التراجم[١٦] حتى مااختص منها بتراجم الأطباء[١٧] . ولولا ترجمة ابن أبي أصيبعة له لجهلنا عنه كل شيء ، على الرغم من انتشار كتبه انتشاراً واسعاً ، وبخاصة كتاب « غنى ومنى » كما سنرى فيما بعد .

ولئن بخلت علينا المراجع بالمعلومات عن هـذا الرجل ، إننـا نستطيع أن نستخلص من القليـل الـذي تقلتـه عنـه ، ومن آثـاره البـاقيـة ، ومن طريقته في تأليفها ، أنه كان طبيباً حاذقـاً مجـداً مخلصاً في عملـه ، أحب مهنته ، وسعى جهده إلى اتقانها وتيسيرها للطـالبين ، فـاستقرى من أجل هذا كل ماوصل إليه من الكتب والمؤلفات الطبية ، ماألف منها بالعربيـة وما ترجم إليها ، ولم يكتف بالاطلاع عليها ، بل فهمها ووعـاهـا وتخلهـا وانتقى منها وأضاف إليها ، حتى استقام له منها كتابه الذي نتحدث عنـه والذي شُهد له بالجودة والدقة .

**مؤلفاته :**

أغنى القمري تراثنا الطبي بجملـة من المؤلفـات . ذكرت لـه المصـادر منها : (1) كتاب « الغنى والمنى » وهو الذي سنتحدث عنه بـالتفصيل فيا بعد . (2) كتاب « التنوير في الاصطلاحات الطبية » وهو كتيب لطيف لايزيد عدد أوراقه على ٢٥ ورقة[١٨] ، له عدة نسخ بأسماء مختلفة إحداهـا في مكتبة أحمد الثالث ، وأخرى في مكتبة فـاتح ، وثـالثـة في أيـاصوفيـة بعنـوان « كتـاب التنـوير المعروف بسراج القمري » ورابعـة في مكتبـة تيمور، وخامسة في الموصل بعنوان « مصطلحات الطب »[١٩] وسـادسـة في حيدراباد ، وسابعة وثامنة في لندن ، وتاسعة في طهران بعنوان « رسـالـة في حـدود الأمراض »[٢٠] ، وفي معهـد التراث العلمي العربي بحلب صـورة عن مخطوط في الجمعية الطبية الملكية بلنـدن عنوانـه « أسـامي العلل »[٢١] مؤلف من ١١ ورقة أظنـه نسخـة أخرى من هـذا الكتـاب أو قسماً منـه . (3) كتاب « الشمسية المنصورية » منه نسختـان في القـاهرة ، وثـالثـة في الاسكوريال بعنوان « مقالات في الطب » ورابعة في مكتبة آصف بعنوان

« رسالة طب » وخامسة في الموصل بعنوان « طب القمري » وسادسة في أياصوفية بعنوان « المقالات »[٢٢] ولعل ماذكره البغدادي بعنوان « معالجات القمري » على أنه أحد مؤلفات القمري إنما هو نسخة من هذا الكتاب أيضاً[٢٣] .

وذكر البغدادي من مؤلفات القمري أيضاً (4) « رسالة في أمراض الصدر » و (5) « رسالة في الحميات » و (6) « مجموعة الأدوية المفردة » و (7) « مقالة في الاستسقاء » و (8) « مقالة في البحران »[٢٤] .

أما كتاب (9) « علل العلل » فقد ذكرته المراجع المختلفة نقلاً عن ابن أبي أصيبعة[٢٥] ، والظاهر أنه فقد ، إذ لم يشر أحد إلى أنه رأى نسخة منه . وأظن السبب في فقدان هذا الكتاب أن شهرة صاحبنا قامت على براعته في المعالجة والمداواة ، وعلى كتبه المختصرة الواضحة التي تهتم بالطب من حيث هو ممارسة وعلاج وعمل ، لامن حيث هو نظريات وأفكار وعلل .

- ٢ -

## كتاب « غِنى ومُنى »

قال ابن أبي أصيبعة : « ولأبي منصور الحسن بن نوح القمري من الكتب كتاب غنى ومنى وهو كناش[٢٦] حسن قد استقصى فيه ذكر الأمراض ومداواتها على أفضل مايكون ، ولخص فيه جملاً من أقوال المتعينين[٢٧] في صناعة الطب ، وخصوصاً ماذكره الرازي متفرقاً في كتبه[٢٨] ... » .

**عنوانه :**

لقد عرف هذا الكتاب واشتهر باسم « غنى ومنى » لكن هذا الاسم تعرض للتغيير والتصحيف أحياناً ، ولعل هذا يعود لغرابته وطرافته في عالم الطب ، ففي كشف الظنون سماه حاجي خليفة كتاب « الغنا في الطب »[٢٩] وفي موضع آخر من الكتاب نفسه قال : « المغني في الطب للشيخ الإمام أبي الحسن ... ولأبي منصور الحسن بن نوح القمري جعله ثلاث مقالات ... سماه غنىومنى »[٣٠] !

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللاتينية تحت عنوان « الحياة والموت »[٣١] .

لم تقع بين يدي مخطوطة للكتاب قد ضبط فيها العنوان بالشكل ، ولم أرَ هذا العنوان مشكولاً في مرجع عربي ، بينما أورده كل من بروكلمان وسزكين بالحروف اللاتينية هكذا : AL - Ginâ wa L - munâ أي بكسر الغين من غنى وضم الميم من منى . والذي اتضح لي استئناساً بعنوان الترجمة اللاتينية أن الصواب هو « الغِنى والَمنى » بكسر الغين وفتح الميم .

فالغنى تفيد معنى العيش والإقامة والبقاء ، وهي من « غَنِيَ به أي عاش ، وغني القوم بالدار : أقاموا .. وغني القوم في ديارهم إذا طال مقامهم فيها . قال الله عز وجل « كأن لم يغنوا فيها[٣٢] » أي لم يقيموا فيها .. يقال للشيء إذا فني « كأن لم يغنَ بالأمس[٣٣] » أي كأن لم يكن ... »[٣٤] و « غني بالمكان كرضي : أقام به غِنىً .. وغني أي عاش وبقي ... »[٣٥] .

و « المنى بالياء[٣٦] : القَدَر . قال الشاعر :

دريت ولاأدري منى الحدثان

مناه الله يمنيه : قدّره . ويقال : منى الله لك مايسرُّك أي قدر الله لك

مـــايسرك . والمَنى والمنيّــــة : المــوت لأنــــه قــــدر علينـــا ، وقــــد منى الله لـه المـوت يمني . ومُنِيَ لـه أي قـدر عليـه ... »[٣٧] أمـا المُنى بضم الميم ( ف ) جمع المُنْيـة وهـو مـايتمنى الرجـل »[٣٨] ولا أظن أحـداً يتمنى على الطبيب الموت ! وإذا افترضنا أن المقصود بالمنى بـالضم جمع منيـة أي منى الإنسان بالشفاء والصحة ، فكيف نفسر الترجمة اللاتينيـة ؟ وقـد قـام بهـا من هو أقرب منا إلى الكتاب وصاحبه ، سواء أكان من الأوربيين الـذين كانـوا يطلبـون العلم عنـد العرب وينقلـون المعـارف من كتبهم ، أم من العرب الذين أتقنوا اللاتينية فنقلوا إلى أهلهـا غرر النتـاج العربي في شتى المعارف والعلوم .

إذا اقتنعت مثلي بأن اسم الكتاب « الغِنى والمَنى » واتضح لك معنـاه وجدت فيه من الإيجاز والدقة والجمال مايرهص بما ستجده في الكتاب من حسن ذوق القمري ، وميلـه إلى البلاغـة الحرة غير المقيـدة بقيـود الصنعـة اللفظية ، ومن تواضعه وحسن يقينه ؛ فالحياة مـاهي إلا دار إقـامـة قـد تحلو وتطـول ، والمـوت إنمـا هـو قـدر من الله تعـالى لامفر منـه ، وعمـل الطبيب محصور بين هذا وتلك .

**مخطوطاته :**

لقد أعجب الناس بهذا الكتاب فاستنسخوا منه نسخـاً كثيرة توزعت في أماكن مختلفة واسعة من آسية وافريقية واوروبـة . ذكر بروكلمـان في كتابه ست عشرة نسخة منها معظمها في جامعـات اوروبـة ، وزاد عليهـا سزكين في كتـابـه عشرين نسخـة أخرى كثير منهـا أيضـاً في جـامعـات اوروبة ومتاحفها وفي جـامعـات إيران ؛ فيكون مجموع مـاذكر في هـذين

المرجعين ـ وهما أكثر المراجع استقصاء ـ ستاً وثلاثين نسخة مخطوطة . لكنني أظن الرقم الحقيقي أكبر من هذا بكثير ، بدليل أنه لم يذكر في كلا المرجعين سوى نسخة واحدة من مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق ، وبين يدي الآن صور لثلاث نسخ مخطوطة محفوظة في هذه الدار ، هي المخطوطات ذوات الأرقام : ٧٨٨٣ ، ٧٨٦٤ ، ٧٨٨٩ وهذه الأخيرة هي التي ذكرها سزكين فقط[٣٩] . وفيما يلي دراسة موجزة لكل من هذه النسخ :

المخطوط ذو الرقم ٧٨٨٣ نسخة واضحة الخط أنيقته ، تكرر فيها السقط والخطأ ، لكن ناسخها تلافى الأمر في الحواشي على الغالب ، ويبدو لي أنه ناسخ محترف ، قد اعتنى بنسخها وضبطها . الخط خط نسخ جميل ، والعناوين وأسماء الأطباء مكتوبة بالمداد الأحمر . عدد أوراقها ٣٩٦ ورقة في كل صفحة منها ١٧ سطراً . لم يذكر فيها اسم ناسخها ولا تاريخ النسخ ، وقد اشتمل هذا المخطوط على الكتاب فقط دون زيادة أو نقصان .

المخطوط ذو الرقم ٧٨٦٤ قال عنه الدكتور سامي حمارنة[٤٠] إنه مبتور الأول والآخر ، والذي ظهر لي أن النقص ـ إذا جعلنا همنا كتاب غنى ومنى لا كل ماجاء في المخطوط ـ ينحصر في ورقتين من أول الكتاب فيهما المقدمة وجزء من الفهرست . لم تكتُب هذه النسخةَ من الكتاب يدٌ واحدة فالخط خط نسخ من أولها حتى نهاية الورقة ١٥٨ والعناوين في هذا القسم مكتوبة بخط كبير مميز ، وابتداء من الورقة ١٥٩ يصبح الخط فارسياً أوضح وأجمل من سابقه . والعناوين في هذا القسم مكتوبة بالمداد

الأحمر . هذه النسخة حسنة قليلة الأخطاء على الرغم من صعوبة قراءتها أحياناً .

عدد أوراقها ٢٣٩ ورقة يتم الكتاب في الورقة ٢٢٩ منها ويتراوح عدد الأسطر مابين ١٩ و ٢٢ سطراً في الصفحة وتاريخ نسخها سنة ١٠٤٢ هـ .

أما المخطوط ذو الرقم ٧٨٨٩ فقال عنه الدكتور حمارنة « القسم الأول منه مكتوب بخط نسخ مشكل واضح على ورق شرقي ويختلف نوع الخط بعد الورقة ١٥٨ فيصبح نسخاً فارسياً أنيقاً وأجمل من السابق وأكثر دقة[٤١] » وهذا الكلام إنما يصح على المخطوط السابق - كما أشرت إليه في موضعه - لاعلى هذا المخطوط . العناوين في هذه النسخة مكتوبة بالمداد الأحمر ، وعدد الأوراق ١٩٢ ورقة ، يشغل كتاب « غنى ومنى » ١٨٨ ورقة منها ، أما الأوراق الأربعة الأخيرة فهي من كتاب « الابدال في الأدوية » للرازي[٤٢] .

هذه النسخة - في رأيي - هي أهم النسخ الثلاث وأجودها إذ تحتوي على البابين الأول والثاني من كتاب آخر للقمري هو كتاب « التنوير في الاصطلاحات الطبية »[٤٣] نقل مضمون هذين البابين على شكل حواش وشروح لأسماء الأمراض تواكِبُ ذكرَها في الكتاب الأصل ؛ فمثلاً عندما يمر ذكر ( السرسام ) نجد في الحاشية ( السرسام : ورم في أحد حجابي الدماغ أو فيهما أو في الدماغ نفسه أو فيهما جميعاً ) ، وتنتهي هذه التعريفات في الورقة ١٤٨ قبيل انتهاء المقالة الثانية من كتاب غنى ومنى . نسخَ هذه المخطوطة شمس الدين بن إبراهيم الجيلاني في بلدة المسلمين أسْتَراباذ[٤٤] في ١٣ شوال سنة ٨٨٦ هـ . وهذا التاريخ المتقدم يعطيها مزية أخرى على أخواتها .

**مقدمته :**

يبدأ القمري كتابه بمقدمة وجيزة شغلت ورقة واحدة تقريباً جاء فيها قوله[٤٥] :

« إني لم أزل في صباي ومنذ عقلت أحب العلوم الطبيعية ، وتنازعني نفسي إليها ، وخصوصاً علم الطب ، لما كنت أرى فيه من إراحة الأنفس ، وتخليصها من الآلام ، وإعادتها إلى الصحة بعد السقام ، وإحراز الحظ من الدنيا والآخرة . وأحرص على تتبع الكتب المؤلفة فيه ودراسة الكناشات المصنفة على تقييد الشارد منه ، وتحملني همتي على خدمة من تمسك منه بأدنى علقة فضلاً عن المتبحرين والمبرزين فيه ، حتى أحطت بمكنون خزائنه ، واطلعت على أسراره ودفائنه ، وأدركت منه مارجوت معه الكفاية ، وقدرت به على بلوغ الكمال والغاية ، فأكببت على معالجة المرضى ومداواة أهل العلل ... » .

بهذه اللغة المشرقة الجميلة ، وبهذا الوضوح مع الإيجاز يحدثنا القمري عن حبه لعلم الطب لأنه يوافق في نفسه نزعة إلى إسعاد الناس بإراحتهم من آلامهم ، وعن دأبه في تحصيله بروح العالم المتواضع ، والمتعلم الدائب ، والممارس المجرب . ولم يدّع بعد ذلك أنه أتى بما لم يأت به غيره ، بل وضح بهدوء وتواضع هدفه من تأليف هذا الكتاب ، وبين كذلك منهجه فيه فقال :

« وكنت كثيراً ماأحتاج فيه ( أي في علم الطب ) إلى دراسة الكتب ، وتتبع مافيها من النكت والنتف ، فكان يعتاص علي ذلك ، لاحتياجي إلى النظر في كتب شتى ، وتصفح كُنّاشات متفرقة ، فأحببت

أن أستخرج من جميعها ـ لنفسي وليكون ذخراً للمسلمين بعدي ـ علاجات على سبيل اختصار ، يشتمل على معاني أكثر أقاويل الأطباء المتقدمين والمتأخرين في العلاج خاصة . فإني لاأسمي كل واحد منهم عند ذكر فصل من فصوله ، بل أسمي الواحد فالواحد منهم إذا عرضت نكتة أو حكاية فأضيفها إليه عند ذلك . وأضم إليه أيضاً ماقد جربته وصح عندي ، ليسهل لي نقل هذا الكتاب الصغير الحجم العظيم النفع حيث انتقلت » .

إنه الطبيب المتأني المدقق ، يعود إلى مراجعه بين وقت وآخر ، ليبحث عن كل نكتة أو تتفة يمكن أن يفيد منها مايعود على مرضاه بالخير والشفاء .. وهو في الوقت نفسه يحس بوجود ثقافة طبية عامة قد أصبحت ملكاً لكل طبيب ، وأساساً في كل علاج ، وقد وقرت صحتها وجدواها في نفوس الجميع ، فلا حاجة به إذاً إلى أن يذكر أسماء الأطباء عند كل فصل من فصولهم ، ويجزئه عن ذلك أن يعزو إلى كل منهم ماتفرد به ، أو بعبارة أخرى ماأضافه إلى معلومات الطب المتحصلة قبله . والقمري نفسه يؤدي دوره حلقةً في هذه السلسلة المتصلة ، فيضيف ماصح عنده من نتائج تجاربه ومعالجاته ، وسنرى أنه التزم فعلاً بهذه الخطة في كل أبواب الكتاب .

والقمري حريص على أن يكون كناشه مرجعاً سهلاً قريب المتناول فهاهو ذا يقول :

« ... وأن أجعله ثلاث مقالات وأقيد أبوابها بحروف الجُمّل[٤٦] ليتناول المرتاد بغيته عن كثب ، ولايحتاج فيه إلى تكلف طلب ، فيلحقه فترة الملال ، وترهقه وصمة الكلال » .

هكذا يظهر لنا أبو منصور معلماً منظماً حانياً رفيقاً بطلاب هذا العلم يشق لهم إليه طريقاً لاحباً ، ويركز على جانبيه من الصوى مايكفل لهم ألا يُقطعوا دون غايتهم .. فلا عجب أن يكون ابن سينا وهو العلم المشهور في الطب ملازماً لدروسه وأن ينتفع به في صناعة الطب[٤٧] .

وأخيراً يختم القمري مقدمته بقوله :

« وأنا أسأل من ظفر بكتابي هذا ألا يبخل علي بالدعاء الجميل لي في أوقات فراغه ، ويعلم أني لم أبخل عليه في هذا الباب ، ولا ادخرت عنه نصحاً . وبالله أستعين على مانويته وقدرته . إن العون والتوفيق من عنده ، والحول والقوة في يده » .

**مقالات الكتاب وأبوابه :**

بعد المقدمة يذكر أبو منصور القمري أغراض مقالات الكتاب أي الفهرست فنرى أنه قسم كتابه إلى ثلاث مقالات :

المقالة الأولى في الأمراض الحادثة من الفرق إلى القدم . وتقع في مئة وعشرين باباً يبدؤها بأمراض الرأس كالصداع والشقيقة وغيرهما ، فأمراض العين ، فأمراض الأذن ، فالأنف فالفم وهكذا ... وبعض هذه الأبواب يشغل أقل من صفحة مثل باب « النتن في الأنف » وبعضها الآخر مفصل يشغل أكثر من اثنتي عشرة صفحة مثل « النقرس » ، وهذه المقالة بأبوابها الكثيرة تشغل أكثر من ثلثي الكتاب[٤٨] .

المقالة الثانية في العلل الظاهرة وتقع في ثلاثة وأربعين باباً[٤٩] ، وهي تكاد تقابل مانسميه الآن بالأمراض الجلدية ، فمن أبوابها : الحزاز

والسعفة ، وداء الثعلب والحية ، والكلف ، والبرص ، والجذام ، والجرب ، والشرى ، والدماميل ، والقروح ...

والمقالة الثالثة في الحميات وتقع في سبعة وعشرين باباً[٥٠] يذكر فيها الحميات بأنواعها فالعلامات ثم البول والنجو والنبض . وأخيراً يخصص باباً لنكت من كلام محمد بن زكريا الرازي .

إن تقسيم الكتاب على هذا النحو ليدعو إلى الإعجاب ، لما نجد فيه من حسن التنظيم ، ومن الوعي لأنواع الأمراض وفئاتها : فنحن نلاحظ أنه فصل الأمراض الجلدية عن غيرها ولم يذكرها مع الأمراض السابقة موزعة على أعضاء الجسم خلافاً لمن سبقه من المؤلفين . فالرازي مثلاً ـ وهو الذي أكثر المؤلف من النقل عنه والاعتزاز بآرائه ـ قد ذكر في كناشه « الفاخر » داء الثعلب وداء الحية ، وكلاهما تمرط الشعر ، في أمراض الرأس . ولهذا استغربت حكم الدكتور سامي حداد حين يتحدث عن كناش القمري بقوله « وهو كما سبقه من الكتب مجموع من أقوال المتقدمين كأبقراط وجالينوس وماسرجويه ... والرازي .. وغيرهم . ولم نجد فيه مايميزه عما سبقه »[٥١] بلى ! إن هذا العرض الحسن ، والتبويب السديد ، والدقة في الشرح ، والأمانة في النقل ، إن كل هذا يميزه من غيره من الكناشات . ويمكننا أن نلمح وعيه لفئات الأمراض والأعراض في المقالة الثالثة أيضاً ، حيث نلاحظ أن كل أبوابها ـ إذا استثنينا باب الجدري والحصبة ـ إنما هي في الأعراض والدلائل التي يستعين بها الطبيب في تشخيص الأمراض ومعرفة تطورها كالحميات والنبض والبول و ... وقد ذكر الحميات مقرونة بالأعراض كما نلاحظ ، مع أنها كانت تعتبر

آنذاك أمراضاً قائمة بذاتها ، فلعل الأطباء العرب كانوا منذ ذلك الوقت مترددين في أمرها .

**مادة الكتاب :**

إذا تجاوزنا ترتيب الكتاب إلى مادته لاحظنا فيها الوضوح مع الاختصار والشمول مع التركيز ، ففي باب الرعشة يقول :

« الرعشة : يكون من ضعف القوة الحاملة للعضو . ويحدث ضعف هذه القوة إما من آلام النفس مثل الفزع أو الغضب ، وإما من آلام البدن مثل سوء المزاج البارد الحادث في المشايخ » .

ويفرق بين الأعراض المتقاربة والأمراض المتشابهة فيقول مثلاً :

« التشنج هو انجذاب العضو وتقلصه إلى أصله . أما الخدر فإنه من جنس الفالج وعلاجهما واحد » .

وأشير هنا إلى أنه لم يذكر في أبواب الكتاب من التعريفات إلا ما تمس الحاجة إليه . لأنه خصص كتابه التنوير للتعريفات والحدود ، وهو إذا أورد تعريفاً كان شديد الاختصار ينتقل سريعاً منه إلى سائر حديثه عن المرض كشرح أسبابه أو أعراضه ... مثال ذلك :

« القولنج : معنى القولنج احتباس الطبيعة وله أسباب كثيرة ... »

« القلاع : قروح حارة يحدث في سطح جلدة الفم ، وأكثر مايحدث ذلك في الصبيان إذا كان لبن الظئر رديئاً لزجاً ولم يتعهد غسل فمه وإذا لم ينهضم اللبن جيداً وهي سريعة البرء » .

ومن عادة القمري أن يذكر في كل داء أنواعه فأسبابه فعلاماته فعلاجاته بشكل منظم واضح ؛ يبدأ بذكر العام المعروف عند جل

الأطباء ، ثم يذكر الخاص ناقلاً عمن سبقه من الأطباء ماامتازوا به من نكت ونتف ونصائح وملاحظات . وقد تبينت أنه يبدأ بذكر أطباء اليونان وغيرهم من القدامى ثم يذكر أطباء العرب ؛ مَنْ سبقه فالمعاصرين له مراعياً الترتيب الزمني على الغالب . وقد نقل عن كثير من الأطباء عددت منهم أكثر من ثلاثين طبيباً بعضهم من ذوي الشهرة الواسعة كأبقراط وجالينوس واهرن وبولس وارسطاطاليس وروفس وشرك الهندي وثابت وحنين وبختيشوع واليهودي وابن ماسويه والرازي والكندي ... وبعضهم لم يكن من المعروفين المشهورين في ميدان الطب مثل محمد بن علي الريوندي[٥٢] ... وقد أكثر المؤلف من النقل عن الرازي وبدا معجباً به أيما إعجاب حتى إنه وقف آخر أبواب كتابه على نقل مقتطفات من كلام الرازي ، كما أشرت إلى ذلك سابقاً . وأبو منصور القمري بطريقته هذه في النقل يكشف عن أمانة علمية مع وعي ثقافي ؛ فهو يورد المعلومات العامة التي هي ثقافة العصر الطبية غفلاً ، ثم يعزو إلى كل طبيب ماكتشفه أو أثبته أو جربه أو كان السباق إليه ، وبذلك تزداد أهمية الكناش لدراسة تاريخ الطب العربي خاصة وتاريخ الطب عامة إذ يعرفنا بكل من كان له دور في تطوير الطب وتحسين طرق العلاج . كما يقدم لنا بين باب وآخر فوائد قيمة استنبطها من معاناته الطويلة لهذه المهنة وتجاربه الكثيرة على المرضى ومن أمثلة ذلك :

« قال أبو منصور : رأيت فتى كان إذا جاع ، وخلا بطنه ، ركبته حمى لينة ، فإذا اغتذى زالت الحمى . فعلمت أن في معدته صفراء وأن جوفه إذا خلا تحركت تلك الصفراء فنفذ منها البخار إلى العروق .

فسقيته ماء الفواكه ، فأقامه عدة مجالس[٥٣] ، فزال عنه ذلك العارض ... » .

وفي باب آخر :

« قال أبو منصور : سقيت أنا امرأة حبلى بعدما دخلت في التاسع كل يوم على الريق وزن ثلاثة دراهم دهن اللوز وحميتها الأغذية الغليظة والحريفة والحامضة والقابضة ، وجعلت طعامها لينا دسماً ، فولدت من حينها ، من غير أن تجد من الطلق إلا مالا يبالى به ، وذكرت القوابل أنه لاعهد لهن بمثله ، وأن الجنين كان من النظافة في الغاية . والله أعلم » .

ويؤكد القمري على ضرورة تدرج العلاج بحسب طبيعة المرض ثم اتباع العلاج بالدواء العلاجَ بالدلك والتمريخ[٥٤] أو مانسميه الآن المعالجة الفيزيائية ، فنقرأ في علاج الفالج مثلاً :

« قال أبو منصور : ولا ينبغي أن يستعمل الإسهال بالأدوية القوية إلى أربعة أيام فإن كانت العلة ضعيفة فإلى سبعة أيام لأن المسهل القوي يزيد في العلة .... ويسقى بعد الأسبوع الثالث إيارج جالينوس واللوغاذيا والتياذريطوس[٥٥] وإذا دبرت هذا التدبير أياماً فعالجه بتمريخ الأعضاء العليلة وفقار العنق والظهر بدهن القسط بعد التكميد[٥٦] بـ ... فإن كره التكميد دلكت الأعضاء العليلة والفقار بخرقة خشنة حتى يحمر ثم يمرخ بالدهن ... الخ » .

والقمري كأي طبيب متمرس يعرف أن التخلص الكامل من بعض الأمراض أمر مستحيل ولكن هذا لايثني عزيمته عن معالجتها ومحاولة

التخفيف عن مريضه بأية طريقة ممكنة يتقبلها المريض وفيما يلي مثـالان على ذلك ؛ الأول في أمراض العين .

« الغرب : إنمـا يحـدث الغرب وهو النـاصور[٥٧] في العين بعـد قرحـة يكون فيها فتبرأ وتمام علاجه بالكي ، ولكن له علاج إذا عولج بـه أبطلـه أشهراً حتى يكـون كالصحيـح ثم يعـاود ثم يعـالـج كـذلـك يـداوى مـدى العمر » .

والآخر في أمراض الرأس : البيضة والشقيقة :

« وقد يعتق الصداع في بعض الناس فيهيج بالنوبـة ويسمى البيضـة فإذا هاج لم يطق صاحبه الصبر ، ولم يقدر أن يبصر الضوء ، واستراح إلى الوحدة والظلمـة ، ويظن كأن رأسـه يطرق بـالمطرقـة وكأن الوجع يصل إلى قعر العينين ... وهذا الصداع لايكاد يبرأ ولكن يعـالج على كل حـال بأن ... » .

وبما أن هدف القمري من تـأليف هـذا الكتـاب أن يُستغنى بـه عمـا سواه ، فقد التزم أن يذكر باختصار طريقة صنع الدواء المركب عند ذكر الحاجة إلى استعمالـه إلا مـاكان مبـذولاً في كل مكان وكان مع ذلـك قليل الاستعمال .

وأخيراً يختم القمري كتابه بقوله :

« قد وفيت إلى هذا المكان من الكتاب بما كنت ضمنتـه في صـدره ، وجعلت على نفسي فيما أظن . إلا أن الذي بقي أكثر من الذي أتيت به ، وفيما أتيت بـه بـلاغ وكفـايـة في بـاب العـلاج والمـداواة ، لأني قـد أتيت

بأصولها التي عليها المدار ، وإليها المرجع . ولم أذكر في هذا الكتاب دواء مركباً من معجون أوحب أو قرص أو غيرها مما يحتاج إليه في العلاج إلا وقد أتيت بنسخته فيه ، إلا الترياق الكبير[٥٨] والشليثا[٥٩] فقط إذ كان يوجد ذلك في كل مكان ، وكانت الحاجة مع ذلك إليهما تقل . وفيما أتيت به من تلك النسخ غنية عن الرجوع إلى القرافاذينات[٦٠] . ولله الذي ألهمني هذا العلم وهداني إليه ووفقني له الحمد والمنة » .

ماأقل الكتب التي يفي مؤلفها بما يعدنا به في بدايتها . أما أبو منصور فقد كان عند قوله مادة ومنهجاً . ومـاأحسن أن ينشر هذا الكتاب ليحتل مكانه في تراثنا العربي الخالد .

## التعليقات والحواشي

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون مج ٢ : ١٢١٠ ، ١٧٥٠ .

(٢) فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ـ الطب والصيدلة : ٢٤٢ ، ٢٤٦ .

(٣) الوافي بالوفيات ١٢ : ٢٨٣ ط . فيسبادن ورأيته مضبوطاً هكذا أيضاً في نسخته المخطوطة نسخة أحمد الثالث . وأشير هنا إلى أن الصفدي لم يذكر سنة وفاته مع أن كتابه مؤلف لهذه الغاية .

(٤) انظر في ذلك تاج العروس للزبيدي ( قمر ) ، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ٧ : ١٥٩ ( قُمْر ) ، والأنساب للسمعاني ١٠ : ٢٢٤ ـ ٢٢٦ ، واللباب لابن الأثير ٣ : ٥٤ ، والإكمال لابن ماكولا ٦ : ٣٦٦ ، وتبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر : ١١٧٦ .

(٥) خدم ملوك السامانيين . ويبدو أنه ألف كتابه الشمسية المنصورية لمنصور بن نوح الساماني الذي ولي أمر خراسان وما وراء النهر من سنة ٣٥٠ إلى ٣٦٦ هـ وكانت بخارى عاصمة له . انظر بروكلمان ١ : ٢٣٩ والكامل لابن الأثير : ٨ : ٥٣٥ ، ٦٧٣ ومعجم الانساب والاسرات الحاكمة لزامباور ٢ : ٣٠٦ .

(٦) عبد الحميد بن عيسى الخسروشاهي من خسروشاه وهي قرية قرب تبريز ، حكيم طبيب أتقن العلوم الشرعية ، وهو من أجل تلامذة الإمام فخر الدين ابن خطيب الري . اتصل بالسلطان الناصر صلاح الدين وأقام عنده بالكرك وكان عظيم المنزلة عنده ثم توجه إلى دمشق وأقام بها إلى أن توفي سنة ٦٥٢ هـ ودفن بجبل قاسيون . لقيه ابن أبي أصيبعة وأعجب به . انظر ترجمته في عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ٢ : ١٧٣ ـ ١٧٤ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٥ : ١٠٣ وغيرهما .

(٧) عيون الأنباء ١ : ٣٢٧ .

(٨) أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب المشهور ، اختُلِف في تحديد سنة وفاته فهي سنة ٣١٠ في مرآة الجنان لليافعي ٢ : ٢٦٣ ـ ٢٦٤ ، وبعد سنة ٣١٠ في التنبيه والإشراف للمسعودي : ١٦٢ ، وسنة ٣١١ في وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ : ١٠٣ وشذرات الذهب لابن العماد ٢ : ٢٦٣ والبداية والنهاية لابن كثير ١١ : ١٤٩ والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٣ : ٢٠٩ ونكت الهميان للصفدي : ٢٥٠ وهدية العارفين لاسماعيل البغدادي ٢ : ٢٧ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ١٠ : ٦ . وقال القاضي أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي عندما ترجم له ( طبقات الامم : ٥٣ ) : « وتوفي قريباً من سنة عشرين وثلاث مئة » ، وجاء في أخبار الحكماء للقفطي ص ٢٧٢ عند الحديث عنه : « .. وتوفي قريباً من سنة عشرين وثلاثمئة هذا قول القاضي صاعد بن حسن ( لعل الصواب :ابن أحمد ) الأندلسي وذكر ابن شيران ( لعل الصواب : ابن بشران ) في تأريخه أنه توفي سنة أربع وستين وثلاثمئة ... » وفي عيون الأنباء ١ : ٣١٤ « .. وقال أبو الخير الحسن بن سوار بن بابا وكان قريب العهد منه إن الرازي توفي في سنة نيف وتسعين ومئتين أو ثلاثمئة وكسر قال : والشك مني ، ونقلت من خط بالمظفر بن معرف أن الرازي توفي في سنة عشرين وثلاثمئة ، وقال عبيد الله بن جبريل كان أبو بكر محمد بن زكريا الرازي له المنزلة الجليلة بالري وسائر بلاد الجبل ، قال وعاش إلى أن لحقه ابن العميد أستاذ الصاحب بن عباد وهو كان سبب إظهار كتابه المعروف بالحاوي ... » .

وأدق من كل ماذُكر ماتقله بروكلمان في تاريخ الأدب العربي : الذيل ١ : ٤١٧ وفؤاد السيد في تعليقاته على طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل : ٧٧ من رسالة للبيروني في فهرست كتب الرازي من أن هذا الأخير قد توفي في ٥ شعبان سنة ٣١٣ هـ = ٢٥ اكتوبر سنة ٩٢٥ م . نشر رسالة البيروني المذكورة بول كراوس سنة ١٩٣٦ م .

(٩) انظر ترجمته التي رواها عنه تلميذه أبو عبيد الجوزجاني في تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي : ٥٢ ـ ٥٧ ، وعيون الأنباء ٢ : ٢ ـ ٢٠ وغيرهما . وقد طبعت هذه الترجمة مستقلة بدمشق سنة ١٩٨٢ م . بتحقيق الأستاذين فريد جحا ومحمد الفاخوري .

(١٠) هدية العارفين ١ : ٢٧٢ .

(١١) بروكلمان ١ : ٢٣٩ والذيل ١ : ٤٢٤ ( الترجمة العربية ٤ : ٢٩٩ ـ ٣٠٠ ) .

(١٢) سزكين ٣ : ٣١٩ .

(١٣) فهرس مخطوطات الظاهرية ٢٤٢ .

(١٤) إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ٢ : ٥٦ ـ ٥٧ .

(١٥) من الموسوعات التي لم أجد فيها ترجمة للقمري :

| | |
|---|---|
| الموسوعة الإسلامية | Encyclopédie de l' Islam Brill 1913 - 1934 |
| موسوعة لاروس الكبرى | La grande encyclopédie , Larousse |
| الموسوعة الشاملة | Encyclopædia universalis Paris 1970 - 1975 |
| الموسوعة العالمية | Encyclopedia international. New york |
| الموسوعة البريطانية الحديثة | The new Encyclopædia Britanica in 30 volumes . Macropædia . |

(١٦) من هذه الكتب التي لم أجد فيها ترجمة للقمري : الأعلام للزركلي ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، والإكمال لابن ماكولا ، وتكملة إكمال الإكمال لابن الصابوني ، وطبقات الأمم لصاعد الأندلسي ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ، وشذرات الذهب لابن العماد ، وكذلك معجم البلدان لياقوت الحموي في : ( قُمْر ) و ( بخارى ) .

(١٧) من هذه الكتب التي لم أجد فيها ترجمة للقمري : طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل ، وتاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ، وإخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي .

(١٨) تجد بحثاً عنه للدكتور نشأة حمارنة في مقالة له بعنوان المعجمات الطبية . مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق مج ٦٠ ج١ : ١١٨ ـ ١٢٣ .

(١٩) بروكلمان ، الذيل ١ : ٤٢٥ .

(٢٠) سزكين ٣ : ٣١٩ .

(٢١) فهرس المخطوطات المصورة في مكتبة معهد التراث العلمي بحلب ص : ٢٤٩ .

(٢٢) انظر بروكلمان ، الذيل ١ : ٤٢٥ وسزكين ٣ : ٣١٩ .

(٢٣) هدية العارفين ١ : ٢٧٢ .

(٢٤) هدية العارفين ١ : ٢٧٢ .

(٢٥) عيون الأنباء ١ : ٣٢٧ .

(٢٦) الكُنّاش مصطلح كثر استعماله في مجال الطب بمعنى الكتاب الموجز الذي يحوي معلومات وفوائد يحتاجها الطبيب في عمله . جاء في تاج العروس ( كنش ) : « والكناشات بالضم والشدّ : الأصول التي تتشعب منها الفروع نقله الصاغاني عن ابن عباد . قلت ومنه الكناشة لأوراق تجعل كالدفتر يقيد فيها الفوائد والشوارد للضبط هكذا يستعمله المغاربة واستعمله شيخنا في حاشيته على هذا الكتاب كثيراً وأكنشه عن الأمر أعجله نقله الصاغاني عن ابن عباد » . ويقال إن أصل التعبير سرياني فقد « جرت العادة عند الأطباء السريان أن يقوم كل واحد منهم بوضع كتيب يكون بمثابة دفتر مذكرات خاص به يذكر فيه أسماء الأمراض التي تصيب جسم الإنسان من الرأس إلى القدم وإلى جانب كل مرض يذكر أسماء الأدوية المفردة والمركبة الناجعة فيه ... وهكذا أصبح الكناش كتاب الأطباء ... » أقرباذين القلانسي ، مقدمة الدكتور زهير البابا ص : ٥ وانظر طبقات الأمم ص ٦١ تعليق رقم ٦ ، ومقالة الدكتور نشأة حمارنة : مقدمة حول طب العيون العربي ، مجلة التراث العربي العدد ١٧ : ص ١٨١ التعليق رقم ٢١ ومحيط المحيط ( كناش ) .

(٢٧) الظاهر من السياق أنه يريد بالمتعينين في صناعة الطب المبرزين المتخصصين فيها جاء في اللسان ( عين ) : « تخصيص الشيء تعيينه » وفي مستدرك التاج ( عين ) : « تعيين الشيء تخصيصه من الجملة » .

(٢٨) عيون الأنباء ١ : ٣٢٧ .

(٢٩) كشف الظنون ٢ : ١٢١٠ حيث قال « الغنا في الطب مجلد للحكيم أبي منصور حسين بن نوح القمري رتب على ثلاث مقالات : الأولى في الأمراض الحادة ، الثانية في العلل الظاهرة ، الثالثة في الحيات » .

(٣٠) كشف الظنون ٢ : ١٧٥٠ .

(٣١) بروكلمان ١ : ٢٣٩ وكذلك الفهرس لحمارنة ص ٢٤٢ نقلاً عن ويستنفيلد الذي يقول إنه ترجم إلى اللاتينية تحت العنوان : Liber vitae et mortis وانظر لوكلير : تاريخ الطب عند العرب ( بالفرنسية ) ١ : ٣٨٥ .

(٣٢) سورة الأعراف : ٩٢ وتمام الآية « الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها ، الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين » وانظر كذلك سورة هود : ٦٨ و ٩٥ .

(٣٣) سورة يونس : ٢٤ .

(٣٤) لسان العرب ( غني ) .

(٣٥) تاج العروس ( غني ) .

(٣٦) المقصود بقولهم ( بالياء ) أنها ترسم بالألف المقصورة ـ حسب اصطلاحنا المعاصر ـ أي ياء غير منقوطة .

(٣٧) لسان العرب ( مني ) .

(٣٨) لسان العرب ( مني ) .

(٣٩) سزكين ٣ : ٣١٩ .

(٤٠) فهرس مخطوطات الظاهرية : ٢٤٣ .

(٤١) فهرس مخطوطات الظاهرية : ٢٤٤ .

(٤٢) يقول الدكتور سامي حمارنة إن هذه الأوراق هي كل ماوجده من مؤلفات الرازي الطبية في دار الكتب الظاهرية . الفهرس : ٢٤٥ ـ ٢٤٦ .

(٤٣) ينقسم كتاب التنوير إلى عشرة أبواب : الأول منها في أسامي العلل الحادثة من الفرق إلى القدم ، والثاني في أسامي العلل الحادثة في سطح البدن . المعجمات الطبية : ١١٩ .

(٤٤) نقلها د . سامي حمارنة في الفهرس : استرابـال وأظن الصواب مـاأثبتـه و « أَسْتَرَاباذ بالفتح ثم السكون وفتح التاء المثناة من فوق وراء وألف وباء موحدة وألف وذال معجمة بلدة كبيرة مشهورة أخرجت خلقاً من أهل العلم في كل فن ، وهي من أعمال طبرستان بين سارية وجرجان ... » معجم البلدان ١ : ٢٤٤ .

(٤٥) اعتمدت في كل مانقلته من الكتاب في هذه الدراسة على نص نسخة الظاهرية رقم : ٧٨٨٣ .

(٤٦) « الجُمَّل : ... حساب الحروف الهجائية المجموعة في أبجد ومايليها يبتدئ من الهمزة إلى الطاء بالآحاد وهي من الواحد إلى التسعة ، ومن الياء إلى الصاد بالعشرات وهي من العشرة إلى التسعين ، ومن القاف إلى الغين المعجمة بالمئات وهي من المئة إلى الألف . ويقال له حساب الأبجدية وعليه تبنى التواريخ الشعرية التي يراد بها بيان وقوع الحادثة في أية سنة من تاريخ الهجرة أو غيرها ، فيؤتى بكلمات تنطبق الأعداد المفروضة لحروفها على أعداد سنوات هذا التاريخ .. » محيط المحيط لبطرس البستاني ( جمل ) وانظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ١ : ٢٥٣ والكليات للكفوي ٢ : ١٧٤ وتاج العروس واللسان ( جمل ) وفيها : « قال ابن دريد لا أحسبه عربياً » .

(٤٧) عيون الأنباء ١ : ٣٢٧ .

(٤٨) أي من الورقة ٣ إلى الورقة ٢٧٦ .

(٤٩) من الورقة ٢٧٦ إلى الورقة ٣٢٤ .

(٥٠) من الورقة ٣٢٩ إلى الورقة ٣٩٦ .

(٥١) مآثر العرب في العلوم الطبيعية . مقالة للدكتور سامي حداد . مجلة العروة عدد كانون الأول سنة ١٩٣٦ م . ص : ٥٢ .

(٥٢) وقع التصحيف في بعض الأسماء مثل : علي بن ربن الطبري فقد كتب اسمه غالباً في جميع نسخ الظاهرية : علي بن زين بالزاي والياء المثناة والصواب رَبَّن بالراء والباء الموحدة المشددة ، والرَبَّن هو المقدم في شريعة اليهود . انظر عيون الأنباء ١ : ٣٠٨ ـ ٣٠٩ وتاج العروس ( ربن ) .

(٥٣) أقامه عدة مجالس أي أسهله ، والمجلس « كناية عن القومة الواحدة للبراز » مفيد العلوم : ٨٢ .

(٥٤) « المَرْخ هو من اللغة الدهن يقال مرخته ومرَّخته بتخفيف الراء وتشديدها وتَمَرَّخ هو أي تدهَّن وفي استعمال الأطباء لهذا اللفظ معنى زائد عليه وهو ضغط يسير لايبلغ أن يسمى دلكاً ، وإذا لم يريدوا هذا المعنى الزائد قالوا : دهنته » مفيد العلوم : ٧٨ وانظر اللسان والتاج ( مرخ ) .

(٥٥) الإيارج : اسم للدواء المركَّب المسهل إسهالاً خفيفاً مصلحاً . والكلمة يونانية تفسيرها الدواء الإلهي ، وأنواع الإيارجات كثيرة وكلها أدوية تمزج مزجاً ولاترفع على النار ، وقد تسمى باسم الطبيب الذي صنعها مثل : جالينوس ولوغاذيا ، أو باسم من صُنِعَت له مثل ثياذريطوس الملك اليوناني . القانون ٣ : ٣٤٠ ، وتذكرة داود الأنطاكي ١ : ٦١ ـ ٦٢ ، ٩٨ ، وأقرباذين القلانسي : ٥٢ .

(٥٦) « التكميد والإكماد والكماد : وضع الدواء اليابس المسخن أو الخرق المسخنة على العضو الألِم .. » مفيد العلوم : ٢٤ وانظر اللسان والتاج ( كمد ) .

(٥٧) « ناصور بالصاد ويقال بالسين عربيتان وهو القرحة الفاسدة الباطن التي لاتقبل البرء مادام فيها ذلك الفساد حيثما كانت من البدن » مفيد العلوم : ٨٦ .

وفي تعريف الثعالبي للغرب « ... هو عند الأطباء أن ترشح مآقي العين فيسيل منها إذا غمزت صديد وهو الناصور أيضاً » فقه اللغة : ١٠٠ .

وفي اللسان والتاج ( نسر ) « الناسور بالسين والصاد جيمعاً علة تحدث في المآقي تسقي فلا تنقطع ... وهو معرّب .. » .

(٥٨) الترياق بالكسر ويقال بالدال أيضاً : هو كل دواء مركب يقاوم السموم . والكبير منه هو ترياق الأفاعي الذي يدخل في تركيبه لحم الأفاعي . مفيد العلوم : ٢٥ أقرباذين القلانسي : ٤٨ وتذكرة داود الأنطاكي ١ : ٨٨ ـ ٩١ .

واللفظة يونانية مشتقة من تريوق على رأي القلانسي ، أو هي فارسية معربة كما في اللسان والتاج ( ترق ) « وزعم الأزهري أن الترياق اسم تِفعال سمي بالريق لما فيه من ريق

الحيات » انظر اللسان والتاج ( ريق ) .

(٥٩) الشليثا : دواء مركب معجون . ذكر القلانسي أنه رأى في بعض الكتب الطبية أنه يسمى الإلهية لأن الشليثا بلسان اليونانيين هبة الله تعالى . أقرباذين القلانسي : ٥٠ .

(٦٠) ويقال الأقرباذينات والقراباذينات وهي « كلمة يونانية الأصل انتقلت إلى اللغة العربية عن طريق السريانية في صدر الدولة العباسية ويقصد بها الكتاب الذي نطلق عليه في الوقت الحاضر اسم دستور الأدوية Phrmacopée أو كتاب الصيغ الدوائية Formulaire ويضم كلا الكتابين الأدوية المركبة إلا أن الكتاب الأول يمتاز بوجود طرق تحضير العقاقير والأدوية المركبة مع طرق فحصها ومعايرتها وحفظها ومقاديرها الدوائية » أقرباذين القلانسي . مقدمة د . زهير البابا ص ٥ ، وانظر جامع العلوم للأحمد نكَري ٣ : ٦٦ ودائرة معارف القرن ١٤ ـ العشرين لمحمد فريد وجدي مج ١ : ٤٣٢ .

# أهم المراجع والمصادر

## ١ ـ المخطوطة


ـ كتاب غنى ومنى تأليف أبي منصور الحسن بن نوح القمري نسخة الظاهرية رقم ٧٨٨٣

ـ كتاب غنى ومنى تأليف أبي منصور الحسن بن نوح القمري نسخة الظاهرية رقم ٧٨٨٩

ـ كتاب غنى ومنى تأليف أبي منصور الحسن بن نوح القمري نسخة الظاهرية رقم ٧٨٦٤

ـ الوافي بالوفيات تأليف صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي نسخة أحمد الثالث . من مصورات مجمع اللغة العربية بدمشق .


## ٢ ـ المطبوعة بالعربية


ـ إخبار العلماء بأخبار الحكماء تأليف أبي الحسن علي بن يوسف القفطي ط . ليبسك سنة ١٣٢٠ .

ـ أقرباذين القلانسي تأليف بدر الدين محمد بن بهرام القلانسي السمرقندي . تحقيق د . محمد زهير البابا . معهد التراث العلمي العربي بحلب سنة ١٤٠٣ هـ = ١٩٨٣ م .

ـ الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب تأليف الأمير الحافظ ابن ماكولا ، تصحيح عبد الرحمن بن يحيى المعلمي . بيروت .

ـ الأنساب تأليف عبد الكريم بن محمد السمعاني ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ـ بيروت .

ـ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، تأليف إسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي . ط . وكالة المعارف ١٩٤٥ ـ ١٣٦٤ .
ـ البداية والنهاية ، تأليف اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي . ط ١ ، ١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م .
ـ تاج العروس من جواهر القاموس تأليف محمد مرتضى الزبيدي ط ١ .
ـ تاريخ حكماء الإسلام ، تأليف ظهير الدين البيهقي ، تحقيق محمد كرد علي . ط . المجمع العلمي العربي .
ـ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، تأليف أحمد بن علي بن حجر ، تحقيق محمد علي البجاوي . ط مصر .
ـ التنبيه والإشراف ، تأليف علي بن الحسين المسعودي . ط . ليدن ، بريل ١٨٩٣ م .
ـ جامع العلوم في اصطلاحات العلوم والفنون تأليف عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري ط . حيدر آباد الدكن .
ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تأليف عبد الحي بن العماد الحنبلي . ط . القاهرة ١٣٥٠ هـ .
ـ طبقات الأطباء والحكماء ، تأليف سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل ، تحقيق فؤاد السيد . ط . المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٥٥ م .
ـ طبقات الأمم ، تأليف القاضي صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي ، تحقيق لويس شيخو ط . المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ـ بيروت ١٩١٢ م .
ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تأليف أحمد بن القاسم بن خليفة المعروف بابن أبي أصيبعة . ط . ١٢٩٩ هـ .
ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، الطب والصيدلة ، وضعه د . سامي خلف حمارنة . ط . مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م .
ـ القانون في الطب ، تأليف الحسين بن عبد الله بن سينا طبعة مصورة بالأوفست عن طبعة بولاق .
ـ الكامل في التاريخ ، تأليف عز الدين بن الأثير ط . دار صادر بيروت ١٩٦٦ م .
ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تأليف مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة . ط . وكالة المعارف ١٩٤١ م ـ ١٣٦٠ هـ .
ـ كشاف اصطلاحات الفنون ، تأليف محمد أعلى بن علي التهانوي ط . كلكتة ١٨٦٢ ع .
ـ الكليات ، تأليف أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، تحقيق د . عدنان درويش ومحمد المصري من منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ١٩٧٤ م .
ـ اللباب في تهذيب الأنساب ، تأليف عز الدين بن الأثير . ط . دار صادر بيروت .

ـ لسان العرب ، تأليف محمد بن مكرم بن منظور الافريقي . ط . دار صادر . بيروت .
ـ مآثر العرب في العلوم الطبية ، تأليف د . سامي حداد . محاضرة نشرت في مجلة العروة ، عدد كانون الثاني سنة ١٩٣٦ م .
ـ محيط المحيط ، تأليف بطرس البستاني ، طبعة بالأوفست نقلاً عن طبعة ١٨٧٠ م .
ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان ، تأليف عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي . ط . مؤسسة الأعلمي للمطبوعات . بيروت .
ـ مفيد العلوم ومبيد الهموم ، تأليف أحمد بن محمد بن الحشّاء ، تحقيق جورج كولان وب . ج رنو من مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية . رباط الفتح ١٩٤١ م .
ـ مقدمة حول طب العيون العربي ، تأليف د . نشأة حمارنة ، مقالة من مجلة التراث العربي ، العدد ١٧ ص ١٥٣ ـ ١٨٥ .
ـ المعجمات الطبية ، تأليف د . نشأة حمارنة ، مقالة من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٦٠ ج ١ ص : ١٠٤ ـ ١٢٣ .
ـ معجم البلدان ، تأليف ياقوت بن عبد الله الحموي . مطبعة السعادة . مصر .
ـ معجم المؤلفين ، تأليف عمر رضا كحالة مطبعة الترقي بدمشق ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م .
ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تأليف يوسف بن تغري بردي . ط . دار الكتب المصرية ١٣٤٨ هـ = ١٩٢٩ م .
ـ نكت الهميان في نكت العميان ، تأليف صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي . ط . مصر ١٣٢٩ هـ = ١٩١١ م .
ـ هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، تأليف اسماعيل باشا البغدادي ، ط . استانبول سنة ١٩٥١ م .
ـ الوافي بالوفيات ، تأليف صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي . ط . فيسبادن ١٩٧٩ م .
ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تأليف أحمد الشهير بابن خلكان ط . بولاق ١٢٩٩ هـ .

## ٣ ـ الأجنبية

- Geschichte der Arabischen litteratur .

Prof . Dr C . Brockelmann . Leiden E . j . Brill 1937

Erster supplementband 1937 .

- Geschichte des Arabischen schrifttums .

Fuat Sezgin . leiden E . j . Brill 1970

# ( التعريف والنقد )

## نظرات في نظرات

### ٣

الأستاذ أحمد راتب النفاخ

١١ ـ تصدّى الأستاذ في الفقرة (٤٧) لتقويم ما رآه منحرفاً في هذين البيتين :

فيصبح باليه جديداً ونبته أفيفاً ويمني ماله حين يسرح
أرى فزعاً غُرّاً يبشّرنَ بالحيا ينتّج في أوطان ميّ ويلقح

فقال في البيت الأول : « أرى أن « أفيفاً » بالفاء تحريف « أثيثاً » بالثاء ، والنبت الأثيث الكثير الملتف » .

ولا شك أن الشاعر إنما أراد « أثيثاً » ولكن إذا صحّ أن الثابت في أصل كتاب الهجري « أفيفاً » بالفاء فإن له وجهاً . وذلك أن الثاء والفاء من حروف المعاقبة وقد ذكر أصحاب اللغة مما تعاقبا فيه حروفاً جمة ، من نحو « جدث » و « جدف » و « لثام » و « لِفام » و « حثالة » و « حفاله » . انظر القلب والإبدال ، لابن السكيت ، ص : ٣٤ ـ ٣٦ ( ط . هفنر في الكنز اللغوي ) وص : ١٢٥ ـ ١٢٧ ( ط . مجمع اللغة العربية بالقاهرة ) والإبدال ، لأبي الطيب ١ : ١٨١ ـ ٢٠٠ . غير أني لم أصب نصاً على تعاقبهما في « أثيث » . ومع ذلك لا يبعد أن يكون الإبدال فيه لغة قائل هذا الشعر أو لغة من أنشده ، فقد تعاقبت الثاء

---

● نشر القسمان الأول والثاني من المقال في مجلة المجمع ( مج ٥٩ ص ٥٨٧ ، مج ٦٠ ص ٣٠٢ ) .

والفاء ـ كما يقول الفراء ـ في كثير من الكلام ، انظر كتابه معاني القرآن ١ : ٤١ ، و٣ : ٢٤١ . ويؤنس بذلك أنّ أهل البحرين اليوم كثيراً ما يبدلون الثاء فاء ، ومن ذلك أنهم يقولون « فلافة » بدل « ثلاثة » أخبرني بذلك الأخ الأستاذ علي التاجر وغيره من البحرانيين .

وأمّا البيت الثاني فقال الأستاذ فيه : « أرى « فزعاً » بالفاء تصحيف « قَزَعاً » بالقاف ، وهو السحاب المتفرّق ، وأن « غُرّاً » تصحيف « غَمْراً » بالميم بعد الغين ، وهو الماء الكثير الذي يغمر ويغطي ، أو البحر ، ووصف القزع وهو جمع بالغمر وهو مفرد معروف في لغة العرب ، كقوله تعالى : ﴿ والملائكة بعد ذلك ظهير ﴾ ـ ( التحريم / ٤ ) وكقول زهير :

وإن يشتجر قوم يقل سرواتهم    هُم بيننا فهمْ رضىً وهُم عَدْلُ »

وما ذهب إليه الأستاذ من أن « فَزَعاً » تصحيف « قَزَعاً » صواب محض . وأما أن يكون « غُرّاً » تصحيف « غَمْراً » فما أعرف أن السّحب توصف بـ « الغمارة » وما ذكره من أن وصف الجمع بالمفرد معروف في لغة العرب لا يصحّ على إطلاقه . والشاهدان اللذان احتجّ بهما وقع فيهما الإخبار عن الجمع بالمفرد لا وصف الجمع بالمفرد ، ولكن لا ضير في ذلك ، فإن حكم الصفة والخبر في هذه البابة واحد ، ومع ذلك لا حجة له فيهما لما سيأتي بيانه . والصحيح في المسألة أن الصفة ـ ما لم تكن سببية رفعت اسماً ظاهراً ـ ينبغي أن تطابق موصوفها في الإفراد والتثنية والجمع ، وفي التذكير والتأنيث . انظر بسط ذلك في شرح المفصل ٣ : ٥٤ ـ ٥٦ وغيره من مطوّلات النحو . وكذلك حكم الخبر مع المخبَر عنه ما لم يكن سببياً رفع اسماً ظاهراً أيضاً . ويخرج عن ذلك الوصف والإخبار بالمصدر ، فإنه

يستوي فيها المفرد والمثنى والجمع ، والمذكر والمؤنث ، نحو قولهم : « رجلٌ كَرَمٌ » و « امرأة كَرَمٌ » وكذلك يقولون في مثنيها وجمعيها أيضاً . ولأصحاب العربية في تأويل ذلك مذهبان . أحدهما : أنه على تقدير مضاف محذوف مطابق للموصوف أو المخبَر عنه . وعلى هذا يكون قولهم : « رجل كَرَم » .... و « رجال كَرَمٌ » في تقدير « رجل ذو كرمٍ » .... و « رجال أولو كَرَمٍ » . والمذهب الآخر - وهو اختيار المحققين - أنهم جعلوا الموصوف والمخبر عنه الحدث نفسه ( المصدر ) على وجه الاتساع والمبالغة . انظر في ذلك كتاب سيبويه ١ : ١٦٩ ، والمقتضب ٣ : ٢٣٠ ، والخصائص ٢ : ٢٠٢ - ٢٠٤ و ٣ : ١٨٩ ، والمحتسب ٢ : ٤٣ ، ٤٥ - ٤٦ ، وأمالي ابن الشجري ١ : ٧٠ - ٧١ ، وشرح المفصل ١ : ١١٥ و ٣ : ٤٩ - ٥٢ ، وشرح الكافية ١ : ٣٠٦ ، والخزانة ١ : ٢٠٧ . وأما قوله تعالى : ﴿ والملائكةُ بعد ذلك ظهيرٌ ﴾ [ سورة التحريم : ٤ ] فلا حجة له فيه من قبل أن ما كان من بناء « فَعول » أو « فعيل » فإنه يجري على المفرد والمثنى والجمع بلفظ الواحد ، أو كثيراً ما يكون كذلك . ومن الأوّل لفظ « عدوّ » في قوله تعالى : ﴿ فإنهم عدوّ لي إلا ربَّ العالمين ﴾ [ سورة الشعراء : ٧٧ ] وغيره من الآي ، ومن الآخر الآية التي احتجّ بها الأستاذ ، وقوله تعالى : ﴿ وَحَسُنَ أولئكَ رَفيقاً ﴾ [ سورة النساء : ٦٩ ] وقوله : ﴿ وخَلَصُوا نَجِيّاً ﴾ [ سورة يوسف : ٨٠ ] ومثل ذلك في القرآن والشعر كثير . انظر معاني القرآن ، للأخفش ١ : ٢٣٨ - ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، وتفسير الطبري ٢٨ : ١٠٥ ( ط . بولاق ) و ٨ : ٥٣٢ - ٥٣٣ و ١٦ : ٢٠٤ - ٢٠٥ ( بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر ) والكشاف ١ : ٤١١ و ٢ : ٣٨٤ و ٣ : ٢٥١ ط . المكتبة التجارية ) ومجمع البيان ٣ : ٢٥٤ و ٥ : ٣١٣ ، والبحر

المحيط ٣ : ٢٨٨ و ٥ : ٣٣٥ و ٨ : ٢٩١ . وانظر أيضاً « باب ما يكون واحداً يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد » في المخصص ١٧ : ٢٩ ـ ٣٥ .

وبعدُ فإن « غُرّاً » في البيت صحيح لا شبهة فيه ، وإنما أراد الشاعر « قزعاً بيضاً » فإن « غُرّاً » جمع « أغرّ » ـ وهو الأبيض ـ ومؤنثه : « غرّاء » . وما أدري ما الذي راب الأستاذ في هذا اللفظ حتى اتّهمه بالتصحيف مع أن وصف السحائب بذلك معروف وليس بنادر ، يحضرني من شواهده قول الحطيئة ( ديوانه ٢٤٨ ، واللسان : غمم ) :

إذا غبتَ عنا غابَ عنّا ربيعُنا ونُسْقَى الغمامَ الغُرَّ حين تؤوبْ

وقول توبة بن الحميّر ( الأغاني ١١ : ٢٠٨ ) :

حمامةَ بَطْنِ الواديينِ ترنّمي سقاكِ من الغُرّ الغوادي مطيرُها

وقول ابن ميادة ( أساس البلاغة ـ نحر ) :

أطاعَ لها نبتَ الخُزامى وجادَها بأوطانِها غُرُّ السَّحابِ المشهّر

وقول آخر ( أساس البلاغة ، واللسان : نفى ) :

كأنّك بالمبارَكِ بعدَ شَهْرٍ يناغي موجُه غُرَّ السّحابِ

وقول أبي الطيب :

سقاها الغمامُ الغُرُّ قبلَ نُزولِه فلمّا دنا منها سقتْها الجماجمُ

١٢ ـ قال الأستاذ في الفقرة (٤٩) : « وفي ( ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ ) روى الهجريّ لعمرو بن المسلّم قوله :

أقمتُ زماناً بالمدينة راجناً أباصرُ ما والي أميةَ صانعُ

نهاري نهار النـاس حتى إذا دجـا لي الليـل هـزّتني إليـك المضـاجعُ
أعلّـل نفسي بـالحـديث وبـالمنى ويجمعني والهمّ بـالليـل جـامـع
ليرزقنـــك الله من بين خلقـــه أم أنت من الرزق الذي الله مـانعُ

وقـال الأستـاذ المحقـق في الأبيـات إنـه لم يجـدهـا « في المصـادر الأدبيـة المختلفـــة » . قلت : إن كان الهجري رواهـــا لعمرو بن المسلّم ، فهي مرويـة ـ عـدا البيت الأخير ـ لابن الـدمينـة كما في ديـوانـه ( ٨٨ ـ ٩٠ ) [ الصواب : ٨٧ ـ ٨٨ ] وكما في الأغـاني ( ١٧ / ٩٩ ـ ١٠٠ ) وكما في مراجع أخرى ذكرها محقق ديوانه .... » .

قلت : وقد زدت في تخريجي لقصيدة ابن الدمينة في ديوانه ، ص : ٢٣٥ على ماذكر الأستاذ أن البيتين ٣ ، ٤ ـ وهما الثالث فالثاني مما أنشده الهجري لعمرو بن المسلّم ـ قـد نسبـا ايضـاً إلى المجنون في مصـادر سمّيتهـا ثمـة ، ونسبـا إلى قيس بن ذريـح في روايـات أخر منهـا روايـة القـالي لقصيدته الطويلة في أماليه ٢ : ٣١٤ ـ ٣١٧ ، وإحـدى روايـات الأغـاني ٩ : ٢١٧ ، غير أن أبا الفرج صحّح القول بأنهما لابن الدمينة . وأزيد هنـا أن أبا بكر بن الأنبـاري رواهمـا في الزاهر ١ : ٢٥١ لابن الـدمينـة أيضـاً ومعهما ثالث بعدهما ، وهو :

أبى الله أن يلقى الرشـــاد متيَّمٌ ألا كلُّ أمر حمّ لا بـــدّ واقـع

وهذا البيت ثابت لقيس بن ذريح في رواية القالي وأبي الفرج لقصيدته . وانظر كتـاب « قيس ولبنى ـ شعر ودراسـة » للـدكتـور حسين نصـار ، ص : ١٠٠ وما بعدها .

وقد فات الأستاذَ أن ينبه على أن البيت الأخير ممـا رواه الهجري لا يصح ـ كما أثبته الناشر ـ وزناً ولا معنى ، وصوابه فيما أقدّر :

أَيَرْزُقُنِيــكِ اللهُ من بَيْنِ خَلْقِــهِ أَمَ اَنتِ من الرّزق الذي الله مـانعُ

وعجز البيت لا يتّزن بتحقيق الهمزة في « أنت » كما نقله الأستاذ ، بل لابدّ لاتّزانه من حذفها بعد نقل حركتها إلى الميم الساكنة قبلها كما أثبتّه .

وقال الأستاذ في هذه الفقرة أيضاً : « والبيت الأول فيه « راجناً » وهو تصحيف « راجياً » وروايته في ديوان ابن الدمينة :

أقمتُ على رَمّان يــومـاً وليلــةً لأنظر مـا واشي أميــةَ صــانــعُ

وفي الأغاني « زمّان » بالزاي بدل « رمان » بالراء وأظنها تصحيفاً . ورواية « واشي » في الديوان والأغاني جيدة ، ولكن « والي » التي رواها الهجري لا تقلّ عنها جودة ، والتصحيف بينهما ممكن » .

وكنتُ علّقت على هذا البيت في ديوان ابن الدمينة ، ص : ٨٧ أن رواية الهجري له ـ وقد كان مخطوط كتابه من مراجعي :

أقمتُ زمـانـاً بـالـمدينـة راجيـاً أبـاصر مـا واشي أميـة صـانـع

وقد أكون سهوتُ في النقل فأثبتُّ في عجز البيت « ماواشي » بدل « ماوالي » وليس تحت يدي مصوّرة عن الكتاب فأتحقق الأمر ، ولعل الناشر لم يثبت إن شاء الله إلا صواباً .

وأما « راجياً » في صدر البيت فهكذا كنت قرأته ، فإن صحّ أن في أصل كتاب الهجري « راجناً » بالنون فإن له وجهاً لا يُقْطَع معه بأنه تصحيف . وذلك أن يكون « فاعلاً » من قولهم : « رجن بالمكان » أي أقام به ، فيكون على هذه القراءة قد وقع حالاً مؤكّدة لعاملها : « أقمتُ » وأما على قراءة « راجياً » فيكون حالاً مؤسِّسة .

١٣ ـ وفي الفقرة (٥٥) تكلّم الأستاذ على بيتين رُدِّدت نسبتها بين

توبة والمجنون ، وهما :

أمـــا وأبي ليلى لقـــد كنتُ مرّةً    أحبّ غـدوّاً نحـو ليلى أزورهـا
ولكن ليلى قطعتْ كلّ مرّةٍ    وكل قـوى حبّاً قـديمـاً نغيرهـا

قال في البيت الأول : « و « مرّة » من البيت الأوّل أجدها « مدّة » بالدال وبضم الميم . أي أنه ظلّ مدّة يخبّ فرسه أو بعيره لزيارة ليلى »

ولفظ « مَرّة » ليس بمحرّف كما قال الأستـاذ ، بل هو الصحيح الـذي لا ريب فيه ، إنما أراد الشاعر « مرّة من الـدهر » أي حينـاً منـه ؛ يـدلّ على ذلك أبين الدلالة قولُ حميد بن ثور ( ديوانه ، ص : ٨٨ ) :

وقد كنتُ في بعض الصّبـاوة أتّقي    أمـوراً وأخشى أن تـدور الـدوائرُ
وأعلمُ أنّي إن تغطّيتُ مَرّةً    من الدّهرِ مكشوفٌ غطائي فناظر

ونحوه قول جميل ( ديوانه ، ص : ٦٥ ) :

وهلْ ألقينْ سعدى من الـدَّهر مرّةً    ومارثٌ من حَبْل الصّفـاء جـديـدُ

وقولُه ( ديوانه ، ص : ١٧٧ ) :

أجـــدّيَ لا ألقى بثينـــةَ مرّةً    من الدهر إلا خائفاً أو على رَحْل

ومما جاء فيه لفظ « مرّة » مجرّداً بمعنى « الحين » قولُ عمرو بن معديكرب ( شعره ، ص : ١٢٦ ) :

كانتْ قريشٌ تحمـــلُ الخمْرَ مرّةً    تجـاراً فـأضحتْ تحمل السُّمّ منقعاً

وقولُ جميل ( ديوانه ، ص : ١٠٠ ) :

وقـد كان مّمن يسكنُ الربعَ مرّةً    جميـلُ المحيّـا قـاصرُ الطَّرْفِ فـاترُهْ

وقولُ يزيد بن الطثرية ( شعره ، ص : ٣٧ ) :

وقالوا لقد كنّا نعدُّك مرّة جليداً وما هذا بفعلِ فتىً جَلْد

هذا ، وقول الأستاذ في شرح البيت : « أي أنه ظل مدّة يخب فرسه أو بعيره لزيارة ليلى » يؤذن بأنه يرى « أحبّ » في البيت تصحيف « أُخِبّ » بالخاء ولكنه سها عن ذكر ذلك . وما رآه أشبه بالصواب . وأحَبُّ إليّ منه أن يكون « أَخُبّ ـ بفتح الهمزة ـ مضارع « خبّ » المجرّد ، أي أُسْرِع ، فيستغني عن تقدير مفعول به . وأما المصدر « غُدُوّاً » ـ وقد أغفله الأستاذ في شرح البيت ـ فيكون على كلا الوجهين واقعاً موقع الوقت ، أي وقت الغُدُوّ ، كما في قوله تعالى : ﴿ يُسَبِّحُ لَهُ فيها بالغُدُوِّ والآصالِ رجال ﴾ [ سورة النور : ٣٦ ـ ٣٧ ] .

وأما البيت الثاني ـ والخلل بيّن في عجزه ـ فلم يزد الأستاذ في محاولته تقويمه على أن قال : « .... و « حُبّاً » بالنصب الصوابُ فيها « حُبٍّ » بالجر » ولم يلتفت إلى ما وراء ذلك وفيه ما ينبو عنه الطبع وتنكره البديهة . وذلك أن قوله : « قديماً » لا يصح بحكم معناه أن يكون ظرفاً لفعل مضارع ـ وهو هنا قوله : « نغيرها » ـ إلا أن يقع خبراً لـ « كان » . وهذا يوجب أن يكون الصواب في عجز البيت : « وكلُّ قوىً كُنّا قديماً نغيرها » . وظني أن هذا هو الثابت في أصل الكتاب إلا أن الناشر حرّف « كُنّا » فصيرّها « حُبّاً » . ومن الغريب أن يذهب هذا عن الأستاذ وقد هداه طبعه في شرحه للبيت إلى الوجه الصحيح في العبارة عن هذا المعنى فقال : « والمعنى أن ليلى قطعت كل حبل للوصل ، وجميع قوى الحب التي كُنّا قديماً نشدّ فتلها » .

١٤ ـ قال الأستاذ في الفقرة (٥٨) : « وفي ( ص ٢٥٥ ) قصيدة لعبد الله بن أبي صبح المزني[1] جاء فيها :

وحيٌّ بني لقمانَ فـالحيُّ حيرة    وتقرأ عليهمْ من تحيّتنـا مثـلا

وأظنّ أن الصواب « وحيٍّ » و « فـالحيَّ » بـالنصب منهما[٢] لا الرفـع ، لأنّهما في موضع العطف على البيت قبله :

تبلّغ يعقـوبَ بن يحي رسـالـة    وعمراً وشبـلا أودع الله لي شبـلا

و « تقرأ » حقـه الرفع وبـه يكسر الوزن ، ولجبره يجب أن تُسَهَّل الهمـزة فيقال : « وتقرا » .

ومـا قـالـه الأستـاذ في « وتقرأ » صحيـح ، والـوجـه في « وحيّ بني لقمان » النصب كما ذكر أيضاً . وأما « فالحيُّ » فليست الفاء فيـه عـاطفـة بمعنى التشريك كما ظن الأستاذ ، بل استأنف الشـاعر بهـا كلامـاً آخر على معنى التعليـل لمـا قبلـه ، والمراد بـ « الحي » حي بني لقمان الـذين تقـدّم ذكرهم ، والوجه فيه وفيما بعده الرفع ، إذ هما مبتدأ وخبره .

وقد فات الأستاذ أن لا موقع لـ « حيرة » ـ بالحاء المهملة ـ ههنـا ، ومن البيّن أنه تصحيف « جيرة » بالجيم ، أي جيران .

١٥ ـ قـال الأستـاذ في الفقرة ( ٥٩ ) : « وفي ( ص ٢٥٨ ) روي البيت الأول والثاني من قصيدة لعبد الله بن أبي صبح المزني :

ألا حييـا الـذلفـا ألا حييـا جُملا    وقـولا تغنّى حـاتم بكمـا جهـلا

لكيمـا تظنـا اليـوم أنـه فـارغ    وأقسم أني قـد مـلأتـه بي شغـلا

والبيت الثـاني غير صـالح وزنـاً ولا معنى ، وأظن أن الصـواب في روايـة صـدره : « .... أنّيَ فـارغ » أمـا عجـزه فيجـوز إصلاحـه بـأن يقـال : « وأقسم أني ممتلٍ منهما شغلا » بحـذف الهمزة من آخر ممتلئ . وذلـك كلـه يوافق سياق البيت الأول » .

وقوله في عجز البيت : « ويجوز إصلاحه .... » قد تقدّم القول في مثله والتنبيه على ما في إطلاق ذلك واللهج به من محذور . ومما يؤخذ على الأستاذ هنا أيضا قوله في « مُمتَلٍ » : « بحذف الهمزة من آخر ممتلئ » والوجه أن يقال : « بإبدال الهمزة من « ممتلئ » ياء وإجرائه مجرى المنقوص » . هذا إلى أن الأستاذ لم يصب مراد الشاعر من جهة ، وخفي عليه وجه اتّزان البيت من جهة أخرى، فقال فيه ما قال ، على حين أن البيت ـ كما أثبته الناشر ـ صحيح معنى ووزناً . وذلك أنه من البيّن أن الشاعر ينقض على حاتم الذي ذكره قصيدةً شبب فيها بالذلفاء وجمل ، ونال فيها منه[٢] ، فهو يقول في هذين البيتين : ألا حييا ـ يا صاحبيّ ـ الذلفاء وجملا ، وقولا لها : إن حاتماً إنما تغنى بكما جهلا ليوهمكما أنه فارغ ( يعني من الهموم ) فلا همّ له إلا اللهو والتشبيب . ثم يقول : وأقسم أنه ليس بفارغ ، بل إني بتصدّيّ له قد ملأته شغلا بي ـ يريد أنه أورد عليه ما ملأه همّاً ، فهو منه في شغل شاغل . ومن الغريب أن يغيب عن الأستاذ هذا المعنى وهو ظاهر لا يكاد يخفى . وليس في البيت بعدٌ من جهة الوزن إلا أن الشاعر اضطُرّ لإقامة وزنه إلى حذف واو الصلة من هاء الضمير المتحرك ما قبلها في « أنه » و « ملأته » . ويظهر أن الأستاذ قرأ البيت بإثبات هذه الواو فخُيِّل إليه أنه مختلّ الوزن . وحَذْف واو الصلة ويائها من هذه الهاء في ضرورة الشعر كثير ؛ أنشد سيبويه في « باب ما يحتمل الشعر » ١ : ١٠ شاهداً على ذلك قول مالك بن حريم ( وهو من قصيدة له في الأصمعيات ، ص ٥٦ ـ ٦٢ ) :

فإن يك غثّاً أو سميناً فإنّني سأجعل عينيه لنفسه مقنعا

ثم أنشد ص : ١١ ـ ١٢ شواهد أخر ، منها قول الشماخ :

لَـهُ زَجَـلٌ كأنّـهُ صـوتَ حـادٍ     إذا طلب الـوسيقـة أو زميرُ

وقول الأعشى :

ومـالـهُ من مَجْـدٍ تليـدٍ ومـا لـهُ     منَ الريحِ حظٌ لاالجَنوبِ ولا الصَّبـا

ومثل ذلك كثير .

وقد حملت الضرورة بعضهم على أشدّ من هذا ، فأسكنوا هـذه الهاء في الوصل البتة ، نحو قول يعلى الأحول الأزدي :

فبتّ لـدى البيت العتيـق أخيلـه     ومِطْـوايَ مشتـاقـانِ لَـهْ أرقـانِ

وقد زعم الأخفش أن إسكانها لغة لأزد السراة .

وأشدّ من ذلك كله أن الضرورة ألجأت بعضهم أيضاً إلى حـذف الواو من ( هو ) والياء من « هي » . ومنه قول الراجز :

دار لسـعدى إذْ هِ من هـواكـا

وقولُ العجير السلوليّ أو المخلّب الهلالي :

فبينـا هُ يشري رحله قـال قـائلٌ     لمن جمـلٌ رِخْـوُ المـلاطِ نجيبُ

انظر في بسط ذلـك كلـه ضرائر الشعر ، لابن عصفور ، ص : ١٢٢ ـ ١٢٧ والمصادر التي أحال عليها محققه .

١٦ ـ نقل الأستـاذ في الفقرة (٦١) هـذه الأبيـات لرملـة أخت مشيّع ترثيه :

ألا أيهـا النـاعي سحيراً مشيّعـاً     لعمري لقـد صبّحتَنـا ببـلا

تركنـا لـواء العـز والمجـد ثـاويـاً ببُغمـةَ مبنيـاً عليـه بنـا
لعمرك مـا كُنّـا مللنـا مشيّعـاً ولكن دواعي ميتـة وقصـا

وقال فيها : « هكذا وردت أواخر الأبيات « ببلا » و « بنـا » و « قصـا » بـالصـاد المهملـة . وعنـدي أن الأولى بـالهمز مع السكون ، أي : ببـلاءْ ، وبناءْ ، وقضاءْ ، بالضاد المعجمة » .

قلت : الأبيـات من الطويل ، ولا يتمّ وزنهـا بقصر الكلم الواقعـة في أواخرها كما أثبتها الناشر ، ولا بمدّهن مع إسكان الهمزة كما اختار الأستاذ ؛ إذ تكون أضربهـا على الأول بزنـة « فَعَـلْ » وعلى الآخر بـزنـة « فعـولْ » وكلاهمـا ليس من أضرب الطويـل . ولا تستـوفي الأبيـات وزنهـا إلا بمدّ هؤلاء الكلم وتحريك الهمزة وإطلاقها ( ببلاءِ ، بناءُ ، قضاءُ ) فتكون من ثـالث الطويـل ، أي الضرب المحذوف ، ووزنـه « فعـولن » . ويظهر أن الأستاذ ما اختار أن تكون الأبيـات مقيّـدة ( سـاكنـة الروي ) إلا اتقـاء الإقـواء ، وقـد تقـدّم أن الإقـواء في شعر الأعراب كثير ، وأنهم كانـوا لا يأبهون له . وقد قـال أبو الحسن الأخفش في كتـابـه : القوافي ، ص : ٤٢ ( ط . وزارة الثقافة بدمشق ) ٤٧ ( ط . دار الأمـانـة ببيروت ) بعـد أن سـاق أمثلـة من الإقواء : « وقـد سمعت مثل هـذا من العرب كثيراً مـالا يحصى ، قلّ قصيدة ينشدونها إلا وفيها الإقواء ثم لا يستنكرونه .... » .

١٧ ـ وفي الفقرة (٧١) تكلّم الأستـاذ على بيتين للغـاضري أخـلّ بهما التصحيف ، وأولها :

وهـاجرة يقبـل الـذئب فيهـا على الغنم الربـاع وهُـوْ يراهـا

هكذا جاء البيت ! ورأى الأستاذ أن الصواب : « .... يَقِيل الذئبُ

فيها × عن الغنم .... » والقول ما قال[٤] ، وبه يتزن البيت ويضح وجه المعنى . غير أنّ في البيت شيئاً آخر لم يلتفت الأستاذ إليه ، وهو وصف الغنم بـ « الرِّباع » فإنه لا يكاد يبين له وجه ، والظاهر أنه تصحيف « الرتاع » بالتاء ، من قولهم : « رتعت الماشية » أي أكلت ما شاءت ، وذهبت وجاءت في المرعى نهاراً ، ومنه يقال : « ماشية رُتَّع ، ورُتوع ، ورواتع ، ورِتاع » كما جاء في اللسان ( رتع ) .

والبيت الآخر :

قطعتُ مخوفها بعثمثمات عشاف السرّ تنفخ في بُراها

وقد ذهب الأستاذ إلى أن « عشاف السرّ » تصحيف « عساف السَّيْر » ويظهر أنه كما قال ، غير أنه وصل ذلك بقوله : « و « تنفخ » بالخاء المعجمة تصحيف « تنفج » بالجيم . والمعنى : أنه قطع مخوف الصحاري بإبل طويلة غليظة تركب رأسها في السير لا يثنيها شيء ، وتثير ما تطأ من تراب » .

وقد أبعد الأستاذ في هذه المقالة ؛ فإنه ما يُعْرَف أنه يقال : « نفج الترابَ » أو « نفج في التراب » بمعنى أثاره . ثم إنه أقرّ ضم الباء في « بُراها » والتراب إنما يقال له : « البَرى » بفتح الباء . و « تنفخ في بُراها » - كما أثبته الناشر تبعاً لأصل الكتاب - هو محض الصواب ، و « البُرى » بضم الباء جمع « بُرَة » وهي حلقة من صفر أو نحاس تجعل في أنف البعير ويُعَلَّق بها الزِّمام . وهذه العبارة ونحوها مما يتردّد في صفة المطايا ، ومن ذلك قول أبي سدرة سحيم بن الأعرف الهجيمي من أبيات مدح بها حسان بن سعد الأسدي عامل الحجاج على البحرين ( الشعر

والشعراء ، ص : ٦٤٢ ، والمجتنى ، لابن دريد ، ص : ٦٣ ، والمؤتلف والمختلف ، ص : ٦٥ ، وفرحة الأديب ، ص : ٦٥ ، وهي عن الفرحة في الخزانة ١ : ٢٨٠ ) :

إلى حسّان من أكناف نجد رحلْنا العيس تنفخ في بُراها

وقولُ بعض الأعراب ( أنشده ياقوت في معجم البلدان : المأزمان ) :

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلةً وأهلي معاً بالمأزمين حلولُ
وهل أُبصِرَنّ العيس تنفخ في البُرى لها بمنىً والمحرمين ذميلُ

وقول عبد الرحمن بن الحكم ، وينسب أيضاً إلى زياد الأعجم ( إصلاح المنطق ، ص : ٩ ، وتهذيبه للخطيب التبريزي ١ : ١٣ ـ ط . مصر ، وص : ٣٨ ـ ط . بيروت بتحقيق د . قباوة ، والمحكم ١ : ٩١ ، والمخصص ٧ : ١٤٣ ، والتكملة : قطع ، واللسان : صنع ، قطع ) :

أتتْكَ العيسُ تنفخ في بُراها تَكَشَّفُ عن مناكبها القُطوعُ

ونحو ذلك قولُ أبي الرُّبَيْس الثعلبي من مقطعة له في « الحماسة » :

يُباري بها القُودَ النوافخَ في البُرى قليلُ النزول أغيدُ الخَلْق عاطلهْ

وفي تأويل هذه العبارة قولان ذكرهما الخطيب التبريزي في شرحه لبيت عبد الرحمن بن الحكم في تهذيب الإصلاح ، قال : « العيس : الإبل البيض ، الذكر : أعيس ، والأنثى : عيساء . والبُرى : جمع بُرَة ، وهي الحلقة من صفر تكون في أنف البعير . والمناكب : فروع الكتفين . يعني أن مناكبها عظام ، فلا تسترها كلَّها القطوعُ . وقيل : لسرعتها ونشاطها . وإنما أراد أنها أعيتْ من السير ، واضطرب الرحل فوقها ،

فنفخت في بُراها من البُهْر والتعب الذي لحقها ، وتكشفت القطوع عن مناكبها . يصف كلال راحلته وبُعْدَ الشُّقَّة ليرعى حقَّ قصده إليه من المكان البعيد .... » وهذا التفسير الأخير الذي ارتضاه الخطيب هنا أخذه بلفظه من كلام ابن السيرافي في شرح أبيات الإصلاح ( انظر نص كلام هذا في المشوف المعلم ٢ : ٦٤٨ ، التعليق : ٢ ) . وأما القول الذي حكاه بصيغة التمريض ـ وهو يفيد أنها تنفخ في بُراها لنشاطها وسرعتها ـ فقد أخذ به هو نفسُه في تفسيره لبيت أبي الربيس في شرح الحماسة ٣ : ١٢٩ ولم يذكر غيره ، قال : « النوافخ : المتنفسّات نفخاً لنشاطها » وأصل هذه المقالة من كلام المرزوقي في شرحه للحماسة ، ص : ١٢٥٨ أخذها منه الخطيب بلفظها ، وكان المرزوقي قد قال قبلها أيضاً أول ما أخذ في شرح البيت : « يقول : يعارض بهذه الراحلة التي وصفتُها رواحلَ طوالَ الأعناق تنفخ في بُراها لنشاطها رجلٌ قليلُ النزول عنها .... » . وهذا التفسير أحرى بالصواب ، فإن بيت أبي الربيس لا يحتمل غيره ، ويصدّقه ثاني البيتين اللذين أنشدهما ياقوت :

وهل أُبْصرنّ العيسَ تنفخ في البُرى      لهـــا بمِنىً والمحرمين ذميـــلُ

فإن « الذَّميل » ـ وهو سير ليّن سريع فوق العَنَق ـ لا يكون من راحلة نهكها التعب ، وأدركها الكلال .

هذا ، وما قاله التبريزي والمرزوقي في شرح البيتين يوهم أن قولهم : « في براهـا » و « في البرى » ظرف لغو يتعلق في بيت أبي الربيس بالوصف : « النوافخ » وفيما قبله بالفعل : « تنفخ » . والوجه عندي فيه أنه ظرف مستقرّ وقع موقع الحال من الفاعل ، وهو الضمير المستتر في

الفعل والوصف ، كأنهم قالوا : « تنفخ وهي في براها » و « النوافخ وهي في البرى » . يدلّ على ذلك أبين الدّلالة أن مثل هذا الظرف وقع موقع الخبر عن « المطايا » في قول القائل ( أنشده ابن سيده في المحكم ١ : ١٤٨ ، وهو عنه في اللسان : بقع ) :

وأبقعَ قد أرغْتُ به لصحبي مَقيلاً والمطايا في بُراها

وقد رأيت المرزوقي صرح في شرحه للحماسة ، ص : ٦٧٧ بأن مثل هذا الظرف وقع موقع الحال في بيت من مقطعة نسبت إلى الفرزدق ، وتنسب أيضاً إلى البرج بن خنزير التميمي ، ونسب بعضها إلى مالك بن الريب[٥] ، وهو قوله :

مُخَيَّسةٍ بُزْلٍ تَخايلُ في البُرى سَوارٍ على طول الفلاة غواد

قال المرزوقي : « وقوله : « تخايل في البرى » أي تختال في سيرها وهي مُبْراة تطيق وصل السير بالسرى على امتداد الشقّة وطول الوجهة . وقوله : « في البُرى » في موضع النصب على الحال » . وقد تابعه التبريزي على ذلك في شرحه للحماسة ٢ : ١٠٩ .

وفي الشعر شواهد أخر وقع هذا الظرف في بعضها موقع الحال من المطايا ، ووقع في بعضها موقع الصفة لها . من ذلك قول حميد بن ثور ( ديوانه ، ص : ٣٨ ) :

فما لَحِقَ العِيران حتى تلاحقتْ جمالٌ تَسامى في البُرين ونوقُ

وقولُ أبي وجزة السعدي ( العباب ، واللسان : خنف ) :

قد قلْتُ والعيس النجائب تغتلي بالقوم عاصفةً خوانِفَ في البُرى

وقول جرير ( النقائض ، ص : ٢٧١ )

طلبوا الحَمولَ على خواضعَ في البُرى يُلْحِقْنَ كلَّ معـــذَّلٍ بَسّــام

وقولُ ذي الرّمة ( ديوانه ٢ : ١٠٥٩ ) :

فلم تستطع مَيٌّ مهاواتَنا السُّرى ولا ليلَ عِيسٍ في البُرين سوامِ

وكلّ هذه الأبيات ـ كما ترى ـ في صفة رواحل نشيطة تغذّ السير ، وكأنهم لا يصفونها بأنها « في البرى » إلا وهي كذلك . وفي هذا ما يؤيّد أن الصحيح في تأويل قولهم : « تنفخ في براها » أنها تنفخ لنشاطها وسرعتها لا من الكلال والإعياء .

### الحواشي والتعليقات

(١) كذا قال الأستاذ ، وهو مماسها فيه ، فالقصيدة ـ كما ذكر الهجري ـ لأبي مدرك حاتم بن مدرك السلمي يرد بها على عبد الله بن أبي صبح المزني .

(٢) كذا في أصل مقالة الأستاذ بخطه ، ويظهر أنه سبق قلم ، والمراد : « فيهما » .

(٣) وحاتم هذا هو حاتم بن مدرك السلمي الذي ذكرت آنفاً أنه هو صاحب القصيدة التي سلف الكلام على بيتين منها في الفقرة السابقة ، وابن أبي صبح يرد عليه بقصيدته هذه . ويظهر أنه كان بينهما مماظة وشرّ ثم اصطلحا ؛ روى الزبير بن بكار في جمهرة نسب قريش وأخبارها ١ : ١٠٧ ـ ١٠٨ قال : « حدثني أبو غزيّة ( محمد بن موسى الأنصاري ) قال : جرى صلح بين عبد الله بن عمرو بن أبي صبح وبين حاتم بن مدرك السلمي ، فقال حاتم :

دعاني أبو عمرٍو إلى الله دعوةً أصابَ بها ما في فؤادي ولا يَدْري

إلى حَلَقٍ مِنْ خَيْرِ مَن وَطِئَ الحصا وفي رَوْضةٍ بَيْنَ الأساطينِ والقبرِ

فَتُبْنا وأَشْهَدْنا الزُّبَيْرَ وإن نَعُدْ بِنَقْضٍ فما مِن تَوْبةٍ آخرَ الدَّهْرِ

قال أبو غزية : يريد الزبير بن خبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير » .

وذكر محقق الكتاب شيخنا أبو فهر في تعليقه عليه أنه لم يجد لحاتم هذا ترجمة . وأما ابن أبي صبح ـ وقد روى له الزبير في كتابه هذا شعراً كثيراً ـ فقال شيخنا فيه ، ص :

٦٧ ـ ٦٨ التعليق : ٢ : « ابن أبي صبح المزني ، هو عبد الله بن عمرو بن أبي صبح المزنيّ ، وسيأتي له شعر كثير ، ورأيت له ترجمة في الفهرست لابن النديم : ٧٣ ، ٧٤ [ ٤٩ ـ ط . فلوغل ، ٥٥ ـ ط . طهران ] وقال : « أعرابي بدوي ، نزل بغداد وبها مات . كان شاعراً فصيحاً أخذ عنه العلماء ، وله مع الفقعسي أخبار طريفة » يعني محمد بن عبد الملك الأسدي الفقعسي راوية بني أسد » .

قلت : وترجمته هذه نقلها القفطي بتصرف في إنباه الرواة ٢ : ١٢٥ ، وقد صحفت نسبته فيه إلى « المرّيّ » .

(٤) وقد وجدت الناشر أثبت في عجز البيت : « عن الغنم .... » لا « على الغنم .... » كما نقله الأستاذ .

(٥) انظر تعليق الأستاذ عبد السلام هارون على المقطعة في شرح الحماسة ، وتخريج الدكتور نوري القيسي لأبياتها في شعر مالك بن الريب ، شعراء أمويون ١ : ٥٢ .

# ملاحظات
# على
# ديوان بشار بن برد

الدكتور محمد حموية

يعد ديوان بشار بن برد الذي نشره العلامة محمد الطاهر بن عاشور ، رحمه الله ، في القاهرة ، في ثلاثة أجزاء ( صدر الأول منها في سنة ١٩٥٠ والثاني في سنة ١٩٥٤ ، والثالث في سنة ١٩٥٧ ) أوفى ماوصل الينا من شعر بشار الضائع على مافي المخطوطة التي كانت بحوزة ابن عاشور من نقص ، اذ كانت الى أثناء حرف الراء ، إلا أن ماوقع في الأجزاء الثلاثة المطبوعة من تحريف وتصحيف شاعا في كل قصيدة من قصائد الديوان قد وعّر السبيل إلى الإفادة التامة مما نشر .

وكان ابنُ عاشور قد أشار في مقدمته للديوان إلى أن المخطوطة التي كانت بحوزته كتبها ناسخ لم يكن ذا حظ كبير من العلم ، فحرّف وصحف وترك بياضا في المواضع التي عسرت عليه قراءة الاصل الذي نقل منه . وهذا ظاهر من الاشارات التي أكثر ابن عاشور منها في حواشيه على أبيات الديوان مما يدل حقا على ضعف الناسخ . وقد بين ابن عاشور خطته في العمل عندما أعد الديوان للنشر فأصلح مواضع الغلط ، أو رجح قراءة الكلمة على وجه يخالف مافي المخطوطة ، أو ترك الكلمة كما هي إن لم يهتد إلى وجه الصواب فيها . إلا أنه وقع أيضا في أوهام في

بعض مااختاره من قراءات ، أو في شروحه لأبيات الديوان ، وربما كان تبحره في العلوم العربية واطلاعه على الشعر العربي سببا في بعض هذه الهنات ، اذ كانت تتبادر الى ذهنه هذه المعاني الشعرية أو الوجوه اللغوية والنحوية فكان يخرج عليها أبيات بشار مما زاد الأمر صعوبة واشكالا .

وعندما تولى الأستاذان : محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين أمر مراجعة الديوان لطبعه ضمن مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر ، كانت بحوزتهما المخطوطة الأصلية للديوان ، وكذلك النسخة التي أعدها ابن عاشور للطبع وعليها شروحه ، فأصلحا جهدهما بعض المواضع ، كما وقعا في أوهام جديدة مما زاد الامر إشكالا على اشكال .

وكان من الضروري أن ينبري الباحثون لاصلاح مايمكن اصلاحه من هذه التحريفات والتصحيفات ، لما لبشار من المكانة في ميدان الشعر العربي ، وكان من حسن الحظ أن أستاذنا العلامة الدكتور شاكر الفحام قد نشر بعض مالديه مما ارتأى اصلاحه في ديوان بشار في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ( مج ٥٣ و ٥٤ ) ثم جمعت هذه الاصلاحات ونشرت في كتاب بعنوان نظرات في ديوان بشار بن برد ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، في طبعتين الأولى صادرة في سنة / ١٩٧٨ / م والثانية في سنة / ١٩٨٣ / م ، وهي الطبعة التي بين يدي . وقد أصلح استاذنا تصحيفات كانت مستعصية على الحل فردها إلى الصواب ، فأصبحت الأبيات بعد ذلك مشرقة منيرة تنبئ عن نسيج أبي معاذ المحكم .

وكان أستاذنا قد أشار في مقدمة كتابه ( ص ٥ ) إلى أن بعض الباحثين قد نشر ملاحظات على الديوان مما يتصل باصلاح الخطأ فيه ، الا أن الحظ لم يسعدني بالوقوف عليها .

وقد كنت قرأت هذه الاجزاء الثلاثة من ديوان بشار فجمعت ملاحظات كثيرة يتصل أغلبها بما وقع في الديوان من التصحيف والتحريف وخلل الضبط ، والشروح التي جونب فيها وجه الصواب ، فرأيت أن أكتفي ببعض هذه الملاحظات التي تتصل بالتصحيف وما اليه ، وأعرضتُ عن الكلام على الشروح الخاطئة ، وأحببت أن أضعها بين يدي المهتمين بشعر بشار عسى أن يجدوا فيها بعض النفع ، وماأزعم أني جئت بالحق الصراح الذي لايقبل النقاش ، وما هي الا ملاحظات غلب على ظني صوابها وكان رائدي فيها شعر بشار نفسه ، إذ أنه كثيراً ما كان يكرر المعنى الواحد بتعبيرات مختلفة ، فكنت أسترشد بالصواب منها على مواضع الخطأ الذي تفشى في الكلمات ذات الحروف المتشابهة ، وقد راعيت في كل ذلك الرسم الاملائي للكلمة في الأصل المطبوع فلم أغير في صورته جهدي ، على أنني اعترف بأن كثيرا من هذه المواضع استعصى عليّ حلها فلم أهتد الى وجه الصواب فيها ، فاحتفظت بذلك لنفسي .

ومن الواضح أن هذه الملاحظات لاتحتمل الاثقال بتخريج الأبيات المستشهد بها ، أو الحواشي الطويلة ، اذ أن غايتها التنبيه على مواضع الغلط ليس غير . وقد اقتفيت فيها أثر أستاذنا في نظراته فأشرت إلى ابن عاشور بالشارح والى محمد رفعت فتح الله ومحمد شوقي أمين بالمراجعين ، رَوْماً للاختصار وعدم التكرار .

## الجزء الأول من الديوان

١ ـ قال بشار في أبي أيوب المكي ( ١ : ١٠٢ ) :

تجهزطال في النصب الثواء  ومنتظر الثقيل عليّ داءُ

والبيت مطلع قصيدة في هجاء أبي أيوب المكي . وذكر الشارح في الحاشية :

« قال في أبي أيوب المكي ، واسمه مسلمة بن قيس كما سيأتي في القصيدة ، وهو يلومه على عدم حفاوته به » .

ويشير الشارح إلى قول بشار من القصيدة نفسها ( ١ : ١٠٦ ) :

أوانَ يقول مسلمةُ بن قيس وليس لسيّد النوكى دواء

والحق أن أبا أيوب المكي ومسلمة بن قيس رجلان لارجل واحد .

أما أبو أيوب فقد هجاه بشار لأنه لم يكرم ضيافته ، أو خيّل اليه ذلك ، فقال فيه من القصيدة نفسها ( ١ : ١٠٣ ) :

على عيني أبي أيوب مني غطاء سوف ينكشف الغطاء
جفاني اذ نزلت عليه ضيفا وللضيف الكرامة والحباء

وأبو أيوب هذا هو سليمان بن أيوب المكي ، والمعلومات عنه شحيحة ، فقد ذكره الطبري ( ٨ : ١٤٠ ) في أحداث سنة ( ١٦١ هـ ) عندما عزله المهدي عن ديوان الخراج وولّى غيره ، كما أن الجهشياري ذكره في أيام المهدي في سنة ( ١٦٦ هـ ) في كتابه « الوزراء والكتاب » ص ( ١٥٤ ) بمناسبة ابن له ، أقر بزندقته أمام المهدي وتاب عنها فقبل المهدي توبته . وقد ذكر الجهشياري في كتابه : اسمه واسم أبيه وكنيته ونسبته إلى مكة[1] . وعلى هذا فالرجل كان من كتاب الخراج في الدولة العباسية . ولعل بشارا نزل عنده ضيفا أثناء تردده على بغداد ، فناله من بشار مانالة .

وأما « مسلمة بن قيس » الذي ورد اسمه في هذه القصيدة فقد ذكره بشار في معرض نصحه له في ألا يندفع وراء فتاة اسمها « قصاف » اذ انتبه أهلها للعلاقة بينهما ، فقال بشار على لسانه ( ١ : ١٠٦ ) :

أوانَ يقول مسلمة بن قيس     وليس لسيد النوكى دواء
رويدك عن قصاف عليك عين     وللمتكلف الصلف العفاء

وذلك في القسم الغزلي من القصيدة . وهذا القسم - أعني قسم الغزل - جاء بعد هجائه أبا أيوب ، خلافا لعادة بشار والشعراء في ذلك ، اذ المعروف أن يأتي الهجاء بعد الغزل ، ولكن بشارا اتخذ من نهي المهدي اياه عن الغزل ذريعة لذكر تعلقه بالنساء وتعلقهن به ، على مألوف عادته في ذكر المهدي ونهيه له عن الغزل ، ليندفع في الغزل المحبب الى نفسه ، وتذكر أيامه الماضية ، فقال في هذه القصيدة ( ١ : ١٠٤ ) :

ولولا القائم المهدي فينا     حلبت لهن ماوسع الاناء

ثم يقول بعد ذلك ( ١ : ١٠٦ ) :

فهذا حين تبت من الجواري     ومن راح به مسك وماء
وإن أك قد صحوت فرب يوم     يهز الكاس رأسي والغناء

........

أوانَ يقول مسلمة بن قيس     وليس لسيد النوكى دواء

الخ .....

فمسلمة بن قيس صديق لبشار ، ناصح له ، مشفق عليه ، وبينه وبين أبي أيوب فرق زمني فهو متقدم على أبي أيوب في الزمن ، وليس في

الأبيات مايدل على أنه هو ، ولست أدري كيف تبادر الى ذهن الشارح ذلك ، والأبيات واضحة في أنهما رجلان لارجل واحد .

٢ ـ قال بشار متغزلا من قصيدة في مدح عقبة بن سلم ( ١ : ١٠٨ ) :

لاتلوما فانّها من نساء مشرفات يطرفن طرف الظباء

لم يعلق الشارح المحقق على هذا البيت شيئاً ، وذكر المراجعان في الحاشية « لعل مشرفات محرفة عن مترفات » .

ونرى أن صواب الكلمة ( مشرقات ) بالقاف ، يريد بذلك بهجة اللون ووضاءة الوجه كما قال في هذا المعنى ( ٢ : ٣٢٧ ) :

تُدْني القناعَ على محاسن مُشْرق كالبدر يحفل عصفرا وعقودا

وكما قال ( ٣ : ٢٠٥ ) :

مشرقات الوجوه يسحبن للهـ ـو عيوناً مكسورة بفتور

وفي البيت تصحيف سننبه عليه في كلامنا على الجزء الثالث .

وقال أيضا ( ٣ : ٢٣٣ ) :

ظعنا من بني عقيل بن كعب مشرقات الوجوه عينا وحورا

وقد وردت كلمة ( مشرقات ) مصحفة في هذا البيت الى ( مشرفات ) أيضا ، كما هو في البيت الذي نتكلم عليه ، وصوابه كما جاء في البيت الذي تقدم على هذا ( ٣ : ٢٠٥ ) .

وقد وصف بشار غلاما بهذا الوصف ، فقال ( ١ : ٣٧٠ ) :

يهذي بخشف مؤنق مشرق مقابل الجدين منسوب

ووصف امرأة فقال ( ٢ : ٣٠ ) :

تريك أسيل الخد أشرق لونه    كشمس الضحى وافت مع الطلق أسعدا

٣ ـ وقال بشار ( ١ : ١٠٨ ) :

أنت باعدته فأمسى من الشو    ق صريعاً كأنه في الفضاء

الصريع لايكون في الفضاء ، والصواب ( القضاء ) بالقاف ، ويريد بالقضاء الموت كما قال ( ١ : ١٢٩ ) :

تزل القوافي عن لساني كأنها    حمات الافاعي ريقهن قضاء

ولعل سبب اختيار الشارح لكلمة الفضاء ـ ان لم يكن في الأمر خطأ مطبعي ـ مابقي في ذاكرته من معنى الآية الكريمة : ( ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعّد في السماء ) [ سورة الأنعام ، آية ١٢٥ ] وليس هذا ماأراده بشار ، اذ أنه استعمل الفضاء بمعنى الفَرَج في مقابل الضيق في قوله : ( ١ : ١٢٦ ) :

اذا سفرت طاب النعيم بوجهها    وشبه لي أنَّ المضيق فضاء

( في الديوان أسفرت ، والتصحيح من « نظرات » ص ٥٣ ) .

٤ ـ وقال بشار ( ١ : ١١٢ ) :

قد كساني خزا وأخدمني الحو    ر وخلاّ بنيتي في الحلاء

لامعنى ( لخلاّ ) هاهنا ، وحقها أن تكتب ( خلّى ) ، والصواب فيها ( حلّى ) بالحاء المهملة أي حلاها بالحلي .

٥ ـ ( ١ : ١١٣ ) :

ويقول الوشاة أحببت سعدى    صدقوا والجليل حبي عياء

قد يوصف الحب بأنه ( داء عياء ) ولكن الأرجح ماورد على لسان الشاعر في وصف حبه بأنه عناء ، في قوله ( ٣ : ١٦٢ ) :

كأنني من عناء الحب في سنة مطرح بين إقبال وإدبار

وفي قوله ( ١ : ١٠٨ ) :

وأعينا امرأ جفا وده الحي وأمسى من الهوى في عناء

٦ ـ قال بشار من قصيدة تغزل فيها بعبدة ( ١ : ١١٦ ) :

من بنات الملوك لا .... غاها الى العلاء العلاء

قال الشارح في هذا البيت ( وفيه بياض بعد قوله لا ) :

( «نماها الى العلاء العلاء » معناه نسبها الى الرفعة أبوها المسمى بالعلاء ، فاكتسبت من اسم ابيها علوا اذ هي ابنة العلاء ، وهذا يدل على أن عبدة ابنة رجل اسمه العلاء ) .

وقد ذكر هذا أيضا في ( ص ١١٥ ) عندما عرّف بعبدة ـ لأن القصيدة التي منها هذا البيت هي أول قصيدة ـ بحسب ترتيب الديوان ـ في التغزل بعبدة ـ ومن عادة الشارح أن يعرّف في القصيدة الأولى بالرجل الذي يمدحه الشاعر أو الفتاة التي يتغزل بها فاستظهر هناك ( ص ١١٥ ) أن يكون اسم أبي عبدة العلاء . واستظهاره هذا ناشئ من التسرع ، لأن الأبيات التي ورد فيها ذكره هذه الفتاة ( ١ : ١١٦ ) ابتداء من قوله :

وجوارٍ اذا تحلّين لم تد ر أشاءً في حليها أم نساء

الى قوله :

ضــــامهن الـــذي تمنين شغلي بفتــاة منهــا التقى والحيــاء

في فتاة غير عبدة ، وذلـك أن الجواري اللواتي ذكرهن ، قـد تعرضن لـه ـ يوم سلوان ـ بفتـاة من بنـات الملوك ، وهي ابنـة العلاء ، جميلـة ، تنطوي له على حب ، ورحن يدعونه اليها ، فـأعرض عنهـا لأنـه مشغول بعبدة عما سواها . فـابنـة العلاء هي غير عبـدة ، وهـذا واضح لمن تـأمل الأبيات .

٧ ـ ( ١ : ١١٧ ) :

هي كالشمس في الجَلاء وكالبـد ر اذا قنعت عليهـــــا الرداء

ضبطت الجيم من ( الجلاء ) بالفتح ، والصواب أن تضبط بـالكسر ، لأن معنى الجلاء بـالفتـح الخروج من بلـد الى بلـد ، وذلـك ليس مرادا ، وأمـا الجلاء بكسر الجيم فهـو صقـل المرآة والسيف وجلـوة العروس ، وهـو المراد هنا .

٨ ـ ( ١ : ١١٧ ) :

فخمــة فعمــة برود الثنــايـــا صعلــة الجيــد غــادة غيــداء

ذكر الشارح أن المراد بصعلة الجيد أنهـا دقيقـة العنق . والصعل دقـة في العنق والرأس معا ، ويوصف به النعام ، ولا يأتي في وصف النـاس الا في مقام الـذم . ولامعنى لوصف المرأة الجميلـة بـدقـة العنق ، والصواب في ذلك « صلتة الجيد » وهو ماتوصف به المرأة الجميلـة . قـال الحـادرة وذكر عنق امرأة :

وتصدفت حتى استبتـك بواضحٍ صلت كمنتصب الغـزال الأتلـعِ

وربمـا كانت كلمـة الجيـد مصحفـة عن الخـد ، اذ أن نـاسـخ هـذه

المخطوطة قد يرتكب مثل هذه التصحيفات . وقد جاء عن العرب وصفُ الخد أيضاً بذلك . قال المرار بن منقذ :

صلتة الخد طويل جيدها     ناهد الثدي ولما ينكسر

كما أن بشاراً وصف غلاما فقال ( ١ : ١١٢ ) :

وحباني به أغر طويل البا     ع صلت الخدين غض الفتاء

٩ ـ وقال بشار في هجاء أبي هشام الباهلي ( ١ : ١٢٠ ) :

تشاغل آكل التمر انتجاعا     وتكدي حين يَسْمعك الرعاءُ

والصواب ضبط ( يَسْمعك ) ( يُسمِعك ) من ( أسمع ) لا من ( سمع ) . يريد أن أبا هشام يخرج الى الكدية مبكرا حالما يسمع صوت الرعاة ، وهم ، عادة ، يخرجون مبكرين الى المراعي .

ومن وصية أبي زيد السروجي لابنه من المقامة الساسانية يحضه فيها على التبكير في الكدية « فكن أجول من قطرب وأسرى من جندب » .

١٠ ـ وقال بشار يهجو يحيى بن صالح ( ١ : ١٢٢ ) :

أحين طلتَ على من قال قافية     وطال شعري بحيي بعد أحياء

ذكر المراجعان أن الشارح ضبط التاء من قوله ( طلت ) بالفتح على أنها للمخاطب بينما كانت في المخطوطة بضم التاء للمتكلم ، ولم يعلقا على ذلك شيئا . والصواب ماجاء في المخطوطة اذ لم يكن ليحيى بن صالح من شعر سائر بين الناس ، وهذا المعنى مما يصف به الشاعر نفسه عندما يتوعد خصمه فيقول : أتعاديني وقد اشتهرت وشاع ذكري وشعري بين الناس ، ولذلك قال في الشطر الثاني ( طال شعري ) وهو المناسب

لتاء المتكلم في الشطر الأول ، والبيت الذي يليه في القصيدة يوضح صواب مافي المخطوطة أيضا[2] .

١١ ـ قال بشار ، وذكر حماد عجرد ، في ضمن هجائه يحي بن صالح ( ١ : ١٢٤ ) :

قد سبّح الناس من وسمي أبا عمر فهل ربعت على تسبيح قرّاء

وحماد عجرد هو أبو عمر . وقد تعرض الشارح لتبيين معنى البيت بما لايتبين ولايتوضح فقال : « والمعنى هنا فهل رحمت لابتهاج الناس وتسبيحهم حتى هجوت انا أبا عمر فلذلك غضبت له » .

وأما المراجعان فقد وفقا في فهم معنى البيت ، وأن التسبيح هاهنا يدل على التعجب ، ولكنهما عدلا عن ضبط قراء بضم القاف كما ضبطها الشارح الى ضبطها بفتح القاف كما جاء في المخطوطة . ونرى أن الصواب أن تضبط بضم القاف كما ضبطها الشارح المحقق ، لان ( القراء ) بفتح القاف الحسن القراءة ، وأما ( القراء ) بضم القاف فهو الناسك المتعبد والجمع قراؤون وقوارئ[3] ، والمعنى على هذا ، ( أي الناسك لا الحسن القراءة ) .

وقال بشار في مثل معنى الشطر الثاني ( ١ : ٢٠٦ ) :

ولو شئت تمتعنا ولو سبح « يعقوب »

يريد لو رضيت بوصالنا لتمتعنا ، وان تعجب من ذلك « يعقوب » وأنكره .

١٢ ـ قال بشار في هجاء من يدعى بشرا ( ١ : ١٢٥ ) :

منيتي بشرا وبشر فتى لايشتري الحمد بإعطاء

ضبطت التاء من ( منيتني ) بالفتح على أنها للمخاطب المذكر ، ونرى أن الصواب كسرها خطاباً لانثى ، على عادة العرب في ذكر نسائهم عند الاستعطاء .

١٣ ـ وقال بشار هاجيا ( ١ : ١٣٠ ) :

وان تعللت الى زلــــــــة     أكلت في سبعــــة أمعـــــاء

قال الشارح رحمه الله في تفسير هذا البيت « التعلل التشاغل أو التلهي بأمر ، وعداه هنا بالى لأنه ضمنه معنى الميل ، وقوله : « أكلت في سبعة امعاء » كناية عن الكفر ، لما ورد في الحديث الصحيح : الكافر يأكل في سبعة أمعاء ، أي اذا زللت عن غفلة كفرتني » . ا هـ .

ولم يعلق المراجعان على هذا الشرح والضبط الا بقولها « ربما كانت التاء في تعللت وأكلت للمخاطب » ولاندري أكانا يريدان ـ بقولها هذا ـ ان التاء كانت مفتوحة في المخطوطة أم أن السياق يقتضي ذلك ، كما هو واضح من الأبيات لانها في الهجاء . والصواب أن تضبط التاء من « تعللت وأكلت » بالفتح في كليها ، لأن الشارح رحمه الله ، تأول الكلام تأولا بعيدا عن الصواب ، لأن الزلة هنا ليس المراد بها الزلل والخطأ وانما المراد بها ( الوليمة ) فهو يقول لمهجوّه : اذا كنت في وليمة أكلت في سبعة امعاء ( كما هو حال الكافر ) . وقد جاءت كلمة ( الزلة ) في شعر بشار مرادا بها ( الوليمة ) في مقام الهجاء أيضا . كما جاء في هجاء حماد عجرد ( ٣ : ١٢٣ ) :

وان جئت يـومـا الى زلـــة     أكلت كما يـــأكل القرهـــــد

وفسرت ( الزلة ) هناك بالعرس .

١٤ ـ قال بشار هاجيا ( ١ : ١٣١ ) :

كأنما عاينت بي عائفا    أزرق من أهل حروراء

قال الشارح في معنى البيت « أراد بالعائف الكاره العادي ، على سبيل المجاز ، ووصفه بالأزرق مبالغة في عداوته للناس ، فان الازرق من الاوصاف الغالبة اتباعا للعدو . قال الحريري « حتى رثى لي العدو الأزرق » أو أراد به الواحد من الأزارقة .... وأهل حروراء هم الخوارج الذين خرجوا عن علي رضي الله عنه بحروراء ، ناحية من نواحي الكوفة » الخ ماقال .

ونرى أن الصواب في قوله ( عائفا ) ( عائنا ) أي يصيب الناس بالعين ( اللسان : عين ) . وأما قوله ( أزرق ) فانه يريد به زرقة العين ، وهي في اعتقادهم أشد ضررا ، وقد ذكر بشار هذا المعنى في قوله ( ٢ : ١١٤ ) :

تراخت في النعيم فلم تنلها    حواسد أعين الزرق القباح

وزرقة العين نادرة في العرب ، مكروهة عندهم ، واذا ماأرادوا نفي انسان من العرب وصفوه بها . قال ذو الرمة يهجو حيّاً من تميم يدعى ( امرأ القيس ) :

ان امرأ القيس هم الأنباط    زرق اذا لاقيتهم سناط

وهذا معنى قول بشار : ( من أهل حروراء ) يريد عائنا أزرق العين غير عربي ، وهو هاهنا من أهل حروراء وهم نبط لا عرب ، ولايريد بهم الخوارج ، وان كانت نسبتهم « الحرورية » اليها ، لأنهم عرب اقحاح .

١٥ ـ قال بشار من أرجوزة يمدح بها « عقبة بن سلم » ( ١ : ١٤١ ) :

حــور العيــون نــزّه الاحبــاب

في وصف نسوة . ولم يشرح المحقــق من البيت شيئــا ، وانمــا شرح المراجعــان قولــه « نزه » ونرى أن الأحبــاب تصحيف ( الأجيـاب ) مفرد ( الجيب ) يريد أنهن جميلات عفيفات ، كما يقال : فلانٌ نـاصحُ الجيب ، من ذكر اللباس وارادة اللابس ( نظرات ص ٥٦ ) .

١٦ ـ ومن الأرجوزة نفسها قوله في عقبة ( ١ : ١٤٢ ) :

وأنت شغّـــاب على الشغّـــاب
للخطـــــــــة الفقهاء آب آب
من ذي حروب ثــاقب الشهــاب

قــال الشــارح في قـولـه : من ذي حروب بيــان للشغــاب ... الـخ ماقـال . والصواب « مردى حروب » والأصل في المردى أنـه حجر يرمى به ، ويوصف بـه الرجل الشجـاع فيقـال « مردى حروب » وبيت بشـار تضمنـه بيت الأعشى البـاهلي في رثــاء ( المنتشر بن وهب البــاهلي ) من قصيدته الرائية المشهورة ( خزانة البغدادي ١ : ٩٤ ) :

مردى حروب ونـور يستضـاء بـه كما اضــاء ســواد الظلمــة القمر

وقال عوف بن عطية ( المفضلية : ٩٥ ) :

ألم تر أننـــــا مردى حروب نسيــل كأننــــا دفـــاع بحر

وقال العجاج ( ديوانه : ج ١ ص ١٢١ ) :

لمــا رأوا منــا ايــادا ســـامكا مردى حروب يفرج اللكائكا

١٧ ـ ومن الارجوزة نفسها قوله ( ١ : ١٤٤ ) :

اني من الحبس على اكتئـــــاب

فـاحسم تبيـا أو تنيـل مـا بي
ولا يكن حظي انتظـار البـاب

في قوله ( فـاحسم تبيـا أو تنيل مـابي ) أعوص تصحيف وأغمضـه في الديوان كله ، لأنه ليس في اللفظ ما يرشد الى معناه .

وقد قال فيه الشارح : « تبيا أصلها تتبيـا أي تتبين أو يقـال بيـاك الله أي قربك اليه وأنعمك » .

والصواب فيه : فاحسم بتيًا أو بتيك مابي .

و « تيـا وتيـك » اسما اشـارة ، ولابـد من شرح المعنى حتى يتضح المراد ، وتلخيص المعنى المراد هنـا ان بشـارا يستنجـز ( عقبـة ) وعـداً بالعطاء ، ولكنه أطال حبسه ( مكثه ) على بـابـه دون انجـاز ، فتضـايق بشار من هذا المطل فطلب من ممدوحه أن يحسم الامر امـا بنعم وامـا بلا « فتيا وتيك » اشـارتـان الى « نعم ولا » ، وقـد استعمل بشـار هـذا المعنى بهذين اللفظين في شعره فقال ( ٣ : ١١٩ ) :

صـــدق البخيــل يسرني ويســوؤني كـــذب الجــواد
اني لانجــز مـــاوعـــد ت على الطريف وفي التــلاد
واذا سئلت أتيتهـــــــا ضرب الأمير طـلا الاعــادي
امــا بتيـــا أو بتيـ - - - ــك وراحـة ترك الكـداد

وقـد فسر الشـارح قولـه هنـا ( تيـا وتيـك ) ، بعـد ان بين انهما اسما اشارة ، بالصغيرة والكبيرة ( من العطاء ) وليس هـذا وجـه المعنى ، وانمـا هو في بيته وفي الرجز معناه ( نعم أو لا ) أي : اما أن أمنع منعـا ظـاهرا فأقول لا واما ان اقول نعم فأنجز فورا مـاوعـدت ، ولا أترك المجتـدي بين لا ونعم يغـدو ويروح فلا يـدري أيعطى أم يمنـع . وقـد بين بشـار هـذا

المعنى ( أي المنع أو العطاء ) وليس القليل والكثير ، كما ذهب الى ذلك الشارح ، في قوله من قصيدته الدالية المتقدمة :

يا صاحِ لاتلو العدا ت فانها دين الهوادي
ان السبيل على اثنتيـ ـن اخترهما يابن الجياد
اما تسامح أو تجا مح ليس ثالثة لعاد
يكفيك ( لا ) طول العيا د و ( لا ) اجتهادا من مناد

فهو يقول : ليس لمن يقصد الا احدى اثنتين : اما ( نعم ) وهي معنى قوله « تسامح » واما ( لا ) وهي معنى قوله ( تجامح ) وليس من كلمة ثالثة للعادّ ، فان أردت المنع فقل ( لا ) رافعا بها صوتك حتى تكفى طول معاودة الطالب لك ( في أصل الديوان العباد ، بباء موحدة ، واصلحناها الى العياد وهي المعاودة وهو المعنى الصحيح ) وقد وضعنا كلمة ( لا ) بين قوسين حتى يظهر معناها للقارئ(4) .

ولذلك قال في البيت الثاني من هذه القصيدة ( ٣ : ١١٨ ) :

صرح باحدى كلمتيـ ـن وخذ أمانك من جهادي(5)

وقد أفرد البحتري بابا لهذا المعنى في حماسته ، وهو الباب الخامس والثمانون ومنه قول هرم بن غنام السلولي :

اذا قلت في شيء نعم فأتمه فان نعم دين على الحر واجبُ
والا فقل لا واسترح وأرح بها لكيلا يقول الناس انك كاذب

١٨ ـ وقال بشار ( ١ : ١٤٦ ) :

شتان مجدود ومن جده كالكعب ان ترحل به يرتب

كتب الشارح في حاشية البيت : قوله كالكعب لعله تحريف صوابه

كالكلب ، ولم يشرح هذا المعنى الذي ذهب اليه ، وانتبه المراجعان الى أن الكلمة صحيحة لان رتب تقال للكعب لا الكلب . يقال : رتب الكعب رتوبا اذا انتصب ، والكعب يلعب به في المقامرة[6] . قال الأجدع الهمداني ( السمط ج ١ ص ١٠٩ ) :

وكأنّ صرعاها كعاب مقامر     ضربت على شزن فهن شواع

وقد أدرك المراجعان معنى البيت على مافيه ، ولكنهما وهما في معنى الشطر الثاني اذ قالا : « وحظوظ الدنيا مثل الكعاب فمن الناس محظوظ فائز ومنهم من يقف الكعب دون فوزه ولو أكثر اجالته ورميه » .

ونرى أن قول بشار ( مجدود ) من الجد وهو القطع وهو بمعنى ( المحدود ) بالحاء المهملة ، إن لم تكن محرفة عنها . أي من الناس من هو محروم ومنهم محظوظ لو رمى بكعب لوقف وثبت ـ ووقوف الكعب وثباته واقفا علامة الفوز لا الخسارة اذ قلما يقف الكعب ـ فان توالى ذلك أي وقوف الكعب دل على حظ صاحبه . وبناء على هذا فان قوله ( ترحل به ) لا معنى له صوابه ( تزجل به ) يقال ( زجل به ) اذا دفعه ، والكعب يزجل به أي يدفع .

١٩ ـ وقال بشار ( ١ : ١٤٧ ) :

مكية تبدو اذا مابدت     بالميث من نعمان أو مغرب

ضبط المراجعان كلمة ( نعمان ) بفتح النون كما وردت في المخطوطة ، وكان الشارح قد ضبطها بالضم ، وهو واد بين مكة والطائف . وضبطُ ( نعمان ) بفتح النون هو الصواب[7] . وأما ( مغرب ) بضبط الكلمة على وزن الجهة فلا يصح هنا ، اذ ليست الجهة مرادة ، والصواب ضبطها بضم الميم ، لأن ( مغرب ) واد أيضا قرب مكة ( معجم مااستعجم : « مغرب »

وانظر احالته الى مادة ياجج ) .

٢٠ ـ وقال بشار يمدح يزيد بن عمر بن هبيرة ( ١ : ١٤٩ ) :

زين سرير الملك في المغتدى وغرة الموكب في الموكب
كأن مبعوثاً على بابه يدني ويقصي ناقدا يجتبي

لم يعلق الشارح والمراجعان على البيتين بشيء .

والصواب في قوله ( المغتدى ) ( المنتدى ) وهو مجلس القوم . يريد أن ممدوحه يزين سرير الملك في حَضَره ، كما أنه يزين الموكب في سفره ( للحرب أو غير ذلك ) . وقد كرر بشار المطابقة بين الإقامة والمسير في أبيات كثيرة فمنها قوله ( ١ : ٢٧٨ ) :

ضرّاب أعناق وفكّاكها في مجلس الملك وظل العقاب

ومنها قوله ( ٣ : ٨٢ ) :

إمامٌ يحيّا في الحجاب وتارة رئيسُ خميسٍ تحت ظل المطاردِ

وقوله ( ١ : ٢٣٣ ) :

أغر أبلج تكفينا مشاهده في القاعدين وفي الهيجا اذا ركبوا

وأما البيت الثاني فان ( مبعوثا ) ان لم يكن مصحفا فهو اسم الحاجب ، وهو اسم كأن في البيت وخبره ( ناقد ) في الشطر الثاني من البيت ، وحقه الرفع كما ترى . يريد بشار أن مبعوثا الحاجب في ادخاله بعض الناس الى الممدوح واقصائه بعضهم كالصيرفي الذي يقبل الدراهم الجياد ويرد الزائف منها ، فضرب الدراهم مثلا للرجال ، والناقد هو الصيرفي . قال جرير في الفرزدق :

فلا تقبلوا ضرب الفرزدق انه هو الزيف ينفي ضربه كل ناقد

٢١ ـ وقال بشار في مدح يزيد بن عمر بن هبيرة ( ١ : ١٥٠ ) :

دأبتُ حتى جئتــــــه زائرا ثــم تـعـنـيـت ولـم أَدْأَبِ

لم يتكلم الشـــارح على البيت بشيء ، وفسر المراجعـــان قـولـــه ( تعنيت ) بـأنـه هنـا بمعنى ( قصـدت ) . وهـذا لا يستقيم مـع المعنى ، اذ المعنى أنه استغنى عن الدأب والطلب عند وصوله الى الممدوح ، فـالصواب في قــولــه ( تعنيت ) ( تغنيت ) بـــالغين المعجمـــة ، أي مكثت وأقمت وهوأحد معاني هذه الكلمة أو استغنيت وهو من معانيها أيضا .

٢٢ ـ وقال بشار يمدح ابن هبيرة من القصيدة المتقدمة ( ١ : ١٥٢ ) :

خرجن من ســــوداء في غرّة يردين أمثـــال القنـــا الشزب

لم يشر الشـــارح والمراجعـــان الى كلمتي ( ســوداء ) و ( غرّة ) و ( سوداء ) و ( غرّة ) مصحفتـان عن ( سوراء ) و ( غزة ) وهمـا موضعـان قرب ( عين التمر ) جرت فيها وقـائع لابن هبيرة مع الخوارج . قـال مسلم حـاجب يـزيـد بن عمر بن هبيرة يمـدحـه ويـذكر قتلـه الخـوارج هنـاك ( الطبري ٧ / ٣٢٨ في أحداث سنة ١٢٧ ) :

أرت للمثنى يــوم غــزة حتفــه وأذرت عزيرا بين تلك الجنادل

وعمرا أزارتــه المنيــة بعــدمـــا أطافت بمنصور كفات الحبـائل

( عزير : هكذا ورد في هذا الشعر براء مهملة وفي المتن بالزاي ) .

٢٣ ـ وقال بشار من القصيدة نفسها في مدح ابن هبيرة ( ١ : ١٥٣ ) :

ولــو ترى الازدي في جمعــــه كان كضليـــــــل بني تغلب

أيـــام يهـزون اليــــه الردى بكل مـــاضي النصـل والثعلب

حتى اذا قرّبــــــه حينُــــــه منهـــا ولــولا الحين لم يقرب

خـاض ابن جمهـور ولـو رامهـا مطـــاعن الأســـد على المشرب

الكلام على البيت الأخير منها ، ولايتضح الكلام الا بايراد الأبيات المتقدمة عليه .

ذكر الشارح أن المراد بالأزدي في هذه الأبيات هو المختار بن عوف الأزدي الخارجي وأراد بالضليل امرأ القيس الشاعر المعروف لأن بني تغلب اخواله ـ وهذا لايصح لأن امرأ القيس لم يعرف بهذا اللقب ـ وانما يشير الشاعر الى عدد من الخوارج ، ولعله أراد عبيدة بن سوار التغلبي الذي قاتله ابن هبيرة عام ( ١٢٧ ) هـ وهو أحد رؤساء الخوارج .

وقد أكثر الشارح في هذه الأبيات من حذف الجواب في هذه الأبيات وخلاصة ماقال : جواب اذا في البيت الثالث محذوف تقديره : قتل بأدنى وقعة ، وجواب لو في البيت الرابع محذوف والتقدير : لخاض اليه وظفر به .

ثم انه جعل فاعل ( خاض ) في البيت الرابع ضميرا يعود على جيش الممدوح أو على الممدوح نفسه ، وابن جمهور مفعول والتقدير : خاض قتال ابن جمهور . وأما مطاعن الأسد فقد ذكر عددا من الرجال الذين يمكن ان يطلق عليهم لقب ( مطاعن الاسد ) وكل هذا الذي أطال به هو من ثمار التصحيف اذ الصواب في البيت الرابع :

جاض ابنُ جمهور ولو رامها لطاعن الأسد على المشرب

وجاض معناها عدل ونكل عن القتال[8] . وكانت هذه عادة منصور الذي كان يفر من وقعة الى وقعة ، يريد ان الحرب قضت على الأزدي كما قضت من قبله على ضليل بني تغلب وكان ذلك مقدرا على الأزدي ، ولو لم يكن قدرا لما قاتل الممدوح ، واما ابن جمهور ـ وهو منصور ـ فقد

انهزم ، ولو رام القتال لقاتل الأسود . وهذا واضح من أبيات مسلم حاجب يزيد المتقدمة في ( ٢٢ ) في اقتراب منصور من الموت وفراره منه ، وكان منصور بن جمهور فرارا ، انتهى به فراره الى السند ومات هناك .

٢٤ ـ وقال من القصيدة نفسها ( ١ : ١٥٤ ) :

هناك عاد الدين مستقبلا وانتصب الدين على المنصب

كسر الشارح الباء من مستقبلا ، وفسر ذلك بأنه من قولهم :

أمر مقبل وأمر في اقبال ومستقبل ( بكسر الباء ) اذا حسنت حاله .

ونرى أن الصواب فتح الباء بمعنى ( مستأنفا ) أي جديدا ، أي عاد الدين جديدا بعد القضاء على الخوارج .

وهذا معنى معروف ذكره الشعراء فمن ذلك قول يحي بن محمد الاسلمي ( الطبري ٩ : ٦٦٣ في احداث سنة ٢٧٠ هـ ) :

تفرد اذ لم ينصر الله ناصر بتجديد دين كان أصبح باليا

وقول يحي بن خالد ( الطبري ٩ : ٦٦٤ في أحداث ٢٧٠ هـ ) :

ملك أعاد الدين بعد دروسه واستنقذ الاسرى من الاغلال

٢٥ ـ ومن القصيدة نفسها ( ١ : ١٥٥ ) :

وعاقد التاج على رأسه يبرق والبيضة كالكوكب

في أبيات ... الى قوله : أنهاك عن عاص عدا طوره ...

ضبط الشارح ( عاقد ) بالرفع وجعل الواو لعطف الجملة ، ظنا منه أن الأبيات في مدح ابن هبيرة ، وهي ليست في مدحه ، وانما هي في

وصف عدو متخيّل ، عظّم بشار من أمره ثم حذره من الممدوح ، وهي عادة معروفة لشعراء العرب ، فحق الواو أن تكون واو رب وعاقد مجرور بها ، أي ورب عاقد تاجه من شأنه كذا وكذا قلت له لاتقرب الممدوح وانهاك عن محاربته لأنه لا يقهر .

٢٦ ـ وقال من القصيدة المتقدمة في مدح ابن هبيرة ( ١ : ١٥٦ ) :

ان الالى كانوا على سخطه    من بين مندوب ومستندب
لما دنا منزله أطرقوا    اطراقة الطير لذي المخلب

لم يعلق الشارح على البيتين بشيء ، وتولى المراجعان ذلك فقالا : المراد بسخطه : كراهته والغضب عليه . والصواب ( شحطه ) أي بعده يريد أن أعداء ابن هبيرة كانوا يتنادبون للقتال ، وهو بعيد ، فلما دنا منهم أطرقوا وذلوا .

٢٧ ـ وقال بشار ( ١ : ١٥٧ ) :

وربما رابني النذير فعميـ ـ ـت رجاء الاصم عن ريبه

النذير مصحفة عن ( الندي ) ويريد به من يجالسه . ومعنى البيت : اذا رابني مجالسي تعاميت عنه حتى يرعوي . وقد قال من القصيدة نفسها ( ١ : ١٥٩ ) :

يخرجن من فيه للندي كما    يخرج ضوء السراج من لهبه

( في البيت تحريف آخر لم أهتد الى وجهه ) .

٢٨ ـ وقال بشار يفخر بنفسه ( ١ : ١٦١ ) :

حتى اذا درت الدرور له    ورغثته الرواة في نسبه

قال الشارح في رغثتـه « أرضعتـه ، والنسب هنـا مصـدر نسب بفتح السين بـالمرأة أي شبب بهـا في شعره : . والمعنى على هـذا حتى اذا درت الـدرور لـه ( وهي النـاقـة الغـزيرة اللبن ) وأرضعتـه الرواة في تشبيبـه بالنساء ، وهو كلام لايتحصل منـه معنى ، والصواب : ورغّثتـه الرواة في نسبه . والرواة هنا المراد بهم أهل الأدب وترغيثه أنهم أشـادوا بـه في لقبـه ( المرعث ) وهو لقب بشار ونسبـه يريـد بـه نسبتـه ولقبـه ـ كما قـال عن نفسه ( ١ : ١٢٣ ) :

أنـا المرعّث لاأخفى على أحــد ذرّت بي الشمس للداني وللنائي

**للبحث صلة**

# التعليقات

## الدكتور شاكر الفحام

حفلت مخطوطة ديوان بشار التي حققها الأستاذ العالم محمد الطاهر بن عاشور بألوانٍ من التصحيف والتحريف . وقد بذل الشيخ الطاهر - رحمه الله وأثابه - جهداً مضنياً ليخرج الديوان أقرب مايكون الى الصحة والسلامة . ولكن أنّى يطيق ذلك وقد عبث الناسخ أيما عبث بالديوان فأفسده وأحاله ، حتى كاد يصير غلطاً صرفا . وكنتُ في ماضيات أيامي قرأت الديوان قراءة بصيرة متأنية ، وأعلمت في حواشي نسختي على مابدا لي من تصحيف وتحريف وخطأ ، واخترتُ منه جملة صالحة نشرتها في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق لتكون شاهد ماوراءها ، وتَحْفِزَ علماء اللغة وفرسانها الأبيناء أن تتبارى أقلامهم في هذا الميدان ، وتشارك في إحياء هذا الجانب اللغوي الذي يشحذ الملكات اللغوية ، ويغني مباحث العربية بما يستدعيه من نقاش وحوار ومفاوضة ، ويفتح للناشئة أبواباً من الدراسة تتيح لهم التمكّن من أصول اللغة وتعرّف أسرارها .

وكلمة الدكتور محمد حموية خطوة جادة في الطريق ، ورأيتُ من تمام الكلام أن أعلق على بعض مالاح لي في كلمته ، وأنا لاأدعي أن ماجاء في الكلمة والتعليق عليها هو الصواب ، ولكنه الاجتهاد الذي ترجح لنا ، والمجتهد يصيب ويخطىء ، والمأمول أن نتلقى مايقوّم العوج ، ويسدّد الخطا ، وأن يظفر هذا الميدان الخصب بعناية العلماء واللغويين ، ليجدّدوا صرح العربية ، ويحفظوا لها بيانها ورونقها وديباجتها المشرقة . والله من وراء القصد .

(1) وذكر الطبري وابن الاثير ( في أحداث سنة ١٦٦ هـ ) اسم ابن أبي أيوب المتهم بالزندقة ، وهو محمد ( وانظر ديوان بشار ١ : ١٧ ) ، كذلك فان الطبري وهو يعرض لذكر الخبر عن بعض سير المنصور ( سنة ١٥٨ هـ ) أورد خبراً جاء في سند روايته « قال : حدثني عبد الله بن محمد بن أبي أيوب المكي عن أبيه قال : حدثني عمارة بن حمزة .... » .

(2) التبس الأمر على الأستاذ حموية ، فقد علق المراجعان بقولها : [ في المخطوطة : طلت بفتح التاء ، وضبطها الشارح بالضم ] . وهكذا يلتقي الأستاذ ابن عاشور والأستاذ حموية على الصواب ، وتصحيح ماوقع فيه الناسخ الماسخ . ولكن المراجعين آثرا ضبط المخطوطة ، فجاءت ( طلت ) في الديوان المطبوع بفتح التاء والصواب ضمها . وقد تسلل هذا الخطأ الى طبعة ديوان بشار الثانية ( ١ : ١٤٨ ) التي صدرت في الجزائر وتونس ( ١٩٧٦ م ) .

(3) للنحاة واللغويين أقوال في هذا الجمع المكسّر لفَعّال ( بضم الفاء وتشديد العين ، من أبنية المبالغة ) . انظر كتاب سيبويه ٢ : ٢١٠ ، وشرح شافية ابن الحاجب ٢ : ١٧٨ ، والصحاح ولسان العرب والقاموس المحيط وهامشه وتاج العروس وهامشه ( قرأ ، عور ) ، والمحكم لابن سيده ٢ : ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٦ : ٢٩٠ ( قرأ ، عور ) .

(4) لم يعلق الشارح على البيت الأخير في طبعة الديوان الأولى ، أما في الطبعة الثانية فقد علّق عليه بقوله ( ٣ : ١١٤ ) : « يكفيك لا : أي يكون كافياً لك حرف ( لا ) . وهذا بيان لقوله قبله : صرح باحدى كلمتين .... الخ . وقوله : ولا اجتهاداً : اي حرف ( لا ) أخت ( لا ) الأولى ، واجتهاداً ، مفعول فعل محذوف دلّ عليه العطف على يكفيك . وكتب في الديوان ( ولا احتهاد ) بحاء مهملة ، وضبط في الديوان بضمتين . ومن مناد : متعلق باجتهاد » .

(5) علّق الشارح على البيت بقوله : « هما نعم أو لا ، أي قل إحداهما ، ولاتخش قتالي ، أي هجائي » .

(6) أسقطت طبعة الديوان الثانية ( ١ : ١٧١ ) تعليق الشيخ ابن عاشور الذي جاء في الطبعة الأولى ، واكتفت بشرح موجز يتضمن مجمل ماأورده المعلقان دون أن تشير إليهما / انظر كتابنا « نظرات في ديوان بشار بن برد » ص ١٧ هـ ٤ .

(7) اقتصرت طبعة الديوان الثانية ( ١ : ١٧١ ) على ضبط « نعان » بفتح النون .

(8) كنتُ أعلمتُ في حاشية الديوان أن « خاض » مصحفة عن « حاص » بحاء وصاد مهملتين . و « حاص » و « جاض » بمعنى واحد وهو عدل وحاد وهرب . ( انظر غريب الحديث للخطابي ١ : ٣٣١ ـ ٣٣٢ ، وشرح مايقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد لعسكري ١ : ٤٨١ ـ ٤٨٢ ، واللسان / جاض ، حاص ) .

# شرح أبيات سيبويه

## تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني

محمد أحمد الدالي

### الجزء الثاني

٣٠ ـ ٢ / ١٠ ح ١ علق المحقق على قول ابن السيرافي : « قال الراجز وعندي أنه الحذلمي » قال : « لم تذكره المصادر لدي » .

قلت : « الحَذْلَمِيُّ » هذه النسبة إلى « حَـذْلَم » وهو لقب منقذ بن فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة . انظر تعليق الشيخ الجليل العلامة عبد الرحمن بن يحيي المعلمي اليماني رحمه الله تعالى على الأنساب ٤ / ٩٠ ( ط . بيروت ١٩٨٠ ) ، وتعليق العلامة الشيخ محمود محمد شاكر في طبقات فحول الشعراء ٢ / ٦٤٢ ـ ٦٤٣ ، ومعجم قبائل العرب ١ / ٢٥٥ .

والظاهر أن الشاعر « الحذلمي » هذا هو أبو محمد عبد الله بن ربعي .... بن حذلم ـ هو منقذ ـ بن فقعس .... بن أسد ، وأكثر ما يرد اسمه منسوباً إلى فقعس . يشهد لهذا أن ثمة أبياتاً بأعيانها وردت في بعض المصادر سمي قائلها في بعضها أبا محمد الفقعسي وفي مصادر أخرى الحذلمي . انظر تهذيب الألفاظ ١١٦ ، ٤٦٣ ، ٥٨٤ ، وأدب الكاتب ٤٥ ح ٧ ، وشرح أدب الكاتب للجواليقي ١٥٤ ، وسمط اللآلي ١٤٨

٣١ ـ ٢ / ٦٥ س ١٠ « يمدح بذلك بغيضاً وهم من بني سعد » اهـ .

الصواب : « وهو من بني سعد » .

---

● نشر القسم الأول من المقال في مجلة المجمع ( مج ٦٠ ص ٣٤٠ ) .

٣٢ ـ ٢ / ٦٨ س ٥ « والباء ههنا بمنزلة ( ما ) يريد أن .. » ا هـ .

وكيف تكون الباء بمنزلة ( ما ) ؟ والصواب : « والباء ههنا بمنزلتها في ( ما ) » . وانظر الكتاب ١ / ٣٦٢

٣٣ ـ ٢ / ١٣٦ س ٨ ـ ٩ أنشد ابن السيرافي قول أبي أسماء بن الضريبة أو عطية بن عفيف :

ياكرز إنك قد فتكت بفارس بطل إذا هاب الكماة مجرّبِ

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا

ثم قال : « وفي ظاهر الأمر أنه قد أقوى . ولو روي ( بطلٌ ) على الرفع لجاز ... » ا هـ .

قلت : هكذا روى ابن السيرافي البيت الأول ، وروايته في اللسان والتاج ( جرم ) ، والاقتضاب ٣١٣ :

بطلٍ إذا هاب الكماة وجبّبوا

وجببوا : إذا فروا .

٣٤ ـ ٢ / ١٧٠ ح ٢ قال المحقق معلقاً على الأبيات الثلاثة التي ثالثها :

ياصاح بلغ ذوي الحاجات كلهم أن ليس وصل إذا انحلت عرا الذنب

قال : رويت الأبيات الثلاثة منسوبة إلى أبي الجراح العقيلي في معاني القرآن ٢ / ٧٥ ... » ا هـ .

ولم يستشهد الفراء في هذا الموضع من معانيه إلا بالبيت الثالث وحده ، ولم ينسبه إلى أبي الجراح وإنما قال : « أنشدني أبو الجراح العقيلي : ياصاح ... » ا هـ وليس يعني هذا أن البيت له ، وهذا ظاهر .

وقد حكى المحقق عن البغدادي الذي نقل عن سمط اللآلي ٦٥١ نسبتها لأبي الغريب .

٣٥ ـ ٢ / ١٧٢ ح ١ أحال المحقق في تخريجه لأبيات دجاجة بن العتر التائية على المخصص ١٥ / ٢٣١ ؟ ولم أجدها فيه .

ونُسِب البيتان :

مـن كـان أسـرع ....

إلا كنـاشرة .........

لدجاجة بن العتر في أصول مجاز القرآن ١ / ٦١ ، ٢٨٣

**٣٦** ـ ٢ / ١٧٧ ح ٢ علق المحقق على الأبيات الثلاثة التي أنشدها ابن السيرافي والتي ثالثها :

في ليلـــة لانرى بهـــا أحـــداً يحكي علينـــا إلا كـــواكبهـــا

قال : « الأبيات لعدي بن زيد في ديوانه ق ١٤٦ / ٢ ـ ٣ ـ ٤ .... ورويت الأبيـات في خبر حبـابـة في الأغـاني ١٥ / ١٢٢ .... وفي الخـزانـة ٢ / ٢٠ زعم البغدادي أن سيبويه لم ينسب البيت إلى أحـد ، وهو منسوب في الكتـاب إلى عـدي بن زيـد ، وادعى أن الأصفهـاني نسب هـذه الأبيـات إلى أحيحـة بن الجلاح الأنصاري ، وهي في الأغاني بلا نسبة ... » ا هـ .

وفيما قال الأستاذ المحقق أشياء :

الأول : أنـه أحـال على ديوان عـدي فـأوهم أن الأبيـات ممـا ثبتت نسبتـه إلى عدي ، وليس كذلك ، فإن محقق الديوان قد جعلهـا في قسم الأبيـات المنسوبة إليه وليست له .

والثاني : أنه اتهم البغدادي ، وهو العالم الذي قضى عمره في التأليف في شواهـد العربية فألّف خزانة الأدب وشرح أبيات مغني اللبيب وحـاشيـة على شرح بانت سعاد ، وهو كغيره يعتريه الوهم والخطأ ، بيـد أنّ توهيمـه ونسبة الخطأ إليه لايكونان ولا سيما في باب الشواهد إلا بعـد الفحص والنظر والتمحيص والتتبع لأنه عـالم خبير بمصـادر العربيـة قـد صنع لشواهدها فهارس تيسر لـه الوصول إليهـا ، وكان لـديـه من الأصول المعتمدة ما كان يفخر ويعتز به ويذكره في كتبه .

فكان ينبغي للمحقق قبل أن يقول : « زعم البغدادي ... وادعى .. » أن يتثبت مما قال ، على ما في قوله من ادعاء واتهام . فإذا علمت أن المحقق هو الواهم فيما زعم كان أعجب وأغرب .

أما أنّ سيبويه لم ينسب البيت ـ وهو ما قاله البغدادي ـ فهو صحيح لم يزعمه . وقد أسلفت القول في نسبة شواهد الكتاب ( الفقرة الثالثة ) . وعبارة نسبة الشاهد في مطبوعة بولاق ١ / ٣٦١ جعلت بين حاصرتين إلماعاً إلى أنها وردت في بعض النسخ ـ ولعلها عن حواشيها ـ والعبارة هي : « قال الشاعر ( وهو عدي بن زيد ) » وهي تدفع أن تكون من كلام سيبويه . ولم يقع البيت منسوباً في نسخه البغدادي من الكتاب أو نسخه ، فقد قال البغدادي : « وهذا البيت نسبه الشارح [ يعني الرضي ] المحقق إلى عدي بن زيد موافقة لشراح شواهد سيبويه ، ولم ينسبه سيبويه في كتابه إلى أحد وإنما أورده غفلاً ... » وهذا قول عالم .

والثالث : أن المحقق نسب البغدادي إلى الادعاء بأن الأصفهاني نسب الأبيات إلى أحيحة وقطع المحقق بأنها في الأغاني بلا نسبة ، ولو رجع المحقق إلى ترجمة أحيحة في الأغاني ١٥ / ٣٦ لوجد الأبيات ثمة ، فما قاله البغدادي حق وصواب .

٣٧ ـ ٢ / ١٧٩ س ٨ « ... والضمير إذا وصله لم يحسن فصلُه ... » اهـ .

كذا وقع ، وفي الكلام سقط ، وتمامه : والضمير إذا [ أمكن ] وصلُه لم يحسن فصلُه ..

٣٨ ـ ٢ / ١٨٠ ح ١ ترجم المحقق في هذه الحاشية لأبي قيس بن رفاعة الأنصاري الذي أنشد له ابن السيرافي أربعة أبيات لامية ، فقال : « اسمه صيفي بن الأسلت ... » .

وهـذا خلـط ، فهـذه ترجمـة أبي قيس بن الأسلت لا أبي قيس بن رفاعة .

وأبو قيس بن رفاعة اسمه دِثار ، ونقل السيوطي عن ثعلب أن اسمه نفير ، قال أبو عبيد البكري : « وهو من شعراء يهود من طبقة الربيع بن أبي الحقيق ونظرائه . وهو شاعر مقلّ أحسبه جاهلياً » . انظر طبقات فحول الشعراء ٢٨٨ ، وسمط اللآلي ٥٦ ـ ٥٧ ، والخزانة ٢ / ٤٩ ، وشرح شواهد مغني اللبيب للسيوطي ٢٤٤ ، وشرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي ٥ / ٢٤٣ .

**٣٩** ـ ٢ / ٢٢٨ س ١ « وقوله ( فما أعني ) » ا هـ

كذا وقع ، والصواب « فلا أعني » يريد بيتْ الكميت الذي رواه ص ٢٢٧ .

**٤٠** ـ ٢ / ٢٤٢ س ١٠ « يريد أنه فعلت هذا ... » ا هـ

والصواب : يريد أنها ...

**٤١** ـ ٢ / ٢٤٦ ح ١ قال المحقق معلقاً على قول زهير :

تعلمن هـــــا لعمر الله ذا قسماً فاقصد بذرك وانظر أين تنسلكُ

قال : « البيت ... وجاء في عجزه ( فاقدر بذرعك ) وكذا في شرح ديوان زهير ... » ا هـ

قلت : رواية الأصمعي « فاقدر » ، ورواية ثعلب ـ وهو ما جاء في شرح ديوان زهير ـ « فاقصد » . انظر شعر زهير صنعة الأعلم ص ٨٨ ، وشرح ديوان زهير ١٨٢ ( ط . دار الكتب ) و١٣٧ ( ط . الدكتور فخر الدين قباوة ) .

**٤٢** ـ ٢ / ٢٦٤ ح ١ علق المحقق على قول ابن السيرافي : « قال الأخزم بن

قارب الطائي » قال : « لم تذكره المصادر لدي سوى ورود اسمه في البيان والتبيين ١ / ٣٣١ ... » .

والذي في البيان والتبيين « أبو أخزم الطائي وهو جد أبي حاتم طيئ أو جد جده ، وكان له ابن يقال له أخزم .. » ا هـ . وما للأخزم بن قارب الطائي ولأبي الأخزم ؟ !

و « الأخزم » بمعجمتين هو الأخزم السِّنْبِسِيُّ الطائيُّ . والكلمة التي منها البيتان اللذان أنشدهما ابن السيرافي أنشد منها أبو تمام في الوحشيات ٤٠ خمسة أبيات وأنشدها الغندجاني في فرحة الأديب ١٤٢ ـ ١٤٣ عشرة أبيات . وأنشد له أبو تمام الحماسية ١٩٥ انظر المرزوقي ٦٠٠ والتبريزي ٢ / ٧٧ ( وفيهما : الأخرم ـ وكذا في أصول فرحة الأديب ـ وكان في أصول المرزوقي : الأحزم ) . ويكثر في طيئ هذا الاسم ، انظر الاشتقاق ٢٩٥ ، ٣٩١ ، والإكمال ١ / ٣٥ ـ ٣٦ . وقد نص البغدادي في شرح أبيات مغني اللبيب على أنه « الأخزم » بمعجمتين .

و « السِّنْبِسِيُّ » هذه النسبة إلى سِنْبِس بن معاوية بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيئ ، انظر جمهرة أنساب العرب ٤٠٢ ، ٤٧٦ . ووقع في اللباب ٢ / ١٤٤ ، وشرح أبيات مغني اللبيب ٢ / ٢٥٩ ، والمؤتلف والمختلف ٤٠ ( في ترجمة الأعور السنبسي ) ، ومعجم قبائل العرب ٢ / ٥٥٧ ( انظر حاشيته ) : « سنبس بن معاوية بن جرول بن ثعل » ؟ كذا ، ومعاوية بن ثعل هو أخو جرول بن ثعل ، وسنبس هو ابن معاوية .

٤٣ ـ ٢ / ٢٩٨ س ٦ « ويروى : على أرياعها » . كذا أثبته المحقق وعلق عليه قال : « أي على طريقها ، وناقة مرياع : تذهب في المرعى وترجع بنفسها ... » .

و « أرياعها » تصحيف صوابه « أرباعها » فأكد المحقق التصحيف بتفسيره إياه بما لايصح ، وأنى لـه أن يقول « على أرياعها : على طريقها » ؟ وما للمرياع وللأرياع ، وما للأرياع وللطريق ؟ !

والذي أراده ابن السيرافي أن البيت :

أمـا ترى المـوت لـدى أربـاعهـا

يروى بـ « لدى » و « على » وقد شرح البيت .

٤٤ ـ ٢ / ٣٠١ ح ١ أحال المحقق في تخريج بيت الكميت على المخصص ١٧ / ٣٧ وزعم أنه فيه بلا نسبة ، وهو فيه منسوب إليه .

٤٥ ـ ٢ / ٣٠٧ علق المحقق على قول ابن السيرافي : « قال طفيل بن يزيد المعقلي ... » قال : « البيتان .... لطفيل بن يزيد المعقلي في ... ولطفيل بن يزيد الحارثي في ... والراجح أن الشاعر واحد فاسم جده معقل بن الحارث . انظر معجم قبائل العرب ٣ / ١١٢٣ » اهـ

لم يضبط المحقق نسبة الشاعر « المعقلي » ، وتابع صاحب معجم قبائل العرب على أن المعقل هو ابن الحارث بن كعب ؛ وبين المعقل والحارث رجالٌ .

أما نسبة الشاعر فهي « المُعَقَّلِيُّ » بضم الميم وفتح العين المهملة وفتح القاف المشددة وكسر اللام ، وهذه النسبة إلى « المُعَقَّل » وهو ربيعة بن كعب الأرتّ بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلَة بن جلد بن مذحج . انظر الإكمال ٧ / ٢٦٥ ، والأغاني ١٦ / ٣٢٨ في ترجمة عبد يغوث بن وقاص الحارثي ( وفيه تحريف ) ، وجمهرة أنساب العرب ٤١٦ ـ ٤١٧ . والظاهر أنه « المَعْقِلي » بفتح الميم وسكون العين وكسر القاف عند صاحب اللباب ٣ / ٢٣٥

٤٦ ـ ٢ / ٣١٨ قال ابن السيرافي عقب إنشاده بيت الراعي :

أشاقتك آيات أبان قديمها كما بُيِّنَتْ كاف تلوح وميمُها

قال : « ويروى ( كما تَبَيَّنَتْ كاف ) بفتح الباء والياء » ا هـ

كذا أثبته المحقق ، وهو تحريف مخلّ بالوزن ، والصواب « بَيَّنَتْ » ببناء الفعل للفاعل ، والرواية الأخرى ببنائه لما لم يسمّ فاعله .

وبيت الراعي في ديوانه ( ط . راينهرت ) ق ٦٦ / ١ ص ٢٥٨ .

**٤٧** ـ ٢ / ٣١٨ ـ ٣١٩ بيتا الراعي اللذان أنشدهما ابن السيرافي هما في ديوانه ( ط . راينهرت ) ق ٤٥ / ٢٦ ، ٢٧ ص ١٧٧

**٤٨** ـ ٢ / ٣١٩ ـ ٣٢٠ قال ابن السيرافي عقب إنشاده بيت الحطيئة :

يادار هند عفت إلا أثافيها بين الطوي فصارات فواديها

قال : « الشاهد في إسكان الياء من أثافيها وهي منصوبة » ا هـ فعلق المحقق عليه قال : « سكنت الياء ضرورة في أثافيها ويجوز تشديدها » ا هـ

فيما قاله خطأ من وجهين :

أولهما : أنه قال « سكنت الياء » ثم قال « ويجوز تشديدها » والإسكان لا يقابل التشديد ، فكان عليه أن يقول « خفّفت » .

وثانيها : أن الكلام ليس على التخفيف والتشديد ، ولا معنى لما قال ههنا . والكلام على الإسكان والنصب ، فكان ينبغي أن يقال : سكنت الياء ويجوز نصبها ، ولو نصب ـ على أن يكون البيت غير مصرع ـ لجاز . وانظر شرح شواهد الشافية ٤١٠ .

**٤٩** ـ ٢ / ٣٢١ قال ابن السيرافي عقب إنشاده البيتين :

بالخير خيرات وإن شراً فا

ولا أريد الشرّ إلا أن تا

قال : « ... وهذا الشعر يروى لنعيم بن أوس من ربيعة بن مالك ... »

وعلق المحقق عليه قال : « ورد اسمه في اللسان ( معى ) ٢٠ / ١٥٧ ( لقمان بن أوس بن ربيعة بن مالك ) ولم تذكره المصادر لدي » ا هـ

قلت : أنشد أبو زيد في النوادر ١٢٧ الشعر وعزاه للُقَيْم بن أوس من بني أبي ربيعة بن مالك ، وانظر شرح شواهد شرح الشافية ٢٦٢ ـ ٢٧٤ . ولعل « نعيم » ـ كما وقع في شرح ابن السيرافي ـ مما حرّفه النساخ في نصه ، أو يكون ذلك منه .

**٥٠** ـ ٢ / ٣٧٤ س ٢ :

ما إن تُبِيتينا بصوت صلب فيبيت منه القوم في بلبال

كذا ، وصوابه : « ما إن تُبَيِّتَنا » يريد سلمى بنت حذيفة بن بدر . وانظر شرح شواهد شرح الشافية ١٨٧ ـ ١٨٨

**٥١** ـ ٢ / ٣٧٦ يزاد في مصادر أبيات منظور بن مرثد الأسدي اللامية .

فسلّ همّ الوامق المغتلّ

الخزانة ٢ / ٥٥٠ ، والنوادر ٥٣ ، ومجالس ثعلب ٥٣٣ ـ ٥٣٦ ، وشرح شواهد شرح الشافية ٢٤٦ ، وتهذيب الألفاظ ٤١٢ ، وضرائر الشعر لابن عصفور ٥١ ، وسفر السعادة ٢ / ٧٣٣ ـ ٧٣٥ ( ط . مجمع اللغة العربية ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤ )

**٥٢** ـ ٢ / ٣٧٨ ح ١ س ٨ قال المحقق في تخريجه الأبيات البائية :

لقد خشيت أن أرى جدبّا

قال نقلاً عن البغدادي في شرح شواهد شرح الشافية : « ونسبها ابن عصفور وابن يسعون نقلاً عن الجرمي والسخاوي إلى ربيعة بن صبيح » ا هـ

و « ربيعة بن صبيح » تحريف صوابه « ربيعة بن صُبْح » كما قال

السخاوي ، وقد استقصينا تخريج الأبيات فيما علقناه على كتابه سفر السعادة ١ / ٤٥ .

٥٣ ـ ٢ / ٣٩٦ س ٤ ـ ٥ قال ابن السيرافي عقب إنشاده بيت حكيم بن معية :

فيها عيابيل أسود ونُمُرْ

قال : « الذي في شعره : ( فيه غيابيل ) » . وغيابيل بالغين المعجمة تصحيف صوابه « عيابيل » بالعين المهملة ، انظر ما قاله المؤلف ( ابن السيرافي ) بعد . والذي أراده ابن السيرافي أن الرواية في شعره « فيه » لا « فيها » . وقد استقصينا تخريج أبيات حكيم هذه في سفر السعادة ١ / ٣٩٥ .

٥٤ ـ ٢ / ٣٩٩ س ٩ ـ ١٠ بيتا الراعي هما في ديوانه ( ط . راينهرت ) ق ٥١ / ١ ـ ٢ ص ١٨٤ .

٥٥ ـ ٢ / ٤٠٧ س ٣ « فالاسم نحو أَلَنْجَج وأبنم .. »

وصوابه : « ألنجج » بجيمين ، وهو العود المندي .

٥٦ ـ ٢ / ٤٠٨ ح ١ عزا المحقق إلى المخصص ١٠ / ١٦ ضبط بيت غيلان بن حريث :

عيدان شطي دجلة اليخضور

برفع اليخضور . لم تضبط راء اليخضور في المخصص والوجه ـ كما هو ظاهر قول أبي علي ـ الجر ، لأنه استشهد به على أنه يقال للماء اليخضور فيكون « اليخضور » بالجر نعتاً لـ « دجلة » والذي قاله ابن السيرافي في توجيه الجر والرفع غير جيد ، والصواب ما قلته إن شاء الله .

٥٧ ـ ٢ / ٤٣٣ س ٨ « وقوله معدواً عليّ ... »

والصواب : « معديًّا علي » يريد قول عبد يغوث :

أنـا الليث معـديًّـا علي وعـاديـا

٥٨ ـ ٤٤٢ س ١٠ « الذي تيمه الهوى ، استعبده »

والصواب : واستعبده .

وبعد ؛ فهذا مـا اتفق لي من التعليق على مواضع من الكتـاب ، ولم أستوف قراءته جميعاً . وأعود فأثني على الجهد الذي بـذلـه المحقق في تحرير نص الكتاب والتعليق عليه بما يوضحه ، وأسأل الله تعـالى أن يوفقنـا إلى الحق ، وفوق كل ذي علم عليم .

# حاشية ابن بري

## على كتاب المعرَّب
## تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي

مأمون الصاغرجي

صدر عن مؤسسة الرسالة ( بيروت ١٩٨٥ م ) كتاب حاشية ابن بَرِّي على كتاب المعرَّب لابن الجواليقي ، بتحقيق الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي الذي عُني بإخراجه والتقديم له والتعليق عليه .

والحق أن حاشية ابن بري تفيض بالفوائد والفرائد ، وقد تكون مبعث حوارٍ خصب بين العلماء المختصين بمباحث التعريب وصلات اللغات بعضها ببعض ، ومعرفة ماأخذته وما أعطته كلٌّ منها إلى لداتها وجاراتها .

ولقد استمتعتُ بقراءة الكتاب وأفدتُ منه وشكرت للأستاذ المحقق مابذل من جهد ، وماقدَّم من نفع . وبدت لي في أثناء القراءة أشياء رأيتُ أن أعلّق عليها ، وأفصح عما خالجني بشأنها ؛ وهي جميعاً من الأمور الهيِّنات إن شاء الله ، والغاية من سردها أن يزداد العمل كالاً ، وأن تتضافر جهود العاملين في ميدان اللغة ليبلغ تحقيق الكتاب غايته .

١ ـ ترجم الأستاذ المحقق لابن بري مؤلف الحاشية ( ص ١١ ) وذكر أنه توفي سنة تسع وتسعين وأربع مئة .

ـ والصحيح الذي أورده مترجمو ابن بري أن السنة المذكورة هي سنة ولادته ، وأنه توفي سنة ٥٨٢ هـ ( إنباه الرواة ٢ / ١١٠ ـ ١١١ ، وقد أورد محقق الإنباه أبرز مصادر ترجمة ابن بري ) .

٢ ـ أورد ابن بري في مفتتح كتابه ( ص ١٩ ) سند أبي منصور موهوب بن الجواليقي الذي افتتح به كتاب المعرب وهو : « أخبرني غير واحد عن الحسن بن أحمد عن دعلج عن علي بن عبد العزيز عن أبي عبيد ... » ، فعلّق الأستاذ المحقق على دعلج بقوله : « لم أهتد إلى معرفته ، وقد أغفله أحمد محمد شاكر في نشرته » .

ـ قلتُ : دَعْلَج بن أحمد السِّجْزي ( ٢٦٠ ـ ٣٥١ هـ ) من أشهر الرواة عن علي بن عبد العزيز المكي . وتجد ترجمته في تاريخ بغداد ٨ / ٣٨٧ ـ ٣٩٢ ووفيات الأعيان ٢ / ٢٧١ ـ ٢٧٢ ومختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ٨ / ١٩٥ ـ ١٩٨ وسير أعلام النبلاء ١٦ / ٣٠ ـ ٣٥ وتذكرة الحفاظ ٣ / ٨٨١ ـ ٨٨٢ والعبر ٢ / ٢٩١ والبداية والنهاية ١١ / ٢٤١ ـ ٢٤٢ وطبقات الشافعية للسبكي ٣ / ٢٩١ ـ ٢٩٣ والرسالة المستطرفة ص ٧٣ وتهذيب ابن عساكر لبدران ٥ / ٢٤٢ .

٣ ـ قال ابن بري ( ص ٢٠ ) : « قوله : أخبرني غير واحد ، يعني علي بن طراد الزينبي نقيب النقباء » ، وعلّق الأستاذ المحقق على ذلك بأنه قد ورد في الأصل المخطوط : « طراد بن علي الزينبي » .

ـ إن ما جاء في الأصل المخطوط هو الصحيح . وإن جميع مترجمي ابن الجواليقي قد أطبقوا على أن أبا الفوارس طراد بن محمد بن علي الزينبي ( ٣٩٨ ـ ٤٩١ هـ ) كان من شيوخ ابن الجواليقي ( انظر مقدمة كتاب المعرب : ٢٧ رقم ٣ ، وقد أورد من مصادره الأنساب والنجوم

الزاهرة والشذرات . وزد على مصادره العبر للذهبي ٣ / ٣٣١ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ٤ / ١٢٢٨ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٩ / ٣٧ ـ ٣٩ والتاج ( طرد ) . وسرد محققه مصادر أخرى كثيرة .

٤ ـ جاء في ( ص ٢٢ ) : « باب معرفة العرب ... » .

ـ والصواب : « باب معرفة مذاهب العرب في استعمال الأعجمي » كما جاء في كتاب المعرب ( ص ٦ ) ، وهذا وأمثاله ربما كان من أغلاط المطبعة .

٥ ـ أورد ابن بري ( ص ٣٢ ) البيت الشاهد :

أراد الله أن يخزى عميراً    فسلَّطني عليه بأرَّجانِ

وضبط الأستاذ المحقق كلمة ( يخزى ) بالبناء للمفعول ، وأعاد ضبطها كذلك في الحاشية . وبمثل هذا الضبط جاءت في معجم البلدان ( أرجان / ط وستنفلد ) .

ـ والصواب في ضبطها ( يُخْزِي ) بالبناء للمعلوم ، كما جاءت في طبعة اللسان ( أرج ) ومعجم البلدان ( أرجان / ط دار صادر ) . أما رواية المعرب لابن الجواليقي ( ص ٣٠ ) فجاءت :

أراد الله أن يَجْزِي عميراً    فسلَّطني عليه بأرَّجانِ

٦ ـ علق الأستاذ المحقق ( ص ٣٢ ، هـ ٢٥ ) على البيت الشاهد الذي أوردتُه آنفاً فقال : « قال ياقوت : وحكى أبو عثمان ... وأنشدني محمد بن السريّ » .

ـ وتقتضي الدقة أن يقول : « قال أبو علي : وحكى أبو عثمان ... وأنشدني محمد بن السريّ ... » لأن هذا القول قول أبي علي الفارسي ،

ونقله ياقوت الحموي في معجمه ، ومحمد بن السريّ النحوي المعروف بـابن السراج كان من شيوخ أبي علي الفـارسي ، وقـد نقـل ابن الجـواليقي هـذا القول في المعرب ( ص ٣٠ ) منسوباً إلى أبي علي الفارسي .

٧ ـ نقل ابن بري ( ص ٤٣ ) قول الليث : « البِرْزيق : جماعة خيل دون الموكب . وقـال زيـاد : مـاهـذه البرازيـق التي تتردّد »[1] . ثم علّـق الأستاذ المحقق في الحاشية : « لم أتبين زياداً هذا » .

ـ قلت : هـو زيـاد بن أبي سفيـان والي البصرة لمعـاويـة بن أبي سفيان ، وقوله هذا جاء برواية أخرى من خطبة لـه في غريب الحـديث لابن قتيبة ( ٢ / ٥٧٢ ) .

٨ ـ تحـدث ابن بري ( ص ٥١ ) عن لفظـة « البَـذْرَقـة » وأن أبـا منصور بن الجواليقي قد أخلّ بها في كتابه فلم يذكرها .

ـ لعلـه كان من المستحسن أن يشير الأستـاذ المحقـق إلى أن لفظـة « البذرقة » قد وردت في المعرب المطبوع ( ص ٦٧ ) .

٩ ـ ذكر أبو منصور بن الجواليقي في المعرب ( ص ١٤٩ ـ ١٥٠ ) أن « لادهل » كلمة نبطية ومعناها لاتخف . جـاء ذلـك في شعر بشـار وهو قوله :

فقلتُ لـه لادَهْلَ مِنْ قَمْـلَ بعـدمـا رمى نَيْفَـقَ التُّبَّـانِ منـه بعـاذِرِ

وعقب ابن بري على كـلام الجـواليقي فصحـح روايـة البيت ثم قـال

(١) كتـاب العين ٥ / ٢٥٥ والتهـذيب لـلأزهري ٩ / ٤٠١ واللسـان ( برزق ) ، وانظر الجمهرة لابن دريد ٣ / ٣٠٥ .

( ص ٨٨ ) : « وذكر هذا البيت في حرف اللام ، وعزاه البارقي فيما حكاه ابن السكيت » .

ـ وقد علق الأستاذ المحقق فقال : « أراد أن الكلمة الأخيرة في البيت : بعاذِلِ » .

ـ قلت : ليس هذا ماعناه ابن بري بتعقيبه ، وإنما أراد أن ابن الجواليقي قد أعاد ذكر البيت الشاهد في باب اللام من كتاب المعرب ( انظر المعرب المطبوع ص ٣٠١ ) ، وتبعاً لذلك أعاد ابن بري نفسه ذكر الشاهد في حاشيته ( ص ١٤٣ ) وعلق عليه .

ـ ويبقى أن نذكر تمام الكلام الوارد في ص ٨٨ على وجهه الصحيح : « وعزاه [ أبو منصور ] إلى [ سراقة ] البارقي فيما حكاه عن ابن السكيت » . ولعل سقوط « إلى » من غلط المطبعة .

١٠ ـ أورد ابن بري ( ص ٩٣ ) ثلاثة أبيات لرؤبة ، أولها :

لاتعـذليني بـالرُّذالات الحَمَـكْ

وضبط الأستاذ المحقق « لاتعذليني » بالذال المعجمة طبق روايتها في ديوان رؤبة ( ص ١١٧ ) . وكان الأستاذ أحمد محمد شاكر قد ضبطها في المعرب ( ص ١٦٢ ) بالدال المهملة نقلاً عن مخطوطة ( حـ ) ، وعن لسان العرب ، وفسرها : « أي لاتوازنيني وتساويني » وهو الصواب .

ـ وجاء ضبط البيت الثالث هكذا :

يربض في الروث لَبِرْذَوْن الرَّمَـك

والصواب فيه « كبِرْذَوْن » بالكاف في أوله كما جاء في المعرب واللسان ( رمك ، فلك ) ، ولعل هذا من أخطاء المطبعة أيضاً .

١١ ـ ضبط الأستاذ المحقق كلمة « الزرجونة » ( ص ٩٦ ) بسكون الراء أنَّى وقعت .

ـ والصواب ضبطها بفتح الراء ، كما نصت على ذلك كتب اللغة . وكذلك جاءت بفتح الراء في المعرب المطبوع ( ص ١٦٥ ) . ولعلها من غلط المطبعة .

١٢ ـ تحدث أبو منصور بن الجواليقي في المعرب ( ص ١٨٩ ) عن السذاب وأنها معربة ، وأن أهل اليمن يُسمونها « الخُتْف » ( بوزن قُفْل ) .

فعقب ابن بريّ في حاشيته على المعرب ( ص ١٠٨ ) فقال : « هو الفَيْجَن باللغة اليمانية » .

وعلق الأستاذ المحقق على ذلك فقال : « في الأصل المخطوط : باللغة السامية ، وأنا أستبعد هذا لأن مصطلح السامية مصطلح غربي ، عرف في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي » .

ـ قلتُ : صحة الكلام هو : « باللغة الشامية » بالشين المعجمة ، لا باللغة اليمانية . وهو هو ما جاء في المعرب للجواليقي ( ص ٢٤٢ ) قال : « قال أبو بكر [ بن دريد ] : والفَيْجَن : السذاب ، لغة شآمية ، ولا أحسبها عربية صحيحة »[٢] .

١٣ ـ ذكر ابن بري كتاب الحجاج بن يوسف الثقفي إلى محمد بن القاسم وإلى قتيبة ( ص ١١٨ ) : « أيكما أسبقَ إلى الصين فهو والٍ على صاحبه » .

ـ والصحيح : أيكما سبق إلى الصين فهو والٍ على صاحبه . كما جاء في تاريخ اليعقوبي ( ٢ / ٣٤٦ ) .

١٤ ـ ترجم الأستاذ المحقق لأبي محمد جعفر بن أحمد السراج

---

(٢) جمهرة ابن دريد ٢ / ٣٥٧ .

( ص ١٢١ هـ ١٢ ) ، وذكر أنه توفي سنة ٤١٦ هـ .

ـ والصحيح أن السنة المذكورة هي سنة ولادته . أما وفاته فكانت سنة ٥٠٠ هـ ، كما ذكر الأستاذ أحمد محمد شاكر محقق المعرب ( ص ٢٢٦ هـ ٢ ) وعدّد من مصادر ترجمته معجم الأدباء وبغية الوعاة .

١٥ ـ جاء في حاشية ابن بري ( ص ١٢٢ ) : « وقال ابن بري : لم يذكر « الطربان » للطبق الذي يؤكل عليه . وفي الحديث : أنه أكل قديداً على طربان » .

وعلّق الأستاذ المحقق على ذلك بقوله : « لم أقف على « طربان » في معجمات العربية ، ولم أهتد إلى تخريج الحديث » .

ـ والصحيح في ضبط الكلمة أنها « الطِّريان » بياء مثناة تحتية ، لابباء موحدة . وقد وردت في اللسان والتاج ( طري ) ، والتكملة والذيل والصلة للصغاني ٦ / ٤٦١ ( طرا ) .

١٦ ـ تحدث ابن الجواليقي في المعرب ( ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ ) عن « عسقلان » ، وأورد شاهداً بيت سحيم عبد بني الحسحاس :

كأن الوحوش بها عسقلا　　نُ صادف في قَرْنِ حَجٍّ ديافا[٣]

فتعقّبه ابن بري ( ص ١٢٥ ) وقال : « صوابه على التذكير ، وهو عائد على موضع يقال له « ذو بقر » وهو مذكر ، وهو قوله :

وحكٌّ بذي بقرٍ بَرْكَهُ　　كأن على عضديه كتافا »

(٣) رواية البيت في المعرب المطبوع : « كأن الوحوش به ... » وهي في حاشية ابن بري ( ص ١٢٥ ) : « كأن الوحوش بها ... » ، وقد أوردتُ رواية ابن بري لنسخة المعرب والتي علق عليها في حاشيته .

وعلّق الأستاذ المحقق على البيت الثاني بقوله : « لم أهتد إلى البيت الشاهد ولا إلى قائله » .

ـ والبيت الشاهد كما رأيت من قصيدة سحيم ، أورده ابن بري ليعزز ماذهب إليه من تذكير الضمير في البيت بدل التأنيث .

ـ والعجب أن الأستاذ المحقق عاد فذكر في الفهرس ( ص ١٦٤ ) أن البيتين لسحيم !.

ـ وديوان سحيم مشهور ، نشره الأستاذ المحقق عبد العزيز الميمني ( القاهرة ١٩٥٠ م ) ، والبيتان من قصيدة في الديوان ( ص ٤٢ ـ ٤٨ ) .

ـ وإن العودة إلى الديوان تطلعنا على أن كلمة « حك » بالكاف محرفة عن « حلّ » باللام . وقد ذكر الديوان أن في البيت روايتين : أولاهما : « وحطّ » بالطاء ، والثانية « وحلّ » باللام . والبيت في صفة السحاب الذي أنزل غيثه بهذا المكان .

١٧ ـ ذكر ابن بري ( ص ١٢٩ ) « الفَيْهَج » وأنه ماتكال به الخمر ، وأورد بيتاً شاهداً :

ألا يااصبحينا فيهجاً جيدرية بماء سحابٍ يسبقُ الحقَّ باطلي

وعلّق الأستاذ المحقق على البيت بقوله : « لم أهتد إلى البيت ولا إلى قائله » .

ـ والبيت من شواهد اللسان ( فهج ) ، ونسبه ابن بري إلى معبد بن سعنة . وأورده الصغاني في التكملة والذيل والصلة ١ / ٤٨١ ( فهج ) مصححاً رواية الجوهري في الصحاح وقال : « البيت لمعبد بن سعنة الضبي . والحق : الموت ، والباطل : اللهو » . وأورده ابن فارس في المجمل ١ / ١٧٨ ( جدر ) و ٣ / ٧٠٦ ( فهج ) ، ومعجم مقاييس اللغة ١ / ٤٣١ ( جدر ) و ٤ / ٤٥٥ ( فهج ) ، وروايته في المعجمين « جَدَرِيَّة » ،

وأورده الزبيدي في التاج ( فهج ) .

١٨ ـ أورد ابن بري ( ص ١٣٥ ) شاهداً على القَيْروان ماأنشده ثعلب :

فإن تلقَّاك بقيروانه

أو خفت بعض الجور من سلطانه

فاسجد لقرد السوء في زمانه

فعلق الأستاذ المحقق على الأبيات بقوله : « لم أقف على الرجز ولا على قائله » .

ـ وأبيات الرجز في اللسان والتاج ( قرو ) .

١٩ ـ ورد في حاشية ابن بري ( ص ١٣٦ ) بيت للطرماح :

من كل ذاقنةٍ تعوم رماحها عوم الخشاش على الصفا يترأَّدُ

وعلق الأستاذ المحقق : « في الديوان ص ١٣٦ : من كل ذاقنة يعوم زمامها » .

ـ كان يحسن أن يتابع الأستاذ المحقق فيقول : وهو الصواب . وأما ما جاء في مخطوط ابن بري فهو تحريف من الناسخ .

يقولون : الزمام يعوم : أي يضطرب . وبيت الطرماح من شواهد الزمخشري في أساس البلاغة ( عوم ) .

٢٠ ـ أورد ابن بري أربعة أبيات ( ص ١٤٤ ) رثى بها سراقة بن مرداس البارقي الأصغر(٤) عبدَ الرحمن بن مخنف الغامدي الأزدي الذي

---

(٤) أخبار سراقة بن مرداس البارقي في الأغاني ٨ / ٦٨ ـ ٦٩ ، ٩ / ١٣ ـ ١٤ ، ومختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ٩ ـ ٢١٣ ـ ٢١٤ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر لبدران ٦/ ٦٩ ـ ٧١ ، و مقدمة ديوان سراقة البارقي المطبوع ، وتجد بقية مصادر أخباره في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ( الترجمة العربية ) ١/ ٢٤٨ وتاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين ( الترجمة العربية ) مج ٢ ج ٣ / ٢٢ ـ ٢٣ .

قتله الخوارج في وقعة مشهورة سنة ٧٥ هـ . وقد علّق الأستاذ المحقق : « لم أهتد إلى تخريج الأبيات » .

ـ إن أبيات المرثية في ديوان سراقة ، وهي خمسة أبيات ( ديوان سراقة البارقي : ٤٣ ـ ٤٤ / القاهرة ١٩٤٧ م بتحقيق حسين نصار ) ، وأورد الأبيات الخمسة الطبري وابن الأثير في تاريخيهما ( الطبري ٧ / ٢١٧ ، الكامل ٤ / ١٩٠ / حوادث سنة ٧٥ هـ ) ، وأورد ياقوت الحموي في معجم البلدان ( كازر ) أربعة أبيات ، ثلاثة منها مما أورده ابن بري في حاشيته .

٢١ ـ وإذا عدنا إلى النص الذي ورد مشفوعاً بأبيات سراقة ( ص ١٤٣ ـ ١٤٤ ) وجدنا :

أ ـ رثى بها ابن مخنف الأسدي .

ـ وهنا يحسن أن نضبط « الأَسْدي » بفتح الهمزة وسكون السين ، لأن الأسْد بسكون السين لغة في الأزد . وعبد الرحمن بن مخنف غامديٌّ أزديّ ( جمهرة ابن حزم : ٣٧٧ ـ ٣٧٨ ) ، ومثل هذا الضبط يمنع الاشتباه أن يُظن أنه منسوب إلى قبيلة أسَد ( بفتح الهمزة والسين ) وهي من القبائل العدنانية .

ب ـ وأما الأبيات التي رثى بها سراقةُ بن عبد الرحمن ..

ـ إن ورود كلمة « ابن » هنا زيادة لاداعي لها ، ولعله من غلط المطبعة .

ج ـ وذكر خذلان الأغلب له ..

ـ الصواب : « وذكر خذلان المهلب له » ، وهو المهلب بن أبي صفرة الأزدي القائد المشهور ، وكان في الوقعة التي قُتل فيها ابن مخنف ، ولم يستطع إمداده . جاء في ديوان سراقة ( ص ٤٣ ) : « فقال سراقة بن

مرداس البارقي في ذلك يرثي عبد الرحمن بن مخنف ، ويذكر خذلان المهلب إياه » .

د ـ بكازر

ـ ضبطت كلمة « كازِر » بكسر الزاي ، والصواب فتحها .

هـ ـ وقابل حتى مات أكرم ميتةٍ

ـ الصواب : « وقاتلِ حتى مات ... » ولعلها من غلط المطبعة .

و ـ أمدَّ ولم يَمْدُدْ ..

ـ جاء « ولم يمدد » بالبناء للفاعل ، والصواب أن يُبنى لما لم يُسمَّ فاعله « ولم يُمْدَدْ » .

ز ـ قضى غيه يوم اللقاء ..

ـ والصواب « قضى نحبه .. » ، ولعلها من غلط المطبعة أيضاً .

٢٢ ـ جاء ( ص ١٥٠ ـ ١٥١ ) : « ومن هذا الباب « الهنبيق » للوصف ، وجمعه هنابيق . قال لبيد :

والهنابيق قيام حولهم كل ملثوم إذا صبَّ هَمَلْ »

وعلّق الأستاذ المحقق على كلمة « الهنبيق » فقال : « ولم أجد في المعجمات إلا الهنبوقة بمعنى المزمار ، والجمع الهنابيق » .

وعلّق على بيت لبيد فقال : « لم أجد البيت في ديوان لبيد / ط الكويت » .

ـ وصحة الكلام :

أ ـ ومن هذا الباب « الهبنيق » بتقديم الباء الموحدة على النون ، وهو على وزن قِنْدِيل ، ويجوز فتح هائه . وقد ذكرته المعجمات ، وفي مطلعها كتاب العين ( ٤ / ١١٢ ) .

ولابدّ من تصحيح جمع هبنيق إلى هبانيق .

ب ـ للوصيف ، بإثبات الياء . أما ماجاء في نص المطبوعة ( للوصف ) فغلط محض . قال صاحب العين ( ٤ / ١١٢ ) : « والهبنيق : الوصيف ، وجمعه هبانيق » . وقال أحمد بن فارس ( المجمل ٣ / ٩١١ ) : « والهبنيق : الوصيف » ، ومثل ذلك جاء في اللسان والقاموس المحيط وأشباههما من معجمات اللغة .

ج ـ وبيت لبيد موجود في ديوانه / ط الكويت ، ورد في ص ١٩٦ ، وخرّجه محقق الديوان الأستاذ الدكتور إحسان عباس ( ص ٣٨٥ ) في الشعر والشعراء واللسان ( هبنق ، خزم ) والمعاني الكبير لابن قتيبة ، وجمهرة ابن دريد . ونضيف إلى ماذكره الدكتور عباس كتاب العين ( ٤ / ١١٢ ) ، والتاج ( هبنق ) .

وبعد ، فهذه لمع مما تراءى لي وأنا أقرأ كتاب « حاشية ابن بري على المعرب » ، ولعله يتاح لي أن أقصر على سائرها كلمة ثانية . والله الموفق .

# ( آراء وأنباء )

## فقيد المجمع

## الأستاذ عبد الكريم زهور عدي

توفاه الله يوم الثلاثاء ٢٦ رجب ١٤٠٥ هـ الموافق ١٦ نيسان ١٩٨٥ م وشيع جثمانه في اليوم التالي ، ووُوري في مقبرة الفراديس ( الدحداح ) بدمشق .

رحم الله أبا حيّان ، وغفر له ، وأحلّه دار كرامته ؛ لقد فارقنا أحوج مانكون إلى مثله في نفاذ بصيرته ، ومضاء عزيمته وصدقه ، وصار بما قدّم من عمل إلى عالِم الغيب والشهادة ، وهو - سبحانه - جازيه بما قدّم ﴿ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلاَ بَنُونَ إلاّ مَنْ أَتى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيم ﴾ .

كان - رحمه الله - لا يتعلق من الحياة إلا بمعانيها السامية ، لاتزدهيه المناصب ، ولاتغرّه الألقاب ، ولاتستغرقه هموم نفسه ، وإنما كان همه الأكبر الذي ظلّ أبداً يعتلج في فكره وضميره ، ويصرّفه في كلّ مازاول من عمل على حكمه همّ أمّته ومطامحها ومستقبلها ، يسدّده في مساعيه فكر نيّر لاتعمى عليه معه السبل ، وخلق قويم يرتفع به فوق ماينحط فيه ضعاف النفوس من سفاسف ، وإلى ذلك عزم صادق لا يلين أمام الصعاب . ولم تزده - أكرم الله مثواه - تجاربه وما قاسى من محن إلا مضاء في عزمه ، وتسامياً في فكره ، واستبصاراً في طريقه ، كالذهب الإبريز لا يزداد على امتحانه بالنار إلا خلوصاً وتوهّجاً .

كان الصدق في القول والعمل طبيعة راسخة فيه ، يتوخى الحق

ويتبعه حيثما لاح له ، ثم يثبت عليه لايفتنه عنه هوى ، ولاتنحرف به عنه رهبة ، ولاتحمله على الترخّص فيه مصانعة . كان ذلك شأنه في التدريس عندما مارس التدريس ، وشأنه في السياسة عندما خاض غمرات السياسة ، حتى إذا خار الله له وآثر التفرغ للعمل العلمي كان آية في التزامه بأخلاقيته ، لاكأناس ماأكثرهم هذه الأيام همُّهم السطوُ على أعمال الآخرين وما يتلقفونه من أفواههم وانتحالُه . لاجرم كان بما اجتمع له من هذه الخصال ملء عيون إخوانه وصحبه وقلوبهم ، وكان الملجأ الذي يئلون إليه كلما حزبتهم الأمور واشتبهت عليهم ، فيجدون عنده الرأي السديد والتوجيه الناصح ، وما زال هذا دأبه ودأبهم حتى وافاه أجله المحتوم ، فترك في صدورهم حسرة لاتنقضي وفي نفوسهم فراغاً يعز ملْؤه ، يرحمه الله .

أحمد راتب النفاخ

# الملتقى الأول للمقارنين العرب

**الدكتور نسيب نشاوي**

عُقد في رحاب جامعة عنّابة ( الجزائر ) الملتقى الأول للمقارنين العرب ، الذي تابع أعماله خلال خمسة أيام ( ٨ ـ ١٢ ) تموز ١٩٨٤م ، وحضره جلّةٌ من أساتذة الجامعات العربية المعنيين بالأدب المقارن عند العرب .

أشرف على تنظيم الملتقى معهدُ اللغات والآداب بجامعة عنابة ، الذي يضمُّ أقسام اللغات العربية والأجنبية والدراسات العليا . وجاء هذا الملتقى استكمالاً للملتقى الدولي الذي دعت إليه جامعة عنابة في عام ١٩٨٣ م .

افتتح محافظُ مدينة عنابة الملتقى ، وتلاه الأستاذ الدكتور ابركان مدير جامعة عنابة الذي رحّب بالعلماء الضيوف الذين قدموا من الأقطار العربية ، ثم عرض الأستاذ عبد المجيد حنون مدير معهد اللغات والآداب برنامج المحاضرات .

وسأكتفي بعرض موجز لمحاضرتين من محاضرات الملتقى ، لتكونا نموذجين لما وراءهما من محاضرات وبحوث ، ثم أتبعهما بسرد لعناوين المحاضرات الأخرى ، وذكر لأسماء أصحابها ، مشيراً إلى أن هذه المحاضرات ستصدرها جامعة عنابة تامة بين دفتي كتاب .

١

ألقى الأستاذ الدكتور عز الدين المناصرة ( جامعة قسنطينة - الجزائر ) محاضرة عنوانها : « بيان الأدب المقارن - اشكاليات الحدود » :

وقد صاغ الدكتور المناصرة بحثه على طريقة بيان يشتمل على وصايا ناقش فيها الاشكاليات السبع الحدودية - كما يقول - في الأدب المقارن ، وبهذا قدم بعض المقترحات للاسهام في تشكيل رؤية عربية ، أو رسم ملامح ( نظرية عربية ) في الأدب المقارن . وقال ان المصطلح ( الأدب المقارن ) غامض رغم مرور زمن طويل على استعماله أول مرة لدى فيلمان الفرنسي عام ١٨٢٨ م . الذي ذكره عرضاً في محاضراته « دروس في الأدب الفرنسي » وافترض ( الأدب القومي ) أي الفرنسي شرطاً للمقارنة مع أدب آخر وذلك حين نشر كتابه « كلمة الأدب المقارن » وبه تمت مركزة ثنائية المقارنة بين أدبين ، وأن بول فان تيغم حين حاول تطوير هذه الثنائية باتجاه المقارنة بين عدة آداب اضطر إلى طرح مصطلح ( الأدب العام ) .. ثم صارت الكلمة شائعة كعلم مستقل . ووقف عند قضية التأثير والتأثر بين الآداب المقارَنة ورأي المدرسة الفرنسية فيها ، وعرض خصومات المدرسة الأمريكية والسوفياتية ، وقال ان حالة العداء لاتهم الأدب المقارن عند بعضهم ولكنها داخلة فعلا فيه ، ثم حدد مظاهر اشكالية التأثر والتأثير « فالحضارات لاتتلاشى نهائياً ، بل تتغير هيئتها ، وتلاشيها أمرٌ ظاهري ، كل هذا يثبت أن المُرسِل ليس دائماً ايجابياً ، والمتلقي ليس دائماً سلبياً كما هو شائع .. » . وانتقل المحاضر إلى الدراسات العربية الحديثة في ميدان الأدب المقارن فذكر جهود الأساتذة حسام الخطيب ومحمد عبد السلام كفافي وطه ندا وبديع جمعة والطاهر مكي وإبراهيم عبد

الرحمن ومحمود الربيعي وريمون طحان وأبي العيد دودو وجميل ناصيف ومحمود صبح وأحمد كمال زكي وحسين علي محفوظ ومحمد الصادق عفيفي وعبد المجيد حنون ومحمد عبد الحي .. وذلك مع بداية السبعينات من هذا القرن اذ قدموا دراسات تطبيقية في الأدب المقارن . وتعد الصفحتان الأخيرتان في بحثه محاولة لوضع أسس للنظرية العربية المنتظرة .

٢

وألقى الأستاذ الدكتور بديع محمد جمعة ( جامعة عين شمس ـ مصر ) محاضرة عنوانها : « قنوات الاتصال بين الأدبين العربي والفارسي ودورها في تعزيز الأدب المقارن » .

استهل الدكتور جمعة بحثه بلفت النظر إلى أن الدراسات الأدبية المقارنة إنما تمت بعقد مقارنات بين الأجناس الأدبية العربية ومثيلاتها الأوربية كعرض مدى التقارب بين شوقي ولافونتين ، أو شوقي وشكسبير في كليوباترة ، أو بين أبي العلاء ودانتي ، ثم أشار إلى صلات الأدب العربي بالآداب الشرقية الفارسية والتركية مثلاً والهندية أيضاً وأنها تمتد عدة قرون ، وتمثل روافد نهل منها أدباؤنا أو غذّوها ، وتوسع بعد ذلك في بسط قنوات الاتصال بين الأدبين العربي والفارسي وعرض قول ( نظامي ) صاحب كتاب « المقالات الأربع » ( جهار مقالة ) الذي يحثّ الكتاب الفرس على التضلع بالآداب العربية .. وأن من مظاهر تأثير العربية في اللغة الفارسية مجيء الأشعار الفارسية على الأوزان العربية وأن معجم « صحاح العجم » لهندوشا النخجواني ( ت ٧٣٠ هـ ) إنّما هو معارضة لمعجم الجوهري « الصحاح » . ثم توسع الأستاذ المحاضر في عرض أمثلة لغوية تبادل فيها العرب والفرس استعمال الكلمات ، ومن هذا الاتصال اللغوي . تم الاتصال الأدبي ووجد بعض الألفاظ الفارسية في

شعر امرئ القيس والأعشى وأبي نواس ومهيار .. ودعا الباحثين إلى رصد ذلك في دراساتهم . بعد ذلك انتقل إلى قناة الاتصال الثانية والمتمثلة في الالتقاء بين الثقافتين العربية والفارسية ، فمؤلفات ابن سينا مكتوبة باللغتين[1] ، والالتقاء المشترك على التصوف والفلسفة في كلتا اللغتين واضح في كتاب « اللمع » و« طبقات الصوفية » و« كشف المحجوب » للهجويري أو « تذكرة الأولياء » للعطار ، أو « نفحات الأنس » .. ثم انتقل إلى القناة الثالثة وهي عن التراث العربي في إيران وأن عقولا ايرانية أنتجت كتباً في علوم اللغة العربية كسيبويه والكسائي وابن قتيبة والجرجاني والزمخشري والسكاكي .. مما أثر في تقريب الأدبين أو السماح بالتقاط صور مقارنة بينهما ( الأدب العربي والأدب الفارسي ) . أما القناة الرابعة فيمثلها أصحاب اللسانين كالغزالي وابن سينا .. وأما الخامسة فهي قناة الترجمة بين الأدبين ، والسادسة أدب الرحلات .. وخلص من ذلك جميعاً إلى ضرورة الاهتمام بدراسة أواصر الصلات بين أدبنا العربي وجميع الآداب الشرقية الفارسية والتركية والأوردية ، وحتى منطقة شرقي آسية كالأدب الصيني والياباني ..

---

[ (1) ألّف ابن سينا كتبه بالعربية المبينة ، ولم يذكر مترجموه أنه كتب بالفارسية إلا كتاباً واحداً هو كتاب « دانش نامه » العلائي ، صنفه لعلاء الدولة أبي جعفر بن كاكويه ملك أصفهان ( ٣٩٨ ـ ٤٣٣ هـ ) ، استجابة لرغبته . ولابن سينا أشعار بالفارسية ( عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي اصيبعة ٢ : ١٩ ، مؤلفات ابن سينا للأب جورج قنواتي : ٢٨ ـ ٢٩ ، ١٢١ ـ ١٢٢ ، رقم ١٣ ، ٥٠ ) . هذا وإن عدة كتب لابن سينا قد ترجمها العلماء فيما بعد من العربية إلى الفارسية ومازالت تحتفظ بها خزائن المخطوطات / المجلة ] .

٣

وهذه جملة سائر المحاضرات التي أُلقيت في الملتقى :

ـ نحو منهج عربي للأدب المقارن للأستاذ الدكتور جميل نصيف التكريتي
( جامعة بغداد ـ العراق )

ـ الترجمة عامل أساسي في الأدب المقارن للأستاذ الدكتور مختار نويرات
( جامعة عنابة ـ الجزائر )

ـ طرق وأنواع الاتصال الأدبي وعلاقتها بالدراسة المقارنة للأستاذ الدكتور عصام الخطيب
( جامعة الموصل ـ العراق )

ـ مصطلح « الأدب المقارن » في المعجمات العربية القديمة والحديثة للأستاذ الدكتور نسيب نشاوي
( جامعة عنابة ـ الجزائر )

ـ حول مصطلح « الأدب المقارن » للأستاذة الدكتورة فاطمة الصافي
( جامعة عدن ـ اليمن )

ـ محاولة لتحديد مفهوم مصطلح « الأدب المقارن للأستاذ عبد المجيد حنون
( جامعة عنابة ـ الجزائر )

ـ المنهج والمصطلح في المحاولات العربية الأولى في الأدب المقارن للأستاذ الدكتورخالد الكركي
( الجامعة الأردنية ـ الأردن )

ـ الأثر الفارسي في مسرح شوقي للأستاذ الدكتور بديع محمد جمعة
( جامعة عين شمس ـ مصر )

ـ الدراسات اللغوية الحديثة وخلافاتها حول تفهم النص الأدبي المقارن للأستاذ الدكتور ميشال باربو

( جامعة السوربون ـ فرنسا )

ـ توسيع منهج الأدب المقارن ومفهومه في محاولة لتدريسه في المرحلة الجامعية الأولى للأستاذ الدكتور عبد الرحيم علي نصر الله

( جامعة اليرموك ـ الأردن )

ـ من أجل مفهوم عربي لمصطلح الأدب المقارن ومنهجه للأستاذة نسيمة عيلان

( جامعة عنابة ـ الجزائر )

ـ مركز النفس : ورد سورث وصورة المرأة عند الشعراء العرب ( شكري ، أبو شادي ، الشابي ) للأستاذ الدكتور محمد عبد الحي

( جامعة الخرطوم ـ السودان )

٤

وفي ختام المحاضرات والمناقشات اتفق المجتمعون على تأسيس « الرابطة العربية للأدب المقارن » وتمت مناقشة مشروع قانونها . وينص قانون الرابطة على أن الرابطة العربية هي تجمع علمي هدفها تنظيم جهود المقارنين العرب ورعاية مصالحهم العلمية وخدمة الأدب العربي والفكر أولا وأنها تعقد ملتقياتها كل عامين في بلد الجامعة المضيفة ، أما مقر الرابطة الدائم فهو جامعة عنابة .

والجدير بالذكر أن جامعة دمشق دعت إلى أن يكون الملتقى الثاني في رحاب أبهائها ، كما أن الجمعية التأسيسية انتخبت الأستاذ عبد المجيد

حنون أميناً عاما لمكتب الرابطة ، وربما يكون الأمل البعيـد هو خـدمـة الأدب العربي وبيان تجلياته على الآداب العالمية ، ثم مدى تأثره بـالآداب الأجنبية وأثر ذلك في تقديم المجتمعات العربية أو تخلفها .

**جامعة عنابة ( الجزائر ) في ١٥ / ٧ / ١٩٨٤**

# ابن حيان مؤرخ الأندلس

الأستاذ مأمون الصاغرجي

كان أبو مروان بن حيان مؤرخ الأندلس وعالمها موضوع ندوة علمية عقدت في الرباط ( ٢١ ـ ٢٥ محرم ١٤٠٢ هـ / ١٩ ـ ٢٣ تشرين الثاني ١٩٨١ م ) . وقد عُنيت مجلة المناهل بنشر بحوث هذه الندوة وأفردت لها عدديها التاسع والعشرين والحادي والثلاثين .

وكنت أشرت إلى بحوث القسم الأول التي ضمتها دفتا العدد التاسع والعشرين في مجلة المجمع ( مج ٦٠ ، ج ٢ ) .

أما بحوث القسم الثاني التي ظهرت في العدد الحادي والثلاثين من مجلة المناهل ( جمادى الثانية ١٤٠٤ هـ / آذار ١٩٨٤ م ) فقد أولت تاريخ الأندلس الإسلامي اهتماماً خاصاً ، إذ تناول البحث الأول الذي قدمه الأستاذ الدكتور عمر فروخ « الغرب المسلم في إطار التاريخ الإنساني » الجانبَ الحضاري الإنساني من تاريخ الغرب الإسلامي ، ووضعه في الإطار العام للتاريخ الإنساني والحضارة العالمية . كما تناول الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله في بحثه « الأندلس والمغرب وحدة أم تكامل ؟ » العلاقات بين العدوتين والعناصر المغربية الداخلة إلى الأندلس منذ الفتح وعهد المنصور بن أبي عامر إلى زمن المرابطين والموحدين ، والمهاجرين الأندلسيين إلى المغرب من وقعة الربض إلى نهاية الحكم الإسلامي في الأندلس .

ومن البحوث التي تسترعي النظر « النحو الأندلسي وابن هشام المصري » للأستاذ محمد بن تاويت ، والذي وصف بأنه أطول بحوث الندوة

( ١٠٠ صفحة) ، تحدث فيه عن تاريخ النحو في الأندلس ، مقارناً بينه وبين النحو في مصر من خلال ابن هشام في كتبه الثلاثة : مغني اللبيب ، وأوضح المسالك ، وشذور الذهب .

أما بقية البحوث فهي :

- ثقافة الصقالبة ، للأستاذ محمد المنوني
- القضاء في قرطبة الإسلامية ، للدكتور محمد عبد الوهاب خلاف
- أصداء كتب خليفة بن خياط في الأندلس ، للأستاذ خوسي ماريا فورنياس
- صورة الأندلس في مؤلفات بعض الشرقيين ، للدكتورة راشيل أرييه ( ترجمة الأستاذ مصطفى الضو )
- من وحي الندوة ، للدكتور عبد الله غنيم
- محاكم التفتيش الإسبانية وسراديب الموت فيها ، للدكتور عبد الرحمن علي الحجي

وختم العدد بخطاب السيد وزير الشؤون الثقافية الدكتور سعيد بن البشير .

# الكتب المهداة

## لمكتبة مجمع اللغة العربية

## خلال الربع الثاني من عام ١٩٨٥ م

محمد مطيع الحافظ

- **منهج الإمام البخاري في علم الحديث** - د. يوسف الكتاني - الرباط ١٩٨٤ م
- **الحج على مختلف المذاهب** - ( وهو منتخب من كتاب الفقه على المذاهب الخمسة للشيخ محمد جواد مغنية ) - طهران ١٤٠٣ هـ
- **المرأة ، كيف عاملها الاسلام** - حسن بن عبد الله آل الشيخ - الرياض
- **في تراثنا العربي الإسلامي** - د. توفيق الطويل - الكويت ١٩٨٥
- **العرف والعمل في المذهب المالكي ومفهومها لدى علماء المغرب** - عمر بن عبد الكريم الجيدي - الرباط ١٩٨٤
- **ندوة الامام مالك إمام دار الهجرة** ( دورة القاضي عياض ) ( ١ - ٣ ) - وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، المملكة المغربية - الرباط ١٩٨٣
- **ترجمة الإمام علي بن أبي طالب** - ( من تاريخ الحافظ ابن عساكر ) - ١ - ٣ تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي - بيروت ١٩٨٠
- **اليوميات الليبية** - حسن الفقيه حسن - الجزء الأول - تحقيق محمد الأسطى وعمار جحيدر - طرابلس ١٩٨٤

- **أطراف بغداد** ( تاريخ الاستيطان في سهول ديالي ) - روبرت ماك آدمز - ترجمة د . صالح أحمد العلي ،د . علي محمد المياح ، د . عامر سليمان - بغداد ١٩٨٤

- **كشاف إحصائي زمني لسجلات المحاكم الشرعية والأوقاف الاسلامية في بلاد الشام ( الجزء الأول )** - إعداد د . محمد عدنان البخيت ، نوفان رجا الحمود ، محمد أحمد اليعقوب ، سلامة صالح النعيمات ، محمود علي عطا الله - عمان ١٩٨٤ م

- **ابن الرومي** - أحمد خالد - تونس ١٩٧٧ م

- **مفتاح الراحة لأهل الفلاحة** - لمؤلف مجهول من القرن الثامن الهجري - تحقيق ودراسة د . محمد عيسى صالحية ، د . إحسان صدقي العمد - الكويت ١٩٨٤ .

- **العربية للناشئين** ( منهج متكامل لغير الناطقين بالعربية ) ( كتاب التلميذ ) ١ - ٦ - وزارة المعارف السعودية - ١٩٨٣ م

- **العربية للناشئين** ( منهج متكامل لغير الناطقين بالعربية ) ( كتاب المعلم ) ١ - ٦ - وزارة المعارف السعودية - ١٩٨٣ م

- **الشفافيات التعليمية** - مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض ١٩٨١ م

- **القواعد العربية الميسرة** ( ١ - ٣ ) - د . محمود إسماعيل صيني ، د . إبراهيم يوسف السيد ، محمد الرفاعي الشيخ - الرياض ١٩٨٤ م

- **وقائع تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها** - الجزء الأول - المادة اللغوية - مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض ١٩٨٣ م

- **المعينات البصرية في تعليم اللغة** - د . محمود إسماعيل صيني - عمر الصديق عبد الله - الرياض ١٩٨٤ م

- **العربية أصواتها وحروفها لغير الناطقين بها** - ناصف مصطفى عبد العزيز ، مصطفى أحمد سليمان - إشراف د . محمود إسماعيل صيني - الرياض ١٩٨٢ م
- **العربية للحياة** ( منهج متكامل في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ( ١ - ٣ ) - د . محمود إسماعيل صيني ، ناصف مصطفى عبد العزيز ، مصطفى أحمد سليمان - الرياض ١٩٨٤ م
- **التعبير الموجه للمبتدئين من غير الناطقين بالعربية** - طه محمد محمود ، إشراف د . محمود إسماعيل صيني - الرياض ١٩٨٤ م
- **القراءة الميسرة** ( سلسلة في القراءة العربية لغير الناطقين بها ( ١ - ٢ ) محمد عادل شعبان ، محمد الفاتح فضل الله ، إشراف د . محمود إسماعيل صيني - الرياض ١٩٨٣ م
- **اتجاهات حديثة في تعليم العربية للناطقين باللغات الأخرى** - د . علي محمد القاسمي - الرياض ١٩٧٩ م
- **السجل العلمي للندوة العالمية الأولى لتعليم العربية لغير الناطقين بها** ( ١ - ٣ ) جامعة الرياض - معهد اللغة العربية - الرياض ١٩٨٠ م
- **الموسم الثقافي لمجمع اللغة العربية الأردني** - عمان ١٩٨٤ م
- **مدخل إلى اللغة الفارسية** - أحمد لوساني - بيروت ١٩٨١ م
- **مبادىء اللسانيات العامة** - أندريه مارتينية - ترجمة د . أحمد الحمو - إشراف د . عبد الرحمن الحاج صالح ، د . فهد عكام . دمشق ١٩٨٥ م
- **التذكرة الفخرية** - للصاحب بهاء الدين المنشىء الإربلي - تحقيق د . نوري حمودي القيسي ، د . حاتم صالح الضامن - بغداد - ١٩٨٤ م

- **الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام** ( دراسة مقارنة ) - د . عبد السلام الترمانيني - الكويت ١٩٨٤ م
- **فائت الحلبة في أسماء الخيل المشهورة في الجاهلية والاسلام** - د . حاتم صالح الضامن - بغداد ١٩٨٣ م
- **نحو التيسير** ( دراسة ونقد منهجي ) - د . أحمد عبد الستار الجواري - بغداد ١٩٨٤ م
- **الموسوعة الموجزة** - المجلد السادس - ق ٢١ - حسان بدر الدين الكاتب - دمشق ١٩٨٤ م
- **السجن السياسي في الرواية العربية** - سمر روحي الفيصل - دمشق ١٩٨٣ م
- **الفهارس العربية لكتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان** - الجزء الثاني - اعداد درية الخطيب - حلب ١٩٨٤ م
- **إضاءات في النقد الأدبي** - عادل الفريجات - دمشق ١٩٨٥ م
- **تساؤلات تبحث عن أجوبة** - علي سليمان - دمشق ١٩٨٤ م
- **مصطفى بن زكرى في أطوار حياته وملامح أدبه** - محمد مسعود جبران - طرابلس ١٩٨٤ م
- **د . إحسان عباس والنقد الأدبي** - ( دراسة ) - محيي الدين صبحي - دمشق ١٩٨٣ م
- **صناع الأدب** - ( دراسة ) - د . عمر الدقاق - دمشق ١٩٨٤ م
- **عبد الباسط الصوفي** ، الشاعر الرومانسي - ( دراسة ) - ممدوح السكاف - دمشق ١٩٨٣ م
- **صانع الأجيال** ، أناشيد المعلم العربي - وزارة التربية - دمشق ١٩٨٤ م
- **مناديل الوداع** - ( شعر ) عبد الكريم دندي - دمشق ١٩٨٤ م

- **احتراق عباد الشمس** - ( شعر ) عبد الكريم دندي - دمشق ١٩٨٤ م
- **كم يلزم من موت لنكون معاً** - ( شعر ) - محمد القيسي - دمشق ١٩٨٤ م
- **الجمر** - ( شعر ) - وفيق خنسة - دمشق ١٩٨٤ م
- **بيني وبينك خطوتان** - ( شعر ) - مسعود جوني - دمشق ١٩٨٤ م
- **الأسرار في مدار الهموم** - ( شعر ) - لؤي فؤاد الأسعد - دمشق ١٩٨٣ م
- **وهذا أنا أيضاً** - ( شعر ) - ممدوح عدوان - دمشق ١٩٨٤ م
- **دقات القلب** - ( شعر ) - بيان الصفدي - دمشق ١٩٨٤ م
- **أغنيات لقمر الطفولة** - ( شعر ) ميخائيل عيد - دمشق ١٩٨٤ م
- **فضاء شاسع للحب** - ( شعر ) - فيصل خليل - دمشق ١٩٨٤ م
- **بطيئاً يمر الدخان** - ( شعر ) - صالح هواري - دمشق ١٩٨٤ م
- **الكراسي في المطر** - ( قصص ) - سعيد جبار فرحان - دمشق ١٩٨٣ م
- **سباق في مسبح الدم** ( قصص - مسرحيات ) - مراد السباعي - دمشق ١٩٨٤ م
- **حماة الديار** ( قصص ) - ناشد سعيد - دمشق ١٩٨٤ م

**ذلك النداء الطويل الطويل** - ( قصص فراتية ) - عبد الله أبو هيف - دمشق ١٩٨٤ م

- **حرائق ودخان** - ( قصص ) - المصطفى اجماهري - دمشق ١٩٨٤ م
- **اعترافات جديدة لصاحب البشرة السمراء** ( قصة ) - محمد الصالح حرز الله - دمشق ١٩٨٤ م
- **حصار الزمن الآخر** - ( قصص ) - زهير حبّور - دمشق - ١٩٨٤ م
- **الفواصل** - ( قصص قصيرة ) - أحمد عودة - دمشق ١٩٨٤ م

- **حادثة خط الاستواء** - ( مسرحية تحديثية ) - د . محمد حسن عبد الله - دمشق ١٩٨٣ م

- **المخيم** ( رواية ) - جمال جنيد - دمشق ١٩٨٤ م

- **المغفل** ( ملهاة شعرية في أربعة فصول ) - عدنان مردم بك - دمشق ١٩٨٥ م

- **جودر والكنز** ( مسرحية شعرية ) - خالد محي الدين البرادعي - دمشق ١٩٨٤ م

- **أبو حيان التوحيدي** ( مسرحية ) - خالد محي الدين البرادعي - دمشق ١٩٨٣ م

- **ملحمة الأيام الفلسطينية** - ( مسرحية وثائقية ) - محمد أبو معتوق - دمشق ١٩٨٤ م

- **العفريت ووطن الطائر** - ( مسرحيتان للأطفال ) - خلف أحمد خلف - دمشق ١٩٨٣

- **الوجه الأسود والزوبعة** - ( مسرحية ) - جهاد الكاتب - دمشق ١٩٨٣ م

- **ندوة مشكلة التنمية التكنولوجية في الوطن العربي والتبعية التكنولوجية** - نظمها اتحاد مجالس البحث العلمي العربية بالاشتراك مع مركز البحوث العلمية والتطبيقية - جامعة قطر ١٩٨٢ م

- **المكرو الكترونيات** ( الكترونيات الدقة ) ( ١ - ٢ ) - تأليف : ي . ميللمان - نقله إلى العربية المهندس وجيه السمان - دمشق ١٩٨٤ م

- **الأمراض المشتركة بين الإنسان والحيوان** ( أعمال ندوة اتحاد مجالس البحث العلمي العربية ) تحرير الدكتورة جليلة مصطفى خليل - بغداد ١٩٨٥ م

- **تاريخ أطباء العيون العرب** ( الجزء الأول ) ـ د . نشأت حمارنة ـ دمشق

- **من مؤلفات ابن سينا الطبية** ، كتاب دفع المضار الكلية عن الأبدان الانسانية ـ الأرجوزة في الطب ـ كتاب الأدوية القلبية ـ دراسة وتحقيق د . محمد زهير البابا ـ حلب ١٩٨٤ م

- **محاضرات في البحث التربوي** ـ المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج الكويت ـ الرياض ١٩٨٣ م

- **محاضرات في التقويم التربوي** ـ المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج الكويت ـ الرياض ١٩٨٣ م

- **كشف الأسرار المخفية في علم الأجرام السماوية والرقوم الحرفية** ـ ( الجزء الخامس ) ـ عمر بن مسعود بن مساعد المنذري ـ عُمان ١٩٨٤ م

- **الالتزامات الخُلقية والسياسية في غزو الفضاء** ـ ندوات أكاديمية المملكة المغربية ـ الدار البيضاء ١٩٨٤ م

- **دول مجلس التعاون الخليجي ومستويات العمل الدولية** ـ د . بدرية عبد الله العوضي ـ الكويت ١٩٨٥ م

- **دليل المنظمات والهيئات الخليجية المشتركة** ـ مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض ١٩٨٢

- **جرائم إسرائيل** ـ إصدار المركز الثقافي للجمهورية الاسلامية الايرانية بدمشق

- **فهرس المخطوطات الطبية في مكتبة الدكتور سامي إبراهيم حداد** ـ وضعه فريد سامي حداد بالاشتراك مع هانس هيزش بيتر فيلد ـ حلب ١٩٨٤ م

- **البلاغات الصادرة عن رئاسة مجلس الوزراء اعتباراً من** ١ / ١ / ١٩٨٤ وحتى ٣١ / ١٢ / ١٩٨٤ ـ دمشق ١٩٨٥ م
- **مجموعة قوانين وأنظمة السيارات والآليات والبلاغات والتعليمات الصادرة بشأنها** ـ رئاسة مجلس الوزراء ـ دمشق ١٩٨٤ م
- **الصحافة القطرية والقضايا العربية** ـ د . عاصم الدسوقي ، د . عبد الخالق لاشين ، د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، د . عادل غنيم ـ الدوحة ١٩٨٤ م
- **المشكلة السكانية وخرافة المالتوسية الجديدة** ـ د . رمزي زكي ـ الكويت ١٩٨٤ م
- **إعلامات بيبليوغرافية** ( عدد ٣ ، ٤ / ١٩٨٣ ) دار الكتب الوطنية تونس ١٩٨٤ م
- **النشرة العربية للمطبوعات ( ١٩٨٢ )** ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ تونس ١٩٨٤ م
- **الفهرس الموحد للوثائق التربوية في مراكز التوثيق التربوي بدول الخليج العربي** ـ المجلد الأول ـ الرياض ١٤٠٣ هـ

# فهرس الجزء الثالث من المجلد الستين

NO. 3 VOL. LX

# REVUE

# DE L'ACADÉMIE ARABE DE DAMAS

## تباع مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

في كل من المكتبات الآتيـة :

- المكتبة العربية : السيد أحمد عبيد ( شارع غسان ـ دمشق )
- دار الكتاب الجديد : السيد الدكتور صلاح الدين المنجد ( بيروت ـ لبنان )
- مكتبة دار البيان : السيد علي الخاقاني ( بغداد ـ شارع المتنبي ـ العراق )
- مكتبة السيد محمد حسين الأسدي ( كتابفروشي ـ أسدي ) ( ميدان بهارستان ـ طهران ـ إيـران )
- مؤسسة دار الكتب الثقافية ـ السيد محمود الخطيب ( الكويت )
- مكتبة المتنبي : السيد حامد سعد الدين ( ١٤ شارع الجمهورية ـ القاهرة )
- دار البشير : السيد الدكتور إسحاق فرحان ( عمان )
- مكتبة دار نجد للنشر والتوزيع السيد عبد الرحمن فهد السويلهم (الرياض) ص.ب ١٧٠٧٣

دار الفكر للطباعة بدمشق
١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م

الجزء الرابع　　　　　　　　　　　　　　　　　　　المجلد الستون

# مجلة

# مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



محرم ١٤٠٦ هـ

تشرين الأول ( اكتوبر ) ١٩٨٥ م

مجلة

# مجمع اللغة العربية بدمشق

- مجلة المجمع العلمي العربي سابقا -

ص.ب ٣٢٧

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر اربعة اجزاء في السنة

| | | | |
|---|---|---|---|
| قيمة الاشتراك السنوي | في جميع الاقطار العربية | ٢٠ | ليرة سورية |
| | وفي سائر الأقطار | ٨ | دولارات |

واذا طلب ارسال المجلة بالبريد الجوي تضاف اجرته الى قيمة الاشتراك

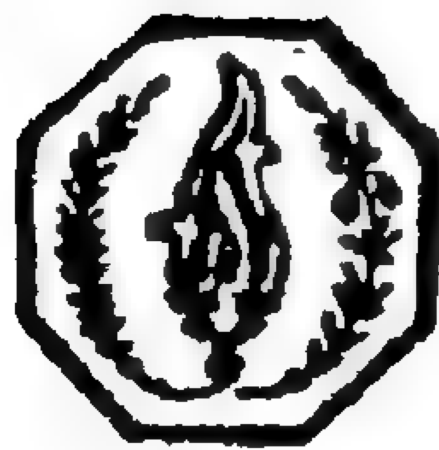
( تدفع قيمة الاشتراك عند طلبه )

- البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .
- ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات فنية .
- ينبغي أن تكون المقالات المرسلة الى المجلة مكتوبة بخط واضح ، أو مضروبة على الآلة الراقنة
- المقالات التي لاتنشر لا ترد لاصحابها .

الجزء الرابع المجلد الستون

# مجلة
# مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



محرم ١٤٠٦ هـ

تشرين الأول ( اكتوبر ) ١٩٨٥ م

# تعريب علوم الطب☆

الدكتور حسني سبح

لما رغب إليّ أن أتحدث في هذا المؤتمر الزاهر ، عن تعريب علوم الطب ، أو استعراب الطب كما يحلو لي أن يقال ، ترددت حيناً بين القبول والاعتذار ، فكان مما يدعوني إلى الاعتذار أن هذا الموضوع قد عولج مراراً في مثل هذا اللقاء ، وفي غير مؤتمر وندوة مما عُقِد في كنف اتحاد الجامعات العربية ، ومكتب تنسيق التعريب ، واتحاد المجامع العلمية واللغوية ، وكان يُتَناوَلُ بتمامه ، أو تتناول شعب منه ، تحت عناوين شتى كـ « تعريب التعليم العالي » « وتعريب المصطلحات العلمية » « وتوحيد المصطلح الطبي » ونحو ذلك . وكنت ممن شارك في بعضها ، فخشيت إمّا عاودت الحديث فيه ألاّ يكون لديّ جديد أُطْرِفكم به ، وأن أُضطرّ الى تكرار بعض ما سلف أن قلته أو قاله غيري ، فيكون ذلك مدعاةً الى السآمة والملل ، ثم حملني على القبول أمور : منها أنه مااقترح علي الحديث في هذا الموضوع إلا والحاجة الى ذلك قائمة ، ومنها أنّي أصدر في الحديث عن هذه القضية عن معاناة لها وتجربة فيها طويلة ، وذلك أني واحد من قلة باقية قدر لهم أن يشهدوا مولد الاستعراب الجديد في مهده : دمشق ، وأن يقفوا على مراحل تطوره ونمائه حتى بلغ مابلغ ، كما قدر لي أن أكون ممن أسهم في ذلك ولو اسهاماً متواضعاً

---

☆ نصّ الكلمة التي ألقيت في مؤتمر التعريب الخامس الذي عقد في ٢١ ـ ٢٥ أيلول ١٩٨٥ في مجمع اللغة العربية بعمان تلبية لطلب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

أيضاً . ولقد بدأنا أنا وثلّة من أترابي دراستنا للطب قبيل الحرب العالمية الأولى بالتركية . وامتد ذلك طوال السنوات الأربع الأول ، وختمناها في السنة الخامسة بدراسته بالعربية . ثم كان أن أُسْنِدَ الي تدريس الأمراض الباطنة وسريرياتها في المعهد الطبي العربي الذي أقيم في دمشق إبان قيام الحكومة العربية الأولى فيها ، وهو الذي آل فيا بعد الى كلية الطب بالجامعة السورية ( جامعة دمشق اليوم ) وغبرت أدرّس الأمراض الباطنة بجميع فروعها عدة عقود من السنين وليت خلالها عمادة الكلية ورئاسة الجامعة . وقد اضطرني ذلك الى أن وضعت بضعة عشر كتاباً في موضوعات الأمراض الباطنة لتكون مراجع لطلبة الطب على اختلاف شعبهم ومستوياتهم ، والى أن شاركت في وضع مادعت الحاجة الى وضعه من مصطلحات .

هذا ، وما أراني بحاجة الى أن أفيض في ذكر تجربة أسلافنا الأقدمين في هذا الباب ، وما كان للطب العربي الاسلامي من شأن في نمو هذا العلم وتطوره ، فقد أصبح من الحقائق التي لامراء فيها أن أطباءنا الأقدمين لم يقتصروا على الاطلاع على ماترجم لهم من مواريث الأمم الغابرة في هذا العلم بل أعادوا النظر فيا ترجم وعمدوا الى تنقيحه ، وتجاوزوا ذلك الى الابداع فيه ، فنفوا من طب الأوائل ماثبت عندهم خطؤه ، وتداركوا ماكان فيه من نقص ، وأضافوا اليه الكثير الكثير من الجديد الذي هدتهم اليه بحوثهم وتجاريبهم ، حتى أصبح الطب عربياً خالصاً وسارت فيه المقولة المشهورة : كان الطب معدوماً فأوجده بقراط ، وميتاً فأحياه جالينوس ، ومتفرقاً فجمعه الرازي ، وناقصاً فأكمله ابن سينا ، وبذلك صارت العربية لغة هذا العلم بلا منازع ، حتى اضطر طلبة العلم من الغربيين الى أن يتعلموها ليدرسوا بها الطب وغيره

من العلوم . ثم عكف فريق منهم على ماألفه أعلام الطب المسلمون كالرازي وابن سينا والمجوسي من أطباء المشرق وابن رشد وابن زهر من أطباء الأندلس ، وأخذوا يترجمونه الى اللاتينية لغة الدين والعلم عندهم اذ ذاك ، وظل ماترجموه عماد دراسة الطب فيما أُنشئ في ايطاليا وفرنسا من مدارس لتعليمه ، وامتد ذلك قروناً . وكان من ذلك أن سرى الى لغة الطب في الغرب كثير من الألفاظ العربية .

وقد كان الطب العربي الاسلامي قميناً بأن يستمر في النمو والتطور لولا أن قدر لهذه الأمة أن تمر في أواخر القرن السابع الهجري بفترة ركود حضاري كان نتيجة حتمية لما دهاها من الأحداث والكوائن العظمى ، في طليعة ذلك ان اصطلح عليها في آن زحفان لم يعرف التاريخ أكبر منهما الزحف الصليبي من الغرب يؤازره الزحف المغولي من الشرق ، مما اضطرها الى أن تسخر على مدى قرنين معظم جهودها وطاقاتها لدرء هذا الغزو الذي كان يستهدف أصل وجودها ، وما إن تم لها طرد الغزاة حتى فاءت الى بلهنية امتدت قروناً ، على حين كان الغرب يستيقظ من رقدته الطويلة ويستأنف نشاطاً حضارياً جديداً انطلق فيه مما أخذه من الحضارة العربية الاسلامية . وما ان ذرّ قرن عصر النهضة الصناعية في ربوعه في القرن الثامن عشر للميلاد ، حتى تمخضت تلك النهضة عن استحداث كثير من الأدوات والآلات التي لم يكن للانسانية بها عهد ، وعن استنباط تقنيات جديدة ، مما هيأ الأسباب للكشف عن عالم ظل حتى ذلك الحين محجوباً عن الأبصار ، وذلك عالم المجهريات ـ عالم مالا يمكن رؤيته الا بالمجاهر ـ واستعلنت حقائق من حقائق الحياة والوجود كانت خافية ، فكان ذلك بداية طور جديد خلقت فيه العلوم خلقاً جديداً ، بدت معه كأنها لاصلة لها بما تقدّم في العصور الغابرة ،

وكانت البداية التي انطلق منها تطور الطب حتى بلغ في أيامنا ما بلغ ، أن اُكتشفت اذ ذاك حقيقة بدن الانسان وغيره من الأحياء ، وان نُسُجه مكونة من وحدات صغيرة هي التي تدعى بالخلايا ، وأن اكتشفت أيضاً الطفيليات الدنيا المتناهية في الصغر والجراثيم التي هي الأصل في كثير مما يصيب الانسان وغيره من الأحياء ، من أمراض . هذا الى أن أصحاب الكيمياء تمكنوا في ذلك الحين أيضاً من استحداث مركبات شتى سرعان ما أخذ كثير منها سبيله الى صناعة الصيدلة فركبت عقاقير طبية كثيرة ، كانت انجع في المداواة من أدوية الطب القديم . وهكذا تم استغراب الطب وسائر العلوم .

ولما قيض لامتنا أن تصحو من غفوتها في أوائل القرن الثالث عشر الهجري كان لابد لاستكمال أسباب النهضة أن تضيف الى ماورثته من حضارتها السالفة مااستحدثته الحضارة الغربية في باب العلوم والصناعة ، وكان قصب السبق في ذلك لأرض الكنانة مصر .

وما ان انتهى أمر الحكم في مصر الى محمد علي حتى أنشأ ـ فيما أنشأ من مرافق ـ مدرسة لتعليم الطب أقيمت أولاً في أبي زعبل ثم نقلت الى قصر العيني في القاهرة واستقدم لها أساتيذ من فرنسا ، جاعلاً التدريس فيها بالعربية . ونشطت الترجمة لأمهات كتب الطب ، و تتابع ارسال البعثات وكان لابد بعد ذلك من ايجاد ألفاظ ومصطلحات طبية عربية سلكوا في سبيلها ما يأخذ به المشتغلون باستعراب الطب اليوم : أحيوا من مصطلح الطب العربي الاسلامي مارأوه وافياً بالغرض ، واجتهدوا في وضع مقابل بالعربية لما جد من مصطلحات ، وأما ما لم يهتدوا فيه الى لفظ عربي مناسب فلجؤوا فيه إلى التعريب ، ولم يمض عقدان من السنين حتى استعرب الطب في جميع أنحاء مصر استعراباً كاملاً وبلغ عدة ماترجمه

وألفه أساتيذ هذه المدرسة ستة وسبعين كتاباً اشتملت على ألوف من المصطلحات وقد امتد هذا الاستعراب زهاء سبعين عاماً . ثم دهيت مصر سنة ١٨٨٢ بالاحتلال الانكليزي وسيطرة داهية القوم ( دنلوب ) على التعليم فيها ، ففرض تعليم العلوم بالانكليزية وبذلك حلت الانكليزية محل العربية في مدرسة قصر العيني وغير اسمها فصارت ( كلية الطب ) ثم الحقت بعد بالجامعة المصرية ( جامعة القاهرة اليوم ) وظل التدريس فيها بالانكليزية كما أراد ( دنلوب ) حتى اليوم .

وقفا اثر هذه الجامعة في ذلك سائر ما أنشئ بعد في مصر من جامعات ، مع أن النظام الأساسي لكل منها ينص صراحة على أن لغة التدريس فيها هي العربية مع جواز التدريس بالانكليزية استثناء ، إلاّ أن واقع الأمر ان هذا الاستثناء أصبح هو الأصل . وأخذت معالم الاستعراب السابق الذي تم على أيدي رجال صدق من أعلام قصر العيني وغيرهم من معاصريهم تمحي شيئاً فشيئاً حتى كادت تندثر على رغم الجهود الكبيرة الصادقة التي بذلها رجال مجمع اللغة العربية بالقاهرة والأعمال العظيمة التي قاموا بها بمعونة خبراء من أساتيذ تلك الجامعات لتيسير أمر التعريب وتهيئة أسبابه .

وفي الحين الذي أخذ فيه استعراب الطب ينحسر في مصر بتأثير نظام دنلوب ، أُتيح للطب أن يستعرب مدة لم تطل في ديار الشام وفي بيروت منها خاصة ، وكان ذلك على أيدي طائفة من المبشرين الأمريكيين نزلوا اذ ذاك في بيروت وبعض ما يجاورها من قرى جبل لبنان لينشروا مذهبهم البروتستانتي ، وتعلم نفر منهم العربية ليقوموا على ترجمة كتابهم المقدس بعهديه ، ترجمة جديدة تحل محل الترجمة القديمة التي

لم ترق لهم ، حتى اذا أنجزوا تلك الترجمة أنشؤوا لنشرها مطبعة ماتزال تعرف بـ ( المطبعة الاميركية ) وتلا ذلك أن نشروا ماترجموا من الكتب المدرسية لمرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي ثم أنشؤوا في نطاق مادعوه اذ ذاك ( الكلية السورية الانجيلية ) ( جامعة بيروت الامريكية اليوم ) مدرسة لتعليم الطب وجعلوا التعليم فيها بالعربية ودام ذلك نحو اثنتي عشرة سنة ، ثم صار التعليم فيها بالانكليزية . وقد وضعوا خلال هذه الحقبة من الزمن بضعة عشر كتاباً جيداً في شتى علوم الطب ، وأفادوا في باب المصطلح من صنع رجال قصر العيني ، الا أن مصطلحاتهم لم تخل من خلاف لمصطلحات اولئك ، مردّه الى أن هؤلاء كانوا يستقون من مصادر انكليزية أمريكية ، وأما اولئك فكانوا يستقون من أصول فرنسية ، وللسبب نفسه ماوجد نحو هذا الاختلاف بين مصطلحات قصر العيني والمصطلحات التي وضعت في السنين الأخيرة في مصر ذاتها .

ومع ان هؤلاء الأميركيين انما كانوا يرمون الى أغراض تبشيرية تشوبها مطامع استعمارية ، فقد أفاد صنيعهم في رفع المستوى العلمي والطبي والصحي في ديار الشام عما كانت عليه الحال في سائر الولايات العثمانية .

والطريف في أمر هذه المدرسة الامريكية ، ان العربية فيها لم تقتصر على التدريس بها فحسب ، بل شملت شؤون الادارة والأمور القرطاسية الأخرى حتى إن الدولة العثمانية تساهلت معها في بادئ الأمر بقبولها العربية أيضاً في أداء امتحانات الخريجين في استانبول من أجل منح الترخيص في حق ممارسة المهنة في البلاد العثمانية ـ لأن شهادة المدرسة وحدها لاتكفي لذلك ـ وعدلت الدولة عن العربية بأخرة ولم تقبل أداء الامتحانات الا بالتركية أو الفرنسية .

أما وقد أتيت على ذكر استانبول فإني رأيت لزاماً علي- وأنا في صدد الالمام بتاريخ استعراب الطب - أن اعرج على دار الخلافة ، لآتي على ذكر تجربة سبق أن ألمعت اليها في بعض احاديثي السالفة ، وهي تجربة الدولة العثمانية في تتريك الطب ، وذلك لأمرين : أحدهما أنها تضرب مثلاً بطولياً في إنفاذ الإرادة القومية نحواً من المثل البطولي الذي يضربه صنيع رجال قصر العيني ، والآخر أن حركة الاستعراب الأخير أفادت من هذه التجربة من الوجه الذي سأذكره .

كانت البدايات التي مهدت لهذه التجربة في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي عندما حاول السلطان محمود الثاني أن يدخل الاصلاح بالاعتماد على النسق الأوربي في أجهزة الدولة ومؤسساتها وأن ينهض بها بعدما بلغت من الضعف ان كانت تدعى في المحافل الدولية بـ ( الرجل المريض ) وكان من ذلك تأسيس مدرسة للطب على غرار المدارس الفرنسية فاستقدم من أجل هذا أساتيذ أجانب من أوربا . وكان في عاصمة الخلافة مدرسة للطب تسير على النمط الأجنبي يدرس الطب فيها بالايطالية ، وعهد الى أولئك بالتدريس باللغة الفرنسية معلناً في كلمته التاريخية في حفل التدشين سنة ١٨٣٩ ما معناه : ليس بوسعنا أن نجعل التدريس بالتركية الآن واني أعدكم بأن يتم هذا في القريب العاجل .

ولم يتح لهذه الارادة السنية - كما يقولون - أن تتم في حياته ، وتحققت في أيام خلفه السلطان عبد المجيد بعد احدى وثلاثين سنة وأربعة شهور وخمسة عشر يوماً ( كما جاء في إحدى المجلات الطبية ) والسبب في ذلك المعارضة الشديدة من قِبَل الأساتيذ الاجانب ، إذ كانوا

من دول مختلفة بينهم النمسوي والفرنسي والايطالي والانكليزي ومعهم أساتيذ من الروم والأرمن من رعايا الدولة العلية ( كما كان يطلق عليها ) ولم يكن فيهم من الأتراك إلا اثنان فقط .

اسخطت الحال الرأي العام، وكان في طليعة الساخطين طلبة الطب أنفسهم ولم يَدّعوا أن يبينوا عن هذا السخط في أية مناسبة ، وعن رغبتهم في أن يكون التدريس بالتركية مما دعا الصحافة التركية المناصرة لهم أن تنعتهم بـ ( الطلاب المجاهدين ) ولقيت دعوتهم قبولاً لدى فريق من رجال الحكم وعلى رأسهم المدعوّ أسعد باشا رئيس مايسمى بالشورى العسكرية ، فقد استدعى هذا ثلاثة من كبار هيئة التدريس الأجانب وسألهم : أي الأمرين أجدى وأعود بالنفع على الأمة ، آلتدريس بلغة أجنبية أم التدريس بلغتنا القومية ؟ فلم يسعهم إلا أن يجيبوا بأن التدريس بالتركية أجدى عائدة . وكان إقرارهم هذا ، سنداً قوياً للقضية ، وانتصرت إرادة الأمة وشرع بالإعداد للأمر عدته ، وألفت جمعية طبية تضم كبار الأطباء عرفت بـ ( الجمعية الطبية العثمانية ) من أهم مهامها وضع مصطلحات طبية من أجل تدريس الطب بالتركية .

بدأ تتريك تعليم الطب من السنة الخامسة ( وهي الأولى بترتيبنا اليوم ) واستغرق ٥ سنوات ، وكان من اهتمام السلطان عبد المجيد بشأنه أنه كان يحضر بالذات امتحانات التخرج .

وكان تتريك الطب في الحقيقة شبه استعراب له وممهداً للاستعراب الكامل ، اذ كان نحو ٩٠ في المئة من مصطلحاته ألفاظاً عربية . ومما مهّد للاستعراب الأخير عمل آخر أقدمت عليه الدولة العثمانية أيضاً في أوائل هذا القرن ، وذلك أن إنشاء المبشرين البروتستانت الاميركيين سنة ١٨٦٦

مدرستهم التي سلف الحديث عنها في بيروت ، حفز منافسيهم المبشرين الكاثوليك علي أن ينشئوا سنة ١٨٨٢ م مدرسة أخرى للطب فرنسية باسم ( جامعة القديس يوسف ) وبقيام هاتين المدرستين أصبحت بيروت المرجع الطبي المنظور إليه لافي بلاد الشام وحدها ، بل في أكثر بلاد الشرق الأدنى أيضاً ، فحمل ذلك الدولة العثمانية سنة ١٩٠٣ م على ان انشأت مدرسة للطب في دمشق ، لتنافس تلكما المدرستين من جهة ، ولسدّ حاجة البلاد الى اطباء وصيادلة من جهة أخرى . وما ان اندلعت الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ م وخاضت الدولة العثمانية غمارها حتى جندت هيئة التدريس وأكثر طلابها ، وأغلقت أبوابها ثم أعيد افتتاحها سنة ١٩١٦ بعد الحاقها بقيادة الجيش الرابع ولكن في بيروت وفي مباني جامعة القديس يوسف اليسوعية ، وكانت الدولة قد صادرتها . واستمرت هذه المدرسة قائمة الى أن انتهى الحكم العثماني في أواخر ١٩١٨ م وقد تخرج منها خلال ١٥ سنة ٢٤٠ طبيباً و ٢٨٩ صيدلانياً جلهم من الشاميين ، وأما القلة الباقية فكانوا من الترك والأرمن .

في خريف عام ١٩١٨ تحررت دمشق مع غيرها من بلاد الشام ، من الحكم العثماني ، بحلول الجيش العربي ( جيش الثورة العربية الكبرى ) فيها بقيادة المغفور له الامير فيصل بن الحسين ( الملك فيصل الأول فيما بعد ) صحبه احتلال الجيش البريطاني لسورية بأكملها من الجنوب الى الشمال ومن الساحل الى الداخل ، وأطلق على هذه البلاد وقتئذ اسم ( بلاد العدو المحتلة ) وأخضعت للحكم العسكري وكان من نصيب دمشق أن تولى الحكم العسكري فيها الفريق على رضا باشا الركابي ، ابن دمشق البار ، بلقب ( الحاكم العسكري العام ) مع منحه سلطة تشبه مايعرف اليوم بالحكم الذاتي . وكان جهاز الحكم ممثّلاً فيه كل البلاد العربية التي انفصلت عن الدولة العثمانية .

وما ان رأى النـاس الرايـة العربيـة المربعـة الألوان ترفرف في السماء حتى تنفسوا الصعداء وعمت الفرحة ودبت الحماسة فيهم بما يصعب وصفه ، وسرعـان مـاهرع الكل إلى تـأييـد الحكم العربي القـائم وشـد أزره ، وشُرع بـالاستعراب ونبـذ كل مـاليس عربيـاً من ألفـاظ و تسميـات درجت على الألسن ، وبخـاصـة فيما يتعلق بـدوائر الحكـومـة والمصـالـح العـامـة ، وفي مقدمتها لغة التدريس في المرحلتين الابتدائية والثانوية ، وتهيئة مايحتـاج اليه التدريس من كتب عربية ، تم ذلك بسرعـة عجيبـة مع مـابـذل من اهتمام بلا كلال ولا ملل .

بين الصحف والمجـلات التي ظهرت في مطلـع عـام ١٩١٩ ، مجلـة أسبوعية أصدرتها مديرية الصحة العامة ، كانت لايتجاوز عدد صفحـاتهـا في بادئ الأمر الثمانية وأصبح بعـد قليل ست عشرة صفحـة ، وكانت تعنى في الأصل بـالشؤون الصحيـة ، نشر فيهـا المرحوم الـدكتور حكمـة المرادي سلسلة من المقالات بعنوان ( اللغـة العربيـة والطب ) صحح فيهـا الكثير من الأخطاء الشائعة بين جمهور الأطبـاء من ألفـاظ ومصطلحـات طبيـة أخذت عن التركية وذلك قبيل افتتاح ( مدرسـة الطب ) واستمر في النشر بعـده ، ممـا كان لـه الاثر الحسن وعـد أول خطـوة في الاستعراب . وكان الحـدث العظيم في مطلـع السنـة ذاتهـا ، إعـادة افتتـاح مـدرسـة الطب بدمشق ، لتخلف مدرسة الطب العثمانية السابقة . أقيم حفل الافتتاح يوم ٢٣ كانـون الثـاني سنـة ١٩١٩ في إحـدى بـاحـات المستشفى الحميـدى ( مستشفى الغرباء كما يعرف به أيضاً ) ، شهده جمع غفير من رجال الحكم والعلم والثقافة وناب في رعايته عن الحاكم العسكري العام مسـاعـده اللواء ياسين باشا الهاشمي العراقي الانتماء ، وألقيت الخطب الحماسية مشيدة بشأن هـذه الخطوة المبـاركـة ، ولم يمض على هـذا الحفل إلا أشهر معـدودة حتى

تلته مأثرة ثانية للحاكم العسكري العام بأن أقر تأسيس المجمع العلمي العربي ، ثم افتتاح مدرسة للحقوق بدمشق أيضاً لتخلف مدرسة الحقوق العثمانية التي كانت قائمة في بيروت قبل إعلان الحرب العالمية . وبعد شهرين تفضل الامير فيصل بزيارة المدرسة مبدياً سروره وإعجابه بما تم .

تولى التدريس في مدرسة الطب العربية ( هكذا كان اسمها ثم سميت بالمعهد الطبي العربي من الجامعة السورية وأخيراً كلية الطب من جامعة دمشق ) تولى التدريس فيها معلمون عرب من ذوي الاختصاص في شعب الطب والصيدلة ، بينهم أستاذ سابق في مدرسة الطب العثمانية في استانبول : الاستانة وجلهم من مساعدي الأساتيذ الأتراك في مدرسة الطب العثمانية بدمشق والى جانبهم بعض كبار الاطباء العسكريين المتخصصين في الجيش العثماني ثم الجيش العربي وكانوا ممن درس الطب بالتركية ، إلا أستاذاً واحداً كان من خريجي كلية الطب اليسوعية في بيروت؛ التحق بالثورة العربية الكبرى وهو ضابط في الجيش العثماني كان ممن يجيدون العربية .

لم يكن هؤلاء الأساتيذ على مستوى واحد في معرفة اللغة العربية ، من بينهم المجلون ويعدون بحق رواد الاستعراب في الشام وهم الاطباء جميل الخاني وأحمد حمدي الخياط ومرشد خاطر والصيدلي عبد الوهاب القنواتي ولم يلبث غيرهم أن بادر الى تعلم الفصحى واتقانها حتى بذ التقيد بالتدريس بها في المعهد الطبي ، الكليات غير العلمية بشهادة أحد المستشرقين الذين زاروا دمشق .

وفي صيف ١٩٢٠ احتل الجيش الفرنسي البلاد فقضي على الحكومة

العربية القائمة بعد أن سبق إعلان استقلال سورية في ربيع العام نفسه مع البيعة للمغفور له فيصل بن الحسين ملكاً دستورياً عليها بحدودها الطبيعية ، ونجم عن هذا الاحتلال بعض التغيير في كيان مدرسة الطب العربية ، بعد أن انسحب من هيئة التدريس فيها عدد من أعضائها منهم من كان على صلة وثيقة بالعهد السابق الذي أبى رجاله الإذعان لإنذار العدو ، ومنهم من عرف عنه الارتباط باللجنة الوطنية العليا التي قادت الأمة في جهاد العدو المغتصب ، وحل محلهم من يدانيهم في الكفاية من أطباء وصيادلة .

وبعد أن توطد الأمر للعدو المحتل ، كان لابد له من التدخل في شؤون المدرسة ، ففرض اتباع النظام الفرنسي في برامجها دون غيره ، وضم الى هيئة التدريس ثلاثة من الفرنسيين . وعلى رغم ذلك تابعت حركة الاستعراب مسيرها ولم يثنها عن المتابعة عائق ، وكل ما هنالك أن الأساتيذ الفرنسيين كانوا يلقون دروسهم السريرية ( وهي الدروس العملية التي تلقى حول سرير المريض ) بالفرنسية ويقوم بترجمتها الى العربية أحد المساعدين ، ثم آستغني عن الترجمة عندما تقدمت معرفة الطلاب بالفرنسية وصاروا قادرين على فهم ما يلقى بها .

وفي سنة ١٩٢٣ أُحدثت إدارة الجامعة السورية ( جامعة دمشق ) لتضم معهدي الطب والحقوق والمجمع العلمي العربي ، إلا أن المجمع لم يلبث أن انفصل عن الجامعة متمتعاً باستقلاله الخاص مع مثابرته على رعاية الاستعراب في شتى المؤسسات .

وفي سنة ١٩٢٤ بدأ المعهد الطبي العربي باصدار مجلة شهرية تحمل اسمه ( مجلة المعهد الطبي العربي ) تَرأس تحريرها الأستاذ مرشد خاطر

وعاشت اثنين وعشرين عاما ( ١٩٢٤ ـ ١٩٤٦ ) وقد أسهمت هذه المجلة اسهاماً كبيراً في ازدهار المعهد وتقدمه من الناحيتين العلمية واللغوية : فمن الناحية العلمية أخذت تنشر البحوث العلمية الأصيلة التي كان يقوم بها أعضاء هيئة التدريس ويتناول معظمها دراسات عن الأمراض القرئية ( المستوطنة ) في القطر من أقصاه الى أقصاه ، الى جانب مقتبسات من الصحافة الطبية الأجنبية عن كل جديد في عالم الطب . ومن الناحية اللغوية فقد أفاد منها استعراب علوم الطب فائدة لاتثمن ، فعلى صفحاتها عرض على بساط البحث الالفاظ والمصطلحات المتداولة في التعليم لتكون موضع دراسة وتمحيص ونقاش لا من قبل الأطباء الأخصائيين واللغويين في القطر وحده ، بل شاطرهم في هذا نظراؤهم من الاقطار العربية الأخرى مما مكن من اختيار الاصلح منها .

على هذه الوتيرة سار تعريب علوم الطب والمعهدُ الطبي العربي ماضٍ على الدرب حتى في عهد الانتداب الفرنسي على رغم العراقيل التي كانت توضع في سبيله خفية .

تبدلت الحال بعد جلاء الأجنبي عن البلاد ، وما ان نعم القطر بالاستقلال التام حتى صار عدد أعضاء هيئة التدريس أضعاف ماكان عليه من قبل ، لكثرة ماأحدث من فروع وشعب جديدة ، وبتعدد البعثات الى الجامعات الأجنبية من شرقية وغربية . وكان ذلك مدعاة الى تعدد مايقترح في مقابل المصطلح الواحد ، مما حمل معهد دمشق على تأهيل لجنة باسم ( لجنة المصطلحات الطبية ) قوامها الأساتيذ مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط وصلاح الدين الكواكبي لترجمة معجم كليرفيل الفرنسي الكثير اللغات إلى العربية ، وقد صدرت الترجمة المذكورة عام

١٩٥٦ م مشتملة على بضعة عشر الف مصطلح ، وٱعتمدت رسمياً لتكون مرجعاً وحيداً في هذا الشأن .

عُدَّ صدور هذا المعجم في حينه خطوة جديدة لتعزيز تعريب علوم الطب وفي سبيل توحيد المصطلحات في القطر ، والحد من تعدد المترادفات في الكثير منها ، وفسح ظهوره المجال أمام النقاش والنقد وابداء الرأي فيا اشتمل عليه .

تقدتُ هذا المعجم بنشر سلسلة من المقالات في مجلة المجمع العلمي العربي ( مجمع اللغة العربية بدمشق ) بعنوان ( نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات ) بلغت عدتها ستاً وسبعين مقالة نشرت على اثنين وعشرين عاماً . ومن المفيد أن أنقل اليكم ما قلت في خاتمتها : « لست ادعي اني جئت فيا عرضت له بالقول الفصل ، وأكبر ظني اني لو اتيح لي معاودة النظر في هذا الذي كتبت لزدت اشياء ، وغيرت أشياء واستدركت أشياء ، إلا اني أرجو أن أكون بما صنعت قد أسهمت ولو اسهاماً ضئيلاً في وضع مصطلحات الطب ، وأن أكون ذلّلت بعض المصاعب ، لأن الطريق طويل ، والحاجة الى متابعة العمل وتضافر الجهود فيه ستظل قائمة مادام العلم في تطور ونمو » .

وثمة خطوة أخرى حاولت جامعة دمشق أن تخطوها ، ولكن لما يكتب لها تمام التنفيذ . وذلك أنه أقدم أستاذان من رواد استعراب الطب فيها ، وهما الدكتوران : أحمد حمدي الخياط ، ومرشد خاطر على وضع معجم فرنسي عربي موسع ، شرحا فيه المواد شرحاً وافياً ، وجاء في ثلاثة أسفار ، ثم لم يتيسر لهما نشره . ومضت سنوات توفي خلالها أحد واضعيه : الدكتور مرشد خاطر ثم قررت وزارة التعليم العالي تقديراً منها

لهذا العمل الثمين أن تطبعه على نفقتها بمناسبة احتفال كلية الطب بعيدها الذهبي ( مرور خمسين عاماً على تأسيسها ) فعهد الأستاذ أحمد حمدي الخياط الى نجله النجيب الدكتور محمد هيثم الخياط ( وهو سرّ أبيه حقاً ) أن يعيد النظر في هذا المعجم وأن يتسع في ذلك ويضيف اليه ماجد في بابه ، وأن يراعي ما نُقد به المعجم السابق ( معجم كليرفيل الكثير اللغات ) ولاسيا مقالاتي التي تقدم ذكرها ، وما تتفق عليه الكلمة في المعجم الطبي الموحد ـ وكان قيد الاعداد ـ وأن يذكر الى جانب الالفاظ الفرنسية ما يقابلها بالانكليزية أيضاً ، وأن يلحق به سفراً رابعاً يشتمل على مسردين للألفاظ أحدهما عربي والآخر انكليزي لاتمام الفائدة .

وصدر السفر الأول من هذا المعجم ( معجم العلوم الطبية ) سنة ١٩٧٤ وهو يتضمن المواد من حرف A الى E ويقع في ٦٠٤ ص في كل منها ثلاثة أعمدة . وقد ضبطت فيه الالفاظ العربية بالشكل . إلا ان الدكتور هيثم اضطر ـ بعد وفاة والده رحمه الله ـ الى التريث في متابعة العمل حتى يفرغ من الطبعة الثالثة من المعجم الطبي الموحد الذي سيأتي خبره ولعله منجز ما وعد به قريباً إن شاء الله .

وهناك معجم آخر نشر في دمشق أيضاً سنة ١٩٧٠ م وأنفقت نقابة أطباء الأسنان فيها على طباعته ، وقد وضعه الدكتور ميشيل الخوري الأستاذ السابق في كلية طب الأسنان وأحد أعضاء مجمعنا الراحلين ، واسمه « معجم مصطلحات تعويض الأسنان » « انكليزي ـ عربي ـ افرنسي » وقد ضبطت مواده بالشكل ، وشرحت بالعربية أيضاً . ولعل هذا المعجم هو المعجم الوحيد في بابه حتى يومنا هذا .

وعلى غرار ما جرت عليه كلية الطب بجامعة دمشق جرت مختلف كليات الطب التي أنشأت في سائر المدن السورية .

هذا ، وقد قادني الى الحديث عن هذه المعاجم التي ظهرت في دمشق اني في صدد الحديث عن الاستعراب الجديد الذي تم فيها . واما من حيث التاريخ فكما كانت مصر مهد التجربة الاولى في استعراب الطب كانت السابقة الى وضع المعجمات الطبية لتعزيز الترجمة الى العربية أيضاً . ولعل أول معجم هو المعجم الذي ترجمه عن الفرنسية الدكتور محمود رشدي البقلي من أطباء قصر العيني ، ونشره في باريس سنة ١٨٧٠ ثم كان المعجم الذي وضعه ونشره في أوائل القرن الدكتور محمد شرف باسم ( معجم انكليزي عربي في العلوم الطبية والطبيعية ) وهو يعد بحق أبا المعجمات الطبية العربية ، وسيظل علماً شاخاً في تاريخ استعراب الطب الحديث .

وبمناسبة احتفال مجمع اللغة العربية بالقاهرة بالعيد الخمسيني لتأسيسه ، فقد نشر في العام الماضي الجزء الأول من معجمه ( معجم المصطلحات الطبية ) من وضع لجنة المصطلحات الطبية فيه ، وباشراف مقررها الأستاذ الدكتور حسن علي إبراهيم ، اقتصر هذا الجزء على مواد من حرف A الى C ، مع تعريف واف لها ، والمأمول أن يتوالى صدور الأجزاء الباقية بسرعة ، لأن المجمع سبق له ان أورد معظمها في نطاق ما يصدره سنوياً من ( مجموعة المصطلحات العلمية والفنية ) .

وأسهم المجمع العلمي العراقي في الاعداد لتعريب علوم الطب ، بنشره عدة مجموعات من مصطلحات علوم الطب على اختلاف أنواعها ، يرجى عند اتمامها أن تكوّن معجماً طبياً عربياً كاملاً ، كما لمجمع بغداد الفضل أيضاً في المساعدة الخيرة التي تكرم بها في اسهام نائب رئيسه الأستاذ الدكتور محمود الجليلي بترؤس تحرير الطبعتين الأولى والثانية من ( المعجم الطبي الموحد ) تلبية لاتحاد الأطباء العرب وسيأتي ذكر طبعته الثالثة .

وثمة أمل كبير في أن يضمّ مجمعنا هذا النشيط ( مجمع اللغة العربية الأردني ) الذي نلتقي اليوم في رحابه ـ إلى سلسلة المترجمات العلمية القيمة التي اضطلع بنشرها منذ سنتين ـ مترجمات طبية مماثلة ، ويوطئ بذلك لاستعراب الطب في هذا القطر العزيز .

وبين منشورات تذكار العيد المئوى لتأسيس الجامعة الأمريكية في بيروت سنة ١٩٦٦ صدر قاموس حتي الطبي انكليزي عربي لمؤلفه الصديق الدكتور يوسف حتي الأستاذ الأسبق للأمراض الباطنة وعلم التشريح في الجامعة المذكورة ، لاتقل مواده عن ٥٠ ألفاً استقى مصطلحاته الطبية من شتى المراجع قديمها وحديثها ، ضمها ٧٥٨ صفحة على عمودين بالاضافة الى ماأورد في آخر المعجم بعنوان ( فهرس القاموس للألفاظ العربية ومعانيها الانكليزية ) جاء في ١٠٦ صفحات على ٣ أعمدة . وان في اعادة طباعته أربع مرات خلال السنين الماضية لدليلاً على مالقيه هذا المعجم من رواج وما يستحقه من تقدير .

وخاتمة المطاف ومسك الختام في مجموعة المعجمات الكاملة الصادرة حتى اليوم ، صدور الطبعة الثالثة من ( المعجم الطبي الموحد ) قبل سنتين برعاية مشتركة بين كل من مجلس وزراء الصحة العرب من منظمة الصحة العالمية واتحاد الأطباء العرب ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ( وبدعم مادي خير تشكر عليه ) بعد أن عكف على تحضيره طوال عدة سنين لجنة قوامها احد عشر عضواً من الأساتيذ الأطباء المجمعيين والجامعيين من سبعة أقطار عربية ، بذت هذه الطبعة الأخيرة سابقتيها ، بأن أصبح المعجم فيها ثلاثي اللغة ( انكليزي ـ عربي ـ فرنسي ) مع تنقيح في بعض ماسبق من مواد وزيادة فيها ، ( اذ أصبح عدد مواده زهاء ٤٠ ألفاً ) وامتازت بأن اشتمل مجلدها الأنيق على ٧٦٠ صفحة من

المتن ، تلاها ١٦ صفحة للوحات ايضاحية و ١٠٠ صفحة لمسرد عربي انكليزي على ثلاثة أعمدة ، تمت الطباعة الجيدة في سويسرة وبعناية الزميل النشيط مقرر اللجنة الأستاذ الجامعي والمجمعي الدكتور محمد هيثم الخياط وجهوده .

والنية معقودة على أن تعيد اللجنة النظر فيه ـ أمر لابد منه ـ لاضافة مافات اللجنة اضافته وما استجد منذ سنوات ، وثم للبحث في تحضير نسخة من المعجم بترتيب فرنسي ـ عربي ـ انكليزي تلبية للرغبة واتماماً للفائدة .

هذا بايجاز ، ماتم التوصل اليه على حد علمي في قضية استعراب علوم الطب . ومما لاشك فيه انها إحدى قضايانا المصيرية الكبرى التي لاتحتمل أدنى تهاون . ولن يكون لنا وجود متميز تتجلى فيه أصالتنا الخاصة ويهيّئ لنوابغنا أسباب الإبداع ، إلاّ اذا كان للغتنا القومية الهيمنة في جميع مجالات حياتنا وفي طليعتها العلم والتعليم على مختلف مستوياته . وانما قصصت فيما سلف تجارب اسلافنا التي تقدم أمثلة بطولية في هذا الباب ، ثم تجربة الجامعة السورية ( جامعة دمشق ) التي ما تزال قائمة مستمرة ، لأبين أن صحة النية وصدق العزيمة في السعي الى تحقيق الأماني والمطامح القومية كفيلان بتذليل أقسى العقبات ، وألححت على قضية المصطلح لأن هذه القضية في طليعة مايتعلل به الزاهدون في التعريب والمشككون في الاقتدار على المضي فيه ، على حين ان قضية المصطلح ـ من حيث هو ألفاظ يعبر بها عن مسميات ومعان مفردة ـ ليست بصميم المشكلة ،، بل قد تكون ـ على مالها من شأن ـ أهون جوانبها ، وانما صميم المشكلة هو الاقتدار على وعي المعاني العلمية وتصورها ثم الإبانة عنها ، ولن يتم حلها وتذليل صعابها إلا بالتصميم على ذلك والشروع فيه وإن

اضطررنا ـ ولو الى حين ـ الى استعمال المصطلحات الاجنبية بلفظها الاجنبي . هذا مع ان الاعمال التي قامت بها في هذا الباب مجامعنا العلمية واللغوية ـ وفي طليعتها مجمع اللغة العربية بالقاهرة ومكتب تنسيق التعريب والجامعات التي تدرس بعض العلوم بالعربية ـ تقدم قاعدة صالحة لتعميم تعريب العلوم . ولئن كنا لما نصل الى توحيد ما وضع من مصطلحات توحيداً كاملاً ، إن هذا لابد من مثله في بدايات كل عمل ، بل قد يكون مما لابد من بقاء جانب منه ، ولا سيا في أمة كأمتنا تنساح في رقعة من الأرض غاية في الاتساع . وما أظن أمة من الأمم الكبرى تخلو من معاناة مثل هذه المشكلة أو ما يشبهها .

ومما لايسعني الا ان أذكره أن على الحكومات العربية أن تولي لغتها القومية مزيداً من العناية في التعليم الابتدائي والمتوسط والثانوي حتى يحذق الطلبة أصولها وطرائق التعبير فيها ، وينمو زادهم من ألفاظها ، ويصبحوا قادرين على التعبير بها عن مختلف المعاني بيسر وسهولة ، وأن تعنى بتنمية الدراسات اللغوية على اصول صحيحة واذا ماتم لنا ذلك ـ ولا بدّ أن يتم إن شاء الله ـ فلن تكون قضية استعراب العلوم بالمشكلة المستعصية . وما أظن أحداً من أولي النظر ـ وان كان ممن لايرون التعريب إلا منطوياً في غيب نفسه على الاعتراف بصدق هذا الذي ذكرت ـ إن قضية التعريب أمانة في عنق كل منا وما علينا بعد الا ان نخلص النية ونصدق في العمل ليتم لنا مانطمح اليه . اللهم قد بلغت فاشهد . والسلام عليكم .



فقيد مجمع اللغة العربية

الدكتور شكري فيصل

١٣٣٦ - ١٤٠٥ هـ

مجمعي افتقدناه

# الدكتور شكري فيصل

## وصداقة خمسين عاماً

١٩١٨ ـ ١٩٨٥ م

بقلم د . عدنان الخطيب

ـ ١ ـ

### نعي الفقيد

... وأخيراً ، وبعد رحلة طويلة استغرقت سبعة وستين عاما ، سكن القلب الذي كان يخفق دوماً **بحب العروبة والإسلام** ، وسقط القلم من اليد التي ماونيت يوما في حمله طوال نيف وخمسين سنة ، وهو يسيل **دفاعاً عن لغة الضاد** ويدعو إلى تعريب التعليم في أرجاء الوطن العربي ، ويؤرخ للآداب العربية ويحللها ويقارنها بالآداب الأعجمية .

نعم سقط أخيراً زميلنا الدكتور **شكري فيصل** في ساحة النضال شهيداً ، وسقط القلم من يده ، وكان سلاحه الوحيد الذي يدافع به عن العربية وينافح أعداءها ، سواء أكانوا من أبنائها المارقين أم من **الشعوبيين الحاقدين أم من الدققة** الضالّين .

وكانت « **الجامعة الإسلامية** » بالمدينة المنورة قد ربحت جهود

زميلنا الغالي شكري فيصل مشرفاً على قسم الدراسات الأدبية العليا فيها ومرشداً لطلابها الساعين لنيل درجة « **الدكتوراه** » في الآداب ، وكنا على موعد معه ليقضي إجازة عيد الفطر في دمشق بين محبيه وعارفي فضله من أهل وأصدقاء .

ومضت أيام العيد دون أن يستطيع فقيدنا الوفاء بوعده ، وأرسل يعتذر بأن سوء صحته تضطره إلى **مراجعة طبيب في « ألمانيا »** سبق أن راجعه يوم أُصيب بقصور في عضلته القلبية ، **وكانت إصابته نتيجة الاجهاد المستمر وركوب الطائرات المتواصل** ، ومجدداً وعده بزيارة دمشق في طريق أوبته إلى مقر عمله بالمدينة المنورة .

وطال انتظارنا الزميل شكري فيصل ، إلى أن بلغنا أنه **نُصح بإجراء عملية جراحية** ، **وأُرشد إلى طبيب مختص في « جنيف »** ، وبينما كنا نبتهل إلى الله جلّ وعلا أن يمنّ عليه بالشفاء ، منتظرين أوبته معافى مما يشكو منه ، جاءنا الناعي يقول : **دخل شكري المستشفى يوم السبت في السابع عشر من ذي القعدة سنة ١٤٠٥ ( ٣ من آب ١٩٨٥ م )** ، وتمت العملية المطلوبة ، ولكن قلبه الكليل لم يحتمل التخدير فتوقف عن الخفقان وعجز الطب عن اعادة الحركة إليه ، **فكان ذلك اليوم يوم الأجل الموعود** ، حمّ فيه القضاء وانتقل شكري فيصل إلى الرفيق الأعلى ، وخسرت العربية بوفاته مناضلا فذّاً ومفكراً قلّ أن يجود الدهر بمثله .

وكانت أقصى أماني شكري فيصل أن يضم رفاته **ثرى دمشق** مسقط رأسه ، ولكن الله عزّ وجلّ أكرمه فجعل مثواه الأخير في « **البقيع** » مثوى الكرام من شهداء المسلمين وأبطالهم بعد أن نقل جثمانه بتاريخ

الرابـع والعشرين من ذي القعـــدة ١٤٠٥ م ( ١٠ من آب ١٩٨٥ ) إلى المدينة المنورة وصلى عليه في المسجد النبوي العامر .

- ٢ -

## الصديق الراحل

تربطني بشكري فيصل صداقة عمرها خمسون سنة أو يزيد ، وأنا إن أنس لاأنس يوما عرفت فيه اسمه ، لأول مرة في حياتي ، لقد اضطررت ، قبل أن أبدأ دراستي الجامعية ، إلى الدخول في خدمة الحكومة ، موظفاً صغيراً في ديوان المحاسب المركزي بدمشق[1] ، فعهد هذا إليّ بتسجيل مايُرفع إليه من عرائض والتماسات ، وذات يوم دخل الديوان فتى نحيل ربعة أميل للقصر ، أسمر اللون لم ينبت شعر عارضيه ، وأخذ يستعرض بنظره الموظفين بالتتابع حتى وقعت عيناه عليّ ، فإذا به يتقدم نحوي على استحياء ، فوقفت للقائه مرحباً به ، طالبا إليه الجلوس إلى جانبي ، فجلس .

لم أكن أعرف من أمر الفتى شيئاً ، بيد أني كنت قد التقيته أكثر من مرة في مجالس علم وأدب ، كانت تذخر بها دمشق وقتئذٍ ، وكنت قد ورثت عن والدي حبّ التردد عليها بين الفينة والفينة ، وكان الفتى يحضر بعضها ، فكنت أظنّه ابنا لأحد العلماء أو الأدباء أصحاب المجلس ، وحدث أن مررت به مرة فبادرني بتحية كلها تهذيب ترافقها ابتسامة تنم عن مودة عميقة ، مما حملني على الحفاوة به عندما رأيته في ديوان المحاسب المركزي .

(١) المحاسب المركزي في الادارة السورية القديمة أكبر موظف مسؤول في وزارة المالية بدمشق .

قال الفتى ، بعد أن شكر لي ترحيبي بـه ، إنـه يود رفع عريضـة إلى المحاسب المركزي وقدمها لي ، فإذا بها مفتتحة بجملة :

« مقـــدمهـــا شكري بن عمر فيصـل من مـواليـــد دمشـق سنة ١٩١٨ .. » .

سألت الفتى عن صاحب العريضة ، فأجابني ، بعـد أن خفض رأسـه وبصوت يكاد لايُسمع : « أنـا » فسجلتهـا لـه وأعطيتـه ايصـالا برقمهـا ، وهممت بالخروج معه من الـديوان ، فـإذا بـه يقسم عليّ أن لاأبرح مكاني ففعلت .

من ذلك اليوم ، وكان من أيام سنة ١٩٣٥ ، بـدأت بيني وبين شكري فيصل صـداقـة كانت تمتن يومـا بعـد يوم ، وتزداد رسوخـا كلمـا التقينـا ، لم تعكر صفوهـا شـائبـة على اختلاف الجُبْلـة بيننـا ، وعلى تنـافر الرأي على كثير من مناهج الحياة ، فقد كنتُ بطبعي أكره « السيـاسـة » وكان بطبعـه يحب الموالج إليهـا ، وكنت بطبعي على شيء من صلابة العود ، حازمـا فيا أملـك ، وكان بطبيعتـه رَسْلا على كثير من المرونة ، هينا يبدو لمحدِّثه أنـه لا يقطع في أمر .. على أن هـذا الاختلاف بيننـا لم يكن ليفسـد المـودّة التي يضمرهـا أحـدنـا للآخر مقرونة بالاعجاب والتقدير .

إن واجب الوفـاء نحو الصـديق الراحل ، يـدعو إلى تـدوين قصـة كفاحه الطويل مذ كان تلميذاً مجدّا إلى أن أصبح معلما ناجحاً ، ومن ثمّ أضحى أستاذا مرموقاً ومحاضراً طبقت شهرته آفـاق الوطن العربي ، إلى أن غدا مجمعياً كبيراً ترنو إليه الأبصار وتهفو نحوه القلوب .

وقصة كفاح شكري فيصل ستبقى نبراساً يضيء للأجيال العربية القادمة ، بعض الدروب الوعرة التي وضعهم عليها التخلف ومؤامرات ذوي المطامع وتخاذل بعض من آل إليهم حكم شعوب غُلبت على أمرها ، بعد أن سُحقت كرامة مواطنيها واستلبت حرياتهم .

- ٣ -

## بداية الكفاح المستمر

عَرَفت دمشق خلال الحرب العالمية الأولى ومابعدها طبقة من « الفتوات » تغلغلت في أغلب أحيائها وتولى أفراد منها زعامة الحركات الشعبية في مقاومة الاحتلال الأجنبي .. واشتهر حيّ « العُقَيبة » وهو من أقدم أحياء دمشق خارج السور ، برجال من تلك الطبقة كان بينهم شاب أصله من مدينة حمص يدعى « عمر فيصل » . وقد خُطبت له إحدى بنات الحيّ فتزوجها وأنجبت له وحيدها الذي حمل اسم « شكري » ، وكان أخوها من علماء دمشق وأفاضل مربييها يدير مدرسة ابتدائية خاصة اتخذت من بيت « الشيخ قطنا » في حيّ المسكية ، لصيق الجامع الأموي من ناحية الغرب ، مقرّا لها .

تفتحت عينا شكري على الطريق الموصل بين بيت « خاله » ومدرسته « التهذيب الإسلامي » وكانت من أبرز المدارس الدمشقية الخاصة حتى السنوات التي سبقت قيام « التعليم الإلزامي » وقد سجّل شكري بنفسه هذه المرحلة من حياته قائلا : « في بيت خالي الشيخ محمود ياسين[٢] كانت نشأتي ، وعلى يديه كانت تربيتي ، وفي

(٢) محمود بن أحمد ياسين الحامي : فقيه محدث متأدب ولد بدمشق سنة ١٨٨٧ م ، =

**مجاله كان تفتحي ، وفي مكتبته كانت مطالعاتي** » .

وانتسب شكري فيصل إلى « **أنموذج البحصة** » المدرسة الابتدائية الحكومية التي حملت بعدئذٍ اسم « مدرسة معاوية الابتدائية » لينال منها **شهادة انهاء التحصيل الابتدائي** فيوفر على نفسه مشقة فحص الدخول إلى المدرسة الثانوية الرسمية .

فلما كانت سنة ١٩٣١ ، كان شكري فيصل في عداد طلاب **مكتب** « **عنبر** » المدرسة التجهيزية التي حملت بعد سنوات اسم « مدرسة جودت الهاشمي الثانوية » وكان أساتذة المكتب **صفوة رجال العلم والفكر والأدب** .

تتلمذ شكري فيصل على أساتذة مكتب « عنبر » وفي العربية بخاصة على الأستاذين **زين العابدين التونسي وأبي الخير القواس** في السنتين الأوليين من دراسته الثانوية ، وعلى الأستاذين **محمد البزم وسليم الجندي** في السنوات التالية ، وأصغى إلى الأستاذ الموسوعي **عبد القادر المبارك** في دروس الدين .

كان شكري فيصل في مكتب « عنبر » **في عداد الطلبة المتفوقين** ، وكان يتابع ، فوق ذلك ، حلقات العلم الخاصة ولا يترك ساعة فراغ إلا أمضاها في حضور مجلس علم أو بمصاحبة كتاب ، حتى غدا **من المرموقين لدى أساتذته وزملائه** .

---

= تلقى العلم عن مشاهير علماء عصره ، درّس في بعض مساجد دمشق وثانوياتها وأسس مدرسة ابتدائية كان يديرها بنفسه وساهم في تأسيس عدد من الجمعيات الإسلامية . توفي بدمشق سنة ١٩٤٨ .

انظر ص ١٥١ ج ١١ معجم المؤلفين عمر رضا كحالة دمشق ١٩٦٠ .

وكان عليه ، بعيداً عن طلب العلم ، أن يعمل عملاً يخفف عنه عبء مايحتاجه من نفقات يومية ، فلم يجد خيراً من مهنة « **الوراقة** » يساعد أصحابها ، فهي لاتبعده عن الجوّ العلمي الذي ألفه من جهة كا تزيده دنواً من العلماء والأدباء من جهة ثانية ، وإن كانت لاتكسبه إلا القليل القليل .

لقد كانت السنوات التي أمضاها شكري فيصل في « مكتب عنبر » **من السنوات العصيبة في تاريخ سورية السياسي** ، فقد حدثت خلالها اضطرابات خطيرة وقامت حركات طلابية جسيمة تستهدف الضغط على فرنسة لإلغاء انتدابها المفروض على سورية وعقد معاهدة معها تعترف باستقلالها ، وعرفت تلك الحركات ، التي أدت إلى مشروع معاهدة لم تتم ، باسم « **اضراب الخمسين يوماً**[٣] » . وكان من آثار تلك الحركات ايجاد ميول لدى شكري فيصل **بمتابعة الحركات السياسية** على ماسنفنده في نبذة تالية .

تابع شكري فيصل دراسته الثانوية وماكاد يحصل على

(٣) ما انفكت بلاد الشام تنافح الانتداب الذي فُرض عليها في أعقاب معركة ميسلون سنة ١٩٢٠ ، التي اطاحت باستقلالها وقد اعلنته إثر جلاء الأتراك عنها سنة ١٩١٨ ، ومازالت تندلع فيها الثورات وتخبو ، وتقوم فيها المظاهرات الحاشدة في كل مناسبة مطالبة بالاستقلال ، حتى كانت ليلة الثامن عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩٣٦ إذ ألقت السلطة المنتدبة فيها القبض على رجال الحزب الوطني الذي كان يتزعم الحركة الاستقلالية ، فما كان الصباح إلا واعلنت دمشق الاضراب العام في جميع مرافقها واحيائها وقد استمر اضرابها بعد أن عم سائر البلاد ، خمسين يوماً متواصلة ، ولم تعدل عنه إلا برضوخ السلطة واعلانها عن قبول وفد سوري يفاوض على عقد معاهدة سورية ـ فرنسية . وقد سافر الوفد إلى باريس يوم ٢٥ من آذار سنة ١٩٣٦ .

« **البكالوريا** » بقسميها « **العلمي** » ثم « **الفلسفي** » حتى التحق **بكلية الآداب في جامعة القاهرة** ، وبسبب من الحرب العالمية الناشبة وقتئذٍ ، صَعُب التنقل بين مصر وسورية فكان شكري إذا ما طالت اقامته بدمشق يتولى **تدريس العربية** في المدرسة التجارية الثانوية .

فلما كانت سنة ١٩٤٢ حصل على **إجازة في الآداب بدرجة الامتياز** وكان الأول بين خريجي تلك السنة .

وعاد شكري فيصل إلى دمشق **ليدرِّس العربية في ثانوياتها** غير متوان عن متابعة المحاضرات في كلية الحقوق بدمشق حتى كانت سنة ١٩٤٦ فنال فيها **الإجازة بالحقوق** من الجامعة السورية .

وكانت سورية عقب نيلها الاستقلال عام ١٩٤٦ ، قد اختارت **الأستاذ ساطع الحصري** مشاوَراً فنياً لتعديل برامج التعليم فيها ، **وعينت شكري فيصل** عضوا في اللجنة الرئيسة التي عُهد إليها بمهمة التعديل ، فاعتمد عليه الأستاذ الحصري ليساعده في مهمته ، فكان أن أشرف على صياغة وطبع التقارير التي اشتهرت باسم « **تقارير ساطع الحصري** » .

لم ينقطع شكري فيصل عن التدريس في الثانويات الرسمية والخاصة في تلك المدة ، واستفاد من الاشتراك في لجنة تعديل برامج التعليم ، فقام **بتأليف الكتب وفق المناهج الجديدة** منفرداً أو بالاشتراك مع بعض زملائه ، وكان مما نشر له الكتب التالية :

١ ـ كتاب « **الفنون الأدبية** » المقرر لطلاب السنة الثالثة ، وقد طبع أكثر من مرة .

٢ ـ كتاب « **الزاد من الأدب العربي** » المقرر لطلاب شهادة الكفاءة بالاشتراك مع الأستاذين خلدون كناني وأنور العطار ، وقد طبع مرات عديدة .

٣ ـ كتاب « **النصوص الأدبية** » في جزأين مقررين لطلاب السنوات العليا من الدراسة الثانوية بالاشتراك مع الأستاذ خلدون الكناني وقد طبع عدة مرات .

واختارت جامعة دمشق سنة ١٩٤٦ الفقيد شكري فيصل ليكون في عداد هيئة التدريس بكلية الآداب ، بعد أن تقرر توسعة أقسامها ، وتم إيفاده إلى جامعة القاهرة لتحضير « **الدكتوراه في الآداب** » .

التحق فقيدنا بقسم الدراسات العليا ، وكان بالوقت نفسه يقوم بوظيفة **ملحق ثقافي لدى الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية** ، وكان على رأسها يومئذٍ الأستاذ أحمد أمين ، فكان شكري خير مساعد له في وضع الترتيبات التي آلت بالإدارة إلى مادُعي فيما بعد بـ « **المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم** » إذ قامت بانشاء متحف التعليم والسجل الثقافي ، ومشروعات الترجمة ، والمؤتمرات الثقافية .

كما كان الفقيد يساعد الأستاذ ساطع الحصري في جمع المعلومات التي ضمتها مؤلفاته تحت اسم « **حوليات الثقافة العربية** » .

ونال الفقيد سنة ١٩٤٨ درجة « **الماجستير** » في الآداب بدرجة **جيد جداً** . وفي سنة ١٩٤٩ حصل على « دبلوم » **معهد اللهجات العربية** ( قسم اللغات الشرقية ) . فلما كانت سنة ١٩٥١ نال درجة « **الدكتوراه** » في الآداب بدرجة **جيد جداً** .

وأشرف الفقيد في القاهرة على نشر رسائله الجامعية التالية :

١ ـ « **مناهج الدراسة الأدبية ـ عرض ونقد واقتراح**[٤] »مطبعة دار الهنا ـ القاهرة ١٩٥٢ .

٢ ـ « **المجتمعات الإسلامية في القرن الأول نشأتها ومقوماتها وتطورها اللغوي والأدبي**[٥] » مطابع دار الكتاب العربي ـ القاهرة ١٩٥٢ .

٣ ـ « **حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول ـ دراسة تمهيدية لنشأة المجتمعات الإسلامية**[٦] » دار القلم العربي القاهرة ١٩٥٢ .

ولما عاد الفقيد إلى دمشق يحمل انتصاراته العلمية الباهرة ، كُلّف بصورة موقتة بعضوية « **لجنة التربية والتعليم** » الإدارة المركزية المكلفة بتخطيط برامج التعلم وبمراقبة الكتب الدراسية في سورية .

كان الفقيد يقوم بعمله الحكومي خير قيام ، وإلى جانب ذلك ، **كان لا يترك لنفسه ساعة فراغ ، بعد انتهاء عمله**

(٤) الرسالة التي قدمها الفقيد إلى كلية الآداب للحصول على درجة الماجستير وقد ناقشتها بتاريخ ١ / ٧ / ١٩٤٨ لجنة مؤلفة من الأستاذ أمين الخولي مشرفاً والأستاذ مصطفى السقا والأستاذ محمد خلف الله أحمد عميد كلية الآداب في الاسكندرية عضوين . ومُنح عليها الماجستير بدرجة جيد جداً .

(٥) الرسالة الأصلية التي قدمها الفقيد لنيل درجة الدكتوراه ، وقد ناقشت الرسالة بتاريخ ٢٥ / ١٠ / ١٩٥١ لجنة مؤلفة من : الدكتور زكي محمد حسن رئيساً ، والأستاذ أمين الخولي مشرفاً والدكتور أحمد أمين والدكتور حسن إبراهيم والدكتور فؤاد حسنين أعضاء .

(٦) الرسالة الاضافية التي قدمها الفقيد للحصول على درجة الدكتوراه ، وقد نوقشت من قبل اللجنة المذكورة آنفاً وبالتاريخ نفسه ، وانتهت المناقشة بمنحه درجة الدكتوراه بدرجة جيد جداً .

**الرسمي** ، إلا وأسهم بها في النشاط الثقافي للجمعيات والنوادي الدمشقية كجمعية الشبان المسلمين وجمعية الإخوان المسلمين والنادي العربي وغيره من النوادي الثقافية .

كما كان الفقيد **يشارك في جميع المهرجانات والاحتفالات الأدبية والفكرية** كمهرجان الكواكبي ومهرجان الشاعر القروي ، إلى جانب ما كان **يرفِد به المجلات الأدبية في كل من دمشق وبيروت والقاهرة** كمجلات « الرسالة » و « الثقافة » و « الكتاب » و « الآداب » و « الأديب » و « المعرفة » و « الفكر العربي » وغيرها في مختلف أرجاء الوطن العربي .

وقبل نهاية سنة ١٩٥٢ عُيِّن الفقيد **أستاذا مساعداً للأدب العربي القديم في كلية الآداب** ، وكان مما نشره في تلك السنة تحقيق « **مقدمة المرزوقي في شرحه لحماسة أبي تمام**[٧] » وهي « مقدمة نقدية بارعة قلّ أن نظفر في الخزانة العربية ، في باب النقد ، بمثل دقتها وتحديدها ، ولعلّها وحدها هي التي عالجت عمود الشعر ووضعت معاييره[٨] » .

فلما كانت سنة ١٩٥٦ أضحى الفقيد « **أستاذاً بلا كرسي** » في كلية الآداب . فأوفدته جامعة دمشق مبعوثا إلى ألمانيا للاطلاع خلال العام الدراسي ٥٦ ـ ٥٧ ، وهناك تابع **دراسة اللغة الألمانية** ، وكان بدأها في جامعة القاهرة ، وقد عُني خلال إقامته

(٧) نشرت أولاً في مجلة المجمع العلمي العربي مج ٣٧ ص ٧٥ سنة ١٩٥٢ .
(٨) أيد ذلك وأثنى على التحقيق العلامة الطاهر بن عاشور .
انظر المجلة المشار إليها آنفاً مج ٢٩ ص ٢٨٧ سنة ١٩٥٤ .

في ألمانيا **بدراسة المخطوطات العربية** في كل من جامعة : توبنغن وماربورغ وبرلين ، **واختار طائفة صالحة منها لمكتبة المجمع العلمي العربي .**

وكان رئيس المجمع العلمي العربي قد عهد إلى الفقيد بتحقيق « **قسم شعراء الشام** » من كتاب « **خريدة القصر وجريدة العصر** » للعماد الأصبهاني ، وقد ظهرت أجزاء هذا القسم في مطبوعات المجمع بالترتيب التالي :

أ ـ ظهر الجزء الأول سنة ١٩٥٥

ب ـ ظهر الجزء الثاني سنة ١٩٥٩

جـ ـ ظهر الجزء الثالث سنة ١٩٦٤

د ـ ظهرت بداية قسم شعراء الشام سنة ١٩٦٨ وكانت مفقودة عند الشروع في التحقيق .

ومثّل الفقيد سورية ضمن وفدها إلى « **مؤتمر الأدباء العرب** » الذي عقد في « بلودان » سنة ١٩٥٧ ، كما مثّلها في السنة نفسها في **مهرجان القاهرة لأمير الشعراء** وقد ألقى بحثا قيما بعنوان « **نثر شوقي**[٩] » وفي سنة ١٩٥٨ مثل القطر السوري في « **مؤتمر الأدباء العرب** » الذي عقد في الكويت وقد ألقى فيه بحثا عنوانه « **البطولة في الأدب العربي الحديث منذ سقوط بغداد حتى فجر النهضة الحديثة** » .

وفي سنة ١٩٦٠ سُمّي الفقيد عضواً في المؤتمر العاشر لهيئة الدراسات

---

(٩) نشر هذا البحث في مجلة المجمع العلمي العربي ص ٦٦ مج ٣٤ سنة ١٩٥٩ .

العربية في الجامعة الأميركية في بيروت ، وقد ألقى فيه بحثا عنوانه « **ماأسهم به المؤلفون العرب في المائة السنة الأخيرة في دراسة الأدب العربي** » .

لقد كان الفقيد من الأساتذة الناجحين ـ **على مايشهد به تلامذته** ـ كان واسع الثقافة في تاريخ الأدب ، متمكنا في المواد التي عهد إليه بتدريسها ، حلو المحاضرة ، محبوبا من الطلاب يُرحّب باسئلتهم ولا يتأخر عن استقبالهم في أي وقت شاؤوا ، بدأ عام ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ يُلقي على طلاب شهادة « **تاريخ العرب والإسلام** » دراسة عن تطور الغزل العربي بين الجاهلية والإسلام في القرن الأول ، ثم أغناها في السنوات التالية ببعض الفصول وطبعت كتابا سنة ١٩٥٩ في مطبوعات جامعة دمشق يحمل عنوان « **تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ـ من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة** » وظهرت طبعته الثانية عام ١٩٦٤ .

وكان من إنتاجه العلمي في جامعة دمشق سنة ١٩٦٥ إصدار طبعة محققة على مخطوطتين من كتاب « **أبو العتاهية ـ أشعاره وأخباره** » ضمّ فيه نصوصاً لم تنشر من قبل ، وقد ظهر في جملة مطبوعات الجامعة .

كما أنه عكف خلال تردده على بيروت محاضراً في الجامعة اللبنانية على نشر « **ديوان النابغة الذبياني** » صنعة ابن السكيت ، ظهر سنة ١٩٦٨ محققا عن أصل فريد .

وكان المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت قد طلب من الفقيد الاشتراك في تحقيق كتاب « **الوافي بالوفيات** » لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، فحقق منه القسم الحادي عشر من الجزء السادس

( **ثامر ـ الحسن** ) وقد انتهى طبع هذا الجزء سنة ١٩٨١ .

ولم يكن شكري فيصل ليتأخر عن الاشتراك **في أي مؤتمر يدعى إليه أو أية ندوة يستطيع أن يساهم فيها ببحث أو دراسة** ، وكان من أهم المؤتمرات والندوات التي اشترك فيها ، ولم نأت على ذكرها ، مايلي :

١ ـ ندوة التعريب ، التي اقيمت في ليبيا في شباط سنة ١٩٧٤ ، وكان بحثه بعنوان « **عوائق في طريق التعريب** » .

٢ ـ مؤتمر أدباء العرب ، الذي انعقد في ليبيا في أيلول سنة ١٩٧٧ ، وكان موضوعه فيه يحمل عنوان « **مشكلة اللغة العربية في الأدب المعاصر** » .

٣ ـ ندوة اتحاد المجامع العربية التي انعقدت في عمان في تشرين الأول سنة ١٩٧٨ ، وكان بحثه بعنوان « **اللغة العربية خلال ربع قرن في ميدان التعلم والتعليم** » .

٤ ـ ندوة التعريب ، التي انعقدت في الخرطوم في كانون الثاني سنة ١٩٧٩ ، وكان بحثه فيها تحت عنوان « **موقع الندوة من حركة التعريب** » .

٥ ـ ندوة اتحاد المجامع العربية ، التي انعقدت في الرباط في تشرين الثاني سنة ١٩٨٤ ، وكان بحثه فيها بعنوان « **تعريب التعليم العالي والجامعي في ربع القرن الأخير** » .

☆ ☆ ☆

وهنا أجد من واجبي ، وأنا أدون قصة كفاح شكري فيصل الذي استمر متواصلا مذ كان طالبا حتى آخر يوم من حياته ، أن أسجل تفسيراً أراه وراء نزعة كامنة في نفسه . كانت مصدر حيرة لدى كثير من أصدقائه وعارفي فضله وكفاياته ، كما كانت مبعث نقد شديد وتعليل خاطئ من قبل خصومه ومنتقديه ، إضافة إلى أنها كانت من عوامل هجوم ظالم تعرض له من قبل شانئيه وحسّاده .

كانت فكرة الوحدة العربية قد استهوت فقيدنا خلال دراسته الثانوية ، مما دفعه - وكان لا يزال طالبا في السنة الرابعة - إلى الانتساب إلى حزب أنشأه شباب مثقفون يؤمنون بتلك الفكرة ، وعندما فكر الحزب في اصدار صحيفة سياسية تدعو بالدعوة القومية ، دُعي الفقيد إلى المساهمة في تحريرها وظل يحرر فيها مدة ليست بقصيرة إلى أن احتجبت - على ماسنذكره في نبذة تالية - وعلى الرغم من عزوف الفقيد عن الصحافة السياسية مذ بدأ تحصيله الجامعي ، إلا أنها غرست في أعماقه حبَّ عدم البعد عن أجوائها . فلما كانت سنة ١٩٥٤ ، وكانت سورية في قلق وعدم استقرار سياسي عارم ، رأينا الفقيد يرشّح نفسه للانتخابات النيابية عن مدينة دمشق أسوة بكثير من أساتذة الجامعة ، غير أنه لم يربح إلا أصوات الواعين من المثقفين الذين أدلوا بأصواتهم ولم تكن كافية للفوز بالانتخاب ، فلما كانت الوحدة بين مصر وسورية سنة ١٩٥٨ ، رشّح الفقيد نفسه لانتخابات « الاتحاد القومي » فكان من الناجحين بالنيابة عن مدينة دمشق ، ولم يلبث حتى ظهر اسمه في عداد « أعضاء مجلس الأمة » عن القطر السوري .

وكان الفقيد في القاهرة من أعضاء مجلس الأمة النشيطين ، وقد زار صيف عام ١٩٦١ يوغوسلافيا عضواً في وفد مجلس الأمة في الجمهورية العربية المتحدة .

كا لابد لي ـ قبل أن أختم هذه النبذة ـ من تسجيل **قلق يساورني بين حين وآخر** ، فأنا أسائل نفسي دون أن أجزم بجواب قاطع ... هل أسأت للفقيد من حيث أردت الخير له كل الخير ... هل أخطأت من حيث أردت النصيحة مخلصاً **يوم جاء يستشيرني في قبول منصب وزاري معروض عليه ؟** . لقد كانت سورية تعيش يومئذ في دوامة خطيرة من القلق والاضطراب السياسي ، **لقد نصحته برفض الوزارة ، وشجعته كثيراً على الحزم ورفض ماعُرض عليه ...** ولم تعش الوزارة التي لم يدخلها الفقيد إلا قليلا وقد تشرد كثير من أعضائها بعد سقوطها .

وأنا أتساءل : هل أضعت على الفقيد فرصة الدخول في « **نادي الوزراء السابقين** » ؟ ، قائلا لنفسي : لعلّه لو دخل **لتفادى بعض مالاقاه من جحود وعنت !!**

☆ ☆ ☆

- ٤ -

## من الصحافة السياسية إلى الصحافة الأدبية(*)

كان مكتب « عنبر » **الثانوية الوحيدة في دمشق** ، وظلّ على هذه الصفة مدة نصف قرن أو يزيد ، بدءاً من أواخر القرن التاسع عشر حتى الثلاثينيات من هذا القرن الذي نعيش فيه .

وكان مكتب « عنبر » **الطريق الوحيد الذي يسلكه ابناء دمشق إذا مارغبوا في تحصيل العلم بمدارس الحكومة** ، وكان من حظّ طلابه أن تتابع على التعليم فيه نفرٌ من كبار أهل العلم والفضل دأبوا على تلقين الناشئة **حبَّ العربية ، وغرسوا في نفوسهم الاعتزاز بالعروبة** ، مما جعله موئل الحركات الوطنية والاستقلالية ، تَقِد شَرارتها بين جدرانه فلا تلبث أن **تضطرم منها دمشق بأسرها** فإذا هي كتلة من نار مستعرَّة ، ظلّ المستعمرون يكتوون بضرامها بين الفينة والفينة إلى أن اضطرتهم إلى الجلاء عن سورية .

وكان للحركات الطلابية في مكتب « عنبر » زعامةٌ تتابع عليها طلاب رزقوا موهبة الخطابة واشتهروا بالمقدرة على **إلهاب النفوس وتأجيج العواطف وتحريك الجماهير إذا مااحتشدت** ، ومن ثمّ قيادةِ المظاهرات الصاخبة خارج أسوار المكتب . بينما عُرف عن طلاب آخرين كانوا **عصبَ تلك الحركات أنهم فلاسفتُها الصامتون .**

لقد كان شكري فيصل من رواد الحركات الطلابية في مكتب « عنبر » ولكنه **كان من فلاسفتها الصامتين .**

(*) تليت هذه النبذة والتي تليها في حفلة التأبين التي أقامها اتحاد الكتاب العرب في مساء ٣٠ من تشرين الأول ١٩٨٥ .

دخل شكري فيصل مكتب « عنبر » سنة ١٩٣١ ، وكان من المجلّين في دراسته ، ثم **بدأت علائم النبوغ فيه تستلفت أنظار أساتذته وزملائه** ، فقدَّره الأولون والتفّ حوله الآخرون يَنشدون سماعَ آرائه وتحليلاتِه وأحياناً مساعدتَه في تحبير ما يودّون تدوينهُ ، فلما كانت سنة ١٩٣٣ قرأ الناس في الصحف وانتشر بين الطلاب خبرُ اجتماعٍ عقدتْه نخبة من الشباب **كانت الأماني القومية ، التي تعتلج في نفوس جميع السوريين وطلابِ مكتب « عنبر » منهم بخاصة ، متجسدة فيهم** ، وأنهم وقَّعوا على وثيقةٍ بأمانيِّهم ، وأعلنوا عن تأسيس حزب سياسي باسم « **عصبة العمل القومي**[١٠] » .

ثمّ فوجئ طلابُ مكتب « عنبر » بهمس يسري بينهم **مؤدّاه أن شكري فيصل قد انتسب إلى تلك « العصبة »** فكان أصدقاؤه بين مصدق ومكذب نظراً **لما عرفوه من حيائه وحبِّه للهدوء** وتواريه في الزحام ابتعاداً عن الأضواء وتجنبا للصخب والضجيج .

ثم كانت سنة ١٩٣٨ فإذا بالعصبة **تصدر جريدة سياسية تحمل** اسم « **العمل القومي** » وقال ثقات من الطلاب : إنهم شاهدوا شكري فيصل يدخل إدارة الجريدة أو يخرج منها مراراً وأنهم تحسسوا في صفحاتها آثار قلمه ، وأكد العارفون بأساليب الكتاب ملامح أسلوب شكري فيصل يتخلل سطور الجريدة ، عندئذ أيقن أصدقاؤه **بأنه من المنتسبين حقاً إلى « عصبة العمل القومي »** .

يحدثنا **المفكر العربي الكبير أكرم زعيتر** قائلا :

---

(١٠) اجتمع المؤتمر التأسيسي لعصبة العمل القومي في قرية قرنايل في لبنان وأصدر بيانه التأسيسي ونظامه بتاريخ ٢٤ من آب سنة ١٩٣٣ .

[ .. كان إخواني وزملائي من أركان عصبة العمل القومي يُصدِرون في دمشق جريدة « العمل القومي » تتكلم بلسانهم وتدعو إلى مبادئهم ، وقد عهدوا في رآسة تحريرها إلى مجاهد يعربي ذي صلابة في وطنيته وإيثار في سجيته هو المرحوم عثمان قاسم ، وكنت أتردد على مكتبها المتواضع وأرفِدُها بمقالات قومية ، وألمح في زاوية فتى نحيلا في العشرين من عمره مكباً على العمل ، يكتب ويصحح وينقح . وسألت عنه فقيل : إنه فتى نابغ ، ينتمي إلى العصبة ويحمل البكالوريا ..] واسمه شكري فيصل .

ظلّ شكري فيصل يساعد رئيس تحرير جريدة « العمل القومي » ويملأ زواياها المختلفة ، وينشر تعليقاتٍ كثيرةً مستخدما الاسماء المستعارة في أكثر ما يكتب ، ومرت أيام كان فيها يستقل بتحرير الجريدة ويصححها ويدفعها إلى المطبعة بمفرده ، إلى أن توقفت في أوائل الحرب العالمية الثانية .

واشتهر شكري فيصل بأنه صحافي قومي ومحرر سياسي ، حتى أنّ من تصدى لترجمة أعلام دمشق في الأربعينيات حشر اسمه مع أعلام الصحافة السورية[١١] .

لقد أفاد شكري فيصل من عمله في الصحافة السياسة معرفة نخبة ممتازة من رجال السياسة والمفكرين من ابناء سورية والوافدين عليها . وانشأ مع الكثير منهم صداقات ومودات كان لها أثر كبير في قابل حياته وفي الشهرة التي نالها في جميع أرجاء العالم العربي .

---

(١١) انظر مثلا كتاب « من هو في سورية » اصدار جورج فارس دمشق ١٩٤٩ .

كما كان لاشادة من تعرف عليهم بمواهبه وثنائهم على تفكيره القومي السليم وأسلوبه الطليّ الممتع ، أكبر مشجع دفعه إلى ترك دمشق ، على الرغم من ظروف الحرب المستعرة ، قاصداً القاهرة للالتحاق بكلية الآداب فيها لمواصلة تحصيله الجامعي .

وأمضى شكري فيصل ، بعد أن ترك الصحافة السياسية ، بضع عشرة سنة انتسب خلالها إلى كل من جامعتي القاهرة ودمشق ، ومضت سنون لم يكن أحد يدري خلالها محلا لاقامته ، إن كان في القاهرة أو في دمشق أو في بيروت أو فيها جميعها ، لقد كان يَدْرس ويُدرِّس في دمشق ، وكان يَدرُّس ويؤلف وينشر في القاهرة ، كما كان يحاضر في بيروت وينشر فيها مااستطاع إلى النشر سبيلا .

لقد انقطع شكري فيصل عن الصحافة السياسية يوم احتجبت جريدة ( العمل القومي ) بحكم الاضطرار ، وانقطع عن السياسة يوم عاد إلى دمشق ليصبح عضواً في هيئة التدريس في كلية الآداب بحكم القانون ، غير أنه لم ينقطع عن الصحافة اليومية إذ كان يرفِد صفحاتِها الأدبيةَ كما كان يرفِد مختلف المجلات بالممتع والمفيد من البحوث والمقالات بعيداً عن الشؤون السياسية .

وتوَّج شكري فيصل رحلته من الصحافة السياسية إلى الصحافة الأدبية بمحاضرات ألقاها في « معهد الدراسات والبحوث العربية » بالقاهرة يطرح فيها نظرية جديدة يراها هامة في سبيل دراسة الأدب العربي المعاصر ، وتأريخه[١٢] تأريخا أصدقَ تعبيراً وأصحَّ واقعيةً وأكثرَ

(١٢) طبعت هذه المحاضرات في كتاب يحمل اسم ( الصحافة الأدبية ـ وجهة جديدة في دراسة الأدب العربي المعاصر وتأريخه ـ ) القاهرة ١٩٦٠ .

إحاطةً ووقوفا عند كل جزيئاته معللا كل هذا بقوله : [ .. **فإذا جاء من يظن أن المجلة الأدبية جمعٌ ووعاء .. فمعنى ذلك أنه يجرد هذه المجلات من كيانها ، من مهمتها ، من روحها التي كانت لها** .. فالمجلات في الحياة الاجتماعية كائن حيّ .. يغذو ويغتذي ، ويمدّ ويستمدّ ، يفعل وينفعل ، يشاطر ويخاصم ، يصادق ويعادي ، يرى الرأي ويحارب الرأي الآخر .. كائن نشط ، يقظ ، تتعاون عليه كثرة من العقول والقلوب ، فيكون من ذلك أثره وعملُه .. **والذين ينظرون إلى هذا الكائن غيرَ هذه النظرة يهدرون هذا الكيان ، ويجرّدونه من هذه الروح اليقظة ، متجاوزين عنها ، وكأنهم يَغفُلون عن أثر التربة الأولى في النشأة والتكوين ، في التنمية والتلوين ...**] .

ثم عدد شكري فيصل مزايا المخطط الذي يدعو إليه في دراسة الأدب المعاصر وتأريخه وانتهى إلى القول :

[ .. **وأخيراً فإن لهذه الدراسة وجهاً آخر محبباً** ... وجهاً من الطرافة يبدو حين نقع على نشأة هذا الأدب المعاصر وحين نلمح طفولتَه الفنية وسماتِه الأولى .. **ونرى هؤلاء الأدباء كيف كانوا وأين هم الآن** ... إننا نحسُّ حين نقلب صفحاته مثل الذي نحسّ حين نقلّب صوراً لأهلينا الأدنيين . **أو ليس من الطريف المثير .. أن نقرأ كيف كان كرد علي ينظر إلى المَدنيّة الأوربية في المقتبس .. وكيف كان يقع على الكتاب الأجنبي فيحاول أن يعتصره ليقدّمه لقومه ، وكيف كان ينظر إلى المجتمع في مصرَ والشام** ؟ .. أليس من الطريف المثير كذلك أن نرى كيف كانت نظرة خليل مردم إلى الشعر من خلال نقده لديوان ما ، **وأن نتابع شفيق جبري في مقالاته**

ودراساته ؟ أليس من الجميل أن نقع على كل هذه الأشياء التي تؤلف جزءاً من كياننا المعاصر ، والتي نحيا في خطٍّ تطورها لأن حياتنا لاتزال مشدودةً إليها موصولةَ الأطراف بها ؟[١٣] ] .

لقد كان كتاب شكري فيصل عن « **الصحافة الأدبية** » ، مخططاً حديثاً لعمل أدبي عظيم لو تمَّ ، وقد حوى وعداً منه لاتمام مابدأه عن صحافة القطر السوري الأدبية بأسرها ، **ولكن الصحافة الأدبية نفسها كانت تستنفد من شكري فيصل كلَّ مايستطيع بذلَه من جهد يتبقى لديه بعد أن يقوم بواجباته العريضة الأخرى** ؛ لذا لم يكن لمخططه أن يتمّ ، كما لم يكن لتأريخ الصحافة الأدبية أن يظفر بجزء آخر مما وعد به الفقيد في كتابه المذكور ، **ومن هنا كانت خسارة الأدب العربي بوفاته جسيمة** قد لاتعوض .



(١٣) انظر ص ١٧ من المصدر السابق ذكره .

- ٥ -

## أسلوب الفقيد المميَّز

كان شكري فيصل أديباً **موهوباً وناقداً قويَّ العارضة بالغَ الحجة** ، وله قلم سيّال يدور بالمشكلة مع أوجهها المتباينة ، وقد لا يقطع بأمر إلا مضطراً ، **واضح التعبير سهل المفردات** ، على أنّ أفكاره قد يكتنفها شيءٌ من غموض أو اغماض على حدّ قول طه حسين وشكري فيصل نفسِه .

لقد استطاع شكري فيصل - وكان لا يزال في أُخريات تحصيله الثانوي - **أن يمارس الصحافة اليومية** ، وهي التي تعيش بين فكيّ الحوادث المتلاحقة وضَرَم المِطبعة ، **وكان ناجحا نجاحاً يبشر بمستقبل باهر في عالم الصحافة** . بيد أنه - وقد أتم تحصيله الثانوي بتفوق مرموق - **بَعُد عن الصحافة اليومية** ، على ولعه بها ومتابعته إياها ، بدافع من حرصه على الأسلوب الذي وجد نفسه أسيراً له ، **يجري على قلمه بلا تعب ولا نصب** .

كان شكري فيصل حريصا على نقاء أسلوبه يخاف عليه من السرعة أن تضيه ، وإن كان لا ينتهي عادة من أكثر محاضراته ومقالاته **إلا ليلة القائها أو عشيةَ إبرادها** .

كان يدعو جميع أصحاب الأفكار الطيّبة والأبحاث القيمة **إلى تجويد أساليبهم والعناية بها** سعيا لابراز أفكارهم ونشر أبحاثهم على أكمل صورة ، وقد سجّل رأيه هذا في رسالته الجامعية قائلاً :

[ .. إني أعتقد **أن العناية بالأسلوب عنايةً لا تكلّف فيها** ، يجب

أن تكون أيضاً موضع اهتمامنا . فالأفكار الطيبة والنتائج القيمة والأبحاث التي استنفدت الجهدَ ؛ هذه كلها لا يجب أن تبرز للناس في ثوب مهلهل . وإذا كنا نعدو في حياتنا الماديّة الخاصة وراء كمال الذوق ودقته ، فما أحرانا أن نكون في نطاق الحياة المعنوية الذهنية أكثر اقترابا من الكمال وسعيا وراءه[١٤] ] .

والمتتبع لما كتبه شكري فيصل ، بعد رسائله الجامعية ، يدرك الطابع المميَّز لأسلوبه السَلِس الممتع الذي ينساب عفوا كقَرَاح الماء من عين جارية ويشع كنور الضحى في الأيام الصائفة . وليس أدل على سلاسة أسلوب ما من التزام صاحبه به في حالتي الاطمئنان والقلق أو في حالتي الرضا والغضب لرأي يراه أو عقيدة يؤمن بها ، أيّ إذا ماسرّك وأمتعك على أي حال كان صاحبه .

انظروا ماكتبه شكري فيصل في الرسالة التي تقدم بها للحصول على درجة « الدكتوراه » ، لقد كان المشرف عليها الأستاذ أمين الخولي ، وأمين الخولي هذا من أكابر أصحاب الدعوة الأقليمية في الأدب ، وفقيدنا كان من ألد أعداء هذه الدعوة ، ينافح عن وحدة الأدب العربي في مختلف أقطار العرب .

يصف شكري فيصل موقف الأستاذ المشرف منه وموقفه من الأستاذ المشرف على رسالته بقوله : « ... ووجدتني بعد ذلك أرتضي منه شيئا وأخالفه في شيء ، وأحاوره في مسألة وأجادله في غيرها ، حتى انتهى بنا الأمر إلى شيء كبير من خلاف في الرأي وتباين في الطريق ..

(١٤) انظر ص ص من كتاب ( المجتمعات الإسلامية ) المصدر المذكور آنفا .

وصبر الأستاذ الخولي على هذا الخلاف صبر المطمئن إلى رأيه من نحوٍ والمطمئن إلى صاحبه من نحو آخر، واصطبرت كذلك اصطبار **الواثق بنفسه والواثق بأستاذه أنه لن يَخْلُفَه** أول الخطوط التي التقيا عندها واتفقا فيها، لأنها أول الخيوط التي تقوم عليها الحياة والتي لا تقوم حياة إلا بها ... **وذلك هو إتاحة الحرية في الرأي أبعد الحرية، وإتاحة المخالفة في النظرة أشد المخالفة**، والاعتماد على أن الغاية من الاشراف ليست تكرار النماذج المتماثلة، وإنما هي **إحياء العناصر الشخصية وتنمية الفردية الذاتية**، والبلوغ بالقوى إلى أقصى غاياتها وأبعد مراميها ...

... ولم يكن من سبيل إلى أن ألتقي مع أستاذي ... فقد كان صاحب هذه **النظرية الأقليمية يكافح لها وينافح عنها؛ وكانت هذه الإقليمية تملأ عليه دروبه ومسالكه، يراها وحدها في الدراسة الأدبية لا يرى معها غيرها** ... وكنت عن ذلك منصرفا، أرى فيها وجهاً من أوجه الدراسة لا كل الدراسة وسبيلا من السبل لا كل السبل[١٥] ».

وحدثنا شكري فيصل بعدئذ عن رفع الرسالة للمناقشة، وعن موقف أمين الخولي منها قائلا :

« .. قدمها الأستاذ المشرف **وهو مخالف لها مخالفة تقدير**، وناقشها كذلك، **لامدافعاً عنها ولا ملتمساً لصاحبها العذر**، بل مخالفا ملحاً في هذه المخالفة .. **عنيفاً فيها شديد العنف**، لا يَغضي عن جزء في ذلك ولا كلّ ».

---

(١٥) انظر كلمة التصدير في كتاب « مناهج الدراسة الأدبية » القاهرة ١٩٥٣ .

وبعد أن أنهى شكري فيصل سرد قصة مناقشة رسالته ، وبعد أن عرَّف نظريّتَه وأرّخ لها وللنظرية السائدة يومئذ عند كبار الأدباء في مصر قال :

« .. هذه هي النظريّة المدرسية بين يدي المُحْدَثين ، **تعرَّضت لهذا التشكيك الهادئ عند الأستاذ جرجي زيدان ، ولهذه الهزة العنيفة عند الدكتور طه ..** ثم تعرّضت في العِقد الثالث من هذا القرن لرجّات تختلف قوة وعنفاً مع **الأستاذ أحمد أمين والخولي .** وواجهت في كل مرحلة عاصفة وعند كلّ مؤرخ نقداً لاذعاً .. فلنتقدم إذن في هذه الدراسة خطوة جديدة ولنتساءل أين نحن من دراسة الأدب ؟ ... وكيف يجب أن تكون ؟ . ماذا نستطيع أن نفعل حين ندعُ **هذه النظرية وإلى أي نظرية ندعها ؟**[١٦] » .

ولكن كيف تأتى لشكري فيصل ، **وهذه آراؤه في إقليمية كبار أساتذته واضحة صريحة** سجلها في رسالة مرفوعة إلى بعضهم يبتغي من وراء ذلك أن يمنحوه عليها درجة علمية .. **كيف تأتى له إن ينجو ، في أقل الدرجات ، من براثن المشرف عليها ؟**

إن من يعرف أميناً الخوليّ ، **ويعرف نزعته الإقليمية وشدتها ،** وقوة شخصيته وعنفوانه .. ويعرف اعتداده بآرائه وعناده في الدفاع عنها .. أو سمع رأيه بمجمع اللغة العربية أو قرأ ماكان يكتبه من غمز ولمز بأعضائه ، **قبل أن ينضمّ إلى صفوفهم ،** يكاد لا يصدق أنّ طالبا يتحداه في آرائه ويهدمها لبنة لبنة في رسالة هو المشرف عليها ، **قد نجا من مخالبه !**

(١٦) انظر ص ٦٥ من المصدر نفسه .

ولكنّ شكري فيصل لم يجتز هذه التجربة المرة بنجاح فحسب ، **بل اجتازها وهو يحمل تقديراً ودرجة « جيد جداً »** فكيف تأتى له ذلك ؟ لاشك أن في الأمر سراً وراء هذا الاجتياز الموفق ، فما هو هذا السرّ ياترى ؟

لابدّ من سرّ يكمن وراء مغامرة شكري فيصل ، **وراء حُسن تخلّصه من الوَرْطة التي أوقع نفسه فيها** ، والتي قلّ أن ينجو من مثلها طالب يسعى لنيل درجة علمية .. إنّ السرّ الذي نتساءل عنه ، مردّه كلّه إلى **باب من « السحر الحلال » ، السحر الذي يمارسه شكري فيصل** ، وهو المتمكن من آرائه فيندفع يدافع عنها ببيانه الآسر .. **بيانه الذي يأسر ولا يجرح .. والذي يهدم ولا يؤذي ..** وينشىء جديداً ولا يتبجح .. وصدق القائل : « **إن من البيان لسحراً** » .

ولكن يجدر بنا أن نتساءل : **ومن أين لشكري فيصل هذا البيان الساحر ؟** ونسرع بالاجابة قائلين : « إنه الأسلوب .. والأسلوب فقط » .

كان أسلوب شكري فيصل **يُشعّ من رسالته نوراً ، ويُفيض على دفاعه عنها طلاوة ، ويمنح سهام نقده حلاوة تطغى على ألم وخزاتها** . وعندي أن أسلوب المرء ليس بصاحبه كما قيل قديما ، **بل هو مايعرفه الناس عن صاحبه** .

كان أسلوب شكري يمثل تماماً مايعرفه الناس عنه . **فالناس لم ترَ من شكري فيصل إلا الخلق الرّضي والتهذيب الجمّ** ، كان رحمه الله خفيض الصوت ، يمشي على استحياء ، يحسن التملص إذا ماتوقّع العنف .

ولنتساءل مرة أخرى ، ومن أين لشكري فيصل هذا **الأسلوب الرائع المنجّي من المهالك ؟**

مما لاشك فيه أنّ شكري فيصل كان بطبعه الذي فُطر عليه ، على أتم استعداد للتسلح بأسلوبه **الذي كان سلاحه الوحيد** ، وأن التربية التي نشأ عليها والتجارب التي مرّ بها والثقافة التي تمكّن منها **قد صقلت سلاحه حتى استقام بيده** فاستخدمه أروع استخدام .

على أني أُحبّ أن لاأُغفل ذكر من إليه يعود بعض الفضل على شكري فيصل .. إن جيلنا قد انبهر وهو يفتّح عيونه في دنيا المعرفة **بعميد الأدب العربي طه حسين** يوم كان ينشر في « الرسالة » أو يخطبنا في دمشق .. كان أسلوبه يأخذ بألبابنا ويشدنا إلى متابعته شدّاً لم يكن من السهل الانفلات منه . **لقد ترسم شكري فيصل خطا طه حسين في أسلوبه الرائع وبيانه الساحر** حتى جرى مجرى الطبع فيه ، تقرأه في مؤلفاته أو مقالاته وحتى في رسائله الخاصة فلا تحسّ بشيء من التكلف أو العنت .

لقد ادّعى شكري فيصل مرة أنه سيستعير من طه حسين أسلوبه ، **وكان ماكتبه في الحقيقة أسلوبه الذاتي ، وكان فيه يضارع أسلوب طه حسين أو يماثله .**

لنقرأ شكري فيصل وهو يقدم كتاب « **تقليد وتجديد** » وهو كتاب صدر حديثا يضم مجموعة من أحاديث طه حسين لم يسبق نشرها في حياته . يقول شكري فيصل :

[ .. في أسلوب الدكتور طه إذن ـ على كل الوضوح الذي يتسم به ـ

**شيءٌ من غموض أو شيء من إغماض يقصد إليه قصداً .. ولعلَّ سحر الأداء عنده يصرف القارئ عن الفكرة بتفاصيلها إلى الأسلوب الذي تُعرض فيه هذه الفكرة .. فإذا هو مشدود إليها ، لامن حيث مقدماتها وتفاصيلها وبراهينها ، بل من حيث نتائجها التي انتهت إليها .. » .**

وأقام الدكتور شكري الدليل على قوله هذا من كتاب الدكتور طه « **في الأدب الجاهلي** » ثم قال :

« .. هذا الوضوح الغامض أو هذا الغموض الواضح - **إن صحَّ أن استعير أسلوب الأستاذ العميد** - هو بعض ما يواجه المرء في هذه الأحاديث[١٧] .. » .



(١٧) انظر ص ٧ و ٨ من الكتاب - دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٨ .

- ٦ -

## نماذج من أسلوب الفقيد في نثره

لعلّ خير مايعين باحثا على تصوير شخصية شكري فيصل ، **العالم الأديب والناقد الأريب ، والفنان الأصيل والمصور الدقيق** ، إيراد وشل مما دونه في موضوعات متباينة بأسلوبه المميّز الفريد .

وفيما يلي مقتطفات من بحث أُعدَّ ليلقى أمام نخبة من كبار العلماء والأدباء ، ومن مقدمتين أُعدَّتا لتتصدرا رسالتين معروضتين على لجنة من كبار الأساتذة المرموقين للمناقشة والنقد ، ومن رسالتين بعث بهما إلى صديق يشكره في الأولى على كتاب أهداه إليه وهو ينقده نقداً هيناً ليناً ، وفي الثانية يصف له فيها مالاقاه في دربه إلى خزانة القرويين ، كتبهما غير متأن ولا متهيب ، فجاءتا عفو الخاطر لاتكلف فيهما ولا اعداد ، وسنجد في هذه النماذج روح الفقيد متجلية بأسلوبه الفريد المتميز .

### أولاً : نثر شوقي

دعا المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في الجمهورية العربية المتحدة إلى اقامة مهرجان في القاهرة من ١٥ - ٢٢ تشرين الأول ( اكتوبر ) ١٩٥٨ لتكريم **أمير الشعراء أحمد شوقي بمناسبة مرور خمس وعشرين سنة على وفاته** ، وكان شكري فيصل من المتكلمين في المهرجان ، تكلم عن ( نثر شوقي[١٨] ) وكان

---

(١٨) نشر هذا البحث في الصفحة ٦٦ من مجلة المجمع العلمي العربي المجلد ٣٤ سنة ١٩٥٩

من كلامه ما يأتي :

[ ... أكان شوقي هذا **الذي فعل الأعاجيب في الحياة الفنية الشعرية** ، ناثراً من الناثرين الذين يقف عندهم تاريخ الأدب مشيراً إلى أثرهم في سواهم ... ؟

أغلب الظن أننا لن نستطيع أن نكتشف شوقي الناثر في شيء من اليسر .. لا لأنه لم تكن له هذه القدرة على النثر المتمكن من الصنعة حتى لتكاد تكون فيه عفواً ... ولا لأن نثره لم تكن فيه هذه القدرة على الإمتاع .. لا لشيء من هذا أو ذاك ، وإنما يتجاوز الأمرُ شوقي نفسه إلى العصر الذي عاش فيه ، وإلى العصر الذي نعيش فيه ، وإلى المواضعات التي نطمئن إليها في العمل الفني ، والأسس التي نرتكز عليها في التقدير والتقويم ... **فنحن نحيا في عصر هو أقرب إلى الإطلاق منه إلى التحديد ، وإلى العفوية منه إلى التصنع ، وإلى الإرسال منه إلى القيد ، وإلى الانسجام مع المعنى بأكثر من الانسجام مع اللفظ** ... ونحن اليوم نحب النثر رهواً ، رخاءاً ، طلقاً ، كهذه الأشرعة الخفيفة التي تجري مع النيل ، لا تسمع لها صلصلة ولا جلجلة ، ولا تحس لها ضجيجاً ولا عجيجاً ، وإنما هي وسوسة ناعمة كأنما هي همس الموج إلى المجداف ، وتحية المجداف إلى الموج ، ثم لا يكون بعد ذلك إلا هذا التقدم المنطلق على صفحة الماء ... ] .

وبعد تحليل وتدليل وتوضيح قال شكري فيصل :

**[ .. إن شوقي أراد من السجع كما قال حلاوة الفواصل وهديل الحمام بأكثر مما أراد إلى القيد والتكلف والالتزام ]** .

وبعد أن انتصر لبشارة الخوري في رثائه شوقي على شكيب أرسلان الذي قال : « ان نثر شوقي قتل شعره » انهى شكري فيصل بحثه الممتع قائلا : [ **إن نثر شوقي في منزلة الشعر .. بل إنه شعر إذا نحن التزمنا تعبيره .. إنه شعره الثاني** ] .

## ثانياً ـ تصدير موضوع المجتمعات الإسلامية

كان الفقيد يملك قدرة عجيبة في عرض موضوع كبير أو تلخيص مؤلف ضخم في سطور قليلة تعطي فكرة واضحة عنه ، لقد صدّر رسالته عن « المجتمعات الإسلامية » بقوله التالي عن اختيار الموضوع :

[ تبدأ صلتي الرسمية بهذا الموضوع منذ أن سجّلته في الجامعة لدرجة الدكتوراه ، **غير أن صلتي الشخصية به ترجع إلى بعيد ، وترتدّ إلى الوراء حتى تبلغ الفترات الأولى التي كانت تتفتح فيها أذهاننا** ، في سنوات الدراسة ، **لتيارات الثقافة العميقة ومشكلات الحياة الكبرى** . وكنت حريصاً أشد الحرص على أن ابوّئ الحركة الإسلامية مكانها من هذه الحركات التي تمخضت عنها الإنسانية ، وأن أدرك في شيء من العمق ، دورها الضخم في قيادة الناس وأسلوبها في جمعهم على صعيد واحد من الفكر والعقيدة واللغة ، وكان هذا الحرص يزداد نمواً مع الزمن كلما سايرت مطالعاتي روحُ النقد أو سارت فيها[١٩] .. ] .

## ثالثاً ـ عرض موضوع كتاب حركة الفتح الإسلامي

وتحدث شكري فيصل في صدر رسالته الثانية عن « حركة الفتح

(١٩) انظر ص ك من كتاب « المجتمعات الاسلامية »

الإسلامي » موضوع رسالته الإضافية فقال :

[ .. كانت جزءاً أصيلا من العمل وتمهيداً بين يديه ، فالمجتمعات الإسلامية الناشئة ، في الأقطار المختلفة ، جاءت أثراً من آثار انسياح العرب وتدفقهم ، وهجرةُ اللغة جاءت نتيجة لهجرة أصحاب هذه اللغة ، وتطورُ الأدب كان أثراً من آثار هذه النقلة النفسية إلى هذه المهاجر والاختلاط فيها ـ وإدراكُ الشروط الحياتية التي عاشتها اللغة في هذه الأجواء الجديدة ، معناه أن ادرك قبل ذلك الشروط الحياتية الجديدة التي عاشها أفراد هذه اللغة : أصحابها أو المقبلون عليها ، الذين يتكلمونها أو الذين يتعلمونها .. وبصورة أخرى كان لابدّ **من دراسة حركة الفتح والصلات التي نجمت بين الفاتحين والسكان الأصليين ، وطبيعةِ هذه الصلات انكماشاً أو تفتّحاً ... وكيف كانت النُظُم في هذه الصلات** ، وماالذي كان يضبطها ، ودراسة كل مايتصل بعقود الصلح ووصايا الخلفاء ، لأنها هي الصورة المعاصرة لما نسميه المعاهدات ، **ولأنها هي الصورة الرسمية للعلاقات بين الشعب الوافد المستوطن والشعوب المقيمة المتوطنة**[٢٠] ] .

## رابعا ـ تقريظ ونقد كتاب

كتب شكري فيصل إليّ رسالة طويلة[٢١] جاء فيها :

[ الآن انجزت قراءة كتابك الأخير ، الذي تفضلت فأهديتنيه ، عن **الشيخ طاهر الجزائري وعن أعلام من مدرسته** .. ولعلّ الكلمة

---

(٢٠) انظر تصدير الرسالة المذكورة .

(٢١) صادرة عن دمشق بتاريخ ٥ / ١٢ / ١٩٧١ .

الأولى التي أحب أن اقولها أن أشكر لك حميدك هذا الذي بذلته باحثا ومنقباً ومفكراً في سيرة هؤلاء الرجال الذين **كانوا عصباً من أعصاب النهضة وروحاً من روحها ، والذين انبتتهم التربة الطاهرة لهذه المدينة الطاهرة الخالدة .**

إن عملك أعاد إلى نفسي ، وسيعيد إلى نفوس الذين يقرؤونه في هذه الفترات الكالحة من اليأس الأسود شيئاً من الثقة والأمل ... إنه علمنا من جديد **أن الكلمة الطيبة لاتموت ، وأن الجهد لايضيع ،** وإن في المجتمع قوة من قوة الله الذي لايضيع عنده شيء في الأرض ولا في السماء .

ليس هذا وحده ماأردت أن اقوله وإن كان أول ماأردت أن أقوله ... أحببت أن أقول **إن الكتاب صورة عنك في حديثك الذي لا تريده دائما مواجها** ، تريد أن تعتمد فيه على ذكاء القارئ والسامع بأكثر مما تريد أن تعطيه منه .. وفي حديثك الذي تريده انيقا مصقولا ، **وفي لهجتك الهادئة ولكنها يسمع لها الصوت أحيانا والهدر البعيد أحيانا ...** ] .

## خامساً : في الطريق إلى القرويين

جاء في رسالة طويلة أخرى جدّ شخصية ، كان شكري فيصل بعث بها إليّ من فاس[٢٢] ، أقتطف منها هذه المقاطع في وصف طريقه إلى القرويين :

[ .. اكتب إليك هذه الكلمات من القرويين أعني من الخزانة ( المكتبة )

---

(٢٢) وهي مؤرخة في ١٧ / ١ / ١٣٨٥ ـ ١٩ / ٥ / ١٩٦٥ .

وقد سعيت إليها منذ الصباح فأنفقت زهرة اليوم في التماس الطرق وفي تصعيد وتصويب وفي انحناء وانحدار وفي لفّ ودوران وفي مدافعة الناس والبغال والسيّاح الأجانب ... وفي النظر إلى العاملين والذين لايعلمون .. الذين يجهدون والذين يسألون .. في مقابلة ألوان من الدكاكين الصغيرة التي لايوازيها عندنا إلا دكاكين القوافين[٢٣] ، وفي شمّ ألوان من العطور وروائح اللحوم ومناظر الخضر وأقفاص الكرز والمشمش الجديد الذي أظلّ الناس ... وفي الاستمتاع بهذا التاريخ الذي يطلّ من كل نافذة ويتوهج في كل حجر ويرتسم على كل حائط ويصيح ، أو كأنما يصيح ، في كل بناء .. ولم أخلص إلى الخزانة إلا بعد نصف ساعة أو أكثر من السير .. ماتركتُ شيئاً مانظرت فيه ، وماكان هنالك شيء في الدنيا قديم أو حديث إلا وكان في طريقي من آلات التصوير الفخمة التي يحملها السيّاح في طريقهم إلى هذا البناء القديم أو ذاك ـ إلى البابونج الذي يباع في القفف ، يبيعه هؤلاء الفلاحون ويبيعون معه الورد ( هل تذكر ورد مسرابا[٢٤] ) بالكيلو ليقطره الناس .. وكذلك تجد أني ـ وأنا أتحدث إليك ـ غنيّ بالروائح ، غنيّ بالعطور ، غني بالتاريخ ، غنيّ بالحاضر ، أما المستقبل فعلمه عند ربيّ وربك علام الغيوب ..

وقد وصلتني رسالتك منذ أيام .. وأنا في الأسابيع الأخيرة لاأكاد

(٢٣) سوق القوافين بدمشق أحد اسواقها القديمة وهو لصيق الجامع الأموي من ناحية الغرب كانت تباع فيه الأخفاف والأحذية الخفيفة .

(٢٤) مسرابا : إحدى قرى الغوطة شمال شرقي دمشق اشتهرت بوردها يصنع منه « ماء الورد » ولفظها سرياني بمعنى « مشرب » انظر غوطة دمشق لمحمد كرد علي ط ٣ دمشق ١٩٨٤ .

**أعرف الاستقرار .. من بلد إلى بلد ..** كالعصفور الثائر الحائر الذي لايعرف ما يعمل .. ألا يعجبك تشبيه العصفور هذا .. في الحق أن هذا المخلوق الضئيل النحيل الذي يصوّت كلّ يومه وبعض ليله ويسقسق منذ الصباح ويطير من هنا إلى هناك ، **مثل رائع للخفة والطيش وعدم الاستقرار** الذي لا يكاد يجاوز غصنا إلى غصن ... ولعلّه من أروع ما وقع عليه العربي أن يقول في هجاء خصمه : جسم البغال وأحلام العصافير ... مسكينة هذه العصافير .. لأنها كذلك خلقت ...

ولاأدري لماذا انحرف بك بالحديث .. **كرهت العصافير في المدة الأخيرة من أجل هذا ومن أجل أشياء أخرى** .. ذلك أني أعيش في منطقة توشك أن تكون ريفيّة ...

سأعود بك من حيث انقطعت ... **إني في القرويين انتظر سيّد المكتبة أو مولاها** ... لا يزعجك التعبير فذلك مستعمل هنا ... مولى البقرة ومولى الدراجة ومولى المكتبة ... أشياء تعني صاحبها ... ] .

☆ ☆ ☆

- ٧ -

## الفقيد المجمعي

اختير فقيدنا عضواً في مجمع اللغة العربية سنة ١٩٦١ ، واستقبل في جلسة علنية بتاريخ الأول من شباط سنة ١٩٦٢ حضرتها نخبة من أهل العلم والأدب ، ودعاه الأمير جعفر الحسني لاحتلال المقعد الذي خلا بوفاة الأستاذ الرئيس خليل مردم بك ، مستهلا خطابه الترحيبي بقوله :

[ .. وكان زميلنا الجديد المحتفى به الدكتور شكري فيصل أحد من اصطفاهم الفقيد ( الرئيس خليل مردم بك ) وتوقع له مستقبلاً زاهراً في رحاب الأدب ، ورأى في باكورة مؤلفاته الأمل الذي ينشده ، فعهد إليه بعمل جليل تهيبه النابغون ، وأحجم عنه الأدباء العريقون ، وهو تحقيق كتاب « خريدة القصر وجريدة العصر » للكاتب الكبير عماد الدين الأصفهاني ، صدر الكتاب بعد جهد ونصب ، ففاز بتقدير الأساتذة أعضاء المجمع ، ونال اعجاب كبار الأدباء ، وثناء النقاد المنصفين . فقد خُدم الكتاب بطريقة دلت على سلامة بحث محققه ، وطول باعه وسعة علمه ، وكفاءته في معالجة هذا الكتاب وتذليل صعابه . ورفع هذا الكتاب منزلة محققه إلى مصاف ثقات المحققين ، وعبّد له الطريق ليواكب كبار الأدباء والباحثين . وقد أيدت مؤلفاته وأبحاثه الكثيرة المكانة العلمية المرموقة التي توقعها له عارفوه[٢٥] ..] .

---

(٢٥) انظر ص ٣٠٩ مج ٣٧ سنة ١٩٦٢ مجلة المجمع العلمي العربي .

وألقى الفقيد خطابه المجمعي فكان قطعة أدبية رائعة ، وآية في الوفاء للرئيس الراحل وتحليلا دقيقا لأدبه وتقويما منصفا لشعره ، كما حوى بعض الصور التي تمثل شيئا من خلقه وصفاته .

استهل الفقيد خطابه بقوله :

[ منذ نحوٍ من ثماني عشرة سنة ، حين قادتني خطاي في كثير من الحياء والتهيب إلى هذه المنصة أواجه جمهوراً من الناس في واحدة من المحاضرات التي كان يدعو إليها مجمعكم الموقر - **لم يكن في الذي اطمح إليه أو أفكر فيه أن تلتقي أيديكم الخيّرة السمحة** ، في ثقة وطمأنينة ، على أن تأخذ بيدي إلى هذه المنصة ذاتها ، لا لأحاضر ، وإنما لأشكر لكم - **بالدمعة المترقرقة لاتستهلّ ، واللسان الحييّ لايُبين - أنكم فكرتم بي حين فكرتم في أقدس المهمات التي تضطلعون بها** ، مهمةِ الحفاظ على اللغة ، وأنكم اشركتموني في أكرم جهاد ، **هو الجهاد في سبيل العربية** ، وأنكم احللتموني منكم هذا المحلّ الكريم الذي أقصر عنه .. **ولكني آمل أن أكون كفاءً له**[٢٦] ] .

لم يكن انتخاب شكري فيصل عضواً في المجمع تتويجاً لأعماله الفكرية التي أثرت المكتبة العربية ونهاية لها ، بل كان انتخابه - كما وعد في خطابه المجمعي يوم استقباله - **حافزا له إلى زيادة نشاطه وباعثا له على مضاعفة جهوده في خدمة لغة الضاد وتراثها المجيد .**

لقد عهد المجمع إلى الفقيد بعضوية كل من لجنتي المجلة والمطبوعات ،

---

(٢٦) انظر ص ٣١٤ من المصدر السابق .

والمخطوطات واحياء التراث ، فقام بعمله خير قيام وأشرف على اخراج مجلة المجمع اشرافا كاملا اقتضاه سهر الليالي **كي تحافظ المجلة على مستواها المرموق** .

وكان المجمع قد انتخبه سنة ١٩٧٢ **أمينا عاما له** ، فقام باعباء هذا المنصب الرفيع بما عُهد فيه من كفاية ودراية ، ولم يمنعه عن **متابعة التدريس الجامعي** في كل من جامعة دمشق والجامعة اللبنانية في بيروت أو الجامعة الأردنية في عمان .

وعهد المجمع إلى الفقيد برياسة فريق انتخبه ليقوم على تحقيق **« تاريخ مدينة دمشق للحافظ علي بن الحسن بن عساكر » . وقد تم بإشرافه وضع برنامج دقيق لاتمام تحقيق هذا الكتاب القيم** الذي جعله مجمع دمشق من أولويات مهامه في تحقيق التراث ، كما تم نشر الأجزاء التالية منه :

١ ـ جزء « **عاصم ـ عايذ** » بتحقيق الفقيد ـ سنة ١٩٧٧ .
٢ ـ جزء « **عبد الله بن جابر ـ عبد الله بن زيد** » بتحقيق الفقيد بالاشتراك مع سكينة الشهابي ومطاع الطرابيشي سنة ١٩٨١ .
٣ ـ جزء « **عبادة بن أوفى ـ عبد الله بن ثوب** » بتحقيق الفقيد بالاشتراك مع روحية النحاس ورياض مراد سنة ١٩٨٢ .

وندب المجمع الفقيد لتمثيله في حلقة « **حماية المخطوطات العربية وتيسير الانتفاع بها** » التي عقدت في بغداد سنة ١٩٧٥ ، فكانت له يدٌ طولى في صياغة البيان الذي انتهت إليه الحلقة ، كما كانت جهوده في نص التقرير الذي وضعته اللجنة التي دعت إليها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لتعقد في سنة ١٩٨٠ **لوضع أسس تحقيق التراث**

**العربي ومناهجه**(٢٧) .

وقام الفقيد بتمثيل المجمع والقطر السوري في ( **مؤتمرات التعريب** ) التي تعقدها كل أربع سنوات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . وكانت المؤتمرات **تنتخبه مقرراً عاما لها لما تعهده فيه من كفايات قلّ نظيرها** . وفي مؤتمر التعريب الثالث الذي عُقد في ليبيا سنة ١٩٧٧ ، سارع رئيس المؤتمر عقب انتهائه إلى رسالة بعث بها إلى المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم يقول فيها :

[ .. لايفوتني أن أعبر لكم عن امتناني الشخصي لسديد توجيهاتكم لأعمال المؤتمر **وحُسن ترشيحكم للأخ الدكتور شكري فيصل لوظيفة المقرر العام** ، وإن كان مؤتمر التعريب الثاني قد شهد للدكتور شكري **بالكفاية والجدية فإنه في هذا المؤتمر قد أجاد وأبدع** وعمل بدون كلل أو ملل بالرغم من توعك صحته في الأيام الأخيرة(٢٨) ] .

وماكاد المؤتمر الرابع المنعقد سنة ١٩٨١ في طنجة بالمغرب يختتم أعماله حتى **بعث المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم** رسالة إلى الدكتور شكري فيصل يقول له فيها : [ ..إن بلاءك وجهدك وعطاءك ، في خدمة الثقافة العربية ، في كل مجالاتها ، أمر مذكور مشكور ، يعرفه لك **أهل العلم والفضل** ، وهو تراث يضاف إلى تراث هذه الأمة ،يبقى مابقيت وبقي فكرها ولسانها ، وهما بإذن الله باقيان ومحفوظان .

---

(٢٧) طبع معهد المخطوطات العربية في الكويت هذا التقرير واعتمده ـ الكويت ١٩٨٥ .

(٢٨) من رسالة مؤرخة في ١٦ شباط ١٩٧٧ . ومما هو جدير بالتنويه أن الفقيد ألقى في المؤتمر بحثا موضوعه « التطور الاجتماعي والتطور اللغوي » .

لقـد كنتُ أكثر النـاس حرصـاً على حضور مؤتمر التعريب الرابـع .. فلم ييسر الله لي أن أشترك معكم مع كل مابذلت من جهد .. وكان عزائي أن هنـاك من يقـوم لهـذا الأمر فيحسن القيـام عليـه ، **وأنت فـارس ميدانه منذ بدأ هذا النشاط .**

ولقد قرأت باعجاب الوثيقة النهـائيـة التي صـدرت عن أعمـال المؤتمر والتي تنم عن **القدرة والخبرة والانتماء منهجـاً وتصنيفـاً وعرضـاً** ، فجزاك الله الخير أنت أهله .

فشكراً لـك على كل مـافعلت ، ولئن فـاتتني هـذه الفرصـة ، لسوف نلتقي إن شاء الله قريبـاً في سـاحـة العمل العربي المشترك الـذي يجمعنـا دائمًا ، وإني انتهز هذه الفرصة **لأحيي عونـك المـدود إلى المنظمـة** ، **فيما تقدمه لهـا من أعمـال مجيـدة** ، نرجو أن يتسع نطـاق الاستفـادة منها ...

أخوك : **محيي الدين صابر**[٢٩] ] .

قام الفقيـد بتمثيل مجمع دمشق والقـاء كلمتـه في حفلات التـأبين التي اقيمت أحياء لذكرى الاعلام :

**١ ـ محمد الفراتي**

**٢ ـ خير الدين الزركلي**

**٣ ـ محمد جميل بيهم**

كما مثل المجمع في لجنـة **الاحتفـال بـالقرن الخـامس عشر الهجري** .
وقـد رشحـه المجمع لنيـل جـائـزة الملـك فيصـل لعـام ١٤٠١ عن ( الأدب

---

(٢٩) من رسالة مؤرخة في ١٩ حزيران ١٩٨١ .

العربي قبل الإسلام وحتى نهاية القرن الأول ) وكانت مؤسسة هذه الجائزة قد اختارته محكما في قسم الأدب العربي .

هذا وكان المجمع العلمي العراقي انتخب فقيدنا سنة ١٩٧٠ عضواً مراسلا له . كما انتخبه سنة ١٩٧٥ المجمع الهندي العربي عضواً فيه .

وفي سنة ١٩٨٠ انتخبه مجمع اللغة العربية الأردني عضواً مؤازراً له . كما انتخبه مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٨٤ عضواً مراسلاً ، ودعاه إلى الاشتراك باحتفالات عيده الخمسيني .

كما دعاه اتحاد المجامع العلمية اللغوية العربية إلى ندوته التي عقدها في مدينة الرباط في شهر تشرين الثاني سنة ١٩٨٤ ، وقد ألقى فيها بحثا قيما عنوانه ( تعريب التعليم العالي والجامعي في سورية في ربع القرن الأخير ) .

وكان آخر مانشره المجمع للفقيد تقديمه لديوان شاعر الشام شفيق جبري الصادر سنة ١٩٨٤ وكان التقديم دراسة وافية لأدب الشاعر وتحليلا قيماً لشعره وتقويمه تقويماً منصفاً .

وفيما يلي قائمة بما حوته مجلة مجمع اللغة العربية من بحوث ودراسات بقلم الفقيد الدكتور شكري فيصل :

| السنة | المجلد | الصفحات | الموضوع |
|---|---|---|---|
| ١٩٥٢ | ٢٧ | ٧٥ ـ ١٠٣ | مقدمة المرزوقي في شرحه لحماسة أبي تمام |
| ١٩٥٩ | ٣٤ | ٦٦ ـ ٨٧ | نثر شوقي |
| ١٩٦٢ | ٣٧ | ٣٠٩ ـ ٣٤٠ | حفل استقبال الدكتور شكري فيصل |
| ١٩٦٣ | ٣٨ | ٥٠٨ ـ ٥١٣ | نقد كتاب النبوغ المغربي لعبد الله كنون |
| ١٩٧٢ | ٤٧ | ١٥٤ ـ ١٨٩ | استقبال الدكتور أمجد الطرابلسي |
| ١٩٧٢ | ٤٧ | ٣٧٩ ـ ٣٨٨ | المصطلح المعرّب وتدريس العلوم بالعربية |

| السنة | المجلد | الصفحات | الموضوع |
|---|---|---|---|
| ١٩٧٢ | ٤٧ | ٦٤٩ ـ ٦٥٧ | ثغور على الخريطة اللغوية العربية |
| ١٩٧٢ | ٤٧ | ٧٤٣ ـ ٧٧١ | الاصالة والتجديد في المقال الأدبي |
| ١٩٧٣ | ٤٨ | ١٨٢ ـ ١٨٤ | تعريف بكتاب وثائق هرمة من اخبار فلسطين عام ١٩٢٠ |
| ١٩٧٣ | ٤٨ | ٢٠٧ ـ ٢٢٣ | تقرير عن أعمال المجمع في سنة ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ |
| ١٩٧٣ | ٤٨ | ٢٧٧ ـ ٣٠٨ | نشوار المحاضرة ـ خلال نصف قرن ويزيد |
| ١٩٧٣ | ٤٨ | ٣٨١ ـ ٣٩٢ | خطط الشام في طبعة جديدة |
| ١٩٧٣ | ٤٨ | ٧٠٠ ـ ٧٠٣ | حول ابن جدار |
| ١٩٧٣ | ٤٨ | ٩١٧ ـ ٩٢٢ | نقد كتاب الدعائم الخلقية للقوانين الشرعية |
| ١٩٧٤ | ٤٩ | ١٨٤ ـ ١٩٤ | مؤتمر التعريب الثاني ١٩٨٣ |
| ١٩٧٤ | ٤٩ | ٩٠٨ ـ ٩١٥ | نقد كتاب دلائل النظام للمعلم عبد الحميد الفراهي |
| ١٩٧٤ | ٤٩ | ٩١٦ ـ ٩١٩ | نقد كتاب كلمات وأحاديث لمحمد بهجة البيطار |
| ١٩٧٥ | ٥٠ | ٤٣٢ ـ ٤٣٩ | نقد مسرحية ( فاجعة مايرلنغ ) لعدنان مردم |
| ١٩٧٥ | ٥٠ | ٨٤٣ ـ ٨٤٨ | نقد كتاب ( نظام الحكم في الشريعة والتاريخ ) لظافر القاسمي |
| ١٩٧٦ | ٥١ | ٦١٦ ـ ٦٢١ | نقد كتاب ( ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون ) لعبد الرزاق الهلالي |
| ١٩٧٦ | ٥١ | ٦٥١ ـ ٦٦٩ | استقبال محمد هيثم الخياط |
| ١٩٧٧ | ٥٢ | ١١٤ ـ ١٤١ | محمد كرد علي من خلال المقتبس |
| ١٩٧٨ | ٥٣ | ٧٤٠ ـ ٧٦٤ | اللغة العربية خلال ربع قرن في ميدان التعلم والتعليم |
| ١٩٧٩ | ٥٤ | ٢٢٩ ـ ٢٣٢ | ندوة اتحاد المجامع اللغوية في عمان سنة ١٩٧٨ |
| ١٩٨٠ | ٥٥ | ١٩١ ـ ٢٠٩ | محمد جميل بيهم ومجمع اللغة العربية |
| ١٩٨٠ | ٥٥ | ٤٠٦ ـ ٤١٠ | فقيد المجمع شفيق جبري |

- ٨ -

## السـمـات الإنـسـانيـة
## في
## عـلاقـات الـفـقـيـد الاجـتـمـاعـيـة

كان فقيدنا شكري فيصل إنسانا مؤمنا برّاً بوالديه يخفض لهما جناح الذلّ من الرحمة ، حريصا على التماس دعائهما صباح مساء ، لم يكن ليودعهما مرة ، إذا كان على أهبة سفر ، إلا وداع المستزيد من مرضاتها خوف ألا يعود إلى لقائهما ، كان برّا بأصدقائهما وبذوي قرباهما يبذل جهده في احترام كبيرهم ورعاية صغيرهم والعناية بضعيفهم .

صدّر أول رسائله الجامعية ، التي نشرها في القاهرة ، بهذا الأهداء الرائع :

[ إلى أمي
التي علمتني الصبر ، وحببت إليّ القناعة
وغالبت في غيبتي عنها الآلام والدموع
وكانت تعيش ترقب دائما أوبة الغائب
ويعرف جفناها لصورته كا تتمتم شفتاها باسمه
وتسأل عنه في خلواتها وصلواتها وأحلامها وسبحاتها
إلى أمي
التي كانت تكتم الحنو في طفولتي في دمشق
ثم كانت تفجر الحنين في فتوتي في القاهرة

**إلى أمي**
**وقد نذرت نفسها لي**
**متأبية على كل شيء ، منصرفة عن كل شيء**
**أهدي هذه الرسالة**
**ولن تكون شيئاً في جانب ما كانت تلقى**
**وإنما هو الاكبار والوفاء والبرّ ![٣٠]**

إن اهداء الفقيد رسالته الجامعية الأولى إلى أحب إنسان لديه ، إلى أمه التي غمرته بحنانها صغيراً وسهرت على تربيته حتى رأته يبلغ مبلغ الرجال ، **يفيض إنسانية ورقة شعور** ، وقد سكب فيه ما في نفسه من حبّ وتقدير وعرفان بالجميل .

لقد كان الفقيد يفكر في تسجيل عرفانه **بجميل اثنين كانا أحب الناس لديه أمه وخاله الذي في بيته درج وعلى يديه نشأ ومن علمه وخلقه استقى حتى أصبح علما يشار إليه بالبنان .**

ولكن الأجل المحتوم وافى خاله فجأة قبل أن يتم تحصيله الجامعي ، فلما أتمّه ، **كانت ذكرى خاله مازالت ماثلة في مخيلته وحبّ تسجيل عرفانه بجميله مازال قائماً في نفسه** ، فاذا به يصدّر رسالته الجامعية الثانية باهداءٍ صور فيه شعور الألم الذي استولى عليه لوفاة خاله وقصّ فضله عليه وترجم له أحلى ترجمة بجمل موجزة رائعة البيان فقال[٣١] :

(٣٠) انظر « مناهج الدراسة الأدبية » القاهرة ١٩٥٢ .
(٣١) انظر « المجتمعات الإسلامية » القاهرة ١٩٥٢ .

إلى خالي ...

الذي أراد الله أن يصطفيه إلى جواره قبل أن يملأ عينيه من ثمرة الغرسة التي انتزعها من أرضها ليزدرعها في أرض خصبة من العلم ، وفي جوّ نضر من المعرفة ، وفي دنيا مشرقة بالفضائل والمكارم .

ثم مضى يبذل لها من ذات يده ومن ذات روحه العون والنصح

ويثير فيها دفقة الحسّ ورقة النفس

وينمّي عندها إرهاف العواطف وصفاء المشاعر

ويشقّق فيها مسارب الجمال والذوق

ويعلّمها كيف تتحرر من عبودية وشهوة

ويحلّق بها على جناحين من العلم والتقوى

حتى أنزلها من ذلك كله هذه المنزلة التي تعتز بها .

إلى روح خالي ...

محدث الشام الأستاذ الشيخ محمود ياسين

الذي يدين له جيل من الناس في أطراف الشام بنصاعة الشعور الديني السامي ونعمة الحياة العلمية في ضروب الثقافة الإسلامية

وجمال التعاون على الحق والخير والمعروف

أهدي هذا الكتاب ...

فهو روح من روحه وعبق من عبقه

وفاءً ببعض حقه

وإيماناً بفضله

وعهدا أن أمضي في الطريق الذي بدأ حتى نلتقي في دنيا الخلود

وتعويضاً عن الحياة التي كنت أحب أن أعود إلى دمشق فأملأ منها نفسي

.. ثم عدت .. لأنثر على قبره الطاهر دموعي ..

.. وهذه الباقة من الأزهار البيضاء ] .

كان شكري فيصل إنسانا رقيق الشعور مرهف الاحساس يحب الناس ويسعى إلى مصادقتهم ، ولا يدخر وسعاً في تمتين أواصر المودة والصداقة معهم ، عظيم الوفاء لاصدقائه يشاطرهم أحزانهم ويسرع إلى تهنئتهم في أفراحهم بنفسه ، إن كان قريباً ، وإن كان بعيداً عنهم فبالرسائل أو بالبرقيات .

كتب إليّ ، وكان على بعد آلاف الأميال ، يعزيني بفقد الوالدة قائلا :

[ .. وبعدُ فقد عرفتُ من رسائل بعض الأصدقاء ماكان من أمر الله سبحانه وإرادته ، إذ استأثر إلى جواره الكريم بالسيدة ، والدة السادة .... وزوج السيد الكبير المرحوم وبقية الصالحات القانتات العابدات من هذه الأسر الشامية الكريمة التي تتواصى بالصلاح وتتوارث المحافظة وتُشيع في جوّ دمشق أرج الخير .. وتنسل فيمن تنسل اولئك الذين يختارهم الله من هذه البطون والأصلاب ليكونوا في مقدمة الركب دفاعا عن هذه الشريعة السمحة وحفاظاً على هذه العربية المقدسة واستمراراً نابضاً بالحياة والجهد لسنن السلف الطاهر .

ومامن شك في عمق الخسارة وقسوة الأسى .. **ومن ذا الذي يملك ألا يجزع للموت وألا يأسى للفقد** ؟ .. من الذي يملك الصبر عليه وحبس الدموع دونه ... ولكنّ الله سبحانه إنما ضمن لكم خير العزاء حين ضمن لها الجنة بما أضفى عليها من اشراق الصلاح وسكب في قلبها من نور الإيمان ، وضمن لنا مثل هذا العزاء حين جعل منها هذه الذرية الصالحة التي نسأل الله سبحانه أن يجعل منها كلهاسيرة متجددة لهذه السيرة العطرة وتخليداً .

وسيظل الموت سؤال الإنسانية الخالد يلوب على شفاهها مرّ المذاق ويطيف بأعماقها شديد اللذع وينغّص عليها ماتظن أنها تصطفي من الطيبات ... **ولكن الإسلام حين اعتقد بالحياة الآخرة ودعا إليها ورأى في الحياة الدنيا معبراً وجعل منها زاداً أحال مرارة المذاق إلى حلاوة** ولذع السؤال إلى طمأنينة الجواب وطيبات هذه الحياة سبيلا إلى طيبات الحياة الأخرى .

ولقد حملت الفقيدة من هذا الزاد إلى حياتها الأخرى أوفر نصيب .. وإن ذلك بعض عزائنا في الذي أصبنا به من فقد .

**أقسى مافي الحياة فقد أب وفقد أم** .. وقد يكون من أقسى مافي الحياة **أن يحاول الإنسان التصبّر على ذلك أو التعزية فيه** .. وإني لاشارككم دموعكم ... واسأل الله أن يكون لكم بالصبر والسلوان[٣٢] ] .

وكتب يعزيني ، عندما بلغته **وفاة محب الدين الخطيب** في

(٣٢) من رسالة صادرة عن الجزائر بتاريخ ٢٧ / ١ / ١٩٦٦ .

مصر ، وهو ابن عم لوالدي ، وكان مما جاء في رسالته :

[ .. وبعدُ فقد غالبت شديداً من الألم وعنيفا من الحسرة قبل أن استطيع الجلوس إليك لابعث بهذه الكلمات ..

لقد سمعت ماكان من وفاة العالم العامل المجاهد الأستاذ محب الدين الخطيب رحمه الله وأجزل له رحمته وضاعف حسناته .

كان نبأ ضخماً .. ولكن العالم الإسلامي لا يذكر اولئك الذين حملوا قضاياه إلى كل بيت ونافحوا عنه في كل موضوع وكانوا لسانه يوم لم يكن له لسان ومن الذي يذكر هذه الصورة الرائعة للمسلم العربي المؤمن الصابر المرابط الذي لم تزدهه الدنيا وقد اقبلت على الكثيرين ممن هم دونه وظلّ يقنعه أن يلقاك بالرأي وأن يلقى الآخرين بالعون وأن يحترق في طريق الآخرين دفقة نور واشعاع إيمان[٣٣] .. ]

وكتب إلي ، وقد بلغه أني عدت من أداء فريضة الحجّ يقول :

[ .. وبعدُ فأحبّ قبل كل شيء أن أقدم لك أخلص التهنئة بحجك الذي أدّيت ، جعله الله حجّاً مبروراً ، وكتب لك المغفرة كاملة ماتقدم من ذنب وماتأخر ، وشكر لك سعيك وتقبل منك دعاءك : ماكان منه لنفسك وماكان منه لإخوانك وماكان منه للمسلمين جميعاً ... وقدّر لنا أن نلتقي معاً في هذا العام في حجّ مشترك .. فلم يعد أحبّ إلي من أن استطيع هذه الفريضة كلّ عام[٣٤] ] .

وفي بطاقة من الجزائر كتب تحية يقول فيها :

---

(٣٣) من رسالة صادرة عن الجزائر بتاريخ ١٢ / ٢ / ١٣٩٠ .

(٣٤) من رسالة صادرة عن الجزائر بتاريخ ١٨ / ٣ / ١٣٨٩ .

[ ابعث اليك بهذه الكلمات وأنا على أهبة ان انجز أعمالي هنا .. أو لنقل على أهبة أن أقطعها فإن عملا ما لا يمكن ان ينجز هنا في وقت قصير أمام ( روتين ) ثقيل حاد .

ولقد سافرتّ قبل أن أراك .. ولعلّ ذلك **يعود إلى تأخرك في الزبداني أو لغزارة المشاغل من حولي أو لهما معاً .**

أفيد من هذه المناسبة الكريمة بداية رمضان المبارك ١٣٩١ لأبعث لك وللأسرة وللإخوان من حولك خالص التهنئة راجيا من الله **أن يفيد منه المسلمون وحدة كلمة والتقاء هدف وتراصّ بنيان وشراكة روحية عميقة ...**

أترقب في لهفة وشوق أن اتجاوز هذه الأيام **وأن أصل دمشق بسلامة الله** ، ضارعا إليه أن يجعل من مقامي خيراً وبركة وتوفيقاً .. **فقد اشتد عليّ وعلى الأهل أمر السفر ، والله الموفق**[٣٥] ] .

وكتب إليّ بمناسبة ذكرى المولد النبوي يقول :

[ .. وأحب كذلك بعد أن أفيد من ذكرى عيد المولد النبوي الكريم لأقدم لك وللإخوان من حولك التهنئة طيبة بهذه الذكرى العطرة .. **إنها من اروع ذكرياتنا** .. ولكنّ الذي يحسّه المرء خلال هذه الأحايين أن الذكريات لاتترك آثارها فينا .. كانت تشبّ عندنا انفعالاتنا وعواطفنا في مثل هذه الاحتفالات .. كنّا أفرادا وجماعات **نجد في مثل هذه الأيام أروع صور التجديد الداخلي النفسي الفردي والاجتماعي** .. كانت مناسبات لنستصلح كلّ مافات ونثير كلّ الذي

(٣٥) من بطاقة صادرة عن الجزائر في رمضان ١٣٩١ .

ركد وتجدّد كل ماقد يكون عفا .. ولكن الذكريات في هذه الأيام شيء آخر .. عطل باهتة .. أبرز مافيها أن ينص على أنها عطل مأجورة ومراسم تبعث في النفس إلا معانيّ الرتابة والتقليد .

ألم يكن في الوسع أن تكون مثل هذه المواقف الرائعة من جذورنا التاريخية مثاراً لكثير من الفكر والرأي ومجالاً للالتقاء والتسامح ومناسبة يُسْقط فيها الإنسان الأوراق الذابلة الصفراء والأغصان اليابسة الخشنة من جذع الحياة التي يلبسها .

ومهما يكن من شيء فقد أحسستُ للاحتفال هنا بعضاً من معنى ماكنتُ أقدره .. الجزائر وجه صلد لايُعبّر .. لا يضحك ونادراً مايبتسم .. لايتحدث ونادراً مايكون له هذا الصوت .. ولكن الجزائر - المولد كانت شيئاً آخر .. وما أحسب أني أحسستُ البهجة في يوم عند الناس كما أحسستها هذا اليوم .. يبدو أن ذلك يحمل شيئاً من آثار الماضي .. يوم كان عيد المولد النبوي في أذهان الجماعة المسلمة هنا مظهر عناية هي ردّ على أعياد كانت نوعاً من المقاومة وصورة من صور التشبّث والإعلان عن الوجود المتميّز .. ومابدا لي من حفاوة هذا العام إنما هو أثر من تلك الآثار[٣٦] ..] .

وكان رحمه الله اذا ماتأخرت رسائله أسرع إلى الاعتذار ، تأخر مرة فإذا به يكتب رسالة يقول فيها :

---

(٣٦) من رسالة صادرة عن الجزائر في ١٨ / ٣ / ١٣٨٩ .

[ .. وبعدُ فأنا أحسّ كذلك الحاجة إلى أن أعتذر لك عن تأخري في الكتابة .. والحق أني لم أجد فرص التفرغ في هذه الرحلة على نحو ماكنتُ أجد في الرحلات السابقة .. كان هنالك أمران أحدهما أن معي بعض الأولاد والأخرى أني أجدني مدفوعاً إلى أن استمع إلى كثير وأن أتابع الكثير : صحفا ومجلات ومحاضرات وندوات و .. مما كان لابد لي منه كي استطيع أن اتعرف إلى هذا العالم الفسيح الغريب(٣٧) ] .

إن في هذا كله لأكبر دليل على صاحبا الله شكري فيصل من خلق عظيم ووفاء نادر في علاقاته الاجتماعية ، وإذا كان من أخلاق العلماء الاقرار بفضل من سبقهم في العلم ، أو أفادوا منه سماعاً أو قراءة ، أو نقلوا عنه جملة أو حرفا ، فإن شكري فيصل سجّل في مقدمات كتبه وفي هوامشها فضل كل من سبقه أو أخذ عنه أو نقل منه أو أعانه في عمله أو يسره عليه ، وزاد على كل هذا أن سجل شكره لعمال المطبعة الذين أخرجوا كتابه للناس فأحسنوا الاخراج ، مما يدل أعظم دلالة على ما يتحلى به من خلق انساني رفيع .

انظروا إليه وهو يقول :

[ ... وإذا كان وراء إخراج هذا العمل على هذا النحو في هذه الأشهر القليلة من ناسٍ أفنوْا بياض نهارهم في سواد الحرف المشكول ودقته فاستحقوا الشكر فأولئك هم رجال المطبعة : إدارتها وعمالها ... وإن لهم من الله على عملهم ثواب ما جهدوا وجزاء ماانتوَوْا(٣٨) ] .

(٣٧) من رسالة صادرة عن الجزائر بتاريخ ٣ / ٦ / ١٩٦٩ .

(٣٨) انظر ص ٢٠ من كتاب « ابو العتاهية » دمشق ١٩٦٥ .

- ٩ -

## مشـــروع وثيقة

## حقـــوق الإنســـان في الإســـلام

أسعدني الحظ أن اشتركت مع الفقيد الكبير في **لجنة عُهد إليها وضع مشروع وثيقة لحقوق الإنسان في الإسلام**[٣٩] ، فكان اسهامه كبيراً في أعمالها وخير عامل على أن يخرج مشروع اللجنة السورية كاملا ينال التقدير والثناء ممن اطلعوا عليه من أعضاء منظمة المؤتمر الإسلامي ، والمشروع مهيئ للعرض على مؤتمر القمة الإسلامي .

**كانت روح الفقيد متجلية في مقدمة المشروع** وقد جاء فيها :

[ ... وانطلاقاً من عقيدة التوحيد الخالص التي قام عليها بناء الإسلام والتي دعت البشر كافة ألا يعبدوا إلا الله ولا يشركوا به شيئاً ، ولا يتخذ بعضهم بعضاً « **أرباباً** » من دون الله ، مما أدى إلى **انتفاء عبودية الإنسان للإنسان وتعزيز حرية البشر وضمان كرامتهم** .

وتأكيداً للدور الحضاري للأمة الإسلامية وتجديداً لتاريخها وتعزيزاً لكونها أمة وسطاً تدعو إلى عالم متوازن يصل الأرض بالسماء والدنيا بالآخرة والعلم بالإيمان ..] .

احتوى المشروع على **مائة وخمس وعشرين مادة** ، ونحن للتاريخ نسجل فيما يلي المواد الأربعة الأولى الواردة تحت عنوان :

(٣٩) كانت اللجنة مؤلفة من : د . عدنان الخطيب ود . شكري فيصل والأستاذ وهبي الزحيلي والسفير رفيق الجويجاتي والمقرر السيد إسماعيل ماجد الحمزاوي .

« الحقوق الأساسية[٤٠] » :

**المادة الأولى :**

أ ـ البشر في كل أقطارهم أسرة واحدة ، مخلوقون من نفس واحدة ، **متساوون في الكرامة الإنسانية** وفي أصل التكليف والمسؤولية ، وأكرمهم عند الله أتقاهم وأنفعهم لعباده .

ب ـ **لاتمييز بين الناس** بسبب اختلاف العرق أو اللغة أو الديار أو الجنس أو العقيدة أو الانتماء السياسي أو الوضع الاجتماعي .

**المادة الثانية :**

أ ـ يولد الإنسان حرّاً . **ولا عبودية لغير الله تعالى** ، وليس لمخلوق أن يستعبده أو يذله أو يستغله .

ب ـ حرية الرأي والتعبير عنه بالوسائل المشروعة مصونة ، **ولكل إنسان ممارستها في حدود مبادئ الشريعة والأخلاق .**

**المادة الثالثة :**

أ ـ **حق الحياة مكفول بالشريعة لكل إنسان** ، وعلى الأفراد والمجتمعات والدولة حماية هذا الحق من كل اعتداء .

ب ـ **يحرم اللجوء إلى أية وسيلة تفضي لافناء النوع البشري كلياً أو جزئياً .**

جـ ـ استمرار الحياة البشرية أحد أصول الإسلام لايجوز تعطيله بمناهضة الزواج ولا الانتقاص منه بمنع الانجاب ، **ولا إباحة الإجهاض** لغير

(٤٠) نشرت نص المشروع كاملا مجلة الاحياء التي تصدرها رابطة علماء المغرب في عدد نيسان ١٩٨٣ .

ضرورة شرعية .

د ـ لكل إنسان الحق في **أن يعيش آمنا على نفسه وأهله وسمعته الاجتماعية وماله** متحرراً من كل أنواع الخوف .

**المادة الرابعة :**

أ ـ التدين حق لكل إنسان ، **ولا إكراه في الدين** ، فلا يجوز حرمانه منه ، ولا ممارسة أي ضغط عليه للتخلي عنه .

ب ـ يتعين على المسلم ـ وقد اهتدى إلى الإسلام بالإيمان بوجود الله والاعتراف بوحدانيته ـ **الثبات عليه** ] .

ـ ١٠ ـ

## الصبر على المكاره والجحود

كان شكري فيصل ، على مايعرفه الناس منه ، **رضيَّ الخُلُق جمَّ التهذيب** ، بيد أنه ، على مايعرفه ألصق الناس به ، **يجمع من المتناقضات بعضها** ، كان هادئا كصفحة المحيط ، إذا سكن الريح فلا موج ولا ضجيج ، وكان ثائراً كجوف المحيط تتصارع في أعماقه مختلف التيارات إلى أن تفنى ، **كان قويَّ الحجة ليّنَ الشكيمة ، شديداً في الحقّ ضعيفا في اللّدد** . كان كثير الصبر على المكاره ، **قادراً على اخفاء ثورته بابتسامة هي أقرب ماتكون إلى التهكم والسخرية منها إلى أي شيء آخر** ، إن ثار يوما لحقٍّ له قد اغتيل دفن ثورته في أعماق نفسه ، لا يكشف لأحد عنها اللهم إلا لصديق كتوم .

لاقى من حسد بعض زملائه وجحود بعض تلامذته الأفانين ، لقد غمطوا من حقه الشيء الكثير ، وفضلوا عليه بعض من هم دونه فكرا ومكانة أدبية ، حتى أدى الأمر به إلى الهجرة والبعد عن البلد الذي أحبّ .

وكأني بشاعر العربية الكبير بدوي الجبل عندما رثى صديقاً له من عظماء رجال السياسة السوريين وحكى قصته مع حسّاده وشانئيه فقال :

شُغِلَ الناسُ بالعظيمِ وأرضَوْا نزواتِ النُفوسِ هَدْماً ونقدا
حَسدُوهُ على المَزايا فكان الـ ـمَوْتُ بينَ الأهواءِ والحقِّ حَدّا

كأني به يرثي شكري فيصل وكلَّ عبقريّ وعظيم ، من بني البشر لأن آفة المعاصرة الحسد ، وقد جُبلَ الناسُ عليه مذ خلقوا إلا من رحم ربُّك واصطفاه مع الأخيار ... كتب إليّ رسالة تفيض بالألم والأسى ، وتصور مايعتلج في صدره مما يلقاه من ضروب الحسد والجحود ، كتبها مدونا فيها صدى اذاعة نبأ فوزه بجائزة دولية مرصودة لأفضل عمل أدبي ، وما صنعه أصدقاؤه وتلامذته ، حيث كان ، من مظاهر التكريم والتقدير ؛ وأردف يقول :

[ ... وأما عندك ـ يعني في الشام ـ فقد سمعتُ من قال لي عقب إذاعة النبأ : هل هنالك اسم آخر بهذا الاسم في لبنان .. إي واللهِ ..] والقسم قسمُه وأعقب القسم يقول : [ ..ولكنها الجبلّة التي لاتنازع[٤١] ..] .

(٤١) من رسالة صادرة عن فاس مؤرخة في ١٤ / ١٢ / ١٩٦٤ .

كما كان شكري فيصل **كثير التفكير قبل الاقدام على عمل ما** ، فإذا أقدم كان ثابت الخطا شجاعا يقابل المكاره التي تحيط به بالصبر عليها والتجلد لها ، كتب إليّ - وكان على سفر - بعد أن قرَّ رأيه على نهج معين يسلكه ، يقول :

[ .. ليكن .. **لقد أبحرنا كما يقول ديكارت .. ولاسبيل إلى التراجع ..** ويجب أن نخوض التجربة في أطول أبعادها ... وأرجو أن تكون مستمرة ...[٤٢] ] .

وعندما كان شكري فيصل معاراً للتدريس في جامعة فاس ، استطاع بصداقاته المتينة السُّرى إلى الخزانة الملكية في الرِّباط ، منقباً في كنوزها من كتب التراث ، باحثا عما فيها من نوادر المخطوطات ، **وحمل إلى دمشق بعض المصورات عنها** ، وأهدى المجمع واحداً منها ، فتلقفه زميل مجمعيّ فإذا به يكتب **أنه كان قد تعب في البحث عن الكتاب من زمن قديم ومازال يبحث عنه إلى أن حمله إليه الدكتور شكري فيصل مؤخراً** ، وغضب شكري لهذا الذي كُتب ، وثار ولكن ثورته انطفأت في رسالة كتبها إليّ وجاء فيها :

[ ... وأزعجني ذلك كل الازعاج ... **لأن الرجل جعلني بمثابة حمّال للمصورات** ، وهو يعرف أن سبعة أجداد من أجداده وسبعة أحفاد من أحفاده لايستطيعون الظفر بالكتاب من الرباط .. وكنتُ أنا الذي فتحتُ هذا الباب .. وأنا الذي اخترت .. وأنا الذي **أنفقتُ في ذلك كل ماينفق من جهد ووقت و** ... مما لاحاجة أن أذكره[٤٣] ..] .

---

(٤٢) من رسالة صادرة عن الجزائر مؤرخة في ٢٦ / ١٢ / ١٩٦٨ .

(٤٣) من رسالة صادرة عن المغرب مؤرخة في ٢٥ / ٣ / ١٩٦٦ .

لقد كان الأذى الذي نال الفقيد من حسّاده والمكابرين على انكار فضله إلى جانب الجحود الذي لقيه من بعض زملائه وتلامذته كبيراً ، حتى أنه أحيل على التقاعد ( المعاش ) بمجرد بلوغه الستين من عمره ، **خلافا للتقاليد الجامعية التي يعامل بها الأساتذة وللقانون الذي كان وشيك الصدور وفيه مدّ لخدماتهم حتى الخامسة والستين ،** كل ذلك دفعه إلى الهجرة والبعد عن دمشق بقبول ماعرضته عليه الجامعة الإسلامية من الاشراف على طلبة الدراسات العليا فيها ، فانتقل إلى المدينة المنورة ، حيث كان مقدراً له أن يدفن في ثراها إلى جوار شهداء الإسلام وأبطاله ، رحمه الله وجعل الجنة مثواه .

ومن عجب أن يتصدى أستاذ كبير من أفاضل أصدقاء الفقيد وزملائه وهو يرثيه في « **الأهرام** » إلى سبب هجرة الفقيد إلى حيث وافاه الأجل فيقول : [ .. أم أبكي فيه **الصديق الوفي لمصر** ، لقد قضى سنوات دراسته الجامعية هنا إلى أن حصل على الدكتوراه ... ولم تنقطع زياراته لمصر ، إلى أن **كانت الوحدة بين مصر وسورية ، فصار أحد النواب في مجلس الأمة** ، فانتظمت الزيارات وطال البقاء في القاهرة ، **وقد أصيب ببعض الأذى بعد الانفصال ، ولكنه لم يتخل عن ميوله المصرية** فقد صارت طبيعة فيه ، وصار أقرب مايكون إلى طباع المصريين حتى كان ذلك مادة تندر وفكاهة بينه وبين أصدقائه في القطرين ...

.ولكن « **لعنة السياسة** » أصابت منه مقتلا ، فقد عزّ عليها أن يفلت ذلك العلم الشامخ من مخالبها . فإذا كان اشتغاله بالسياسة في أثناء الوحدة عارضاً ، فإن ماأصابه من أذى الانفصال .. **كان كبيراً وقد**

استمر حتى زهقت نفسه الكريمة فلم يتحمل قلبه - الذي اتسع للعالم العربي كله - ماوقع ، واضطر إلى الهجرة إلى المملكة السعودية ، حيث عمل بالجامعة الإسلامية في المدينة . وعندما اشتد به المرض بحث عن العلاج في ألمانيا ثم في سويسرا حيث حمّ القضاء[٤٤] .. ] .

إن من يقرأ هذه الفقرات من رثاء الأستاذ المصري الكبير يستشف رأي مدبّجها ولعل كثيرين من أصدقائنا وإخوتنا في مصر يشاركونه رأيه معتقدين بأن اغتراب فقيدنا الدكتور شكري فيصل عن وطنه **كان بسبب ميوله المصرية وآرائه الوحدوية** ، وهذا رأي بعيد عن الصواب ، **فالعرب السوريون كلهم وحدويون وكلهم يحبّ مصر والمصريين ، ولم يكن حبّ مصر والمصريين سبّة في سورية العربية في يوم من الأيام** ، وما كانت ميول شكري فيصل الوحدوية إلا مدعاة للإشادة به ، **وعنصراً من عناصر احترامه لدى مختلف طبقات الشعب العربي في سورية** .



(٤٤) من مقال نشر في الأهرام بتاريخ ١٩ / ٩ / ١٩٨٥ تحت عنوان « الفقيد الذي رحل في صمت » بقلم الدكتور حسين نصار العميد السابق لدار العلوم .

- ١١ -

## شجون الاغتراب والحنين إلى دمشق

كانت حياة شكري فيصل سَفَراً متواصلاً وراء العلم والمعرفة تلقياً أو عطاءً ، فكان لايقيم في مكان واحد شهراً واحداً موصولاً ، كان في أول الأمر يحب السفر ويسعى إليه ، ولما تقدمت به السن بدأ يتململ منه ولكن لم يحدث قط أن رفضه أو تأخر عنه ، وهكذا مضت حياته في رحلات متواصلة ، وكثيرا ماحدث أن وافق مابين رحلة وموعد رحلة قادمة على رحلة جديدة .

كان شكري فيصل لايُرى إلا في صعود أو هبوط في حزمٍ أو حَلّ ، في حِلّ أو ترحال ، إن أقام في دمشق أسبوعاً فلا بدّ أن تراه يصعد سيارة متجهة نحو بيروت أو يهبط من سيارة كانت في عمان ، أو أقام في فاس فلا بدّ أن تراه يوماً متجهاً نحو مراكش أو قادماً من تطوان .. وإن أقام في الجزائر فلا بدّ أن تراه يوماً قاصداً عنّابة أو قادماً من المعسكر .. وإن أقام في القاهرة فلا بدّ أن تراه يوماً قادماً من الإسكندرية أو عائداً من أسيوط .

جاء في رسالة بعث بها إليّ من فاس ، وكان معاراً للتدريس في كلية آدابها ، قوله :

[ .. تمضي حياتي هنا على النحو الذي تقدر .. عمل متصل في التدريس والاعداد .. وتجاوز للساعات الأصلية إلى الساعات الإضافية بنوع من الإكراه الأدبي ، ثم تجاوز مدينة فاس إلى مدينة مراكش وسفر ١٢٠٠ كم مرة كل خمسة عشر يوماً .

**وقد ارتضيت ذلك بغية التعرف إلى خزانة مراكش** .. فلعلّ في ذلك بعض مايُفيد[٤٥] .. ] .

وكتب إليّ على ورق صغير الحجم من تونس ـ وكان في طريقه من الجزائر إلى المدينة المنورة ـ يقول :

[ .. لاأحب كثيراً الكتابة على الورق الصغير ، **لأني أحسّ أنه يحدّني** ولكن أجدني مضطراً إلى ذلك ، لأني لم أجد الآن غيره .

أكتب اليكم من تونس بعد عودتي من الجزائر ومشاركتي في الملتقى السادس عشر للفكر الإسلامي وموضوعه **السنة الشريفة** .

وكنت أتمنى أن أكتب لكم من قبل ، من تونس ، حيث أمضيت نحواً من عشرة أيام متعاونا مع الأليكسو .. **بعيداً عن الأهل والراحة .. ولم أكن أقدر أن السفر في رمضان له كل هذه المتاعب** ... ولكنها تجربة .. ولولا ذلك لما انجزت ـ تقريباً ـ ماكنت بسبيله .

أمضيت ليلة العيد وصباحه في الطريق إلى الجزائر وصمت ثلاثين يوماً لأني تابعت صيام الإخوة التونسيين هنا[٤٦] ] .

وكتب إليّ من بلنسية في إسبانيا رسالة يصف فيها رحلته إليها مدعواً للمشاركة في ندوة حول **ابن عربي** جاء فيها[٤٧] :

[ ..هذه تحية متدفقة حلوة من بلنسية .. **إني أحيا في زياراتي**

(٤٥) من رسالة مؤرخة في ٢١ / ٣ / ١٩٦٦ .

(٤٦) من رسالة صادرة عن تونس بتاريخ ٣ / ٨ / ١٩٨٢ .

(٤٧) من بطاقة صادرة عن بلنسية بتاريخ ٢١ / ١٢ / ١٩٦٥ .

**للأندلس في الماضي بأكثر مما أحيا في الحاضر** وتغشاني من ذلك أزمات لاأقوى عليها .. ومع ذلك تجدني انتهز الفرص لذلك ماوسعتني الفرص .

لقد شاركت هنا في مؤتمر الندوات العربية - الإسبانية التي يقيمها المعهد المصري والسلطات الجامعية .. وموضوع الندوة حول **ابن عربي .. وحديثي عن واحد من أروع كتبه التي لم نعرفها حق المعرفة** وقد طبع مؤخراً في دمشق طبعه طائفة من إخوانك الذين تعرف[٤٨] .

ماأملك أن أحدثك عن **شوقي إلى دمشق .. إني** كأنما أعيش - في هذه الأيام هنا - بين رَحَوَيْن : **رحا ذكريات دمشق ورحى ذكريات ابناء دمشق في الأندلس .. وكلها طاحن عنيف** ] .

وقد ألقى في الندوة بحثاً عن رسالة « **روح القدس في محاسبة النفس** » وكان بحثه من أمتع بحوث الندوة نشرته مجلة الدراسات الإسلامية في مدريد واستلت منها فصائل مستقلة .

وكتب رسالة من مهجره - من المدينة المنورة - وكان قد ضاق ذرعا بالتنقل والسفر - يقول فيها :

[ .. والحق إن الفرق كبير جدا بين **أن تسافر مدعوا إلى مؤتمر أو مشاركا في لجنة ، وبين أن تسافر مهاجراً** إنك عند الهجرة مضطر أن تستدرك كل شيء بنفسك .. وماأكثر الأشياء .. ثم ماأضيق الوقت ..

(٤٨) الكتاب هو « رسالة روح القدس في محاسبة النفس » من تأليف محي الدين بن عربي . طبعه عزة حصرية في مطبعة العلم بدمشق سنة ١٩٨٤ عن طبعة على الحجر القاهرية ١٣٨٠ .

ففي شرقنا العربي لاتكاد تجد للوقت قيمةً .. فإذا أضفت إلى ذلك ازدحام الناس وكثرتهم التي تملأ الشوارع والطرقات والمساجد .. وإذا اضفت الحرّ وهو لايكاد يعرف الاعتدال حتى يعود إلى شدته ، إذا اضفت هذا وذاك استبان لك مدى مايعاني الإنسان هنا ... **ودَعْ عنك التفكير في دمشق** ودَعْ عنك محاولة المواءمة مع هنا .. **ثم دَعْ عنك أنك تقتلع نفسك من جذور امتدت مايزيد على ستين عاما ثم هاأنت تحاول أن تزرعها من جديد في أرض جديدة .**

....

**تمنيت لو كان لي مثل صلابتك ... إذن لبقيت في دمشق ، وما أحسب أن من الخير أن نتهافت هذا التهافت على السفر ...** ولعلّها نزوات ثم تهدأ ... وظروف نسأل الله أن تنفرج عن خير شامل[٤٩] .. ] .

والرسالة بعد هذا طويلة طويلة ، كلها في شجون الاغتراب وكأنها نفثة مصدور ختمها بالمقطعين التاليين :

[ .. وكذلك يدرك الإنسان **قيمة الحياة في دمشق** .. غير أن أمراً ما لايصفو صفاء مطلقاً ولكل شيء ثمنه .. والحصول على الأشياء كلها يبدو وكأنه أصعب المعادلات وأعقدها ... **ومع ذلك فالإنسان يجري وراء المعادلة الصعبة وهو يعرف أنه لايملك من الأمر شيئاً ...**

**صحتي تزداد وَهْناً .. وأسأل الله العافية ..** وقد قرأت هذين اليومين أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه من ذلك ...

(٤٩) رسالة من المدينة المنورة مؤرخة في ٤ / ١ / ١٤٠٢ .

**فامنحنا اللهم العافية وتمام العافية ودوام العافية والشكر على العافية .. ] .**

وجاء في رسالة من رسائله المتأخرة ، وكان قد برم بالاغتراب وتاقت نفسه إلى دمشق قوله :

[ .. **وقد دعيت لعمادة كلية الآداب في بلد خليجي .. ولكني آثرت جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم** ثم إني شعرت بارتباط أدبي بالنسبة للطلاب الذين أُشرف عليهم .. لأن تغيير المشرف كارثة في الأصل وقد يكون هنا في مصلحة الطلاب فمن يدري ؟

على كل حال تجاوزت بفضل من الله **كل الإغراءات التي رافقت هذه الدعوة والتي ترافق هذا العمل** .. ولأحسبني قادراً على أن استمر طويلاً في العمل **فأنا أصبحت أُوثر البيت في دمشق على كل ما تعرف من مشاكل دمشق أو مشاغلها**[٥٠] .. ] .



(٥٠) من رسالة صادرة عن المدينة المنورة في ١٤ / ١١ / ١٤٠٤ .

- ١٢ -

## ضرورة

## جمـــع آثـار الفـقـيـد ونـشـر المخطـوط مـنـهـا

لقد أغنى الفقيد المكتبة العربية **بآثـار جـدّ قيمـة ، منهـا المؤلف ومنها المحقّق** ، وقد سبق أن أشرنـا إليهـا اضـافـة إلى مـا كان ينشره من بحوث ومقالات في مختلف الصحف والمجلات ، الأدبية منهـا والمتخصصـة ، وهي أجلّ من أن تُحصى في مثل هـذه الترجمـة الموجزة . ولابـدّ لـلإفـادة منهـا من جهود جبـارة تبـذل لجمعهـا وتصنيفهـا وإعـادة نشرهـا في كتب تحفظها من الضياع ، وكل مانرجوه **أن تنهض لهذا العمل مجموعـة من تلامذة الفقيد أو من مقدري فضله فيؤدون خدمة جليلة للعلم والأدب .**

نحن لانستطيع أن نعـدّد الكتب التي يمكن جمعهـا من التراث العظيم الذي تركـه شكري فيصل مبثوثـا في مختلف المجلات الأدبيـة وفي ملفـات المؤتمرات أو الندوات التي كان يتحدث فيها ؛ على أننـا نستطيع التـأكيـد **بـأن مـاكتبــه الفقيـد في النقـد الأدبي ، والبحـوث التي كُلّف باعدادها أو ألقاها في المؤتمرات أو الندوات** ، وبخاصة مايتصل منها بتعريب التعليم والتحـدي اللغوي أو بموضوع البيـان النبـوي أو الصحـوة الإسلاميـة ، اضـافـة إلى المحـاضرات أو الـدروس التي سبـق أن ألقـاهـا في مختلف جامعات الوطن العربي ولم يسبق نشرها ، وهي كثيرة جـداً ، إلى جـانب مـا كتبــه أخيراً في الأدب السعـودي المعــاصر ، **كل هــذا يشكل مجلدات ضخمة إذا قدّر له أن يجمع وينشر** ، وسيكون ثروة عظيمـة للمكتبة العربية لايقدّر بثمن .

هذا ولاشك عندي في أن الفقيد قد ترك بحوثا كتبها أو نصوصاً حققها أو شرحها ، وقد وافاه الأجل ، قبل أن تتاح له فرصة نشرها ، أو قبل أن ينتهي من إعدادها للنشر ، مما يلقي على عاتق ابنائه واجب اظهارها والسعي لنشرها وفاءً له واحياء لذكراه العطرة وتخليداً لمآثره القيمة .

لقد سبق لنا اعداد قائمة بما نشره الفقيد في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق من بحوث اسهاماً منا في تسهيل جمع آثاره ، ونضيف إليها فيما يلي قائمة بما كان قد نشره في مجلة « المعرفة » التي تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القومي في سورية :

| العدد | التاريخ | الصفحة | عنوان البحث |
|---|---|---|---|
| ١٣٦ | حزيران ١٩٧٣ | ٧١ | نحو معرفة جديدة للنقد : نافذة على النقد الجاهلي العربي |
| ١٣٧ | تموز ١٩٧٣ | ٤٨ | قراءة جديدة لمعلقة النابغة |
| ١٣٩ | أيلول ١٩٧٣ | ٢٤ | الاستشراق المعاصر : من الأزمة إلى تجاوزها |
| ١٤٢ | كانون الأول ١٩٧٣ | ١٧ | الواقع والرؤية في الواقع العربي |
| ١٥٦ | شباط ١٩٧٥ | ٥٧ | نحو حضارة عربية جديدة |
| ١٥٧ | آذار ١٩٧٥ | ٣٨ | عوائق في طريق التعريب |
| ١٥٨ | نيسان ١٩٧٥ | ٧ | طه حسين |
| ١٦٤ | تشرين الأول ١٩٧٥ | ٣١ | ثقافتنا العربية بين تشرين الذي كان وتشرين الذي يكون |
| ١٦٦ | كانون الأول ١٩٧٥ | ١١٢ | دوحة الأدب : وجه من وجوه الحركة النسائية |
| ١٦٨ | شباط ١٩٧٦ | ٣٢ | المصطلح العلمي في حاضر اللغة العربية |
| ١٧١ | أيار ١٩٧٦ | ١٩٢ | لماذا .. لماذا .. لماذا .. ؟ |
| ١٨٠ | شباط ١٩٧٧ | ١٨٢ | أصوات وتأملات ورؤى |
| ١٨٣ | أيار ١٩٧٧ | ٤ | التطور الاجتماعي والتطور اللغوي |
| ١٨٥ | تموز ١٩٧٧ | ١٧٧ | العرب المعاصرون والتاريخ العربي |

| العدد | التاريخ | الصفحة | عنوان البحث |
| --- | --- | --- | --- |
| ١٨٩ | تشرين الثاني ١٩٧٧ | ٥٤ | مشكلة اللغة العربية في الأدب المعاصر |
| ١٩٥ | أيار ١٩٧٨ | ١١٧ | خير الدين الزركلي بين الشعر والنثر |
| ٢١٦ | شباط ١٩٨٠ | ٥ | أزمة الفكر القومي والنظرية القومية |
| ٢١٨ | نيسان ١٩٨٠ | ٥ | شفيق جبري صفحة لم تطو |

ومن أهم الآثار التي تركها شكري فيصل في النقد الأدبي ، تلك الدراسات التي كتبها لتتصدر بعض الكتب بقصد التعريف بها أو تقديمها للقراء ، ومن روائعها دراسته للنقد الأدبي عند طه حسين وذلك من خلال « المقدمات » التي أملاها لتتصدر طائفة من الكتب الأدبية المعاصرة المؤلَّف منها أو المترجم ، وبعض كتب التراث المحققة .

لقد أوفى شكري فيصل أستاذه طه حسين حقه من الثناء والإشادة بالطابع العظيم الذي اضفاه على تاريخ الأدب العربي ، مقرراً : « أن هذه المقدمات تؤلف جزءاً من تراث الأستاذ العميد ، وأنها تؤلف مصدراً من مصادر دراسته والتعرف إليه واستكناه خصائص أسلوبه .. » .

كما أوفى شكري فيصل حق النقد عليه في تلك الدراسة ، فقد غاص وراء الدوافع الذاتية عند طه حسين في جميع ماكتبه من « مقدمات » وحلل اتجاهاته الفكرية مبيناً السليم منها والمشبوه ، مشيراً إلى مارجع فيه إلى الحق وما ظل مكابراً عليه .

كان ذلك كله في المقدمة الضافية التي تصدرت كتاب : « كتب ومؤلفون » الذي اخرجته دار العلم للملايين في بيروت سنة ١٩٨٠ وجمعت فيه ما كتبه طه حسين من « مقدمات » .

وما أحرى بالذين يغارون على آثار شكري فيصل من الضياع ، أن يجمعوا **المقدمات** التي كان كتبها بين دفتي كتاب ، ولعل من أهمها وأجدرها بالحفظ المقدمات التالية :

١ ـ مقدمته لديوان شاعر الشام شفيق جبري

٢ ـ مقدمته لكتاب طه حسين تقليد وتجديد

٣ ـ مقدمته لتاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر

وهناك ـ **على حد علمي** ـ مقدمات كان شكري فيصل كتبها لتتصدر كتباً معينة ولكن حالت دون نشرها ظروف طارئة .

ـ ١٣ ـ

## عزاء المؤسسات الثقافية العربية

**كان الفقيد عضوا في اتحاد الكتاب العرب** ، وقد نعاه بمجرد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، فانهالت عليه وعلى مجمع اللغة العربية بدمشق البرقيات من مختلف أرجاء الوطن العربي التي **كان الفقيد يرتبط معها بأوثق الصلات الثقافية** ، وللتاريخ نسجل هنا نص ثلاث برقيات تلقاها المجمع من تونس لما فيها من تسجيل لجهود الفقيد الثقافية الدالة على المنزلة التي كان يحتلها في مختلف الأقطار العربية .

**أ ـ برقية المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم**

تلقيت بأسى وحزن نبأ وفاة المرحوم الأستاذ الدكتور شكري فيصل **أحد رموز الثقافة العربية ودعائمها** وإني إذ اتقدم باسمي وباسم المنظمة العربية بالتعاون في هذا الفقد القومي إلى سيادتكم وإلى السادة أعضاء المجمع الموقر فإني اسأل الله للفقيد العزيز الرحمة **لقاء ماأدى**

لوطنه ولأمته وثقافتها من خدمات جليلة ولكل أجل كتاب وإنا لله وإنا إليه راجعون .

التوقيع : د . محيي الدين صابر

ب ـ برقية وزير الشؤون الثقافية التونسية

في الوقت الذي كنّا نهيّئ لقدوم العلامة الكبير الأستاذ شكري فيصل عضو مجمعكم الموقر ، وعضو المجلس العلمي للمؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات « بيت الحكمة » بتونس .. وذلك لمشاركتنا الاحتفال بمرور ثلاثين سنة على انبعاث مجلة « الفكر » ... جاءنا نعيّ الصديق العزيز ليجمّد في افئدتنا حرارة لقاء انتظرناه بفارغ صبر ... وليعصف بشوق طالما اختلج في أنفسنا ....

وبهذه المناسبة الأليمة اتقدّم إليكم باسمي الخاص وباسم جميع أعضاء أسرة الفكر وأصدقاء الفقيد من المثقفين بتونس بأحرّ التعازي راجياً من الله أن يتغمدّه برحمته الواسعة ويرزقنا وإياكم جميل الصبر والسلوان .

وإنا لله وإنّا إليه راجعون .

التوقيع : البشير بن سلامة

جـ ـ برقية رئيس المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات في تونس « بيت الحكمة »

لقد علمنا ببالغ الأسى والحسرة أن أسرة الأدب في الوطن العربي فقدت أحد أعضائها البارزين الدكتور شكري فيصل الذي عرفناه باحثا مجتهداً وعالماً نافعاً وصديقاً وفياً ، وقد استفادت مؤسستنا

الكثير من علم الفقيد ومن كريم نصحه إذ كان عضواً ناشطاً في مجلسها العلمي .

فالباري تعالى نسأل أن يتغمد بواسع رحمته المغفور له الأستاذ الدكتور شكري فيصل وأن يرزق مجمع اللغة العربية وجميع العاملين من أجل ابراز ثقافة أمتنا جميل الصبر والسلوان .

التوقيع : **د . أحمد عبد السلام**



هذا وقد دعا **اتحاد الكتاب العرب** إلى حفل تأبيني كبير وإلى ندوة اشترك فيهما معه كل من مجمع اللغة العربية وكلية الآداب اقيما بتاريخ ٣٠ من تشرين الأول ١٩٨٥ تحدث خلالهما بعض العلماء والأدباء عن أدب الفقيد وعن خدماته الجليلة للثقافة العربية في العصر الحديث ، **وستنشر كلماتهم في كتاب مستقل .**

تغمد الله الفقيد بواسع رحمته وعوض العربية خيراً .



ـ ١٤ ـ

## مصادر ترجمت للفقيد

١ ـ « من هو » في سورية اصدار الوكالة العربية للنشر والدعاية ـ جورج فارس دمشق ١٩٤٩

٢ ـ « من هم » في العالم العربي اصدار الوكالة العربية للنشر والدعاية ـ جورج فارس دمشق ١٩٥٧

٣ ـ « عالمنا العربي » نعمة زيدان ـ بيروت ١٩٥٦

٤ ـ « من الأدب المقارن » نجيب العقيقي ط ٣ ج ٢ القاهرة ١٩٧٦

٥ ـ « الثقافة العربية » محمود موعد ليبيا أيار ١٩٧٥

٦ ـ « الموسوعة الموجزة » حسان الكاتب مج ٤ دمشق ١٩٧٩

٧ ـ « معجم المؤلفين السوريين » عبد القادر عياش ـ دار الفكر دمشق ١٩٨٥

٨ ـ « الملف المجمعي »

٩ ـ « ذكريات عدنان الخطيب ورسائل شكري فيصل إليه »

أخي الدكتور عدنان

أطيب التحية وبعد فأشكر لك اهتمامك بالتقرير

وأرجو أن يروقك خطه الأولى.

وأعتذر إن رجعت هذا التصحيح الكتابية

والتوصيل

سأتحدث إليك عنه بعد انتهائه

انتهى آمل أن يكون قريبا

شكري فيصل

أنموذج من خط الفقيد وتوقيعه

# الحمام الهُدَّى
## في تاج العروس

الأستاذ صبحي البصّام

١ ـ رجعتُ الى الجـزء الأول من « تـاج العروس » من طبعـة الكويت ، بتحقيق الأستاذ الفاضل عبد الستار أحمد فرّاج ، لأنظر في كلمة ، ثم قرأتُ مقدمة المؤلف ، فوجدته يذكر فيها ( ١ : ٦ ) محمد بن قاسم بن عزرة الأزدي ، ويقول فيه : « وكتاب الحمام والهدى له أيضاً »(١) . فأنكرتُ الواو في ( والهدى ) ، وأنكرتُ إهمال الأستاذ المحقق

(١) قال المحقق الأستاذ عبد الستار أحمد فراج معلقاً : « بهامش المطبوع : قوله ( له أيضاً ) أي لابن قاسم . وفي كشف الظنون أن كتاب الهدى لأبي عبد الله محمد بن القيّم ، فلعل التحريف وقع في القيّم أو القاسم . وفيه أيضاً ان كتاب اللجام وكتاب الحمام لأبي عبيدة معمر بن المثنّى ، فليحرّر »(1) .

[ (1) لقد نقل الأستاذ عبد الستار أحمد فراج رحمه الله وأفاض عليه سحائب رضوانه الى طبعة التاج الجديدة الصادرة في الكويت التعليق الذي جاء في هامش طبعة التاج الأولى ( ١ : ٤ ، مصر ١٣٠٦ ـ ١٣٠٧ هـ ) ، دون أن يعقّب عليه بشيء .

والحقُّ أنه لاصلة بين كتاب الحمام الهُدَّى لابن قاسم ، وكتاب الهَدْي ( بفتح الهاء وسكون الدال ) للامام العالم أبي عبد الله محمد بن القيّم . إن صاحب كشف الظنون ( ٢ : ١٤٧١ ) إنما ذكر كتاب الهَدْي للامام أبي عبد الله محمد بن قيّم الجوزية ( ٦٩١ ـ ٧٥١ هـ ) ، وهو يعني بذلك كتابه الشهير : « زاد المعاد في هَدْي خير العباد » ، وصاحب الكشف لم يدع مجالاً للظن أو الشك ، قال ( ٢ : ٩٤٧ ) : « زاد المعاد في هَدْي خير العباد ـ مجلدان ، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الحنبلي المتوفّى سنة ٧٥١ هـ ، ويسمى أيضاً بالهَدْي » / المجلة ] .

تثقيل الدال . وعدتُ إلى طبعة قديمة لتاج العروس ( ١ : ٤ ) فإذا هي أيضاً ( والهدى ) . وأظن أنه تحريف من الناسخ ، والصواب « الحمام الهُدَّى » بحذف الواو وتثقيل الدال .

والهُدَّى جمع الهادي ، وهي صفة للحمام . ونظير هذا الجمع ( الغُزَّى ) جمع الغازي ، والعُفَّى جمع العافي .

فمن استعمال ( الهُدَّى ) ماجاء في كتاب القيان : « فكتبتُ كتاباً وصلته بجناح طائر مع الهُدَّى كان معها ، أرسلته تعلم أم جعفر ذلك » ( رسائل الجاحظ ٢ / ١٥٧ ت . عبد السلام هارون ) ، وأظن أن ( مع ) بعد ( طائر ) تحريف ( من )[2] .

ومن استعمال ( الغُزَّى ) قوله تعالى ﴿ إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غُزَّى ﴾ [ سورة آل عمران / ١٥٦ ] .

ومن استعمال ( العُفَّى ) قولُ أعشى همدان[3] ( الجليس الصالح ١ : ٤٠٢ ـ ٤٠٤ ) :

ومــا أُنْعِشَ العفَّى إذا مــا تراءى وجــهُ دهرهم عبوســا

---

[ (2) الذي جاء في رسائل الجاحظ ( ٢ : ١٥٧ ط القاهرة ١٩٦٥ م ) : « وصلته بجناح طائرٍ من الهُدَّى كان معها .... » وعلّق الأستاذ عبد السلام هارون بقوله : « الهُدَّى : جمع هاد ، وهو الحمام المدرب الذي يسمّى حمام الزاجل . انظر حواشي الحيوان ٢ : ٧٩ والحيوان ٣ : ٢١٣ ، ٢١٧ » / المجلة ] .

[ (3) القائل أحد فرسان الجاهلية من قبيلة مهرة ، ولم يذكر عوانة بن الحكم الكلبي راوي الحديث اسمه ، وإنما ساق خبره مع جد أعشى همدان ورجل آخر من همدان اسمه أشوع بن أبي مرثد .

والبيت المذكور من قصيدة قالها هذا الفارس الجاهلي يخاطب بها الهمدانيين المذكورين ، وكانا مغوارين فاتكين / المجلة ] .

قال مؤلف الجليس الصالح معافى بن زكريا النهرواني في تفسير البيت : « جمع العافي : عُفًى على وزن فُعَّل ، مثل غازٍ وغُزًّى ، وهادٍ وهُدًّى .... ومثله في الصحيح : راكع ورُكَّع » .

٢ ـ وأيضاً يقال في جمع الهادي : الهُدّاء بالمد . جاء في الحيوان ( ٢ : ٧٩ ) : « وزعم أن الحمام الهُدَّاء انما هو في الخصر والنمر » ، وأظن أن ( الخصر ) بالخاء المعجمة والصاد المهملة تصحيف ( الخضر ) بالمعجمتين ، أي السود[4] . وكان المحقق الأستاذ الفاضل عبد السلام هارون رآها في الأصول ( الهدا ) فأحسن إذ جعلها ( الهُدّاء ) بالهمز ، وقال في حاشية له : « ويظهر أن القصر والمدّ لغتان جائزتان فيها » .

قلت : ونظير الهُدّاء بالمد الغُزّاء جمع غاز . قال الطوسي في تفسير التبيان ، بعد أن ذكر أن غُزّى جمع غاز : « ويجوز غُزّاء بالمدّ ، كخارب وخُرّاب ، وكاتب وكُتّاب » ( سورة آل عمران / ١٥٦ ) .

٣ ـ وأيضاً يقال في الجمع ( الحمام الهوادي ) ، وممن استعملها الجاحظ في الحيوان ( ٣ / ١٤٧ ) ، وذلك كالغوالي جمع الغالي ، والبواقي جمع الباقي .

٤ ـ وأظن أن الهادي صفة لهذا الطائر ، معناها المهديّ ، أي هي فاعل بمعنى مفعول ، لأنه هُدي لطريقه بالتدريب ، وهذا على القلب . قال الفراء في كتابه معاني القرآن ( ٢ / ٣٠٤ ) في قوله تعالى : ﴿ أن

[ (4) لعل ( الخصر ) بعجمة فمهملة غلط مطبعي . فقد جاءت ( الخضر ) بمعجمتين على الصواب في الحيوان ـ الطبعة الثالثة . وجاء في الحيوان ( ٣ : ٢٤٥ ط ٣ ) وهو يتحدث عن ألوان الحمام : « إلا أن الهداية للخضر والنمر ..... وكما أن عقول سودان الناس وحمرانهم دون عقول السمر ، كذلك بيض الحمام وسودها دون الخضر في المعرفة والهداية » / المجلة ] .

يهديني سواء السبيل ﴾ [ سورة القصص ـ ٢٢ ] : « وقوله أن يهديني سواء السبيل : الطريق الى مدين ، ولم يكن هادياً لطريقها » ، أي مهدياً لطريقها[5] .

٥ ـ والحمام الهُدَّى ، وأيضاً يقال لها حمام الزاجل ، هي التي تدرَّب على حمل الرسائل من موضع إلى موضع . قال الجاحظ في الحيوان ( ٢ / ٧٩ )[6] : « وهنَّ اللائي يدرِّبن ويُرفعن من مرحل إلى مرحل حتى يجئن من البعد من بلاد الروم وعريش مصر ودون ذلك من مواضع كثيرة مسماة » .

قلت : قوله ( مرحل ) في الموضعين ، بالراء والحاء المهملتين ، أظنها تصحيف ( مزجل ) بالزاي والجيم ، وهو موضع إرسال الحمام الهُدَّى . قال الليث : « والزجل : ارسال الحمام الهادي من مزجل بعيد » ( تهذيب اللغة للأزهري ١٠ / ٦١٦ )[7] .

ومن هذه المواضع خشبات . قال فيها الصغاني في التكملة والذيل والصلة : « وهي موضع وراء عبَّادان على بحر فارس ، يُطلق منه الحمام غُدوة فتأتي بغداد العصر . وبينها وبين بغداد أكثر من مئة فرسخ[8] » ( مادة ـ خشب ) .

---

[ (5) ذكر اللغويون أن هدى لازم متعد ، وأن هدى اللازم واهتدى بمعنى يقال : هديته فهدى أي اهتدى ( انظر اللسان وتاج العروس ) / المجلة ] .

[ (6) لعله سبق قلم من الكاتب . فصاحب النص المذكور هو ابن سيده في كتابه المخصص ( ٨ : ١٧٠ ) ، وقد أورد قسماً منه الأستاذ عبد السلام هارون في حاشيته على كتاب الحيوان ( ٢ : ٧٩ ) / المجلة ] .

[ (7) انظر النص الذي نقله الأزهري عن الليث في كتاب العين المطبوع ببغداد ( ٦ : ٦٧ ) / المجلة ] .

[ (8) يقول الجاحظ ( الحيوان ٣ : ٢١٤ ـ ٢١٥ ) : « وللحمام من حسن الاهتداء ، وجودة الاستدلال ، وثبات الحفظ والذكر ، وقوة النزاع إلى أربابه ، والإلف لوطنه ماليس =

وأخبرني بعضهم أنه في نحو سنة ١٩٢٨ وقع طائرٌ من الحمام الهُدَّى في دارهم ببغداد وكان بلغ منه الإعياء مبلغه ، فأمسك به فرحاً ليلعب به ، وكان يومئذٍ طفلاً ، فوجد رسالة في رجله أو جناحه ـ والشكّ مني ـ فأخبر أباه[٢] ، فاذا هي من حاجٍّ إلى أهله بالموصل ، يخبرهم فيها أنه بلغ المدينة المنوّرة . فأبقاه أبوه يوماً عندهم ليستريح ، وأطعمه وسقاه ، وأرسله من الغد رجاة أن يصير إلى الموصل .

**لندن ١٤ / ١١ / ١٩٨٤ م**

---

= لشيء . وكفاك اهتداءً ونزاعاً أن يكون طائرٌ من بهائم الطير يجيء من برغمة لابل من العليق ، أو من خرشنة ، أو من الصفصاف ، لابل من البفراس ، ومن لؤلؤة » . ويقول ( الحيوان ٣ : ٢٢٧ ـ ٢٢٨ ) : « ومن كرم الحمام الإلفُ والأنس والنزاعُ والشوق ، وذلك يدل على ثبات العهد ، وحفظ ما ينبغي أن يحفظ ، وصون ما ينبغي أن يصان .... فنجده يُرْسَلُ من موضع فيجيء .... فيرسل إلى أبعد من ذلك فيجيء ، ثم يُصنع به المرار الكثيرة ، ويزاد في الفراسخ ، ثم يكون جزاؤه أن يُغَمَّر به من الرقة إلى لؤلؤة فيجيء » / المجلة ] .

(٢) هو القائد العسكري حميد رأفة رحمه الله ، وكان درَّس الملك غازياً رحمه الله في الكلية العسكرية ببغداد .

# المناهج الدراسيّة العربية

## في جامعات كيرالآ

الدكتور : إ . ك . أحمد كوتي

جامعة كاليكوت

في مقالة لي نشرت في عدد سابق من هذه المجلة[1] كنت قد بحثت عن دراسة اللغة العربية وتطوّرها ورواجها في أرجاء ولاية كيرالا[2] (Kerala) من جنوب الهند بحثاً مفصلاً بعض التفصيل . وفي هذه المقالة أريد أن أتحدث عن مناهج دراسة اللغة العربية الشائعة في جامعات كيرالا ، وأدرسها دراسة تحليليّة . وغرضي من هذا البحث أن أطلِع أخواننا العرب على وضع دراسة اللغة العربية في بلد أعجمي ككيرالا من الهند وألفت أنظارهم إلى المشاكل والمشاق التي نواجهها نحن غير العرب في سبيل دراسة اللغة العربية وتدريسها في جوّ غير عربي ، وخاصة بالنسبة إلى المناهج والطرق والكتب الدراسية على المستوى الجامعي . ويضيق بنا المقام أن أتحدث عن مناهج دراسة اللغة العربية التي تتبع في جامعات كيرالآ في جميع مراحل تدريسها . فلذلك أقتصر على التحدث عن المناهج الدراسية العربية المعمول بها في جامعات كيرالآ على مستوى التبريز ( الماجستير ) ، أي في مقررات م . أ . (M.A.)و م . فل . (M.phil) . وأما الإجازة ( البكالوريوس ) وما دونها من المقررات فلا أريد التعرض

---

(١) مجلد ٥٧ ج ١ و ٢ .

(٢) كيرالا (Kerala) احدى ولايات الهند الاثنتين والعشرين ، وهي أصغرها مساحة ، تقع في أقصى جنوب الهند ، ويبلغ عدد سكانها ٢١ مليوناً ، والمسلمون منهم ١٩ ٪

لبحثها في هذه المقالة . كما أستثني من نطاقها أيضاً الدراسات والبحوث على مستوى ب . اتش . دي (Ph.D.) لأنه موضع يتطلب دراسة مستقلة .

**مقرر م . آ . ومناهجه الدراسية :**

فنتكلم اولاً عن مقرر م . أ . (M.A.) ومناهجه الدراسية . تُجرى مقررات م . أ . (M.A.) في اللغة العربية وآدابها في خمسة أماكن ـ أربع كليات وقسم جامعي . وهي : كلية الفاروق بفروق ( Farook college, feroke ) وكلية مامباد بمامباد (Mampad College, Mampad) ، وكلية الجامعة بترفاندرم (university college, trivandrum) ، وكلية مهاراجا بأرناكولم . كوشن (Maharajás college, Ernakulam, Cochin) ، وقسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت (University of Calicut) . وان مقررات م . أ (M.A.) في كلية الفاروق وكلية مامباد ، وقسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت منتسبة الى جامعة كاليكوت (University of Calicut) في حين أن مقرر م . أ . في كلية الجامعة بترفاندرم ملتحق بجامعة كيرالا (University of Kerala) . وأما مقرر م . أ . في كلية مهاراجا بأرناكولم فيقع تحت نطاق سلطة جامعة غاندجي بكوتايم ( Çandhiji University, kottayam ) وهي جامعة افتتحت حديثاً[٣] فيلاحظ هنا أن المناهج والكتب الدّراسية لهذه المقررات كلها متماثلة تقريباً إلا أنها تدرس في جامعة كاليكوت باللغة العربية نفسها أي بالطريق المباشر . في حين أنها

(٣) هذه الجامعات الثلاث ـ أي جامعة كاليكوت ، وجامعة كيرالا ، وجامعة غاندجي ـ هي اللاتي توفر الفرصة لدراسة اللغة العربية وآدابها . وهناك في كيرالا جامعتان اخريان ولكن لاتدرّس فيها اللغة العربية .

تدرس في الجامعتين الأخريين باللغة الانكليزية ، أي بالطريق غير المباشر وهذا فرق كبير ، لاشك .

ولأنه ليس هناك اختلاف كثير بين مناهج م . أ . (M.A.) في جامعات كيرالآ المختلفة أتناول بالدّرس المنهج الدراسي الأحدث في جامعة كاليكوت كنموذج ، فأحللها تحليلا يبرز محاسنها ومساوئها ، ويساعدنا على أن نقدّر مدى نجاحها وفعاليتها وتحقيقها لأهدافها المطلوبة .

تنقسم المناهج الدراسية لـ م . أ . (M.A.) لجامعة كاليكوت إلى تسعة اوراق . أي مواد ، تدرس الأربعة منها في السنة الأولى والخمسة الباقية في السنة الثانية . وفي نهاية كل سنة امتحان عام ، ومع كل امتحان اختبار شفهي .

**الورق الأول :** النثر القديم (classical prose)

يشتمل على سورة البقرة من القرآن الكريم ، وكتاب الادب من صحيح البخاري ، وعشرة خطب من نهج البلاغة ، وبعض الصفحات من الجزء الأول من كتاب البيان والتبيين للجاحظ .

**الورق الثاني :** الشعر الحديث (modern poetry)

تدرس فيه مختارات من الشوقيّات ومن ديوان حافظ ابراهيم ، وبعض الأشعار لمعروف الرصافي ، والعقاد ، والمازني ، وأبو شادي ، وابراهيم ناجي ، وعمر أبو ريشة ، وايليا أبو ماضي مقتطفة من كتاب An Anthology of Modern Arabic Verse لـ م . م . بدوي (M.M.badawi) .

**الورق الثالث :** النحو والبلاغة وعلم العروض

يحتوي على النحو الواضح ( الثانوي ) ، والبلاغة الواضحة ، كلاهما لعلي الجارم ومصطفى أمين ، والعروض الواضح في أوزان الشعر لممدوح حقي .

**الورق الرابع :** تاريخ الاسلام وثقافته ـ
كتبه الدراسية : حياة محمد لمحمد حسين هيكل ، ومحاضرات في تاريخ الأمم الاسلامية لمحمد الخضري .

**الورق الخامس :** النثر الحديث (Modern Prose)
تشتمل على « المعذبون في الأرض » لطه حسين ، و « مسرحيّة أهل الكهف » لتوفيق الحكيم ، والعبرات للمنفلوطي ، وبعض الفصول من « حياتي » لأحمد أمين .

**الورق السادس :** الشعر القديم (Classical Poetry)
تُعلم فيه معلقات امرئ القيس وزهير ولبيد ، وقافية النون من ديوان المتنبي ، وقصيدتان من ديوان أبي نواس ، وقصيدتان من اللزوميّات للمعرّي ، ومائتا بيت من باب الحماسة من كتاب الحماسة لأبي تمام .

**الورق السابع :** النقد الأدبي (Literary Criticism)
كتبه الدراسية : مقدمة كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ، وكتاب النقد الأدبي لأحمد أمين .

**الورق الثامن :** تاريخ الأدب العربي ـ
يحتوي على تاريخ الادب لأحمد حسن الزيات ، وتاريخ الأدب العربي لحنا فاخوري .

**الورق التاسع :** وهو الأخير : المقالة (essay) .

يُطلب فيه من الطالب إنشاءَ مقالتين إحداهما عن موضوع تتعلق بالأدب العربي القديم والأخرى عن موضوع من الأدب العربي الحديث ، والترجمة من العربية الى الانكليزية وبالعكس .

وهناك في المنهج الى جانب هذه الكتب الدراسية الاجبارية كتب للمراجعة (for reference) ، فللطلاب أن يطالعوها للحصول على مزيد من المعلومات علاوة على التي تحصل من الكتب الدراسية المفروضة .

ومن هذه النظرة الخاطفة الى المناهج الدراسية لمقرر م . أ . (M.A.) بجامعة كاليكوت يتضح لنا حقيقة هي أن هذه المناهج - ولو تحسنت كثيراً في هذه الأيام بالنسبة الى ما قبل - لاتزال تقليديّة غير تقدّمية ، ليس فيها كثير من الابتكار أو التجديد . وهي ناقصة من جهة الأدب العربي الحديث . ولا أنسى أن فيها عناصر كثيرة من الأدب الحديث ، خصوصاً في مادتي الشعر الحديث ، والنثر الحديث . ولكنها لاتلقي ضوءً كافياً على الوضع الحديث للأدب العربي ولا تساعد الطلاب على التعرف على أحدث الاتجاهات والتطورات والنزعات في مجال الأدب العربي . وهي أيضاً لاتُمكنهم من إتقان اللغة العربية كلغة معاصرة حية وأن يتناولوها كتابة وخطاباً بسلاسة وطلاقة كما يُتوقع من طلاب الماجستير .

وإذن ، لابد من التحسين والتعديل في تلك المناهج الدراسية لكي تتحقق أهدافها المقصودة . ولبلوغ هذه الغاية يجب ، قبل كل شيء ، أن يلغى التقسيم التقليدي الحالي للمواد المدرّسة ، أي التقسيم إلى النثر القديم ، والنثر الحديث ، والشعر القديم ، والشعر الحديث ، وتاريخ الأدب .... الخ . فلا بد أن يكون التقسيم علميّا وعمليّا وباعتبار الخصائص الفنية للمواضيع المدرّسة ، مثلاً ، يكون من الخير أن تقسم المواد

الى الرواية ، والمسرحية ، والشعر ، وعلم اللغة ، ودراسة خاصة لكتاب أو كاتب .... الخ . لِمَ نحافظ في مناهج التبريز ( الماجستير ) الدراسية على تلك المواضيع التي قد درسها أو تعرف عليها الطلاب في فصول الإجازة ( البكالوريوس ) ، مثل تاريخ الأدب العربي ، وتاريخ الإسلام ؟ فمن الخير أن تترك تلك المواد في المناهج الدراسية لـ م . أ . (M.A.) وتوضع في مكانها مواد جديدة لم يتعلمها الطلاب في فصول البكالوريوس ويحتم دراستها على مستوى الماجستير ، مثلا ، علم اللغة (Linguistics) ، وهذا الموضوع مندرج في مناهج الماجستير الدراسية لسائر اللغات في جامعات كيرالا . ولكنه لا يوجد في المناهج الدراسية العربية فقط . وقد يظن البعض أن علوم النحو والبلاغة تحل محله فلا حاجة الى تدريس علم اللغة بذاته . وهذا الرأي ليس بصحيح . قد تكون علوم النحو والبلاغة جزء من علم اللغة ولكنها ليست كله ولا تسدُّ مسده . فلذلك يجب تدريس علم اللغة كموضوع خاص . وإذا لم يمكن إدخاله في المناهج الدّراسية كمادة مستقلة فمن الممكن أن يجمع مع مادة أخرى ، مثلاً ، يمكن أن يجمع بين النحو والبلاغة ، وعلم اللغة في ورق (paper) واحد أو أن يجمع بين علم اللغة ، وتاريخ الأدب في مادة واحدة .

ومن المستحسن أيضاً أن تكون في المناهج مواضيع اختيارية ( Optional Subjects ) في ورق واحد على الأقل ، وذلك أن الطالب يؤذن له أن يختار موضوعاً يرضاه من عدة مواضيع في ورقه ، مثلاً في الورق التاسع يختار الطالب واحداً من الآتي : الإنشاء ، ودراسة خاصة لمؤلف أو كتاب ، واللغة الصحافية .

إن تعديل المناهج الدراسية وحده لا يحسّن الوضع الحالي للدراسة

العربية على مستوى الماجستير . ولابـد من التعـديل والتنقيح ، لاشـك . ولكن ، مـع ذلـك ، لابـد من تحسين طرق التـدريس ( Teaching Methods ) . فأول شيء يخطر ببالنا بهذا الصدد مشكلة واسطة التدريس (Medium of Instruction) . ومما لا يقبل الجدل أن اللغة أياً كانت تنبغي دراستها وتدريسها بواسطة تلك اللغة نفسها . ولكن لسوء الحظ قد أهملت هذه القاعدة الأساسية بالنسبة لتدريس اللغة العربية في جامعات الهند حيث تدرّس اللغة العربية حتى في مقرر الماجستير في اللغات الأخرى ـ الانكليزية أو الأوردية (Urdu) أو اللغة المحلية ـ والاستثناء الوحيد لهذا ـ بقدر ما أعرف جامعة كاليكوت حيث تدرس اللغة العربيّة في مقرر الماجستير بالطريق المباشر ، أي باللغة العربية ذاتها . إذا نريد تحسين مستوى التعليم العربي وترقيته فلا بد من أن تدرس اللغة العربية بالطريق المباشر (Direct Method) لا بالطريق غير المباشر ( Indirect Method ) أو بطريق الترجمة ( Translation Method ) . وليس التحويل من الطريق المباشر الى الطريق غير المباشر أمراً عسيراً شريطة أن نكون مصممين على إنجازه . وأظن أن أكبر عائق في سبيل تحقيق هذه الغاية مُركّب نقص يشعر به أكثر مدرسي اللغة العربية في الكليات والجامعات في بلاد الهند ـ وهم يظنون انهم لا يقدرون على أن يعلّموا طلابهم اللغة العربية بالطريق المباشر ، أي بواسطة اللغة العربية نفسها لأنهم لا يحسنون العربية تحدثاً وكتابة . وفي الحقيقة أن هذا الاعتقاد ليس إلا وهماً لا أساس له وتُكذبه التجارب . وكذلك يخاف البعض أنه إذا حُولت واسطة التدريس من اللغات الأخرى الى اللغة العربية نفسها ينقص عدد الطلاب الذين يُقبلون على دراسة اللغة العربية لما يجدون من الصعوبة في تعلّمها . وهذا أيضاً اعتقاد خاطئ لاحقيقة له .

ولا أنسى أن الطلاب والأساتذة يجدون بعض المشقة في بداية الأمر عند تغير الواسطة الدراسية من الانكليزية أو الاوردية إلى العربية نفسها ، ولكنها ظاهرة مؤقتة تغيب بعد مدة . وهذه تجربتنا في جامعة كاليكوت حيث تدرس اللغة العربية بالطريق المباشر .

ومشكلة أخرى في هذا المجال أن الطلاب الذين يلتحقون بمقرر الماجستير بعد أن درسوا اللغة العربية بطريق غير مباشر في مرحلة الإجازة سيعانون مشقة حينما ينتقلون إلى الطريق المباشر في مقرر م . أ . (M.A.) . ويمكن أن تُحل هذه المشكلة بتطبيق الطريق المباشر للتعليم العربي في فصول الإجازة ( البكالوريوس ) أيضاً ، في بعض المواد الدراسية على الأقل ، إن لم يكن في كلها .

**مقرر م . فل . (M.Phil.) ومناهجه الدراسية :**

والآن نتحدث عن مقرر م . فل (M.Phil.) ومناهجه الدراسية . ويُجرى هذا المقرر في قسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت فقط في كيرالا . ان ( م . فل . ) مقرر متوسط بين الماجستير (M.A.) والدكتوراه فيعد الطالب ويؤهله ليلتحق ببرنامج الدكتوراه (Ph.D)

تشتمل المناهج الدراسية لـ م . فل . (M.Phil.) بجامعة كاليكوت على المواد التالية :

١ ) **الورق الأول : منهج البحث** ( Methodology of Research )

كتبه الدراسية :

1 ) Thesis and Assignment Writing by Anderson

2 ) Form and Style by Campbell

٢ ) **الورق الثاني : تطور الأدب العربي في العصر الحديث :**

كتبه المدرّسة :

١ ) في الأدب الحديث لعمر الدسوقي .

٢ ) الأدب العربي المعاصر في مصر لشوقي ضيف .

٣ ) تطور الشعر الحديث للدكتور ماهر حسن فهمي .

٣ ) **الورق الثالث : الموضوع الخاص** (Special Paper)

موضوع هذه المادة ينبغي أن يكون متعلقاً بموضوع الأطروحة (Dissertation) . وقد يكون مختلفاً من طالب إلى طالب .

٤ ) **الأطروحة** (Dissertation) يقدمها الطالب بعد الامتحان النهائي بقليل . يختار كل طالب موضوعه الخاص للاطروحة بالمشاورة مع الأستاذ المشرف عليها .

وهذا المقرر يستغرق سنة واحدة يُجرى في نهايتها امتحان مكتوب ، وآخر شفهي .

وهذا المنهج ، كما يظهر ليس برديء ، بل هو حسن وان لم يكن جيداً جداً . ولكن تجربتنا بهذا المقرر الدراسي في قسم اللغة العربية بجامعة كاليكوت تجعلنا نشك في فعاليته وتحقيقه لأهدافه المطلوبة . وليس ذلك بسبب أي خلل في مناهجه الدراسية ، بل يرجع الى قلة اهتمام الطلاب بهذا المقرر وعدم جديّتهم . وأكثرهم يلتحقون به بعد اجتيازهم لـ م . أ (M.A.) لأنهم لم يحصلوا على أي وظيفة يرتزقون منها ، ولأنهم يحصلون على بعض المال عن طريق المنحة الدراسية فلا يأخذون دراساتهم بعين الجديّة والاهتمام ، بل يقضون اوقاتهم كسالى . ولا أقول ان طلاب ( م . فل ) كلهم على هذا الحال ومنهم من يهتمون بدراساتهم غاية الاهتمام .

ومشكلة أخرى هي ما يتعلق بالأطروحة (Dissertation) . وكما تقدم ، على الطالب أن يقدّم الأُطروحة في نهاية مقرره الدراسي . وحسب قوانين جامعة كاليكوت الحالية يسمح للطالب أن يقدم اطروحته خلال ستة أشهر بعد الامتحان النهائي . ولكن أكثر الطلاب لا يقدمونها خلال المدة المعينة ويؤخرونها تأخيراً بلا نهاية . وهذا يسبّب مشاكل كثيرة لسلطات الجامعة والطلاب أيضاً ، من أكبرها تأخر اعلان نتائج الامتحان . والحل الوحيد لهذه المشكلة هو أن تُغير القوانين بحيث يُطلب من الطلاب أن يقدموا الاطروحة قبل الامتحان العام ، أي في أثناء المقرر الدراسي .

**« مقرر ما بعد أفضل العلماء » ومناهجه الدراسية :**

في كيرالا معاهد علمية عربية إسلامية تسمى بـ « الكليات العربية » ( Arabic Colleges ) وهي مختلفة عن الكليات الرسمية في أنها تعتني بالدراسات العربية والاسلامية على وجه خاص دون سواها من العلوم . وهذه الكليات مقرة من قبل الحكومة ومنتسبة الى الجامعة . وتُمنح للمتخرجين منها شهادةٌ جامعية تسمى بـ « أفضل العلماء » .

ولم يكن للذين حصلوا على هذه الشهادة فرصة للتعليم العالي في الأيام الماضية . ولكن الآن قد افتتح مقرر جديد في إحدى الكليات العربية تحت جامعة كاليكوت لتوفير فرصة التعليم العالي للذين نالوا شهادة « أفضل العلماء » ، يسمى « مقرر ما بعد أفضل العلماء » ( Post-Afdalul Ulama Course ) . وهذا المقرر يستغرق سنتين يمكن أن يلتحق به حاملو شهادة « أفضل العلماء » . وهو ينزل منزل الدبلوم بعد التخرج (Post Graduate Diploma) ، فلذلك يمكن أن يُعتبر عديلا لمقرر

م . أ (M.A.) ولو لم يصرح بمعادلته لـ ( م . أ . ) من قبل سلطات الجامعة بعد . فجدير بنا أن ننظر في مناهجه الدراسية نظراً مجملاً اعتباراً بأنها تعادل المناهج الدراسية للماجستير في اللغة العربية (M.A.)

يهدف مقرر « ما بعد أفضل العلماء » الى التخصص في أي مجال من المجالات المذكورة أدناه ، فللطالب أن يختار واحداً منها : ١ ) الأدب العربي القديم ٢ ) الأدب العربي الحديث ٣ ) تاريخ العرب وثقافتهم . وكل واحد من هذه التخصصات يشتمل على سبع مواد ( أوراق ) .

**اما التخصص في الأدب العربي القديم ( Classical Arabic Literature ) فأوراقه ما يلي :**

١ ) القرآن ( الأول ) ـ الآيات والعبر في القرآن .

٢ ) القرآن ( الثاني ) ـ الأحكام في القرآن .

٣ ) الحديث .

٤ ) الفقه وأصول الفقه .

٥ ) النثر العربي .

٦ ) الشعر العربي .

٧ ) علم اللغة والفيلولوجيا (Linguistics and PHilology) .

**والتخصص في الأدب العربي الحديث يحتوي على مواد تالية :**

١ ) النثر العربي .

٢ ) الشعر العربي .

٣ ) الأدب الجدلي (Polemical Literature) .

٤ ) النقد الأدبي .

٥ ) تاريخ الأدب العربي .

٦ ) اللغة الصحافية (Journal Language) .

٧ ) المقالة (Essay) .

والتخصص الثالث أي تاريخ العرب وثقافتهم( History and Culture of the Arabs ) يحتوي على المواضيع الآتية :

١ ) تاريخ العرب وثقافتهم من الجاهلية إلى انتهاء الخلافة الراشدة .

٢ ) تاريخ العرب وثقافتهم في العهد الأموي .

٣ ) تاريخ العرب وثقافتهم في العهد العباسي .

٤ ) تاريخ الاسلام وثقافته في الأندلس .

٥ ) تاريخ الاسلام وثقافته في إفريقيا وصقلية .

٦ ) علاقات العرب بالهند .

٧ ) تاريخ الاسلام وثقافته في القرنين التاسع عشر والعشرين .

ولا أريد أن اذكر هنا الكتب المدرّسة وغيرها من تفاصيل المناهج الدراسية لـ « مقرر ما بعد أفضل العلماء اجتناباً لطول المقالة . فأكتفي بأن أقول انها أغزر مادة وأرقى مستوى من المناهج الدراسية لـ م . أ . (M.A.) ويُلاحظ أيضاً أن هذا المقرر يدرس بالطريق المباشر ( Direct Method ) أي باللغة العربية نفسها وأن الطلاب لا يعانون مشقة في ذلك لأنهم قد تعلموا في « مقرر أفضل العلماء » باللغة العربية نفسها . على أننا لا نستطيع الآن أن نحكم على هذا المقرر ومناهجه الدراسية بالنجاح أو الإخفاق لأنه مقرر جديد قد افتتح حديثاً لم تظهر ثمراته بعد . ولكن يمكننا أن نقول ان هذا المقرر إذا لم يُعَادَل بينه وبين مقرر الماجستير (M.A.) في اللغة العربية لا يوفّر فرص التوظيف للمتخرّجين منه .

**خاتمة :**

من هذه العجالة عن المناهج الدراسية الشائعة في جامعات كيرالا على مستوى الماجستير يتضح لنا أنها في حاجة ماسة الى التحسين والتحديث . فعلى سلطات الجامعات أن ينظروا في هذا الأمر بعين الجدية والاهتمام البالغ ويتخذوا الاجراءات اللازمة بهذا الصدد من فورهم . ولكن ، قبل كل شيء ، لابد أن تأتي المبادرة من مدرسي اللغة العربية في الجامعات والكليات انفسهم . فهل ينهضون بهذه المسؤولية ؟

# القصيدة اليتيمة والدوقلة

عبد القادر زمامة

ألفنا في تاريخ الأدب العربي أن نجد بعض القصائد شهرت بأسماء عرفت بها عند الرواة والمؤلفين في مختلف العصور ، ويشمل ذلك قصائد بأعيانها لشعراء معروفين أو مجهولين ، كما يشمل مجموعات معينة تشترك في خاصة ما اعتبرها الرواة والمؤلفين في الأدب العربي سبباً للتسمية .

فإلى جانب القصائد التي سميت بالمعلقات ، وتحت هذا الاسم حُفظت ورُويت ودونت وشرحت ، نجد أبا زيد القرشي في الجمهرة يذكر مجموعات من القصائد يبلغ تعدادها سبع مجموعات ، وكل مجموعة تضم سبع قصائد . وقد سمّى كل مجموعة اسماً خاصاً بها . فهناك المعلقات ، والمجمهرات ، والمنتقيات ، والمذهبات ، والمراثي ، والمشوبات ، والملحمات .

---

● [ حظيت القصيدة اليتيمة بدارسين كبار عُنوا بتحقيقها ونشرها وتخريج أبياتها . نذكر منهم :

ـ الدكتور صلاح الدين المنجد : القصيدة اليتيمة برواية القاضي التنوخي ( ط٢ ، بيروت١٩٧٤ م )

ـ الأستاذ زكي ذاكر العاني : ديوان علي بن جبلة / العكوك ( بغداد ١٩٧١ م )

ـ الدكتور حسين عطوان : شعر علي بن جبلة / العكوك ( مصر ١٩٧٢ م )

ـ الأستاذ عبد الله الجبوري : ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره ( بيروت ١٩٨٤ م ) / المجلة ]

والجاحظ في البيان والتبيين[1] يحدثنا عن الأشعار المنصفة التي كان المربديون والمسجديون في عصره يروونها ، ويعدون من لم يروها ليس من الرواة المعتد بروايتهم .

وفي معركة المفاخرات والمهاجاة الثلاثية بين جرير والفرزدق والأخطل ظهر اللون الشعري المسمى بشعر المناقضات . واختار الرواة من قصائد هذا اللون قصائد سموها بأسماء خاصة عرفت بها في كتب الأدب ... .

والطريف في هذا الباب أن نجد المفكر الأديب محمد بن داود الظاهري الاصفهاني المتوفى سنة ٢٩٧ هـ في كتابه الزهرة يقول : « الشعر الذي لا تشبيب له يلقب بالحصي . وتسمى القصيدة منه البتراء[2] » .

وتتبُّع هذه الظاهرة يقتضي منا تتبعا لعدة أنواع من التسمية وأسبابها في موضوع القصيدة وشكلها وبحرها وقافيتها وما إلى ذلك .

بيد أننا بصدد الحديث عن قصيدة معينة اشتهرت باسم : اليتيمة ، نسبت قديماً وحديثاً إلى عدة شعراء ، ومنهم هذا الذي يسميه بعض الرواة بهذا الاسم الغريب : الدوقلة .

وأريد قبل الحديث عن هذه اليتيمة وصاحبها ، أن أشير إلى أن المفضل الضبي اختار في كتابه : « المفضليات » قصيدة للشاعر المخضرم سويد بن أبي كاهل اليشكري عرفت باسم : اليتيمة مطلعها :

رب من أنضجت غيظا صدره قد تمنى لي موتا لم يطع

(١) البيان والتبيين ٤ : ٢٣ ، تح عبد السلام هارون .

(٢) الزهرة ١ : ٣٧٢ ( بيروت ١٩٣٣ م ) .

ويراني كالشجا في حلقه عسرا مخرجه ما ينتزع[٣]

واقتطف منها ابن قتيبة بعض الأبيات في كتابه : الشعر والشعراء[٤] .

أما القصيدة اليتيمة المنسوبة إلى هذا الدوقلة فهي قصيدة أخرى تباين قصيدة ابن أبي كاهل اليشكري شكلا ومضمونا ووزنا وقافية ، مطلعها :

هل بالطلول لسائل ردُّ أم هل لها بتكلم عهدُ
درس الجديد جديد معهدها فكأنما هي ريطة جرد

وهي كما تسمى بالقصيدة اليتيمة تسمى بالقصيدة الدعدية ، لأن صاحبها أطنب في الحديث عن دعد وخلقها وخلقها وهيامه بها .

ووجه تسمية هذه القصيدة بالقصيدة الدعدية ظاهر مما ذكرنا ، بخلاف تسميتها بالقصيدة اليتيمة فإنه يحتاج إلى ربطه بالمادة اللغوية اليتم ، ربطا حقيقياً أو مجازيا .

فالمادة اللغوية ـ بناء على ما في المعاجم ـ تعني في الأصل الانفراد ، واليتيم هو المنفرد . ومن هذا المعنى الأصلي ظهرت معان أخرى معروفة .

فهل روعي في وصفها باليتم أنها منفردة في بابها شكلا ومضمونا كما نقول في الجوهرة الكريمة النفيسة : إنها جوهرة يتيمة أو درة يتيمة . وكما نقول في البيت الشعري الجيد المعنى والمبنى : إنه بيت يتيم ، منفرد في بابه ، لا سابق له ولا لاحق ؟ .

---

(٣) المفضليات : ١٩٠ ، تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ١٩٤٠ م .

(٤) الشعر والشعراء ١ : ٣٨٤ ، تحقيق أحمد شاكر . القاهرة ١٣٦٤ هـ .

أم روعي في وصفها باليتم أنها غير معروفة النسبة المحققة إلى شاعر معين معروف تطمئن النفس إليه ، وتكون القصيدة من بنات قريحته وعبقريته الشعرية ؟ .

وسواء تحقق هذا الاحتمال أو ذاك فإن هذه القصيدة عرفت بالقصيدة الدعدية كما عرفت بالقصيدة اليتيمة .

ولعل من أقدم المصادر التي أشارت إلى بعض الأبيات من هذه اليتيمة وإلى الدوقلة المنسوبة إليه ، كتاب : التشبيهات الذي ألفه ابراهيم ابن أبي عون المقتول سنة ٣٢٢ هـ[٥] .

في حين أن مصادر نصوص الأدب العربي الشهيرة مثل كتب : الضبي ، والأصمعي ، والجاحظ ، وابن قتيبة ، والمبرد ، والأصبهاني ، وابن عبد ربه ، ـ فيما نعلم ـ لاتفيدنا بشيء عن هذه القصيدة ، ولا عن هذا الشاعر الملقب بهذا اللقب الغريب : الدوقلة .

فهل يعني هذا أن القصيدة إنما نظمت في عصر متأخر عن هؤلاء جميعا ؟ .

ولكن إشارة ابن أبي عون ـ وهو من أهل القرن الرابع[٦] كالأصبهاني وابن عبد ربه ـ تجعلنا في موقف التشكك والحيرة .

---

(٥) التشبيهات : ٩٧ ، تصحيح محمد عبد المعين خان ط . كمبردج ١٩٥٠ م .

(٦) [ وممن أشار الى القصيدة في القرن الرابع الهجري الامام أبو الفتح بن جني ( ت ٣٩٢ هـ )في كتابه الفسر الذي شرح فيه ديوان المتنبي ، فقد فسّر بيت أبي الطيب :

ونذيمهم وبهم عرفنا فضله وبضدها تتبين الأشياءُ

ثم عقب على ذلك بقوله : « وهذا كقول المنبجي :

ضدان لما استجمعا حسنا والضدُّ يظهر حسنه الضدُّ

=

وفي القرن السادس الهجري نجد القصيدة اليتيمة الدعدية من عيون الشعر العربي عند الرواة والمؤلفين . تحفظ ويعتنى بها . وتروى عن الشيوخ بالأسانيد في كتب الفهارس .

ويفيدنا بهذا مصدران : أحدهما أندلسي ، وثانيهما شامي . فالمصدر الأندلسي هو فهرسة ابن خير الأموي الأندلسي الإشبيلي المتوفى سنة ٥٧٥ هـ فهذا المؤلف يروي هذه القصيدة اليتيمة عن شيخه الإمام أبي بكر ابن العربي المعافري ، دفين فاس المتوفى بها سنة ٥٤٣ هـ بحكم روايته إياها عن شيوخه في المشرق . ويسمى ابن خير صاحب القصيدة اليتيمة باسم : الحسين بن محمد المنبجي ، الملقب بدوقلة ، كما أنه تلقى من شيخه ابن العربي أنها تنسب لسبعة عشر شاعرا[٦] .

والمصدر الشامي هو كتاب : المنازل والديار ، لمؤلفه الأمير أسامة بن منقذ المتوفى سنة ٥٨٤ هـ .

---

= وهذا بيت مدخول لبس ، لأنه ليس كل ضدين اذا استجمعا حسنا ، ألا ترى أن الحسن اذا قرن بالقبح بان حسنُ الحسن وقبحُ القبيح ، ولم يحسنا جميعا . وبيت المتنبي أسلم ، لأن الأشياء بأضدادها يضح أمرها .... » . انظر مصورة مخطوط الفسر في خزانة مجمع اللغة العربية بدمشق ، وكتاب الفسر ( ط بغداد ١٩٦٩ م ) ١ : ٩٠ .

ـ وقد عدّد محققو القصيدة اليتيمة طائفة من المصادر التي أوردت شطراً أو بيتاً أو أبياتاً منها ، فذكروا ( الى جانب المصادر التي أوردها الأستاذ صاحب المقال ) : الوساطة للجرجاني ، وبهجة المجالس لابن عبد البر ، وحماسة الظرفاء للعبدلكاني ، وشرح ديوان المتنبي للواحدي ، ومجموعة المعاني ، واللطائف والظرائف لأبي نصر المقدسي ، وتحرير التحبير لابن ابي الاصبع ، وكتاب الآداب لجعفر شمس الخلافة .

ـ وفي حاشية للأستاذ أحمد راتب النفاخ أنه قد ورد بيتان من القصيدة اليتيمة في البحر المحيط لأبي حيان ( ٢ : ٣٦ ، ٦ : ٣١ ) / المجلة ] .

(٦) فهرسة ابن خير : ٤٠١ ، ط . سرقسطة ١٨٩٣ م .

فقد روى أسامة بن منقذ من هذه القصيدة سبعة أبيات من أولها ، وهي المتعلقة بالأطلال ، لأنه يهمه في كتابه : المنازل والديار ، أن يقدم أحسن ما قيل في هذا الموضوع .

ويفيدنا ابن منقذ أن صاحب القصيدة هو سعيد بن حميد المنبجي المذحجي المعروف بالدوقلة[٧] . وهو بطبيعة الحال غير سعيد بن حميد الكاتب المشهور المتوفى أواسط القرن الثالث الهجري .

فالمصدران الأندلسي والشامي وإن كانا يتفقان في لقب الشاعر : الدوقلة ، فإنهما يختلفان في اسمه اختلافا كبيرا ، ولا يذكران شيئاً عن ترجمته ولا عن عصره .

وفي القرن السابع الهجري نجد أبا البقاء العكبري البغدادي المتوفى سنة ٦١٦ هـ في شرحه لديوان المتنبي عند شرحه لبيت المتنبي في قصيدته الهمزية التي مدح بها الكاتب المتصوف أبا علي هارون بن عبد العزيز الاوراجي :

ونذيمهم وبهم عرفنا فضله وبضدها تتبين الأشياءُ

يقول : قال أبو الفتح : هذا مأخوذ من قول المنبجي :

فالوجه مثل الصبح مبيض والشعر مثل الليل مسودٌّ
ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حسنه الضد[٨]

---

(٧) المنازل والديار ١ : ٢٢٢ - ٢٢٣ . بيروت ١٩٦٥ م ، وانظر ط . القاهرة ١٩٦٨ م ، ص ١١٦ ، تحقيق مصطفى حجازي .

(٨) العكبري . شرح ديوان المتنبي : ١ : ٢٢ ، ط . بيروت ، ١٩٧٨ م ، تحقيق مصطفى السقا ومن معه .

فأبو البقاء العكبري ينقل عن أبي الفتح ابن جني المتوفى سنة ٣٩٢ هـ ما ذكره من أخذ المتنبي معنى الشطر الثاني من بيته :

« وبضدها تتبين الاشياءُ »

من شطر بيت المنبجي :

« والضد يظهر حسنه الضد »

والمنبجي في كلام العكبري وابن جني يكون بطبيعة الحال هو : الدوقلة ، لأن البيتين اللذين ذكرهما ابن جني هما ضمن القصيدة اليتيمة الدعدية التي بين أيدينا .

ونجد في العصر الحديث علامة العراق السيد محمود شكري الألوسي في كتابه « بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب » يذكر من هذه القصيدة اليتيمة واحدا وعشرين بيتاً في الفصل الذي خصصه لما كان يستحسن من المرأة لدى العرب خلقا وخلقا ، مستشهداً بما ورد في هذه الأبيات مما يتعلق بهذا الموضوع ، ويقدم ذلك بقوله : « .... وفي الشعر الجاهلي كثير من أوصاف النساء المحمودة من ذلك قول بعضهم من قصيدة ... »

ويعقب على اختياره بقوله : « والقصيدة طويلة ، ولها قصة مشهورة »[٩] .

فالألوسي كان يعتقد أن القصيدة جاهلية ، لذلك استشهد ببعض أبياتها على ما كان العرب يستحسنونه من صفات المرأة خلقاً وخلقا .

أما إشارته إلى قصتها المشهورة ، فهو يعني بذلك تلك الأسطورة التي حيكت حول أميرة عربية يمنية أو نجدية كانت فصيحة اللسان قوية

---

(٩) بلوغ الأرب ٢ : ٢٠ ـ ٢١ ، القاهرة ط . الثالثة بدون تاريخ .

الجنـان ، أبت الزواج إلا من شـاعر تعترف بتفوقـه عليهـا . فنظم شـاعر فارس هذه القصيدة وقصدها إلا أنه نزل في طريقـه على شـاعر كانت لـه نفس الرغبة ، فلما علم بقصده قتله وانتحل القصيدة لنفسه وقصـد الأميرة ولكنه أخفق أمام امتحانها فأغرت به من قتله .

ولا يعنينـا هنـا الـوقـوف أمـام هـذه الأسطـورة التي هي من نسـج الخيال ، فالقصيدة ليست من الشعر الجاهلي في شيء : لا في روحهـا ولا في لغتها ولا في أسلوبها . نعرف ذلـك من دراسـة نصهـا والتمعن في ذلـك الرصف اللغوي الذي رصفت به الكلمـات والأبيـات والصفـات الجسـديـة للمرأة ، كما نعرفه في تلـك الحلـة التي أضفـاهـا الشـاعر على نفسـه في آخر القصيدة من العفة والمروءة والكرم ، مثل قوله :

ولقـــد علمت بـــأنني رجـــل     في الصـالحـــات أروح أو أغـــدو
سلمٌ على الأدنى ومرحمـــــــــةٌ     وعلى الحـوادث هـــادئٌ جلـــد
متجلببٌ ثـوبَ العفـــاف وقـــد     غفـــل الرقيب وأمكن الـــورد
ومجـــانبٌ فعـــل القبيـــح وقـــد     وَصَـل الحبيبُ وسـاعـد السعـد
منـــع المطـــــامـــع أن تثامني     اني لمعـولهـــا صفـــاً صَلْـــدُ

وينبغي ألا تغالطنا تلـك الإشـارات التي جـاءت في بعض الأبيـات مثل البيت الثاني والأربعين الذي يقول فيه :

إن تتهمي فتهـــــامـــــة وطني     أو تنجـــدي إن الهـوى نجـــد

وقوله في البيت السابع والخمسين :

والجَـــدُّ كِنْـــدَةُ والبنـــون هم     فـــزكا البنـــون وأنجب الجـــد

فإن ناظم القصيـدة رصف اللغـة رصفـاً وسبـك الأبيـات سبكاً وكان يملك طاقة شعرية ودرايـة أدبيـة تمكن بها من حشـد المعاني والإشـارات

حشدا كما يفعل فحول الشعراء في العصر العباسي .

وينبغي هنا ونحن نتحدث عن القصيدة اليتيمة ألا نغفل المقالتين المفيدتين اللتين كتبها العلامة الهندي المرحوم عبد العزيز الميمني الراجكوتي . حول هذه القصيدة في مجلة : الزهراء[١٠] .

وعملَ المرحوم الراجكوتي لفت الأنظار إلى هذه القصيدة بحثا عن نصها الكامل . وبحثاً عن صاحبها الحقيقي . وقد نشر نصها ( باستثناء الأبيات المتعلقة بوصف بعض أعضاء دعد ) المرحوم محب الدين الخطيب صاحب مجلة الزهراء . في كتابه : الحديقة .[١١] ونسبها الى دوقلة المنبجي .

وكذلك اختارها الأستاذ أنيس المقدسي في كتابه : المختارات السائرة نموذجا للشعر الذي ينبغي أن يدرس لأنه يمثل خصائص لفظية ومعنوية ...[١٢] ونسبها إلى دوقلة .

ثم تتابع ذكرها في الدراسات الأدبية المتعلقة بالعصر العباسي[١٣] .
وكذلك المجموعات الشعرية المتعلقة بالشاعرين :
ـ أبي الشيص الخزاعي المقتول سنة ١٩٦ هـ[١٤] .

---

(١٠) الزهراء ، س ٣ م ٤ ، ربيع الأول ١٣٤٥ هـ ، س ٤ م ٦ ، شعبان ١٣٤٦ هـ .

(١١) الحديقة ٦ : ١٩٦ ـ ٢٠٥ ، القاهرة ١٣٤٩ هـ .

(١٢) المختارات السائرة ، ط الرابعة بيروت ١٩٥٥ م ، ص ١٥٨ .

(١٣) الشعر والشعراء في العصر العباسي : د . مصطفى الشكعة ص ٤٢٩ ط . بيروت ١٩٧٣ م . وتاريخ الأدب العربي : د . عمر فروخ . ج٢ ص ١٩٧ ط . بيروت ١٩٦١ م .

(١٤) أشعار أبي الشيص . جمعها عبد الله الجبوري . النجف ١٩٦٧ م ص ٤٢ ـ ٥١ [ ثم أصدر الأستاذ عبد الله الجبوري : ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره ، ط . بيروت ١٩٨٤ م ، وتقع القصيدة الدعدية وقصتها وتخريجها في الصفحات : ١١٧ ـ ١٤٥ ] .

ـ وعلي بن جبلة الملقب بالعكوك المتوفى سنة ٢١٣ هـ[١٥] .

على اعتبار أن القصيدة تنسب إليهما .

وقد جاء نص القصيدة محققاً في هاتين المجموعتين . وبلغت أبياتها ستة وستين بيتاً[2] .

وهكذا تبقى هذه « اليتيمة » معلقة النسبة لانستطيع الجزم بنسبتها إلى شاعر معين .

أما هذه الدوقلة إن صح أنه شخص مَذْحجي منبجي فإننا لانعرف عنه شيئاً يمكننا الجزم به ، إلا أن هذا لا يمنعنا من الاشارة إلى ما عثرنا عليه من إشارات تتعلق به .

فصاحب لسان العرب ابن منظور على كثرة ما عنده من أسماء الشعراء وألقابهم فإنه لم يعرج على هذا الدوقلة لا في مادة ( دق ل ) ولا في غيرها .

بخلاف الفيروزابادي مؤلف القاموس المحيط . فإنه بعد أن شرح مادة ( دق ل ) وبيّن مدلول كلمة : دوقلة بأسلوبه المعهود في الإيجاز . زاد قوله : « وشاعر » ولكنه لم يزدنا على ذلك شيئا .

---

(١٥) شعر علي بن جبلة العكوك . جمعه د . حسين عطوان . ص ١١٥ ـ ١١٩ ط . القاهرة ١٩٧٢ م .

(2) [ يحسن أن نشير هنا ايضاً الى كتاب الدكتور صلاح الدين المنجد : القصيدة اليتيمة ـ ط٢ ، بيروت ١٩٧٤ م ، والى ديوان علي بن جبلة العكوك جمع زكي ذاكر العاني ـ بغداد ١٩٧١ م ] .

ونفس الشيء فعله شارحه الشيخ مرتضى في تاج العروس[3] .

ومن الملاحظ أن كتابا بعنوان : معجم ألقاب الشعراء لمؤلفه د . سامي مكي العاني . نشره ببغداد سنة ١٩٧١ م الجمع العلمي العراقي . وهو معجم مفيد مرتب على حروف المعجم ذكر عددا كبيرا من ألقاب الشعراء ، لكنه لم يعرج على الدوقلة .

ولقب الدوقلة يذكرنا بلقب آخر شبيه به في اللفظ ، وهو : الدوخلة .... وهذا اللقب عُرف به علي بن منصور الحلبي[١٦] صاحب أبي العلاء المعري ، كما عرف بكنيته ابن القارح ، ورسائله مع أبي العلاء شهيرةٌ في الأدب العربي .

وهكذا يدخل الدوخلة عالم المعرفة بينما يظل الدوقلة في عالم النكرات ، رغم أن هذه القصيدة اليتيمة نُسبت اليه منذ قرون .

ولا نودع هذه القصيدة اليتيمة دون أن نشير الى قصيدة شبيهة بها للشاعر الأندلسي : محمد بن غالب الرصافي البلنسي المتوفى سنة ٥٧٢ هـ ، مدح بها الوزير الوقشي . ومطلعها :

ألأجرع تحتله هندُ      يندى النسيم ويأرج الرند[١٧]

---

(3) [ ومن قبلها قال الصغاني في التكملة والذيل والصلة ( د ق ل ) : « ودَوْقَلَةُ : شاعر » / المجلة ] .

(١٦) بغية الوعاة ( ط . الاولى ) ص ٣٥٥ ، ومعجم الادباء لياقوت ١٥ : ٨٣ ( ط . دار المامون ) .

(١٧) انظرها في ديوان الرصافي : ٥٣ ( ط . بيروت ١٩٦٠ م ) .

# ( التعريف والنقد )

## رسالة عبد الحميد بن يحيي

## إلى وليّ العهد عبد الله بن مروان الثاني

## للمستشرقة الألمانية ( هانيلوره شونيغ )

الدكتور محمد كامل عياد

تلقت مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق بعض الكتب باللغة الألمانية من مطبوعات لجنة الاستشراق التابعة لمجمع العلوم والآداب في مدينة ( ماينتس ) بألمانية الغربية ، لاطلاع القراء على ماينشره المستشرقون من دراسات وتعريفهم بما تتضمنه من آراء .

وقد نشرت هذه اللجنة حتى الآن ( ٣٨ ) كتاباً ، منها كتاب للمستشرق ( ايفالد واغنر ) عن أبي نواس ( في ٥٣٢ صفحة ) يشمل دراسة عن الأدب العربي عامة في العهد العباسي الأول ، ثم كتاب ( ليوسف فان أس ) يتضمن ترجمة القسم الأول من كتاب ( المواقف ) تأليف ( عضد الدين الايجي ) مع شرح نظريته في المعرفة ( ٥١٠ صفحات ) ، ثم كتاب بقلم الباحثة ( هلغا فنتسلاف ) عنوانه : ( تاجر العقاقير المراكشي وبضاعته ) يهدف إلى التعريف بمصطلحات المواد الطبية العربية ، واستخدامها المتوارث لدى الشعب ، وقد ألحقت به خريطة وكثيراً من اللوحات والصور ( ٢٤٥ صفحة ) ، وأخيراً المجلد رقم ( ٣٨ ) الذي صدر في ( شتوتغارت ) سنة ١٩٨٥ ، وعنوانه : ( رسالة عبد الحميد بن يحيي إلى

ولي العهد عبد الله بن مروان الثاني ) ، وهو الذي يسرنا هنا التعريف به والتحدث عن أهميته .

انه كتاب صغير لايتجاوز ( ١٥٤ ) صفحة من تأليف باحثة المانية حديثة اسمها ( هانيلوره شونيغ ) ، وهي تقول في المقدمة إن موضوع الرسالة التي تعتبر من أول الشواهد على نشأة النثر العربي في أواخر العهد الأموي لم يلق حتى الآن إلا القليل من العناية لدى علماء الاستشراق الغربيين . فليس في الطبعة الأولى من الموسوعة الإسلامية ( سنة ١٩١٣ ) مقالة مناسبة عنه ، بل إن الأستاذ ( ريختر ) في « دراساته عن تاريخ أقدم المؤلفات العربية في الآداب السلطانية » لايذكره البتة . والمحاولة الأولى لإبراز شخصية عبد الحميد الكاتب ووضعها في المقام الذي تستحقه إلى جانب معاصره الأكثر شهرة ( ابن المقفع ) إنما كانت المقالة التي نشرها المستشرق الإيطالي ( فرنسيسكو غابرييلي ) في سنة ١٩٥٧ وأشاد فيها ببلاغة هذه الرسالة وبأهميتها الأدبية .

إن هدف الباحثة الألمانية هو أن تثير لدى الغربيين الاهتمام الذي يستحقه عبد الحميد الكاتب وإبراز مكانته في نطاق آداب النثر العربي المبكر . ولهذا قامت من جهة بترجمة رسالة عبد الحميد إلى ولي العهد وحاولت من جهة أخرى أن تبحث فيها وتحللها بالتفصيل وتبين خصائص أسلوبها التي أشار إليها ( غابرييلي ) باختصار .

بدأت الباحثة بترجمة سيرة المؤلف وذكر مجموع آثاره ، فاعترفت بأنه لم يصلنا إلا القليل من المعلومات عن حياته ، وأن الحوادث المنقولة عنه تقتصر على قصص ونوادر لاقيمة اخبارية لها عدا أنها متناقضة في

الغالب . إنه ليس هناك معلومات موثوقة ومتفق عليها عن تاريخ ولادته ومكانها وعن أصله ونشأته بل حتى عن وفاته .

تذكر المراجع كلها أنه مولى العلاء بن وهب العامري القرشي . وتلاحظ الباحثة ( شونيغ ) أن ذلك لايدل بالضرورة على أنه من أصل فارسي ، أو بالأحرى من أصل غير عربي كما يدعي الكثيرون . وهي تقول : إن الموالي ينحدرون من جماعات مختلفة في أصولها وفي أسباب ولائها ، ثم تستشهد بأقوال الأستاذ محمد كرد علي الذي تحدث في كتابه ( أمراء البيان ) بالتفصيل عن العوامل العديدة التي تدفع إلى رابطة الولاء ، والذي استنتج من ذلك أن ليس هناك مايمنع من أن يكون عبد الحميد عربياً .

بعد تعذر إصدار حكم جازم على أصل عبد الحميد الكاتب انتقلت الباحثة ( شونيغ ) إلى الحديث عن الإطار التاريخي وعن ظروف الحقبة التي عاش فيها والعوامل التي تركت آثارها في تكوين شخصيته وتطور ثقافته . وقد ذهب ( غابرييلي ) إلى أن عبد الحميد ولد حوالي سنة ٧٠٠ م ( ٨٠ ـ ٨١ هـ ) لذلك تستبعد الباحثة ، خلافاً لرواية انفرد بها ( ابن عبد ربه ) في ( العقد الفريد ) ، أن يكون قد خدم في بلاط ( عبد الملك بن مروان ) ثم ( يزيد بن عبد الملك ) . ويذكر الرواة أنه كان أولاً معلم صبية يتنقل في البلدان ، ثم التحق بديوان الرسائل في دمشق لعهد هشام بن عبد الملك ( ٧٢٤ ـ ٧٤٣ ) حيث كان ختنه ( أبو العلاء سالم بن عبد الله ) مولى هشام رئيساً لهذا الديوان . وهو الذي علمه ودرّبه على صناعة الترسل . وفي هذا الوقت تعرف على ( مروان بن

محمد ) وتوثقت عرى الصداقة بينهما . فلما تولى ( مروان الثاني ) الخلافة سنة ( ٧٤٤ ) اتخذه كاتباً له فظل مخلصاً له حتى قتلا في وقت واحد بعد سقوط الأمويين سنة ٧٥٠ ( ١٣٢ هـ ) .

كان ( مروان بن محمد ) قد برز في الحياة السياسية لأول مرة سنة ٧٣٢ م ( ١١٤ هـ ) ، عندما نصبه هشام والياً على ( أرمينية ) و ( أذْرَبيجان ) . وقد اكتسب في فترة ولايته كثيراً من الخبرة والمهارة في الأمور السياسية والعسكرية أفاد منها بعد توليه الخلافة ، حتى إن المؤرخين ينسبون إليه الاصلاحات التي أحدثت في نظام الجيش الأموي ، إذ استبدلت الصفوف بالكراديس المؤلف كل واحد منها بمائة رجل ، كما صار يُنْتقى لقيادة الفرق عسكريون مدربون عوضاً عن إخضاع المقاتلين لرؤساء القبائل .

وقد توالت الفتن والثورات في عهد مروان الثاني فاضطر أن ينقل مقره من دمشق إلى ( حران ) ، وأخذ يحارب العصاة في الشام ، ويحاصر مدينة ( حمص ) . ولما استفحل خطر الخوارج الذين جمعوا في الجزيرة جيشاً ضخماً بقيادة ( الضحاك بن قيس ) الشيباني أرسل ولي عهده ( عبد الله بن مروان ) لمجابهة هذا الجيش ، ولكن الفارق الكبير بين عدد الجنود اضطر ولي العهد إلى التحصن وراء أسوار ( نصيبين ) حتى انتهى ( مروان الثاني ) من فتح ( حمص ) فأسرع إلى نجدة ابنه وتخليصه من الحصار بعد المعركة التي قتل فيها ( الضحاك ) .

إن ثورة الخوارج هذه كانت بين مجموعة الأسباب التي دعت إلى تحبير رسالة عبد الحميد الكاتب . فقد أراد ( مروان الثاني ) ، بعد تعيين ولي

عهده ( عبد الله ) لمحاربة الخوارج ، تزويده بجملة من الخبرات التي اكتسبها في حروبه ، فطلب من كاتبه عبد الحميد المرافق له تسجيلها في رسالة جامعة . لذلك يمكن اعتبار هذه الرسالة مرآة تعكس الفترة التي عاش فيها ( عبد الحميد الكاتب ) وظروفها السياسية ، كما أنها تعد في حد ذاتها حادثة ووثيقة تاريخية .

تتألف الرسالة من قسمين مختلفين في الموضوع :

١ ـ نصائح وتحذيرات وارشادات أخلاقية عامة وبالأخص آداب السلوك والمراسم المتبعة في القصر وقواعد التعامل مع الحاشية والجلساء من القادة والموظفين ومختلف طبقات الشعب .

٢ ـ شبه كتاب في فن الحرب وتنظيم الجيش .

بعد استعراض الفصول العديدة تنتقل الباحثة الألمانية إلى ترجمة رسالة عبد الحميد الكاتب ، محاولة الاقتراب من النص العربي والتمسك حرفياً بعباراته في سبيل المحافظة على أسلوب المؤلف بقدر الامكان . ثم تعقد فصلاً لشرح الرسالة من حيث الموضوع أولاً ثم اللغة والأسلوب ثانياً .

تبدأ الباحثة بالسؤال عن الينابيع الحضارية وبالأخص الأدبية التي استقى منها عبد الحميد الكاتب مضمون رسالته وأسلوبها .

وقد قيل إن عبد الحميد الكاتب كان يحسن الفارسية وانه نقل عنها بعض الكتب التي لم يصل إلينا شيءٌ منها . وترى الباحثة انه على الأقل كان مطلعاً على نماذج من الأدب الفارسي الذي كثرت الترجمة عنه في ذلك العهد . وكان معاصره وصديقه ابن المقفع من أنشط وأبرز المترجمين

عن الفارسية ، وتدل مؤلفاته العديدة ، مثل ( الأدب الكبير ) و ( رسالة في الصحابة ) و ( كليلة ودمنة ) على ثقافته الواسعة في الفارسية والعربية اللتين برع في الجمع بينهما كما كان متأثراً بالفكر الهندي واليوناني .

وقد عقدت الباحثة الآلمانية فصلاً للمقارنة بين عبد الحميد الكاتب وابن المقفع قائلة : إن الأخير الذي نال شهرة أوسع واهتماماً أكبر ، حتى لدى العلماء الغربيين ، كان مجوسياً أسلم في العهد العباسي ، وإن الرجلين يختلفان في موقفهما الديني ، إذ ان عبد الحميد في رسالته إلى الكتاب يتحدث باخلاص المسلم المؤمن الذي يخشى الله في حين أننا لانجد في كتاب ( الأدب الكبير ) لابن المقفع أي إشارة إلى ديانته ، الأمر الذي يؤيد رأي الكثيرين القائلين بأن إسلامه لم يكن صحيحاً وانه ظل متمسكاً بعقيدته ( المانوية ) أو ( المزدكية ) وحريصاً على نشر التراث الفارسي مما دفع المستشرق ( غابرييلي ) إلى اعتباره من السابقين إلى النزعة الشعوبية . ويعترف ( غابرييلي ) بأن ( ابن المقفع ) كان يحب اللغة العربية ويتقنها كل الاتقان ولكنه لايتردد في التضحية بالشكل في سبيل المضمون إذا اقتضى الأمر . انه مثل عبد الحميد يستخدم المحسنات اللفظية نفسها ولكن في نطاق محدود وبعبارات ضعيفة . وإذا كان أسلوبه واضحاً بوجه عام إلا أن إكثاره من الألفاظ المشتركة ، المتعددة المعاني يؤدي أحياناً إلى الغموض .

إن ابن المقفع كان يركز اهتمامه على المضمون وفحوى الكلام ولايوجه عناية خاصة إلى الشكل والأسلوب . إنه يتبع العقل والمنطق ويعبر عن أفكاره مباشرة عوضاً عن اللجوء إلى المجاز الشعري والاستعارات البديعية . وعلى العكس من ذلك يسعى عبد الحميد الكاتب إلى الجمع بين

الناحيتين . فالأسلوب والتنسيق والتنظيم في بناء الكلام تستحق في نظره من الاهتمام بقدر المضمون الذي لايكتسب قوة التعبير والتأكيد إلا عن طريق الشكل .

ذهب الدكتور طه حسين ( في كتابه : من حديث الشعر والنثر ) إلى أن عبد الحميد الكاتب كان شديد الاتصال بالثقافة اليونانية بدليل إسرافه في استعمال الحال التي يعتمد عليها اليونان في تحديد معانيهم ، ثم بدليل نصيحته في الرسالة إلى ولي العهد بتنظيم الجيش في وحدات ، كل واحدة من مائة رجل مثلما كان مألوفاً عند اليونان . وقد لاحظ ( غابرييلي ) أن الدكتور طه حسين يبالغ في إعجابه بالثقافة اليونانية ومدى تأثر عبد الحميد الكاتب بها . وحاول الأستاذ ( شوقي ضيف ) في كتابه ( الفن ومذاهبه ) أن يقف في منزلة وسطى بين الدكتور ( طه حسين ) وبين القدماء الذين أجمعوا على تأثره بالفرس فقال ان هذا التأثير كان مباشراً . اما تأثره باليونان فلعله جاءه عن طريق ختنه ( أبي العلاء سالم ) الذي يقول عنه صاحب ( الفهرست ) انه كان أحد الفصحاء ، البلغاء وانه نقل رسائل أرسطاليس إلى الاسكندر .

عدا ذلك لم يكن عبد الحميد الكاتب بحاجة إلى مطالعة كتب اليونان لمعرفة نظام الجيش لديهم ، إذ كان يرافق ( مروان الثاني ) وولي عهده في الحروب ، ويشاهد الاصلاحات العسكرية بنفسه . والغريب من جهة أخرى أن يزعم الدكتور ( طه حسين ) أن عبد الحميد نثر في رسالته كثيراً من الأوصاف التي أخذها من قصيدة ( أوس بن حجر ) المشهورة في وصف الرمح . فإن نظرة خاطفة تثبت لنا أن تلك القصيدة لاتتضمن إلا القليل جداً من مصطلحات رسالة عبد الحميد .

بعد استعراض الظروف التاريخية والأجواء الثقافية التي عاش فيها عبد الحميد الكاتب تنتقل الباحثة الألمانية إلى بيان مكانته وأثره في تطور الأدب العربي ونشأة النثر الفني ، فتستشهد بعبارة وردت عند ( ابن خلكان ) وشاع تكرارها والتي تقول : « فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد » ، وتلاحظ الباحثة أن اسم ابن العميد إنما جرته لازمة السجع ، وأن المقصود بالمدح هو عبد الحميد الكاتب وحده . ثم ترد على قول الأستاذ ( شوقي ضيف ) بأن الرسائل قد بدأت منذ فاتحة العصر الاسلامي مشيرة إلى أنه لم ينقل إلينا من الخطب وكتب الخلفاء والولاة إلا القليل ، وهي مختصرة ومن غير تفنن خاص ، تقتصر على الأمور الادارية والتعليمية . ثم تضيف قائلة : مهما كان الأمر فان رسالة عبد الحميد الكاتب إلى ولي العهد هي الأولى من نوعها التي وصلت إلينا . ويمتاز عبد الحميد بانه كان يتقن اللغة العربية ويصرفها كما يشاء بالاضافة إلى موهبته الخطابية النادرة التي تساعده على استخدام مختلف وسائل التعبير وتنظيم اسلوبه بالتنسيق بين الشكل والمضمون .

فرسالته أبلغ شاهد على عبقريته .

وقد خصصت الباحثة ( شونيغ ) فصلاً لدراسة لغة عبد الحميد وأسلوبه وأشارت إلى ماحظي به من مدح في كتب الأدب العربية وكتب المستشرقين . فكان يضرب به المثل في البلاغة والفصاحة حتى أصبح إماماً وقدوة للذين جاؤوا بعده من كتاب الرسائل . وتستشهد الباحثة بكلمة الأستاذ ( شوقي ضيف ) التي يعبر فيها عن إعجابه بهذا الكاتب وتقديره له إذ قال : « الكتابة عنده تروق العين والأذن كما تروق العقل والقلب » . كما لاحظ أحد المستشرقين ان نثره لايدل على صنع

كاتب يسجل الحروف بل إنما هو خطيب وكأنه يريد ترتيل كلمات رسالته بصوت عال . ثم تقول الباحثة الألمانية : ان أبرز خصائص أسلوب عبد الحميد الكاتب في رسالته إلى ولي العهد هي العبارات الكثيرة ، المتوازية ذات التوقيع والتعادل الصوتي . وقد اشتهرت الرسالة بالتطويل والإسهاب . فعبد الحميد لايعبر عن الفكرة بكلمة واحدة ، وإنما في عبارتين أو عبارات عديدة تتلاحق بصورة تؤدي إلى تعادل موسيقي .

ويتبين من دراسة الرسالة كلها اهتمام كاتبها وعنايته الزائدة بالأسلوب . وقد قامت الباحثة باستعراض العناصر الأساسية التي استخدمها عبد الحميد في الإنشاء مع أمثلة عديدة واضحة .

تمتاز اللغة العربية بكنز غني من المفردات التي تكثر بينها أولاً : الكلمات المشتركة ، متعددة المعاني حتى نرى أحياناً الكلمة تفيد في الوقت نفسه ضدها ، وثانياً : هناك عدد كبير من المترادفات . ان عبد الحميد لم يكن يقصد الاستعانة في أسلوبه بالكلمات المشتركة . أما المترادفات فكان يستخدمها بكثرة ولكن لغاية خاصة هي توضيح وتأكيد المعنى ثم تحقيق التوازن الموسيقي عن طريق انتقاء وتنسيق الكلمات مزدوجة . ثم تسترسل الباحثة في تعداد المحسنات اللفظية التي برع عبد الحميد في استخدامها من تضادّ وطباق ومقابلة واستعارة وتشبيه ومجاز وتجنيس الاشتقاق . وخلافاً لما شاع عنه كان السجع نادراً في رسالته ، إنما كان يكثر من الترصيع الذي يرافق السجع أحياناً . ولعل أبرز خاصة له هي كثرة استعماله للحال والتمييز . ويبدو أنه قد اقتبس ذلك عن أستاذه ( سالم ) وابنه ( عبد الله ) اللذين كانا أيضاً يكثران من استعمال الحال

تقليداً لليونان . وكذلك الأمر في استخدامه للصفة إذ كان يضعها من الجملة حيث يقتضي وضعها ، ثم في تقسيمه الكلام إلى فصول حيث يؤدي كل جزء فكرة ومعنى .

على أنه مهما كان عبد الحميد قد اقتبس من الأدب الفارسي أو اليوناني سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة فإن تأثير الخطباء من العهد الجاهلي وصدر الإسلام كان أبلغ وأكثر وضوحاً . وعندما سئل عبد الحميد نفسه كيف اكتسب هذه البلاغة أجاب : « بحفظ كلام الأصلع » وهو يقصد الخليفة علي بن أبي طالب . وعلى كل حال فان دراسة الرسالة إلى ولي العهد تبرهن على أن عبد الحميد الكاتب كان رجلاً مثقفاً يحفظ القرآن وكثيراً من الأشعار ويملك ناصية اللغة العربية ، ويمتاز بالفصاحة والبلاغة . وتعود الباحثة إلى تكرار عبارة وردت في ( العقد الفريد ) : « كان عبد الحميد أول من فتق أكام البلاغة وسهل طرقها وفك رقاب الشعر » . عنه أخذ المترسلون ولطريقته لزموا ولآثاره اقتفوا ، ثم تقول : « إن عبد الحميد الكاتب كان رائداً ، سبق أنموذج الأديب في القرن الثالث الهجري الذي كان يمثله الجاحظ أحسن تمثيل ، والذي امتزجت لديه المبادئ الانسانية بالمثل الأعلى الأموي في الشرف والنزاهة بالاضافة إلى تراث الجاهلية العربية » .

لقد أجادت الباحثة الألمانية ( شونيغ ) في رسم شخصية عبد الحميد الكاتب المتميزة ، المستقلة ، وفي بيان ثقافته الواسعة ومواهبه اللغوية والبديعية ، وإبراز مكانته في تطور الأدب العربي ونشأة النثر الفني ، وبذلك استطاعت أن تكشف عن ناحية لامعة ، خلابة من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية مازال أكثر الغربيين يجهلونها .

# في نحو اللغة وتراكيبها

## للدكتور خليل عمايرة

الدكتور سمير شريف ستيتية

اطّلعت على كتاب صدر حديثاً تحت عنوان : في نحو اللغة وتراكيبها ـ منهج وتطبيق . مؤلف الكتاب هو الزميل الدكتور خليل عمايرة ، الأستاذ المشارك بجامعة اليرموك .

قرأت الكتاب ، وأنا تتنازعني صرامة الحرص على العلم ، التي هي أشد وطأً ، وصرامةُ الحرص على أخوّة العمل ، التي هي أقوم قيلا . ان الذي يفجأ القارئ كثرة الادعاءات التي جاءت في هذا الكتاب ، والمجازفة باطلاق الاحكام ، ونسبة أقوال إلى العلماء أو تحريفها ، حتى

---

● تنشر مجلة المجمع هذا المقال النقدي ، ورائدها الأول أن يفتح الباب واسعاً لأقلام العلماء المختصين ليشاركوا في مناقشة الموضوع ، وفي تقديم بحوث معمقة تضع بين يدي القارئ العربي أبرز الآراء الجديدة في علم اللسانيات الذي خطا في الغرب خطوات واسعة ، والتي نأمل أن تخصب بها دراساتنا اللغوية العربية المعاصرة . وليس أدعى إلى تلقيح العقول وانضاج الدراسات من المناقشة العلمية والمذاكرة والنقد البنّاء .

● أرجأت المجلة نشر المقال مدة ، بغية أن تحصل على نسخة من كتاب الأستاذ الدكتور خليل عمايرة ، فلم يُتح لها ماأمّلت .

● تؤمن المجلة بالنقد العلمي الهادئ الهادف . وقد بدا في اسلوب الأستاذ الدكتور ستيتية في بعض المواضع شيء من الاندفاع العاطفي ، لعله أثر من آثار انغماسه في موضوعه . واننا نأمل أن نتمسك جميعاً ، كتّاباً وناقدين ، بالاسلوب الهادئ الرصين الذي دعا إليه أجدادنا العرب حين سطروا في كتبهم آداب المناظرة والمناقشة والنقد والحوار ، مادمنا جميعاً نبغي الوصول إلى الحق ، ونقف نفوسنا لبلوغه .

كان ذلك طابع الكتاب ، وسمته الاساسية . وسآتي على ذلك كله في بيان فاصل ، تاركاً الحكم للقارئ الكريم . على أني حاولتُ جاهداً ، أن أترك أية مسألة فيها خلاف ، أو مناقشة أية فكرة ، يمكن أن يكون لها من موارد الاحتمال مورد .

يذكر المؤلف في مقدمة كتابه ، أن فكرة هذا الكتاب تكونت لديه عندما كان يناقش مع أحد العلماء الالمان ، أثناء مشاركته في المؤتمر الثالث للبحث في تراكيب اللغة الذي عقد في بولندا سنة ١٩٨٠ م ، فكرة العناصر الرئيسة للتراكيب اللغوية بعامة ، والخصائص المشتركة لتراكيب عدد من اللغات . ثم أتيحت له فرصة مناقشة هذه الفكرة بالتفصيل جزءا جزءا ، كما يقول المؤلف ، مع أحد أشهر علماء اللغة المعاصرين ، **مؤسس علم النحو الوظيفي** الجديد Functional Grammar وهو البروفسور Kuno[1] ولقد ذهلت حين قرأت هذا الوصف لهذا العالم . فالبروفسور Kuno ليس هو مؤسس علم النحو الوظيفي . لقد وضع المؤلفُ هذا العالمَ في مكان لم يكن ليدعيه لنفسه يوما ، ولا وصفه به أحد من العلماء . ان النحو الوظيفي functional Grammar هو مذهب مدرسة براغ Prague School التي يقف على رأسها R. Jakobson و N. Trubetzkoy . ولو أن الدكتور خليلا قرأ كتاب العالم الامريكي G. Sampson أو اطلع عليه ، وعنوانه Schools of Linguistics لعرف هذه الحقيقة . ففي الكتاب المذكور ، فصل كامل عن علم اللغة الوظيفي . وقد سمى Sampson هذا الفصل كما يلي : Functional Linguistics : the prague School والجدير بالذكر أن Sampson لم يذكر اسم العالم Kuno ، ولامرة واحدة في هذا الفصل ، بل لم يرد له ذكر في ذلك الكتاب . وهذا وحده كاف للدلالة على خطأ مازعمه الزميل الكريم . وحتى يطمئن

القارئ ، والدكتور خليل كذلك ، إلى أن النحو الوظيفي هو مذهب مدرسة براغ التي يقف على رأسها R. Jakobson و Trubetzkoy ، فما عليه الا أن يقرأ ماقاله العالم John Lyons في الجزء الثاني من كتابه Semantics : « ان من أهم خصائص مدرسة براغ التي تميزها عن غيرها من المدارس اللغوية هو تركيزها على الوظيفية Functionalism[٢] . ولست أستكثر على البروفسور Kuno ولاغيره ، أن ينتمي إلى هذه المدرسة ، ولكني أنكر على الدكتور خليل ، أن يصفه بأنه مؤسس علم النحو الوظيفي .

ليس هذا هو الادعاء الوحيد الذي انزلق اليه الأخ الزميل ؛ فلقد ذكر في المقدمة أيضاً ، أن كتابه ( يعرض وجهة نظر في دراسة الأساليب اللغوية في اللغة العربية ، في ضوء نتائج علم اللغة المعاصر ومعطياته ، مع الاهتمام الكبير بالمعنى ، الذي تتضمنه التراكيب اللغوية لابرازه على أسس مستقاة من اللغة العربية ، واتخاذه نواة ، لاعادة ترتيب أبواب النحو العربي ، لدراسة لغوية دلالية ، فقد عرضنا فيه **نظرة جديدة للنظرية التوليدية التحويلية ، استعملنا فيها المصطلحات بمعان محددة جديدة** )[٣] .

قبل أن أبين التناقض الصريح بين هذا النص ، والنص الذي قبله ، ونصوص أخرى في الكتاب أود أن أرد مافيه من ادعاءات ، فأقول : ان المؤلف لم يعرض في كتابه ، كما زعم ، نظرة جديدة للنظرية التوليدية التحويلية . بل ان تحليله للتراكيب العربية في كتابه كان ، في الغالب ، على وجه واحد من وجوه نظرية تشومسكي ، وهو ( العناصر المترابطة ) أو مايسمى في الانكليزية بـ Immediate Constituent Analysis . وهو

أسلوب من التحليل لم يعد متبعا في نظرية تشومسكي الا في حالات معينة ، وذلك لعدم كفايته . ولنفرض أن الدكتور عمايرة طبّق نظرية تشومسكي بحذافيرها على التراكيب العربية ، وهو أمر غير واقع ، فهل يكون بذلك قد درس الأساليب العربية في ضوء نتائج علم اللغة المعاصر ومعطياته ؟ وهل نظرية تشومسكي هي علم اللغة المعاصر ؟ لقد فتشت في الكتاب كله ، لأجد مصطلحاً واحداً من مصطلحات نظرية تشومسكي استعمله المؤلف بمعنى جديد ، كما قال ، فلم أجد . وأحسب أن الدكتور لايستطيع أن يزودنا بمثال واحد يثبت صحة ادعائه . وبذلك يسقط ادعاؤه بأنه استعمل المصطلحات بمعان جديدة . وبحثتُ في الكتاب كله ، عن محاولته لاعادة ترتيب أبواب النحو العربي ، في ضوء المعنى فلم أجد ، فسقط الادعاء بذلك أيضا . أما أن هذا النص يناقض النص الذي قبله ، فليس بيانه بالعسير ؛ فهو في هذا النص ، يصرح بأن كتابه ( يعرض وجهة نظر في دراسة الأساليب اللغوية في العربية ، في ضوء نتائج علم اللغة ، مع الاهتمام بالمعنى ) ، في حين تجده يصرح في النص الأول الذي في المقدمة ، أن فكرة الكتاب هي فكرة العناصر الرئيسة للتراكيب بعامة ، والخصائص المشتركة لتراكيب عدد من اللغات ، وهي الفكرة التي ناقشها جزءا جزءا مع البروفسور Kuno حتى نمت وصقلت كما يقول .

وأما أن هذا النص يناقض نصوصاً أخرى في الكتاب ، فواضح من أنه ، بعد أن تبنى النظرية التوليدية التحويلية ، ليحلل التراكيب العربية على أساسها ، راح يشنّ هجوما على صاحب النظرية وأفكاره ، اذ قال : ( هذه هي الأسس التي تقوم عليها نظرية تشومسكي ، ونرى أن في بعض هذه الأسس أو الجوانب غموض وتعميم ( كذا ) ، مرده إلى

طريقة صاحب النظرية في عرض أفكاره ، فهو يعتمد على مصطلحات عامة غامضة ، بعضها موجود في نظريات العلماء الذين سبقوه ، ولكنه يذهب بها إلى معان جديدة ، دون أن يشير الى التعريف الجديد ، الذي يحدد مايريده هو به . هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، نجد أنه يعرض فكرة ثم يقلع عنها إلى غيرها ، وبسرعة غير متوقعة ، فأفكاره متقلبة متبدلة تارة ، متتابعة تارة أخرى . ولا نعني بذلك أنها نظرية غير ثابتة )[٤] . وانه لمن حق القارئ أن يتساءل : ماذا يكون مصير محاولة الدكتور خليل ، وهو يعتمد في تحليله على نظرية ، ماأسرع أن يقلع صاحبها عن أفكاره ؟ ثم لست أدري ماقيمة أن يقول الدكتور خليل عن نظرية تشومسكي ( ولانعني بذلك أنها نظرية غير ثابتة ) ، بعد أن وصفها عمليا بأنها غير ثابتة ؟ لقد كان عليه ، وهو يصف صاحب النظرية ، بأنه يقلع عن أفكاره بسرعة غير متوقعة ، أن ينظر إلى الأفكار التي يقلع عنها صاحبها ، فلا يعتبرها من أصول النظرية . لكنه لم يفعل ، فاعتبر ( الجملة النواة ) ، أو ماكان يسمى في نظرية تشومسكي بـKernel Sentence بأنه لابد منها لفهم الجملة ، وتحديد معناها الدلالي[٥] وبنى عليها التحليل في الكتاب كله ، مع أن تشومسكي غيّر رأيه بشأنها ، ووصفها مؤخرا ، بأنه ليس لها دور مميّز ، في توليد الجمل أو تفسيرها[٦] . ولعل هذا الموقف الجديد الذي انتهى إليه تشومسكي بشأن الجملة النواة Kernel Sentence هو الذي دفع العلامة John Lyons إلى القول إن الجملة النواة قد فقدت أهميتها الأصلية في نظرية تشومسكي[٧] .

ومن الادعاءات التي وردت في كتاب الزميل الدكتور عمايرة ، وليس لها أساس من الصحة ، أنه وصف ابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ هجرية ، بأنه صاحب نظرية التوقيف في أصل اللغة[٨] .

ولست أدري كيف يصح في فهم الدكتور عمايرة ، أن يكون ابن فارس هو صاحب نظرية التوقيف في أصل اللغة ، مع أن الامام الأشعري الذي توفي سنة ٣٢٤ هجرية ، أي قبل ابن فارس بنحو سبعين سنة ، كان من القائلين بنظرية التوقيف ، كما صرح بذلك الامام السيوطي[٩] .

يتساءل الدكتور عمايرة قائلا : ( فما هو علم اللغة في الدراسات اللغوية المعاصرة ؟ وماموضوعاته ؟ )[١٠] . ثم أجاب عن هذا التساؤل قائلا : ( هناك عدة عقبات تعترض طريق من يريد تعريف علم اللغة ، أو تحديد موضوعاته . وربما كان من أهم هذه العقبات ، أن هذا العلم يعد من العلوم الحديثة ، التي نشأت منذ زمن ليس بالبعيد ، ومن العقبات كذلك ، أن هذا العلم ينمو ويتطور بسرعة كبيرة ، بسرعة لاتسمح لمصطلحاته بأن تتضح تماما ) . ان في هذه الفقرة ، والسؤال الذي سبقها ، من الأخطاء والادعاءات والتناقضات مالانستطيع أن نذكره كله في هذا المقام الذي لايحتاج إلى إطالة ، وأكتفي بذكر بعضها :

١ ـ ان علماء اللغة يعرّفون هذا العلم ، بأنه الدراسة العلمية للغة[١١] . ولاتوجد أية عقبة أمام من يريد تعريف هذا العلم . بل ان هذا التعريف يكاد يجابهك في الصفحات الأولى من كتب أوليات علم اللغة .

٢ ـ لست أدري ماالذي يقصده الدكتور عمايرة من قوله : ( فما هو علم اللغة في الدراسات اللغوية المعاصرة ؟ ) اذ أن هذا التساؤل يوحي بأن علم اللغة شيء ، والدراسات اللغوية شيء آخر .

٣ ـ أما الادعاء بأن من العقبات التي تجابه من يريد تعريف هذا العلم ، هو كون هذا العلم حديثا ، فادعاء غير سليم . فهناك علوم حديثة ، بل هي أحدث من علم اللغة ، وهي تتطور وتنمو بسرعة مذهلة

جدا . ومع ذلك ، لايجد المتخصصون ، على الأقل ، صعوبة في تعريفها . فهندسة الفضاء ، وعلم الذرة ، وعلم الأجنة ، وعلم الأرصاد الجوية ، كلها علوم حديثة ، وهي تتطور بسرعة عجيبة . ومع ذلك ، فاننا لانجد صعوبة في تعريفها ، حتى ونحن لسنا متخصصين فيها .

٤ ـ لقد ناقض الدكتور عمايرة نفسه ، حين نقل تعريف علم اللغة ، عن علماء اللغة ، بعبارة توحي بوجود نوع من الاتفاق على التعريف . يقول الدكتور عمايرة في موطن آخر : ( أما علم اللغة عند معظم العلماء المعاصرين ، منذ دي سوسير إلى يومنا هذا ، فهو العلم **الذي يقوم بدراسة لغة ما في ذاتها ولذاتها دراسة علمية دقيقة** ، تعطي وصفا دقيقا لأنظمة اللغة )[١٢] . فأين ذهبت ( العقبات ) التي تجابه من يريد تعريف هذا العلم ؟

انه لمن العجب العاجب ، أن ينسب الدكتور عمايرة إلى العلماء المحدثين ، أن آراءهم قد أخذت تتجه إلى حصر علم اللغة ، في الميادين التالية ( وأنا هنا أنقل تلك الميادين كما ذكرها الدكتور عمايرة ، مع ذكر ماأورده من مقابل لأسمائها في الانكليزية دون تغيير )[١٣] :

| | |
|---|---|
| علم الأصوات | PHonology |
| علم الصرف | Morphology |
| علم التراكيب | Syntax |
| علم المعاجم | Loxicology ( كذا ) |
| علم الدلالة | Semantix ( كذا ) |

أما أن العلماء المحدثين قد اتجهوا إلى حصر ميادين علم اللغة في هذه المجالات ، فادعاء غير سليم البتة . فان فروع هذا العلم تكاد تبلغ

العشرين الآن . ولقد عجبت أشد العجب ، حين ذكر المؤلف أن علم الأصوات هو Phonology ، وهذا يدل على أحد احتمالين ، الأول : ان الزميل لم يسمع بعلم اسمه Phonetics والذي هو علم الأصوات . الثاني : انه لايعرف الفرق بين علم الأصوات phonetics وعلم الفونولوجيا phonology . وأغلب ظني أن الاحتمالين واردان معا . فان المؤلف عندما ذكر ماأسماه بمستويات التركيب اللغوي ، ذكر على رأسها المستوى الصوتي ، وترجمه مرة أخرى بـ phonology . ثم ذكر أنه يدرس في هذا المستوى الوحدات الصوتية التي تتكون منها الكلمة طبقا لمعايير منها : الهواء المندفع من الرئتين عبر جهاز الأصوات ، واستخراج خصائصها ، باستخدام عدد من الأجهزة المعقدة كالاسبكتروغراف[١٤] .

ان علم الفونولوجيا phonology لا يدرس الأصوات طبقا لميكانيكية النطق ، التي عبر عنها الدكتور عمايرة بقوله : ( يدرس في هذا المستوى الوحدات الصوتية التي تتكون منها الكلمة طبقا لمعايير منها الهواء المندفع من الرئتين عبر جهاز الأصوات ) . ان العلم الذي يدرس ميكانيكية النطق ، هو علم الأصوات النطقي Articulatory phonetics ، وليس علم الفونولوجياphonology . ويدرس علم الأصوات النطقي ، إلى جانب ذلك ، صفات الأصوات في اللغات الطبيعية ( البشرية ) بصورة عامة ، من مجهورة أو مهموسة ، وقفية أو احتكاكية ، إلى آخر ذلك .

أما علم الفونولوجيا phonology فهو العلم الذي يدرس فونيات phonemes لغة بعينها ، وفروعها النطقية في المواقع المختلفة allophones . ويدرس كذلك ، العمليات الفونولوجية المختلفة من مماثلة assimilation ومخالفة dissimilation وزيادة insertion وحذف deletion وغيرها[١٥] .

ولقد عجبت أشد العجب ، حين وجدت الدكتور عمايرة يعبر عن ميكانيكية النطق بقوله ( طبقا لمعايير منها الهواء المندفع من الرئتين عبر جهاز الأصوات ) . فليس من الضروري خروج الهواء أو اندفاعه من الرئتين لانتاج الأصوات اللغوية . فهناك أصوات يتم نطقها مع دخول الهواء إلى الرئتين ، وتسمى الأصوات الداخلة[١٦] . وهذه المسألة أصبحت من بدائه علم الأصوات . بل ان هناك أصواتا فموية ، لاحاجة لتيار الهواء الداخل أو الخارج لانتاجها ، وتسمى أصوات الطقطقة click sounds . وهي مستعملة في عدد من اللغات من مثل Sandawe و hadzapi في تانزانيا ، و bushman و hosa في جنوب افريقية[١٧] .

يقول الدكتور عمايرة : فالنعت في العربية تابع يتبع منعوته ولا يتقدم عليه ... ولعل **الترتيب** بين النعت والمنعوت في العربية **وعدم مراعاته** ، هو الذي يؤدي إلى وجود بعض الجمل الملتبسة التي يعتورها الغموض ، فنقول : بقالة الجامعة الجديدة ، مدرسة اليرموك النموذجية ، فينصرف ذهن السامع إلى أن المقصود في الأولى هو البقالة ، وفي الثانية هو المدرسة . وقد يذهب إلى أن المقصود بالنعت هو الجامعة في الأولى ، وأنه جامعة اليرموك في الثانية[١٨] . هذا مايقوله الدكتور عمايرة . أما أن النعت تابع لمنعوته ، فأمر لاخلاف عليه . وأما القول انه لا يتقدم عليه ، فأمر يدعو إلى الدهشة والاستغراب حقاً ، بخاصة إذا أخذنا بمعايير المدارس اللغوية المعاصرة ، بل إذا اعتبرنا المعنى الذي يريد الدكتور عمايرة أن يعيد ترتيب أبواب النحو على أساسه . ففي بعض الأساليب العربية نقول : ( جاء الرجل الشجاع أبوه ) ، ونقول : ( هذا كتاب جديد محتواه ، كبير حجمه ، ممزّق غلافه ) . **فبحسب المعنى** ، تكون كلمة ( الشجاع ) نعتا لكلمة ( أبوه ) في الجملة الأولى ، ومع ذلك فقد

تقـدمت على منعوتهـا . **وبحسب المعنى كـذلـك** ، تكـون الكلمـات ( جـديـد ، كبير ، وممزق ) نعوتـا لكل من ( محتـوى ، حجم ، وغـلاف ) على التوالي ، ومع ذلك فقد تقدم النعت على المنعوت . هـذا كلـه بحسب المعنى الذي هو الأساس عنـد الـدكتور عمـايرة ، لابحسب الاعراب الـذي يعتبر تفتيتـا للكلمـات ، وامـاتـة لهـا في نظره[١٩] . وأمـا قـول الـدكتـور عمـايرة ( ولعـل **الترتيب** بين النعت والمنعـوت في العربيـــة **وعـــدم مراعاتـه** هو الـذي يؤدي إلى وجود بعض الجمل الملتبسـة ) فقول عجيب حقـا . فمـا الـذي يؤدي إلى وجود بعض الجمل الملتبسـة ؟ أهو الترتيب كما يقول ؟ أم هو عدم مراعـاتـه كما يقول أيضـاً ؟ وأغرب من هـذا ، المثلان اللـذان قـدمهما المؤلف ، للتـدليـل على أن الترتيب بين النعت والمنعـوت ( وعدم الترتيب طبقا لقوله ) هو الـذي يؤدي إلى اللبس ، هـذان المثلان هما : بقالة الجامعة الجديدة ، ومدرسة اليرموك النموذجية .

هـل يقصـد الـدكتـور عمـايرة أن هـذين المثلين غير صحيحين من النـاحيـة اللغويـة لأنـه لايـوجـد فيهما ترتيب ؟ وهـل الترتيب الـوحيـد الصحيح هو أن نقول : البقالـة الجـديـدة للجـامعـة .. إلى آخره ؟ اذن ، فأين دور حركة النعت في الـدلالـة على المنعوت ؟ ألسنـا نقول ، وقولُنـا صحيـح : هـذه بقـالـةُ الجـامعـةِ الجـديـدةِ ( بجر الجـديـــدة ) فنعرف أن ( الجديدة ) تصف ( الجامعة ) ؟ أو لسنا نقول كذلـك ، وقولنـا صحيح : هذه بقالةُ الجامعةِ الجـديـدةُ ( برفع الجـديـدة ) فنعرف أن ( الجـديـدة ) تنعت ( البقالة ) ؟ أما اللبس ، فلا يوجـد الا في حـالـة واحـدة فقـط ، وهي حـالـة جر النعت والمنعوتَيْن ، كأن نقول : مررت ببقـالـةِ الجـامعـةِ الجديدةِ ، إذ يحتمل ساعتئذ أن تكون ( الجديدة ) نعتا للبقالة والجامعـة ، سواء بسواء . هـذا اللبس قـد يوجـد في حـالـة واحـدة ، هي حـالـة جر

النعت والمنعوتَيْن كما قلت . وإذن ، فليس صحيحاً أن الترتيب ( وعدمه كما يقول ) هو المسؤول عن هذا اللبس . اذ لو كان الأمر كذلك ، لاقتضى الأمر أن يظل اللبس موجودا في حالتي الرفع والنصب ، وجوده في حالة جر النعت والمنعوتَيْن ، وذلك لأن الترتيب واحد في كل الحالات رفعا ونصبا وجرا . هذا هو المنطق الذي يجب أن تحاكم به التراكيب اللغوية .

يقول الدكتور عمايرة ، في معرض حديثه عن التنغيم : ( نقول مثلا : حضر علي Ali came بنغمة صوتية مستوية ، فتكون الجملة خبرية . ولكن إذا ما غيّر المتكلم النغمة إلى صاعدة ، فإن المعنى **لامحالة ، متغير إلى معنى الاستفهام )**[٢٠] .ان في هذه العبارة من المغالطات والتناقضات مافيها ، وإني مشير إلى بعضها :

١ ـ ليس صحيحاً أن النغمة الصاعدة تعني فقط ( أو لا محالة كما قال ) الاستفهام . فقد تعني ، إلى جانب ذلك ، التعجب ، وقد تعني التهكم ، وقد تعني التحذير ، وقد تعني غير ذلك[٢١] .

٢ ـ يناقض الدكتور عمايرة نفسه مناقضة صريحة ، إذ يقول في موطن آخر : ( في حين أننا عند النطق بالجملة التحويلية التحذيرية ننطقها بنغمة صوتية صاعدة )[٢٢] فأين ذهبت ( لا محالة ) التي جاءت في قوله ( إذا ماغيّر المتكلم النغمة إلى صاعدة ، فإن المعنى **لا محالة متغير إلى معنى الاستفهام** ) ؟

٣ ـ إن ملاحظات المؤلف وتقريراته ، وأحكامه التي أصدرها حول النغمة الصاعدة والمستوية ، ليست مبنية على أسس علمية . فقد رأينا انه يحكم بأن الجملة الخبرية ذات نغمة مستوية . وليس الأمر كذلك حقا ، فقد ترتفع النغمة في الجملة الاخبارية ، عند أحد عناصرها التركيبية ،

وقد تنخفض . دعنا نطبق ذلك على المثل الذي جاء به الدكتور عمايرة نفسه ، وهو Ali came ولنر كيف تكون نغمته في ضوء ماتقرره الدراسات العلمية :

Ali came ( علي وليس غيره هو الذي أتى )

Ali came ( علي جاء ، بالتركيز على فعل المجيء دون غيره )

ففي المرة الأولى ، ارتفعت النغمة عند النطق بكلمة Ali ، فدل ذلك على أن عليا ، لاغيره ، قد أتى . وفي المرة الثانية ، ارتفعت النغمة عند النطق بالفعل ، فدل ذلك على أن عليا قام بفعل المجيء ، دون غيره . هذا كله في الجملة الاخبارية ، وفيها كما رأيت ، صعود ، وفيها كما رأيت هبوط . والجملة الاستفهامية ليست بالضرورة ذات نغمة صاعدة ، فقد ترتفع وقد تنخفض ، كما قرر ذلك العلماء[٢٣] .

٤ ـ ليس صحيحاً ماذهب إليه عمايرة ، حين قرر أن الجملة الطلبية تكون نغمتها الصوتية مستوية[٢٤] . فقد ترتفع النغمة ، وقد تنخفض ، وذلك كما نرى في المثل التالي الذي زعم الدكتور عمايرة أن نغمته مستوية :

احذر الأسد ( احذر الأسد دون غيره أو أكثر من غيره )

احذر الأسد ( التركيز هنا على الحذر أكثر من أي فعل آخر )

يقول الدكتور عمايرة ان أصحاب المنهج التاريخي في دراسة اللغة ، قاموا بتصنيف اللغات إلى مجموعتين لغويتين كبيرتين هما : ( أ ) أسرة اللغات الهندية الأوروبية ( ب ) أسرة اللغات السامية[٢٥] . هذا مايقوله الدكتور عمايرة . أما مايقوله العلماء ، فهو أنهم يقسمون اللغات إلى ثلاث مجموعات كبيرة هي : ( أ ) اللغات الهندوأوروبية ( ب ) اللغات السامية ـ الحامية ( جـ ) اللغات الطورانية[٢٦] .

يقول الدكتور عمايرة ( أخذ النحو يعني عند الدارسين اعراب الكلمة في الجمل والتفنن في تخريج الحركة التي لاعامل لها في الجملة ، يعللون أو يتأولون ، وان لم يكن لتلك الجملة معنى . فلو طلبنا من طالب جامعي في الجامعات العربية ، أن يعرب الجملة التالية مثلا ، كما يقول الدكتور تمام حسان : شقأ الشاقئ الشقأة بمشقأته ، فانه سيبدأ بالتفكير في الحركة الاعرابية ، ورصد المرفوع ، وربطه بأبواب الرفع في النحو ، وكذلك المنصوب والمجرور ، فيقول :

شقأ : فعل ماض مبني على الفتح

الشاقئ : فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة ...

إلى أن قال : فالاعراب طبقا لهذا الفهم ، وسيلة تفكيك الجملة إلى قوالب وأجزاء ميتة لاحياة فيها[٢٧] .

ان في هذا النص مغالطات كثيرة ، منها اتهام الدارسين بأنهم يفتنّون في تخريج الاعراب ، حتى ولو لم يكن للجملة معنى . ومن حقنا ، بل من حق القارئ أن يطالب الدكتور عمايرة ، بأن يذكر واحداً من الدارسين يفعل ذلك ، في دراسة علمية مهما كان مستواها . وسامح الله الدكتور تمام حسان الذي استنّ هذا الاتهام ، واصطنع له هذا التركيب الذي لامعنى له ، ليوهم أن الدارسين للنحو العربي يفعلون ذلك ، وليثبت في النهاية ، أن الاعراب فارغ من كل محتوى . ولماذا نصطنع الأمثلة والتراكيب التي لامعنى لها ، لاتهام العلماء والدارسين ؟ وإذا صح ان الطلاب في الجامعة سيعربون هذا التركيب على هذا النحو فهل في ذلك دليل على أن الاعراب لامعنى له ؟ وهل هذا دليل على أن العلماء والدارسين يفعلون ذلك اذا فعله طالب من طلاب اللغة العربية في الجامعات ؟ بل لماذا يذهب الدكتور عمايرة هذا المذهب ، وهذا الذي

نقله عن الدكتور تمام حسان ، يمكن أن يفعل في غير لغة من لغات العالم بصورة أو بأخرى ؟ ألم ينقل الدكتور عمايرة عن تشومسكي الجملة التالية التي لامعنى لها في الانكليزية[٢٨] :

colourless green ideas sleep furiously

أليس من الممكن أننا إذا أعطينا هذه الجملة لطلبة اللغة الانكليزية ، في جامعة أمريكية مثلا ، وقلنا لهم : حلّلوا هذا التركيب ، أليس من الممكن أن يقولوا :

| | |
|---|---|
| subject | colourless |
| adjective | green |
| verb phrase | sleep |
| adverb | furiously |

هل سيكون ذلك ساعتئذ ، دليلا على أن المصطلحات التالية : subject و adjective و verb phrase و adverb و predicate ميتة لاحياة فيها ؟ ولنفرض أن الدارسين حقا ، ذهبوا هذا المذهب ، فأعربوا هذا التركيب ، كما توقع الدكتور تمام حسان ، فهل هذا دليل على أن الاعراب هو تفتيت للكلمات ؟

ان موقف الزميل عمايرة من الاعراب ، والوظيفة الدرسية التي يؤديها ، هو الذي قد دفعه إلى أن يحمّل كلام الجرجاني مالا يحتمل فيقول : ( ربما كان هذا هو الذي دفع عبد القاهر الجرجاني إلى **إعادة النظر في النحو** الذي هو عنده التعليق أو النظم ، والذي يضم عنده كذلك المعنى بالاضافة إلى سلامة المبنى[٢٩] ) .

ثم ذهب الدكتور عمايرة إلى القول : ( ولو حاولنا استخلاص طريقة لتحليل الجملة التالية في ضوء ما يراه الجرجاني لقلنا : ضرب موسى عيسى صباحا أمام المسجد تأديبا له :

عيسى : هو الشخص الذي وقع عليه الضرب

موسى : هو الشخص الذي أوقع الضرب على عيسى

ضرب : هو الحدث الذي أوقعه موسى على عيسى[٣٠]

.... إلى آخره .

ثم انتهى الدكتور عمايرة إلى أن مراعاة الجملة ، في ضوء المصطلحات التقليدية ، ليس باليسير . وضرب لذلك مثلا الهندسة الاعرابية التالية ، التي حذف منها ماتشير إليه ، هكذا :

: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة

: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى

: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء لانه جمع مذكر سالم .

وهو بذلك ، يريد أن يريك أنك لن تفهم شيئاً من هذه الهندسة الاعرابية . وأنت حقا لن تفهم شيئا ، ولكن السبب هو المغالطة في بناء الهندسة الاعرابية هذه ، على هذا النحو . وسأبين ذلك مفصلا ، بعد أن أرد على استنتاجاته ( الجرجانية ) :

١ ـ أما الزعم بأن الجرجاني أعاد النظر في النحو ومصطلحاته التي يسميها الدكتور عمايرة تقليدية فكلام تنقضه الأدلة التالية :

( آ ) ان الجرجاني لم يطالب بالغاء النحو ولامصطلحاته . وكيف نفعل ، وهو الذي دافع عن النحو العربي دفاعا متميزا ، وذلك كما يتضح من بعض فصول كتابه القيم ( دلائل الاعجاز ) .

( ب ) لقد سلك الجرجاني مسلك النحاة الذين قبله ، واستعمل مصطلحاتهم في كتابه القيم ( المقتصد ) الذي يقع في مجلدين كبيرين ، وقد طبع مؤخرا ، بعد أن كنت قد قطعت شوطا وأنا أعمل في تحقيقه . وما حاد الجرجاني عن مصطلحات النحو ( التقليدية ) قيد أنملة .

( جـ ) لقد نقل الدكتور عمايرة في ص ١٠٩ من كتابه نصا عن الجرجاني في الدلائل ، وهو قول الجرجاني : ( لانظم في الكلم ولاترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ... وإذا نظرنا في ذلك علمنا أن لامحصول لها غير أن تعمد إلى اسم فتجعله **فاعلا لفعل أو مفعولا** ، أو تعمد إلى اسمين ، فتجعل أحدهما **خبرا** عن الآخر ، أو تتبع الاسم اسما على أن يكون الثاني **صفة للأول** ، أو **تأكيدا له** ، أو **بدلا** منه ، أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون الثاني **صفة أو حالا أو تمييزا** ) .

هذا النص الذي نقله الدكتور عمايرة عن الجرجاني ينسف ادعاءه من القواعد بأن الجرجاني أعاد النظر في النحو . ولست أدري لماذا يفهم عمايرة وأناس آخرون نظرية النظم على أنها نسف للمفاهيم والمصطلحات النحوية التي يسمونها تقليدية ؟ أعود إلى النص الذي نقله عمايرة عن الجرجاني ، فأقول انه ينسف ادعاءه بأن الجرجاني أعاد النظر في النحو ، كما ينسف محاولته التحليلية الجديدة ، والتي ادعى أنها في ضوء مايراه الجرجاني . وقد رأينا ان الزميل عمايرة كان حريصا على أن يسقط المصطلحات النحوية ( التقليدية ) ، زاعما أن ذلك هو منهج الجرجاني :

عيسى : هو الشخص الذي وقع الضرب عليه

موسى : هو الشخص الذي أوقع الضرب على عيسى

... إلى آخره .

النص الذي بين أيدينا ، والذي نقله الدكتور عمايرة ، يوضح أن

الجرجاني لايقبل محاولة أحد إسقاط المصطلحات النحوية ، ليستبدل بها غيرها . فكيف يقبل الجرجاني تلك المحاولة إذا نسب شرفها إليه ؟ النصُّ ، على قِصَره ، غاصٌّ بالمصطلحات النحوية ( التقليدية ) .

٢ ـ أسلفت القول ان الهندسة الاعرابية التالية التي قام الدكتور عمايرة بتصميمها لاتعني شيئاً :

: فعل مضارع مرفوع ...

: فاعل مرفوع ...

وهو فعلها كذلك ، من أجل ألا تعني شيئاً ، فيظن القارئ أن الاعراب لا يعني في التحليل الأخير شيئاً البتة . ونحن يمكن أن نفعل الشيء ذاته ، مع ( تحليله ) الذي ظن أنه في ضوء مايراه الجرجاني ، لنخرج بالنتيجة التي خرج هو بها ، فأقول :

: هو الشخص الذي وقع الضرب عليه

: هو الشخص الذي أوقع الضرب على عيسى

: هو الحدث الذي أوقعه موسى على عيسى

ماذا يعني ذلك ؟ لاأجد لهذا السؤال جوابا مقنعا .

ينسب الدكتور عمايرة ، للعالم الفرنسي دي سوسير ، أنه يفرق بين مناهج التحليل التي تعتمد على وصف اللغة في زمن محدد diachronic grammar والمنهج التاريخي synchronic grammar[٣١] . والذي ذكره الدكتور عمايرة عكس الصحيح تماما .

فان synchronic grammar هو الذي يبحث في اللغة في فترة زمنية محددة ( المنهج الوصفي ) . وأما diachronic grammar فهو المنهج التاريخي .

لست أدري كيف يجيز الدكتور عمايرة لنفسه الادعاء القائل بان K. Pike هو من أتباع مدرسة دي سوسير الذين حملوا أفكاره وطوروها كما

يقول[٣٢] . فأستاذنا العلامة البروفسور pike صاحب نظرية مستقلة هي نظرية Tagmemics التي عرضها في كتابيه Grammatical Analysis و Linguistic Concepts وهو على كل حال ، ليس من أتباع دي سوسير ، ولا عمل على تطوير نظرياته ، كما يدعي الدكتور عمايرة .

ومن المغالطات التي أوقع الزميل الدكتور عمايرة نفسه فيها ، أنه عند استعراضه الخلاف على اسمية نِعْم ، وبئس ، وحبذا ، أو فعليتها ، قال : ( والفريقان ـ البصريون ـ والكوفيون ـ يدركان أنه لاتنطبق عليها شروط الاسمية ولا شروط الفعلية ، لا فيما وضعه سيبويه من أن الفعل ما يشير إلى حدث وزمن ، والاسم ما يشير إلى مسمّى ، ولا فيما وضعه ابن مالك بقوله :

بالجر والتنوين والندا وأل ومسند للاسم تمييز حصل
بتا ( فعلت ) و ( أتت ) ويا افعلي ونون أقبلنّ فعل ينجلي[٣٣]

في هذه الفقرة جملة من المغالطات التي أكشفها فيما يلي :

١ ـ ان ابن مالك ليس واضعاً لعلامات الاسمية والفعلية . كل الذي فعله ، هو أنه نظم هذه العلامات نظما ، وهي معروفة وموضوعة قبله بزمن طويل . ويكفي أن تعلم أن سيبويه يقول : ( كما أنه ليس في الأسماء جزم ، لان المجرور داخل في المضاف إليه ، معاقب للتنوين ، وليس ذلك في هذه الأفعال[٣٤] ) ويقول : ( ويبين لك أنها ليست بأسماء أنك لو وضعتها مواضع الأسماء لم يجز ذلك[٣٥] ) . ويقول : ( لان الجر للاسم لايجاوزه[٣٦] ) . وهكذا يتبين لك أن ابن مالك ليس واضعا ، وانما هو ناظم لاغير .

٢ ـ وأما أن ما ( وضعه ) ابن مالك لاينطبق عليه فعلية ولااسمية ( نعم وبئس ) فقول لايُقبل ، إذ على الأقل ، يمكن أن تلحق تاء التأنيث

بنعم وبئس ، فنقول : بها ونعمت ، وبئست الحياة الدنيا ، وذلك بالحاق تاء التأنيث بها . ويكون ذلك منطبقا على قول ابن مالك :

بتـــا فعلت ، وأتَتْ ........ ....... فعـــــل ينجلي

هذا على أقل التقديرات وأقربها إلى التصور .

٣ ـ وأما القول ان الفريقين يدركان أنه لاشروط الاسمية ولاشروط الفعلية تنطبق على نعم وبئس ، فاتهام للفريقين عظيم . ولايستهين بالأدلة التي أوردها الفريقان(٣٧) الا من يستهين بالدليل العلمي .

٤ ـ يتحدث الدكتور عمايرة عن الخلاف بين البصريين والكوفيين على اسمية ( نعم وبئس وحبذا ) وفعليتها . وأحالنا إلى المسألة الرابعة عشرة ، من مسائل الخلاف في كتاب ابن الانباري ( الانصاف ) ، مع أن الانباري لم يذكر في هذه المسألة إلا الخلاف حول ( نعم وبئس ) فقط .

يصرح الدكتور عمايرة ، أن ترتيب عناصر الجملة العربية على النحو التالي : OSV غير وارد في العربية الفصحى(٣٨) . وهذا يعني بداهة ، أن العربية الفصحى لاتقبل تركيبا يكون العنصر الأول فيه هو المفعول به ، والثاني الفاعل ، والثالث الفعل . وعلى هذا ، لا يجوز أن نقول : محمدا عليّ ضرب ، كما لايجوز أن نقول : محمدا علي ضارب ( لأن اسم الفاعل هنا يؤدي وظيفة الفعل ) . واسمع ماذا يقول ابن الانباري : ( ألا ترى أنك تقول : عمرا زيد ضارب ؟(٣٩) ) .

ومن الادعاءات الواردة في هذا الكتاب قول المؤلف : ( ولم ينص أحد من النحاة على أن الواو ـ واو القسم ـ يمكن أن تدرج في باب حروف الجر(٤٠) ) وهذا قول خطير ، يفهم منه أن النحاة يرفضون أن تكون واو القسم حرف جر . يقول السيوطي : ( ومن الحروف الجارة

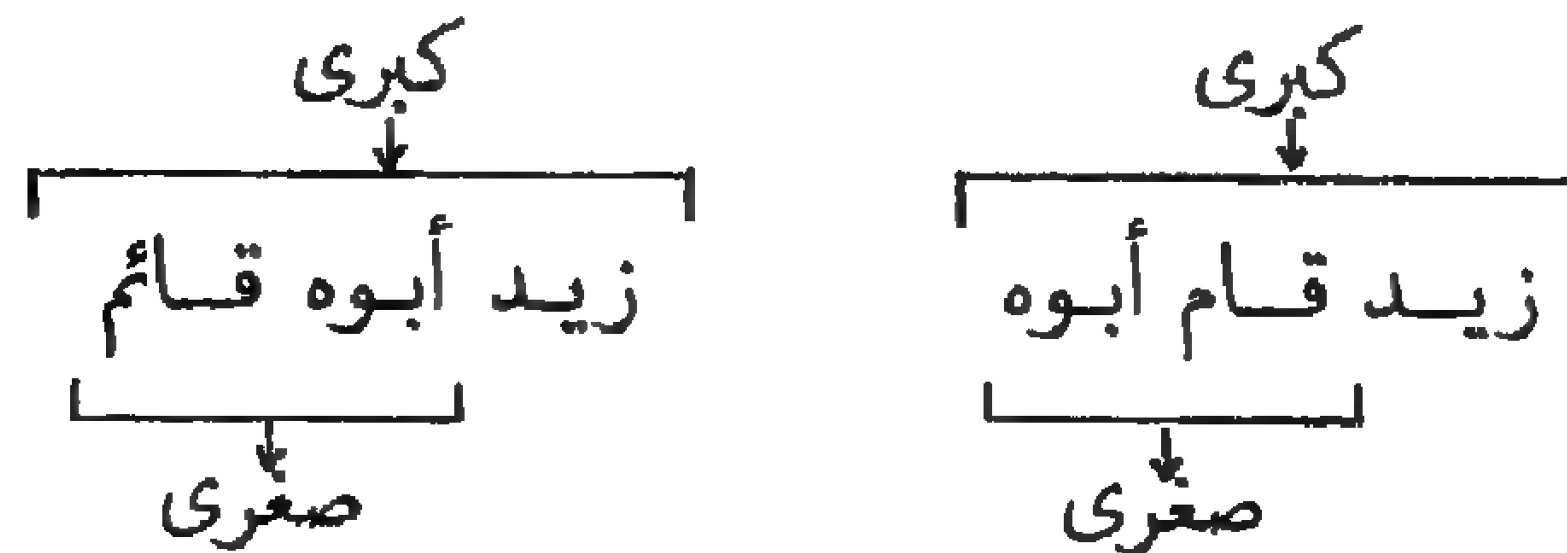
أحرف القسم ، فمنها البـاء ... والواو واللام ، وتختصـان بـاسم ظـاهر[٤١] ) ويقـول المرادي في بـاب الـواو : ( حرف يكـون عـامـلا وغير عـامـل ، فالعامل قسمان جار وناصب ، فـالجـار واو القسم وواو رب[٤٢] ) . ويقول المالقي : ( ولا تخفض ـ واو القسم ـ في هـذا البـاب الا الظـاهر ، بخلاف البـاء ، فانها تخفض الظـاهر والمضمر[٤٣] ) . أبعـد هـذا يقـال ان أحـدا من النحاة لم يدرج واو القسم في حروف الجر ؟

ان التوثيـق جـزء من الأمـانـة العلميـة ، التي هي من أهم خصـائص البحث العلمي . ولقـد نسب الـدكتور عمـايرة أقوالا إلى علمـاء لم يقـولـوا بهـا . وسـأكتفي بـإيراد الأمثلـة التـاليـة ، على أن يكـون معلـومـا أنني استخدمت في بيان ذلك الطبعات نفسها التي استخدمها الدكتور عمايرة :

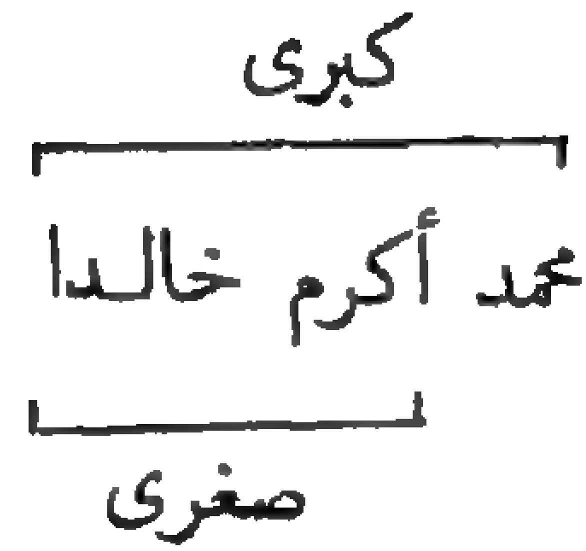
١ ـ نسب في ص ٨٠ إلى السيـوطي أنـه قـال في ص ٨٠ من الجـزء الأول من همع الهوامع : ان جملة ( محمد أكرم خـالـدا ) هي جملـة كبرى ، مكونة من جملتين صغريين : محمد مبتدأ ، خبره الجملة الفعلية التي تليه في محل رفع . أكرم : جملـة فعليـة ، فـاعلهـا ضمير مستتر تقـديره هو ، يعود على محمد ( المبتدأ ) . وردي على ذلك يتلخص في الآتي :

( آ ) ان شيئا من هذا القول غير موجود في الصفحة التي أشار إليهـا الدكتور عمايرة من الكتاب المذكور للامام السيوطي .

(ب ) يقسم السيـوطي الجملـة إلى كبرى وصغرى في مـوطن آخر[٤٤] وضرب لذلك مثلا الجملتين التاليتين :



وعليه ، تكون الجملة التي جاء بها الدكتور عمايرة ( وزعم أن السيوطي يجعلها مكونة من جملة كبرى وجملتين صغريين ) جملة كبرى وصغرى على هذا النحو :




٢ ـ نسب في ص ١٣٩ إلى الامام السيوطي ، أنه يقول في ص ١٦٠ من الجزء الأول من الهمع ، أن الفاعل في الآية الكريمة : ثم بدا لهم من بعد مارأوا الآيات ليسجننه حتى حين ، محذوف مع أن الظاهر يشير إلى وجوده **متصيدا مما بعده** . هذا مانسبه الدكتور عمايرة إلى الامام السيوطي . والسيوطي لم يقل ذلك ، وانما قال : ( ان الفاعل فيه ضمير **مقدر راجع** إلى مادل عليه الفعل ) . لاحظ عبارة ( راجع إلى مادل عليه الفعل ) في عبارة السيوطي ، وعبارة ( متصيدا مما بعده ) في عبارة الدكتور خليل .

٣ ـ زعم الدكتور خليل ان النحاة يجعلون الجملة ( محمد أكرم خالدا ) اسمية فعلية ، اسمية لانه يتصدرها اسم ، وفعلية لان القسم الثاني يتصدره فعل[٤٥] . انني اتحدى أن يذكر الدكتور خليل عالما واحدا من لدن سيبويه ، يعتبر هذه الجملة اسمية فعلية . ان النحاة يعتبرون هذه الجملة اسمية الصدر ، فعلية العجز[٤٦] . وليس سواء أن تكون الجملة اسمية فعلية . وأن تكون فعلية العجز . فهي ليست جملة فعلية بأي اعتبار كان ، وانما عجزها فقط جملة فعلية . اليس هذا تحريفا واضحا ؟

٤ ـ نسب في ص ٨١ ـ ٨٢ إلى الأنباري أنه قال في ص ٧٩ من أسرار العربية : فالجملة الفعلية ماكانت مكونة من فعل وفاعل ، أو مما أصله كذلك ، والاسمية ماكانت مكونة من مبتدأ وخبر ، أو مما كان الأصل فيها كذلك . يؤسفني أن أقول انه لاوجود لشيء من هذا القول في الأسرار في الموطن الذي ذكر الدكتور عمايرة وجوده فيه .

وقد نسب الدكتور عمايرة هذا القول نفسه إلى المبرد في ص ١٢٨ من الجزء الرابع من المقتضب ( انظر هامش ص ٨٢ من كتاب عمايرة ) . ولا يوجد شيء من هذا الزعم في المقتضب في الموطن الذي ذكر أن المبرد يقوله فيه .

٥ ـ زعم في ص ١٠٣ أن السيوطي يقول في ص ٤٠ من الجزء الأول من الهمع : ( في غيرها تكون لام توكيد تؤكد الخبر وحده ، وأنَّ تؤكد الاسم ) . لاوجود لشيء من هذا في الموطن الذي ذكره من ذلك المرجع .

٦ ـ نسب في ص ١٠٦ إلى ابن جني انه قال في ص ٣٢ من الجزء الأول من الخصائص وإلى ابن يعيش انه قال في ص ١٨ ـ ٢٠ من الجزء الأول من شرح المفصل مايلي : ( انك لو سلمت جدلا بأن والله جملة ، فانها لاتعطي معنى يحسن السكوت عليه ) . ولاشيء من ذلك في هذين المرجعين .

٧ ـ نسب في ص ١٥٠ إلى الدكتور إبراهيم السامرائي انه يقول في ص ٥١ من كتابه فقه اللغة المقارن : ان الاكادية قد عرفت الحركات الثلاث التي تعبر عن حالات الرفع والنصب والجر في بداية أمرها ، ولكنها تخلت عن واحدة واحتفظت باثنتين ، ووظفت واحدة منهما لحالتي النصب والجر وهي الفتحة ... إلى آخر ذلك . وقد رجعت إلى

الصفحة التي ذكر انه نقل عنها من كتاب الدكتور السامرائي ، فلم أجد شيئاً من ذلك .

٨ ـ نسب في ص ١٥١ إلى الدكتور إبراهيم السامرائي انه فسَّر في ص ١٦ من كتابه المشار إليه سابقا ، الهاء الموجودة في الحبشية . ولا وجود لشيء من ذلك في الموضع الذي ذكره من المرجع المشار إليه .

٩ ـ نسب إلى بروكلمان أنه قال في ص ٣٧ من كتابه فقه اللغات السامية مايلي :
( في الحبشية بقيت حالة الرفع في الاعداد ... إلى آخر ذلك ) . هذا النص غير موجود في الصفحة المشار إليها ، وإنما هو موجود في ص ١٠١ من الكتاب المذكور .

١٠ ـ نسب في ١٥٥ إلى ربحي كمال ، وإلى السامرائي ، انهما يقولان بان الحركة الاعرابية من اختراع النحاة . أما السامرائي ، فقد صرح بنقيض ذلك تماما فقال : ( ووجه الخطل في هذا الرأي أن العربية كانت معربة منذ أقدم العصور[٤٧] ) .
وأما ربحي كمال ، فقد قال شيئا آخر ، لاعلاقة له بموضوع الحركة الاعرابية ابدا . ومع ذلك فان الدكتور عمايرة نسب إليه في موطن آخر ( ص ١٥١ ) انه يقول : ان الحركات في العبرية طارئة ، ومن اختراع النحاة في القرنين السابع والثامن ، وضعوها في ضوء نظام الحركات في كل من العربية والسريانية .
ولعمري ، ان الاستشهاد بهذا النص من الغرائب ، وسبب ذلك مايلي :

( آ ) ان الدكتور ربحي كمال لا يتحدث عن الحركات الاعرابية في العبرية . **فالعبرية ليست لغة معربة** . ولهذا ، فان استشهاد الدكتور

عمـايرة بهـذا النص ، في موطن الحـديث عن مـوقف العلمـاء من الحركات الاعرابية ، واستعراض آراء القدامى والمحدثين بشأنه ، ليس في محله .

( ب ) الدكتور ربحي كمال يتحـدث عن الرموز الكتـابيـة للحركات التي في داخل الكلمـة العبريـة . فمثلا رمز الفتحـة القصيرة ــــ ، ورمز الفتحة الطويلة ــــ T ، ورمز الفتحة الطويلة الممالة ــــ ،ورمز الضمـة القصيرة ــــ ، ورمز الفتحة القصيرة الممالة ــــ ، إلى آخر ذلك ، كان من وضع النحاة اليهود في القرنين السابع والثامن ، وهذا صحيح .

١١ ـ رد في ص ١٥٥ على داود عبـده الـذي نسب إليـه الـدكتـور عمايرة ، انه يقول : إن العرب كثيرا مايلجؤون إلى التحريك عند التقـاء الساكنين . وهذا ليس هو رأي داود عبده إلا كما تكون ( فويل للمصلين ) مقطوعة من سياقها . فالدكتور داود عبـده يقول : ( وسأحـاول فيما يلي أن أقدم عددا من الأدلة اللغوية التي تشير إلى أن حركات أواخر الكلمات ليست للوصل إلا في حالات معينة[٤٨] ) . وقد رد داود عبـده على إبراهيم أنيس فقال : ( أما في الفصحى فلا ينطبق الرأي الـذي نـادى بـه إبراهيم أنيس إلا على حالة واحدة ، هي حالة التقـاء كلمتين الأولى منهما منتهيـة بصوت صحيح ساكن ، والثانية مبتدئة بصوت صحيح ساكن[٤٩] ) .

١٢ ـ في ص ١٥٧ نقل النص التالي عن ابن جني : ( ولما كانت معاني المسمّين مختلفة ، كان الاعراب الدال عليها مختلفا أيضا ) . وبعـد أن أشـار إلى مصدر هذه العبارة أحالنا إلى مرجعين آخرين ، هما سر الصناعة لابن جني ، ومدرسة الكوفة للمخزومي . وقـد رجعت إلى ص ٢٥٦ من كتـاب المخزومي ، وهي الصفحـة التي أحـالنـا إليهـا الـدكتور عمـايرة ، فـاذا هو يتحـدث عن شيء آخر ، يتحـدث المخزومي عن علامـات الاعراب عنـد

الكوفيين ، فيقول : ( وعلامات الاعراب عند الكوفيين حركات وحروف . أما الحركات فهي العلامات الغالبة ، وهي الدالة على المعاني الاعرابية في أكثر الأسماء المعربة . وأما الحروف فهي علامات خاصة ، لاتدل على المعاني الاعرابية إلا في مواطن معدودات ، وفي لهجات دون أخرى[٥٠] ) . فأين هذا النص من مضمون عبارة ابن جني حتى يحيلنا الدكتور عمايرة إلى هذين المرجعين في وقت واحد ؟

١٣ ـ في ص ١٩٠ ينسب إلى الانباري مايلي : والتلازم نوعان ، نوع يكون فيه الفصل بين المتلازمين ممكن سائغ ( كذا ) ، بل ويؤدي غرضا بلاغيا ، أو يوصل إلى معنى تحويلي ، وهو القائم بين الفعل والفاعل . لايوجد شيء من ذلك فيما أشار إليه الدكتور من المصدر المذكور .

١٤ ـ ومن النقول التي حرفها المؤلف ، مانقله في ص ١٦ عن السيوطي ، فقال : ( يقول السيوطي : اعلم ان اللغوي شأنه ان ينقل مانطقت به العرب ... ) وقد رجعت إلى السيوطي فوجدته يقول : ( قال عبد اللطيف البغدادي في شرح الخطب النباتية : اعلم ان اللغوي شأنه ...[٥١] ) فالقول اذن ، قول عبد اللطيف البغدادي ، ولا يجوز أن ينسب إلى السيوطي لأنه نقله في كتابه .

لاأريد أن استرسل في الحديث عن المغالطات والادعاءات وتحريف الأقوال في هذا الكتاب ، فما ذكرته يكفي . وعلى كل حال ، فقد حمدت للدكتور عمايرة ثناءه في المقدمة على الذين ذكر أنهم قدموا له الملاحظات النافعة ، ومنهم الدكتور يوسف الهلّيس ، أستاذ الأصوات في الجامعة الأردنية ، والبروفسور S . EL - ANI أستاذ الأصوات في جامعة انديانا . والبروفسور EL - ANI ، عزيزي القارئ ، هو الأستاذ الدكتور سلمان

العـاني ، عربي وابن عربي . ولاداعي للعتب لـورود اسمـه بـالانكليزيـة ، دون سـائر الاسـاتـذة العرب الـذين ورد ذكرهم في المقـدمـة ، فهـو ليس معروفـا لكثير من قراء العربيـة ، وأمـا الآخرون فهم معروفـون للقـارئ العربي .

## الحواشي والتعليقات

(١) خليل عمايرة في نحو اللغة وتراكيبها ، ص٧ .

(٢) John Lyons , **Semantics** 2 , 506 .

(٣) خليل عمايرة ، في نحو اللغة وتراكيبها ، ص ٨ .

(٤) خليل عمايرة ، المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٥) المرجع السابق ، ص ٥٨ .

(٦) N . Chomsky , **Aspects of the theory of Syntax** , 1982 , P . 18

(٧) J . Lyons , **Semantics** , 2 , P . 467 .

(٨) خليل عمايرة ، المرجع السابق ، ص ١٧ .

(٩) السيوطي ، المزهر جـ ١ ، ص ٢٥ .

(١٠) خليل عمايرة ، المرجع السابق ، ص ١٨ .

(١١) انظر مثلا : 1 - John Lyons . **Language and Linguistics** , P . 37

2 - F . Dinneen . **An Introduction to General Linguistics** , P . 1

. 3 - R . Wardhaugh . **Introduction to Linguistics** , P . 1

4 - F . Southworth & Ch . Daswani . **Foundations of Linguistics** , P . 5

(١٢) خليل عمايرة ، المرجع السابق ، ص ٢٩

(١٣) المرجع السابق ، ص ١٨

(١٤) المرجع السابق ، ص ٢٦

(١٥) انظر مثلا : 1 - P . Postal . **Aspects of phonological Theory**

2 - F . Dell . **Generative phonology**

(١٦) يسميهـا أستـاذي البروفسور Catford بـ Suction Sounds انظر كتـابـه المتـاز : **Fundamental Problems in phonetics , p . 64** ويسميهـا أستـاذي البروفسـور Pike بـ Ingres-sive Sounds . انظر كتابه : **phonetics , p . 88**

(١٧) Catford . **Fundamental problems in phonetics** , pp 71 - 72

(١٨) خليل عمايرة ، المرجع السابق ، ص ٢١

(١٩) المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٢٠) المرجع السابق ، ص ٢١ .

(٢١) انظر نظائر ذلك في : K . pike . **Tone Languages** , p . 16

(٢٢) خليل عمايرة ، المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

(٢٣) W . Smalley **Manual of Articulatory Phonetics** , pp . 90 -94

(٢٤) خليل عمايرة ، المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

(٢٥) المرجع السابق ، ص ٢٣ .

(٢٦) علي عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، ص ١٩٦ .

(٢٧) خليل عمايرة ، المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٢٨) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٢٩) المرجع السابق ، ص ٢٣ .

(٣٠) المرجع السابق ، ص ٢٤ .

(٣١) المرجع السابق ، ص ٤١ .

(٣٢) المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(٣٣) المرجع السابق ، ص ١١٠ ـ ١١١ .

(٣٤) سيبويه ، **الكتاب جـ ١** ، ص ١٤ .

(٣٥) المرجع السابق ، ص ١٤ .

(٣٦) المرجع السابق ، ص ١٧ .

(٣٧) الانباري ، **الانصاف جـ ١** ، المسألة الرابعة عشرة .

(٣٨) خليل عمايرة ، المرجع السابق ، ص ٩٧ .

(٣٩) الانباري ، المرجع السابق ، ص ٥٤ .

(٤٠) خليل عمايرة ، المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

(٤١) السيوطي ، **الفرائد الجديدة جـ ٢** ، ص ٥٧٠ .

(٤٢) المرادي ، **الجنى الداني** ، ص ١٥٣ .

(٤٣) المالقي ، **رصف المباني** ، ص ٤٢٠ .

(٤٤) السيوطي ، **همع الهوامع جـ ١** ، ص ١٣ .

(٤٥) خليل عمايرة ، المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(٤٦) السيوطي ، **همع الهوامع جـ ١** ، ص ١٣ .

(٤٧) إبراهيم السامرائي ، **فقه اللغة المقارن** ، ص ١٢١ .

(٤٨) داود عبده ، **أبحاث في اللغة العربية** ، ص ١٠١ .

(٤٩) المرجع السابق ، ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

(٥٠) مهدي المخزومي ، **مدرسة الكوفة** ، ص ٢٥٦ .

(٥١) السيوطي ، **المزهر جـ ١** ، ص ٥٩ .

# المـــــراجع

## أولا : المراجع العربية

١ ـ الأنبـاري ، أبو البركات . أسرار العربيـة ، تحقيق محمد بهجـة البيطـار ، دمشـق ، مطبعـة الترقي ، ١٩٥٧ .

٢ ـ الأنباري الانصاف في مسائل الخلاف ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ١٩٦١ .

٣ ـ بروكلمان ، كارل . فقه اللغات السامية ، ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب ، مطبوعات جامعة الرياض ، ١٩٧٧ .

٤ ـ ابن جني ، أبو الفتح عثمان . الخصائص ، تحقيق محمد علي النجـار ، بيروت ، دار الهـدى ، بدون تاريخ .

٥ ـ السامرائي ، إبراهيم . فقه اللغة المقارن ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٦٨ .

٦ ـ سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان . الكتاب ، تحقيق عبد السلام هـارون ، القـاهرة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ .

٧ ـ السيوطي ، عبد الرحمن . الفرائد الجديدة ، تحقيق عبد الكريم المدرس ، بدون تاريخ .

٨ ـ السيوطي المزهر ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى ورفيقيـه ، القـاهرة : البـابي الحلبي ، بـدون تاريخ .

٩ ـ السيوطي همع الهوامع ، بيروت ، دار المعرفة ، بدون تاريخ .

١٠ ـ عبده ، داود . أبحاث في اللغة العربية ، بيروت ، مكتبة لبنان ، ١٩٧٣ .

١١ ـ عمايرة ، خليل . في نحو اللغة وتراكيبها . جدة ، عالم المعرفة ، ١٩٨٤ .

١٢ ـ كمال ، ربحي . دروس اللغة العبرية . دمشق ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٦٦ .

١٣ ـ المالقي ، أحمد . رصف المباني ، تحقيق أحمد الخراط ، دمشق ، ١٩٧٥ .

١٤ ـ المبرد ، أبو العبـاس محمـد . المقتضب ، تحقيق محمـد عبـد الخـالـق عضيمـة ، بيروت ، عـالم الكتب .

١٥ ـ المخزومي ، مهدي . مدرسة الكوفة ، القاهرة ، البابي الحلبي ، ١٩٥٨ .

١٦ ـ المرادي ، الحسن . الجنى الداني في حروف المعاني ، تحقيق فخر الدين قباوة ، ومحمد نديم فاضل . حلب ، المكتبة العربية ، ١٩٧٣ .

١٧ ـ وافي ، علي عبد الواحد . علم اللغة ، القاهرة ، نهضة مصر ، ط ٧ .

١٨ ـ ابن يعيش ، يعيش بن علي . شرح المفصل ، بيروت ، عالم الكتب .

## ثانياً : المراجع الأجنبية

1 - Catford , j . , c . **Fundamental problems in phonetics** . Indiana University press , 1977 ..

2 - Chomsky , N . **Aspects of the Theory of Syntax** .M . I . T . press , 1982 .

3 - Dell , F . **Generative phonology** . Cambridge University press , 1980 .

4 - Dinneen , F .**An Introduction to General Linguistics** , N . Y . Holt , Rinehart & Winston Inc . , 1967 .

5 - Lyons , J . **Language and Linguistics** . Cambridge University Press , 1981 .

6 - - - - - - . **Semantics** . Cambridge University Press , 1979 .

7 - Pike , K . **Grammatical Analysis** . University of Texas , 1980 .

8 - - - - - - - . **Linguistic Concepts** . University of Nebraska Press , 1982 .

9 - - - - - - .**Phonetics** . The University of Michigan Press , 1971 .

10 - - - - - . **Tone Languages** . The University of Michigan Press , 1972 .

11 - Postal , P . **Aspects of Phonological Theory** . N . Y . Harper & Row , 1968 .

12 - Sampson , G . **Schools of Linguistics** . stanford University Press , 1980 .

13 - Sloat , C . ; Sh . Taylor , J . Hoard . **Introduction to phonology** . N . J . Prentice -Hall , Inc . , 1978 .

14 - Smalley , w . **Manual of Articulatory phonetics** .
California , Carey Library , 1977 .

15 - Southworth , F . ; Ch . Daswani . **Foundatinos of Linguistics** . N . Y . The Free Press , 1974 .

16 - wardhaugh , R . **Introduction to Linguistics** . N . Y . McGraw-Hill , 1972 .

# ملاحظات
# على
# ديوان بشار

الدكتور محمد حموية

٢٩ ـ وقال بشار في عبدة ( ١ : ١٧٦ ) :

خلقت مباعدة مقاربة حربا وتمّت صورة عجبا

لم يعلق الشارح والمراجعان على البيت بشيء .

و ( حربا ) لاتصح ، وان كان قوله ( مباعدة مقاربة ) يوحي بها .

والصواب فيها ( ضربا ) أي هي نسيج وحدها . وقد وصفها بشار بهذه الكلمة غير مرة ، فمن ذلك قوله ( ١ : ١٧٤ ) :

خلق النساء خلافها ضربا وليس لها ضريب

وقوله ( ١ : ١٦٥ ) :

كأنك لاترى حسنا سواها ولاتلقى لها في الناس ضربا

٣٠ ـ وقال بشار في سعدى ( ١ : ١٨٦ ) :

سقى الله سعدى من خليط مباعد على أنني فيما تحب وهوب

نرى أن الصواب في ( وهوب ) ( ذهوب ) أي أنا أجري فيما تحب .

٣١ ـ وقال أيضا في الغزل ( ١ : ١٩٤ ) :

للقلب راع اليها لا يفارقه وفي الضمير من الحب الاعاجيب

( راع ) صوابه ( داع ) بالدال ، ( اذ يقال : دعا اليه ، ولا يقال : رعى اليه ) ومنه قولهم ( دواعي الحب ) . ومنه قول ذي الرمة ( الديوان ٢ : ٧٠٣ ) :

وعن سوف تدعوني على نأي دارها دواعي الهوى من حبها فأجيبها

٣٢ ـ وقال بشار ( ١ : ١٩٦ ) :

يهزّني النـاس من واش ومنتصح والليث يفرس بين الكلب والذيب

( يهزّني ) صوابها ( يهرّني )[9] ، والهرير للكلب ، كما قال ( ٣ : ٢٢٣ ) :

رفعتَ قوماً وفي أحسابهم ضعةٌ وقد كعمتَ رجالا بعد تهرير[10]

٣٣ ـ وقال بشار ( ١ : ٢٠٧ ) :

ياصاح قم فاسقني بالكأس اعرابا ولاتطع عاقبا فينا وعقّابا

علق المراجعان على قوله ( اعرابا ) بقولهما : « من المعروف استعمال ( الاعراب ) بمعنى الابانة والافصاح ، فهل استعمل بشار ( الاعراب ) لذلك ، يريد : اسقني جهرة ؟ ولعل بشارا استعمل ( الاعراب ) في الشراب مأخوذا من الاعراب في سقي القوم والابل » الخ ماقالا .

وقال الشارح في كلامه على الشطر الثاني من البيت ـ اذ لم يتكلم على الشطر الأول منه ـ : « الظاهر أنه أراد بالعاقب : المغتاب والعقّاب مبالغة فيه » . ورأى المراجعان في كلامها على الشطر الثاني : « ربما كان المراد بالعاقب السيد أو خلفه الذي ينهى عن الشراب ... هذا اذا لم يكونا اسمي رجلين » .

أما ماذهب اليه المراجعان في كلامهما على الشطر الأول من البيت فقد أوحى به اليهما قول أبي نواس :

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ولاتسقني سرا اذا أمكن الجهر

وأما قولهما الثاني ( الاعراب مأخوذ من سقي القوم ... الخ ) فهو من التأول البعيد الذي يرتكبانه في الحين بعد الحين .

ونرى أن الصواب في قوله ( اعرابا ) ( أغرابا ج غرب ) وهي الخمرة في هذا البيت والغرب أيضا جام الفضة أو الذهب الذي يشرب به . قال بشار ( ١ : ٣٢٦ ) :

سأترك الغرّ للعيون ولا أترك شرب الصهباء والغربا

وأما ( عاقب ) و ( عقّاب ) فهما اسما رجلين . ومن عادة بشار أن يحشو شعره بأسماء يخترعها اختراعا ، فكان اذا سئل عن أصحابها يغضب . وقد جاء في شعره اسم عاقب في قوله ( ١ : ٢٢٦ ) :

بل ذكّرتني ريح ريحانة ومدهن جاء به عاقب

٣٤ ـ وقال بشار متغزلا ( ١ : ٢٠٨ ) :

تريك في القول جشابا وان ضحكت أرتك من ثغرها المفلوج جشابا

ذهب الشارح الى أن ( جشابا ) في الموضعين صفة للندى « وهو الندى المتساقط كأنه المطر صباحا ، شبه كلامها في الحسن والانتساب بقطر الندى ، وشبه ثغرها بقطر الندى » . وقد أحسن الشارح حينما أشار الى أن ( جشابا ) كانت في المخطوطة بالخاء المعجمة ، لان وجه الكلام عليها ، ( فالخشاب ) كلمة فارسية مركبة من كلمتين أولها

( خوش ) بمعنى الطيب واللذيذ والجميل والثانية ( آب ) وهو الماء . ويقال فيها ( خوشاب ) و ( خشاب ) وهو الرونق أي مايرى من مثل الماء في الأحجار الكريمة ويعني أيضاً شراب منقوع الفواكه الحلوة ، ولبشار محبوبة اسمها ( خشابة ) واسمها من هذه الكلمة ( الخشاب ) مع تاء التأنيث العربية .

٣٥ ـ وقال بشار ( ١ : ٢١٠ ) :

دنا بيت من أهوى وشط ببيته      حبيب فأصبحت الشقي المعذبا

ذهب الشارح الى أن كلمة البيت الثانية مجاز ، لأنه شرحه بقوله : ولكن بعده الحبيب بهجره . والصواب ( ببينه ) يريد : دنا بيت الحبيب مني ولكن بعد عني بعدم الوصال ، وبذلك يتخلص البيت من الركاكة على قراءة الشارح . وهذا كقوله ( ١ : ٣٤٩ ) :

بيّنا من قربه لي حاجة      ثم لا يقرب والدار صقب

٣٦ ـ وقال بشار متغزلا ( ١ : ٢١٨ ) :

أُخفي له ـ الرحمن يعلمه ـ      حبا يؤرقني غواربه
من كل شاعفة اذا طرقت      طرق المحب لها طبائبه
نقضي سواد الليل مرتفقا      ماتنقضي منها عجائبه

لم يكن البيت الأول في نسخة الشارح ، فنقله المراجعان من المخطوطة ، وقال المراجعان في شرح ( غواربه ) : « والغوارب ج غارب وهو الكاهل ، أراد شدته ويقال « بحر ذو غوارب وهي أعالي موجه » .

والصواب في ( غواربه ) عوازبه ، يريد بها الهموم التي تعاوده ليلا ،

كما قال ذو الرمة ( ذيل الأمالي للقالي ص ١٢٤ وهو في ديوانه ط مكارتني ص ٣٨ في الحاشية ) :

اذا سرحت من حب مي سوارح عن القلب آبته بليل عوازبه

وقال النابغة :

وصدر أراح الليل عازب همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب

وهذا واضح من البيتين الثاني والثالث : اذ ذكر الطروق وهو لايكون الا ليلا ثم ذكر في البيت الثالث سهره . وقد ذكر بشار هذا المعنى فقال ( ٣ : ٩٩ ) :

لم يبق لي الشوق من جمل وجارتها الا هموما تؤوب الليل أجنادا

وقال ( ٣ : ٣٢ ) :

اذا انجاب هم آب آخر مثله ولم تكتحل عيني من الهم مرودا

وأما قوله ( نقضي ) في البيت الثالث فهو تصحيف ( فقضى ) وفاعل قضى يعود على ( الحب ) .

وقد فسر المراجعان قوله ( مرتفقا ) بمعنى الثابت أو الممتلئ وجعلاه حالا من الليل[11] . والصواب أنه حال من فاعل قضى ومعنى ( مرتفقا ) متكئا على مرفقيه ، وهي هيئة المفكر المهموم الساهر ، كما قال هو في هذا المعنى ( ٣ : ١٣٥ ) :

نبابك خلف الظاعنين وساد ومالك الا راحتيك عماد
لخدّك من كفيك في كل ليلة الى أن ترى وجه الصباح وساد

٣٧ ـ وقال بشار ( ١ : ٢٣٠ ) :

أقول إذ ودعوا نجدا وساكنه وحالفوا غربة بالدار فاغتربوا

ضبطت الغين من قوله ( غربة ) بالضم فيصبح قوله ( فاغتربوا ) حشوا ، والصواب ضبط الغين من ( غربة ) بالفتح ، ومعناها البعد . ومثله في ضبط ( غربة ) بالضم قوله ( ١ : ٢٤٨ ) :

ولما فارقتنا أم بكر وشطت غربة بعد اكتئاب

والصواب الفتح فيها أيضا . ( قوله اكتئاب صوابها : اكتثاب أي بعدت بعد قرب ، وان لم ترد اكتثاب بهذه الصيغة في اللغة ) .

٣٨ ـ وقال بشار في وصف الابل ( ١ : ٢٣٢ ) :

لم يبق منها على التأويب ضائعة ورحلة الليل الا الآل والعصب

( ضائعة ) تصحيف ( ضابعة ) وهي حال من الابل ، والضابعة التي تهوي بيديها الى عضديها وهو وصف للخيل والابل كما قال جرير :

نحن الذين لحقنا يوم ذي نجب والخيل ضابعة مثل السراحين

٣٩ ـ وقال بشار في الهجاء ( ١ : ٢٦٠ ) :

هب لي انتقاصك عرضا غير منتقص فما متاعك في الدنيا بمرهوب

من قصيدة قال الشارح فيها : « أشكلت معاني معظم هذه القصيدة ، وغالب ظني ان فيها هجاء مقذعا » .

قلت : لعل معظم الاشكال ناشئ من التصحيفات التي لا يمكن الاهتداء الى وجه الصواب فيها .

فسر الشارح البيت بقوله : « هب لي بمعنى تفضل علي واسمح ، قال عمر بن الخطاب هبوني صمتا ، والمعنى اترك انتقاصك عرضي الموصوف بأنه لاينتقصه أحد . فقوله هب لي تهكم » .

قلت : فسر الشارح البيت بعكس معناه ، لأنه نظر في الشطر الأول من البيت وأغفل الثاني ، وفيه توضيح المراد من الأول . وفي قوله ( مرهوب ) في الشطر الثاني من البيت تصحيف صوابه ( موهوب ) والمعنى ان الشاعر يقول للمهجو : هب لي ذنب انتقاصي عرضك غير المنتقص ، لأن من عادتك أنك تتغاضى عن ذلك ، ولكنك لاتهب من متاعك شيئا لأحد .

وتحرير المعنى : لايجرؤ أحد على طلب شيء منك لأنك لاتجود بشيء مما تملك مادمت حيا ، ولكنك قد تغفر ذنب من يشتم عرضك ، فأنا أطلب منك أن تهب لي ذنب شتم عرضك .

فالكاف من قوله ( انتقاصك ) على تفسيرنا في موضع المفعول أي : انتقاصي اياك ، وعلى تفسير الشارح في موضع الفاعل ، وعلى تفسيره ينقلب المعنى فيصبح الشاتم ( وهو الشاعر ) مشتوما وينقطع الشطر الاول عن الثاني ، ويغيب المعنى الذي أراده الشاعر ، والسخرية التي قصدها في إمساك المال والبخل به ، وهبة شتم العرض وغفران ذنب الشاتم ، وبذلك يظهر التهكم الذي أراده الشاعر ، لاعلى مافسر الشارح به البيت . وفي قول الشاعر ( عرضا غير منتقص ) تهكم آخر ، على طريقة المدح الذي يراد به الذم .

٤٠ ـ وقال بشار متغزلا ( ١ : ٢٦٢ ) :

كأنما دهنت دهنا وقد عركت ليـــل التام بتعضيض وتقليب

ضبطت التاء من ( التام ) بالفتح ، والصواب أن تضبط بالكسر و ( ليل التمام ) أطول ليلة في السنة .

٤١ ـ وقال ( ١ : ٢٦٤ ) :

كم قــد نشبت بغيري ثم زغت بهـا فاستحي من كذب لاخير في الكذب

( نشبت صوابها نسبت ، نظرات : ص ٧٤ ) .

في البيت تصحيف في قوله ( زغت ) صوابه ( رغت ) بالراء المهملة من راغ يروغ[12] وقد أكثر بشار من ذكر الروغان في هذا المعنى ، فقال ( ١: ١٧٣ ) :

ومـا الحب الا صبـوة ثم دنـوة اذا لم يكن كان الهوى روغ ثعلب

وقال ( ١: ١٧٣ ) :

ويلي على روغـــانهــا ولســانهــا الملــق الخلــوب

٤٢ ـ وقال على لسان فتاة اسمها سلمى ( ١ : ٢٦٥ ) :

لانستطيع ولا نسطاع من سرف فالصفح أمثل من وصل على رقب

قوله ( من سرف ) نرى أن صوابه ( من شرف ) أي لانستطيع أن نزورك أو أن تزورنا لما لنا من المكانة في قومنا . وقد ورد السرف بمعنى الشرف فهل أراده بشار ؟

٤٣ ـ ومن القصيدة نفسها على لسان سلمى ( ١ : ٢٦٥ ) :

ولـو أطيعـك في نفسي معـالجـة　　أنهبت عرضي ومـا عرضي بمنتهب

( معالجة ) يظهر أنها محرفة ، وربما كانت محرفة عن ( معـالنـة ) أي لاأستطيع مواصلتك علنا ، والا نالتني ألسنة الناس .

٤٤ ـ وقال في صفة جمل ( ١ : ٢٨٢ ) :

عرد اذا خرس المطيّ كأنمـــا　　يغـدو يجرجر دارس في نـابـه

فشرح الشارح قولـه ( عرد ) بـالصلب الشـديـد ، ونرى أن الصواب فيه ( غرد ) من التغريد ويريد به هنا صريف أنيابه أثنـاء المسير علامـة على نشاطه ، لأن السير الطويل يصيب الابل بالاعياء والكلال فتصمت ، ولـذلـك قـال ( خرس المطي ) أي : اذا كلّت الابل وأعيت فصمتت ظـل جملي يهدر ويصرف بأنيابه نشاطا . كما قال زهير :

كأنّ صريف نـابيــه اذا مــا　　أمرّهمـــا ترنّم أخطبـــان

و ( الاخطبان ) اسم لطائر . وقال بشار في هذا المعنى في صفـة جمل ( ١ : ٣٤٢ ) :

معوج اذا أمسى طروب اذا غدا　　مجدّا كما غنى على الايك أخطب

والأخطب هو الاخطبان .

٤٥ ـ وقال بشار يمدح داوود بن حاتم ( ١ : ٢٨٩ ) :

وأبـــلّ يلتهم الخصـــوم مرغّم　　بصـواب منطقـه وغير صـوابـه
وجهت عن بيت السبيل سبيله　　بمحـــالـة وردعتـــه بجـوابـــه
واذا الخطوب تقنعت عن لاقح　　تـدع الـذليـل لنسره وغرابـه

من قصيدة جرى فيها بشار على نهج القدماء ، وقد كثر فيها التصحيف .

قال الشارح : الأبلّ : الشديد الجدل ، وسكت عن بقية البيت وشرح المراجعان قوله ( مرغم ) بأنه الذي يقال له : ( رغما رغما ) وذهبا الى أن قوله ( يلتهم ) ربما كانت مصحفة عن ( يتهم ) وقولها هذا ( أي أن يلتهم مصحفة عن يتهم ) ينبئ عن أنها لم يوفقا الى فهم معنى البيت . والصواب في قوله ( مرغم ) بالراء ( مزعم ) بالزاي والمزعم : هو الذي يخشاه الناس في الخطاب فلا يردون عليه ان صدق أو كذب . هذا مابقي في ذاكرتي مما قرأت ، ولم أجد هذه الكلمة بعد ذلك في المطولات ، واهمال هذا المعنى غريب[13] . وقول بشار يوضحه ، وكأنه شرح لمعنى مزعم ، ألا ترى انه يقول : لايردون عليه ان أصاب أو أخطأ . و ( يلتهم ) صحيحة معبرة تعبيرا جيدا عما يريده بشار من وصف رجل مجادل لسنٍ له هيبة لايستطيع السامعون أن يردوا عليه ان أصاب أو أخطأ فانبرى له الممدوح فردعه ووجه عن بيت السبيل سبيله بمحاله ( الصواب في محالة أن تكون الهاء ضميرا عائدا على الأبلّ ) .

وأما ( تقنعت ) في البيت الثالث فذهب المراجعان الى انها ( ربما كان تقنعت عن ... محرفا عن تقنعت في ... أي دخلت مداخل الحرب ) .

ونرى أن الصواب في ( تقنعت ) ( تفتقت ) أي اذا تكشفت وظهرت ، ولذلك عداها ( بعن ) ، اذ يقال : « تفتق الامر عن كذا » .

٤٦ ـ وقال من قصيدة مسرحية في وصف الصدى ( ١ : ٢٩٩ ) :

هو الخنف لاإنس ولا نجل جنّة    يعيش ولا يغـــذوه أمّ ولاأب

وقف الشارح على معنى البيت ، ولكنـه ذهب الى أن ( الخنف ) اسم ربما اشتقه بشار من ( الخنف ) ، وهو ميل الفرس أو البعير الى أحد الشقين اذا جرى من شدة النشاط . وتفسيره هذا لايلائم المعنى فما علاقة جري الفرس أو البعير بالصوت والصدى ، ولاسيا في قولـه ( هـو الخنف ) . فكأنما أراد الشارح أنه عدل عن كونه انسا أو جنا ، وهذا تأويل بعيد ، ولذلك عقب المراجعان على هذا بقولها « الذي نراه أن « الخنف » محرفة عن « الحيف » وهو الهام والصدى » .

والصواب ( هو الحنّ ) وذلك أن العرب كانت تعتقد أن المخلوقات انس وجنّ وحنّ ، والحنّ في رأيهم خلق ليس بأنس ولا جن . وهـذا ماأراده بشار من أن الصدى ليس بانس ولا جن ، وله وجود ، ولكنه لايغذوه أم ولا أب .

٤٧ ـ وقال في وصف الاتن الوحشية من قصيدته البائية المشهورة التي فخر بها بقيس عيلان ( ١ : ٣١١ ) :

رعى ورعين الرطب تسعين ليلة    على أبق والروض تجري مذانبه

ذكر الشارح ان ( الابق ) « نبت كالكتان يتخذ من ليفه الحبال وله حبّ ترعاه حمر الوحش » . وقول الشارح : ( وله حب ترعاه حمر الوحش ) ، من زياداته التي استنبطها من هذا البيت ، وصواب ( الابق ) ( الانق ) ، و ( الانـق ) حسن منظر المرعى وبهجته ومنه قولهم : ( مرعى أنيق ) .

وقد جاء الأبق والأنق بمعناهما هنا في رجز لرؤبة يصف حمر الوحش :

لوّح منه بعد بدن وسنق
من طول تعداء الربيع في الانق
تلويحك الضامر يطوى للسبق
قود ثمان مثل أمراس الابق

فلا معنى لرعي أمراس الكتان في بيت بشار .

٤٨ ـ وقال في صفة الحمار الوحشي والصائد الذي رماه ( ١ : ٣١٥ ) :

رمى فأمرّ السهم يمسح بطنه ولباته فانصاع والموت كاربه
( ووافق ) أحجاراً ردعن نضيّه فأصبح منها عامراه وشاخبه

ذهب الشارح الى أن النضيّ ( هو مابين العاتق الى الأذن ، أي صادف العير أحجارا سقط عليها ميتا ) . وهذا التفسير مخالف لغرض الشاعر ومنطوق كلامه . أما مخالفته لغرض الشاعر فان الشاعر أراد أن يصف سرعة جمله في السير الى الممدوح فشبهه بالحمار الوحشي الذي جمع أتنه وقصد نبعا من الماء كمن في حافته صائد ، فلما اقترب من الماء رماه الصائد ، فاندفع الحمار بأقصى ما يستطيع من سرعته لينجو من الموت . ومن عادة الشعراء أن يشبهوا مطاياهم في سرعتها بسرعة هذا الحمار عندما يرميه الصائد فينصاع هاربا بكل ماأوتي من قوة . فما ذهب اليه الشارح يناقض غرض الشعر في ذلك . وأما مخالفته لمنطوق كلامه ، فان الشاعر بيّن انه لم يصب الحمار في البيت قبله اذ قال : لامس السهم بطن الحمار

وصدره ( وهذا أشد اثارة لذعر الحمار وشدة جريه ) وقد قارب الموت ولكنه لم يمت . وأما ( النضيّ ) في البيت الثاني فليس المراد به مابين العاتق والاذن بل المراد به ( السهم ) هنا ، وهو الذي ارتطم بالاحجار . وهذا معنى معروف للشعراء . قال أوس بن حجر في وصف الحمار والصائد الذي رماه فأخطأه :

فمرّ النضيّ للذراع ونحره     وللحين أحيانا عن النفس صارف

وقال ذو الرمة :

رمى فأخطأ والأقدار غالبة     فانصعن والويل هجيراه والحرب

وأما كلمة ( وافق ) فقد تآكلت في المخطوطة فبقيت منها بقايا ، واختياره لها سديد من حيث المعنى ، وان كان الشعراء يعبرون في هذا المقام ( بصادف ) كما قال متمم بن نويرة ( المفضلية ٩ ب ١٦ ) :

فرمى فأخطأها وصادف سهمه     حجرا ففلّل والنضيّ مجزع

وقال ذو الرمة :

تنحّى لأدناها فصادف سهمه     بخاطئة من جانب الكيح ناطح

ولم يتضح لي وجه المعنى في الشطر الثاني من البيت الثاني .

٤٩ ـ وقال بشار في وصف جمله من القصيدة البائية السابقة ( ١ : ٣١٦ ) :

رفعت به رحلي على متخطرف     يزف وقد أوفى على الجذل راكبه

ليس في البيت تصحيف ، وانما فسره الشارح على غير وجهه ، وقد

أحببت أن أبيّن مافيه لكثرة اختيار الناس لهذه القصيدة وتدريسها للطلاب. فسر الشارح ( الجذل ) بالجبل وقال « أي أن راكبه ( الجمل ) كالجبل في ارتفاعه . وهذا ليس وجه المعنى ، ومراد الشاعر وصف نشاطه جمله ( في خطرفته وزفيفه ) في شدة الهاجرة ـ والهاجرة وقت تكلّ فيه الجمال ـ وقد كنى عن شدة الهاجرة باختباء الحرباء بين اغصان الشجر من شدة الحر . ومن المعروف ان الحرباء يتبع الشمس فوجهه أبدا اليها ، فاذا مااختبأ الحرباء في فروع الشجر فما بالك ببقية الحيوانات ؟ ... فالذي أوفى ( أي انتصب ) على الجذل ( وهو غصن الشجرة ) هو الحرباء والجملة ( وقد أوفى ... ) حالية أي ركبت جملي الذي يتخطرف ويزف كالنعام ، اي يجري نشيطا ـ في هذا الوقت ، أي وقت الهاجرة وشدة الحر . وهذا معنى معروف اكثر الشعراء من ذكره . قال الأخطل في وصف الفلاة والحرباء :

أجزت اذا الحرباء أوفى كأنه    مصل يمان أو أسير مكبل

وقال ذو الرمة :

يظل بها الحرباء للشمس ماثلا    على الجذل الا أنه لا يكبر

وقال بشار ( ١ : ٢٣٢ ) :

جرداء حوّاء مخشي متالفها    جشمتها العيس والحرباء منتصب

٥٠ ـ وقال من القصيدة البائية ( ١ : ٣١٧ ) :

وما زال منا ممسك بمدينة    يراقب أو ثغر تخاف مرازبه

جعل الشارح قوله ( يراقب ) من صلة ( الممسك ) في المعنى ، على

ضبطه للكلمة بهذا الشكل ، والصواب انها من صفة المدينة فصحة ضبطها ( تراقب ) بالبناء للمجهول والمراد ( بالمراقبة ) هنا الخوف . أي كم من مدينة تخشى أو ثغر مخوف حفظناهما من العدو[14] .

٥١ ـ وقال في صفة جيش من القصيدة البائية المشهورة ( ٣٢٠ ) :

كأن جناباويه من خمس الوغا شمام وسلمى أو أجى وكواكبه

أطال الشارح في كلامه على ( جناباويه ) وأنه مثنى ( جنابى ) وكذلك الى أن ( خمس ) مخففة من ( خميس ) وهو الجيش لانه خمس فرق الخ ماقال . وذهب المراجعان الى أن تفسير الشارح ( لجناباويه ) فيه نظر وقالا : « لعل في الكلمة تحريفا » . وهذا مانراه أيضا . وقد وفقا في إدراك تحريف ( خمس ) من ( حمس ) بمعنى اشتداد الحرب[15] والصواب ماذهبا اليه . وقد جاء هذا التركيب في الشعر القديم . فمن ذلك قول الاخطل في صفة الخيل :

فتركن قد قضين من حمس الوغى وطرا وجلن هناك كل مجال

وقال ثابت قطنة ( الاغاني ١٤ : ٢٧٨ ) :

انا لضرابون في حمس الوغى رأس المتوج ان أراد صدودا

وقال ثابت أيضا ( الأغاني ١٤ : ٢٧٩ ) :

حتى اذا حمس الوغى وجعلتهم نصب الاسنة اسلموك وطاروا

وقال بشار في مثل هذا المعنى ( ٣ : ٢١٥ ) :

عندهم نجدة اذا حمس الرو ع وفيهم مهابة للفجور

٥٢ ـ وقال في مدح المهدي وذم خصومه ( ١ : ٣٣١ ) :

بعدا وسحقا لمن تولى عن الـ ـحق وعاصى المهديّ مرتعبا

( مرتعبا ) تصحيف ( مرتغبا ) بالغين المعجمة ، يريد أن أعداء المهدي تولوا عن الحق طمعا ورغبا . ولا يريد أنهم تولوا عن الحق خوفا .

٥٣ ـ وقال في صفة حصان ( ١ : ٣٣٦ ) :

شمّريّ أَجشُّ كالشّبَبِ الغـا دي أقرّت جنانه الكلاَّبُ

ذهب الشارح الى أن ( أقرت ) هنا بمعنى أبردت ، « والمراد أنها أرعدت قلبه خوفا ، لأن الخوف يجعل في القلب مثل رعدة البرد » .

وذهب المراجعان الى أن ( أقرت ) ربما كانت محرفة عن ( أفرّت ) « بمعنى حملته على اللجاج في الفرار » .

قلت : قراءة الشارح للكلمة وتفسيره لها فيهما تكلف وبعد . وما ذهب اليه المراجعان أقرب . ونرى أن الصواب في الكلمة ( أفزّت ) أي أفزعته كما قال أبو ذؤيب في هذا المعنى :

والدهر لايبقى على حدثانه شببٌ أَفزّته الكلابُ مروّع

٥٤ ـ وقال في مدح روح بن حاتم ( ١ : ٣٣٨ ) :

وله من ندى قبيصة بحر حضرميّ لجانبيه عباب

حمدته القرى ، وسرّ به الجا ر ، وعاشت في فضله الاحباب

لم يتكلم الشارح والمراجعان على البيتين بشيء .

قوله ( حضرمي ) كأنه نسبة الى حضرموت ، وما أظن بشارا أراد نسبة البحر الى ( حضرموت ) وانما هو تصحيف صوابه ( خضرمي ) وهو من صفة البحر ، اذ يقال ( بحر خضرم ) وقد زاد فيه الياء للمبالغة كزيادتها في ( أحمري ) و ( دوّاري ) .

وأما قوله ( الاحباب ) في البيت الثاني فواضح انه تصحيف ( الاجناب ) اذ لايمدح الانسان بفضله على أحبابه ، وقد أراد الشاعر التقسيم وشمول عطاء الممدوح فهو يعطي القريب والبعيد كما قال في هذا المعنى ( ١ : ٢٣٧ ) :

ينتابه الاقرب الساعي بذمته     اذا الزمان كبا والخابط الجنب

٥٥ ـ ومن القصيدة نفسها في مدح روح ( ١ : ٣٣٩ ) :

زعم الأقربُ المقابل في الحـ( م )ـيّ معيدا وتزعم النسّاب

ضبط الشارح كلمة ( المقابل ) بكسر الباء وفسرها « بالجار المقابل بيته ، فالقرب هنا قرب المكان » . وفسر « معيدا » « بمؤكدا زعمه » . وفسر ( النساب ) بأقارب الممدوح . أما ضبط ( المقابل ) بكسر الباء فهو من التسرع اذ أوحت كلمة ( الحي ) به ليصح بعد ذلك انه الجار المقابل بيته ، فكأن الشارح أراد بالجار المقابل بيت الممدوح أنه ممن يعرف الممدوح حق المعرفة ، وتفسيره ( معيدا ) بقوله « مؤكدا زعمه » يناقض ماذهب اليه الشارح فان الرجل الذي يحتاج جاره الى تأكيد زعمه وكذلك الى زعم أقاربه أنه كريم لرجلٌ كرمُه في موضع شك .

والصواب ضبط ( المقابل ) بفتح الباء . والمقابل هو الكريم نسبا من

قبل أبيه وأمه ، و ( الحي ) يراد به القبيلة هنا ( لاحي السكان ) و ( المعيد ) هنا المراد به : العالم بالامور الذي ليس بغمر ( اللسان : عود ) وهو حال من فاعل زعم : وزعم هنا معناها رأى واعتقد . واما قوله ( النسّاب ) فلي فيها توجيهان : أحدهما أنه أراد بالنسّاب ذوي النسب ( وان لم يكن هذا الجمع قياسيا ) ، كما قال بشار في غلام ( مقابل منسوب )( ١ : ٣٧٠ ) :

يهذي بخشف مونق مشرق     مقابل الجدين منسوب

والثاني أنه أراد بالنساب علماء النسب لمعرفتهم أحوال الناس ، ويجوز على هذا ان تقرأ الكلمة بفتح النون على لفظ الواحد .

وفي البيت معنى دقيق لابأس من الاشارة اليه ، وهو أن الشاعر ذكر الاقرب الكريم الأبوين وأنه يقر للمدوح بمكانته ، لأن القريب النسيب قلما يقر لذي قرباه بالفضل والتقدم الا اذا كان انكار هذا الفضل مثل انكار الشمس في رابعة النهار .

٥٦ ـ وقال بشار ( ١ : ٣٥١ ) :

ليس بالصافي وان صفيته     عيش من يصبح نهبا للرتب

علق المراجعان وحدهما على قوله ( الرتب ) فذهبا الى انها قد تكون مصحفة عن ( الريب ) ، وماذهبا اليه قد يناسب المعنى ، الا أن رسم الكلمة لايساعد عليه لموضع النقطتين من فوق . ونرى أن صواب الكلمة ( الرقب ) ج ( رقبة ) بمعنى الخوف كما قال ( ١ : ٢٦٥ ) :

لانستطيع ولا نسطاع من شرف     فالصفح أمثل من وصل على رقب

يريد : التسلي عن المحبوب خير من مواصلته على خوف وفزع[16] .

٥٧ ـ وقال بشار متعزلا في فتاة اسمها الرباب ( ١ : ٣٥٤ ) :

كيف يسلو عن الرباب فؤادي وهواها ينوب عن كل ناب

قال الشارح في تفسير البيت : « ناب : اسم فاعل من نبا ينبو ، اذا بعد ، أي أن هواها في نفسي ينوب عنها وان نبت » .

وهذا الذي قاله الشارح تفسير للتصحيف ، ثم انه لايستقيم مع ماذهب اليه لأن هواها ( ينوب عنها ) ولا ينوب عن كل ناب . ونرى أن صحة الشطر الثاني : وهواها ينوب من كل باب[17] . أي : هواها يدخل عليه من كل باب فلا يستطيع السلو . وهذا كما قال ( ١ : ١٩٩ ) :

وشوقي في الصباح الى سليمى أتاني حبّها من كل باب

وكقوله ( ١ : ٢٤٩ ) :

لقد شط المزار فبتّ صبّا يطالعني الهوى من كل باب

وكقوله ( ١ : ٢٧٢ ) :

دخل الحب لهند قلبه من كل باب

وقال في مدح المهدي ( ١ : ٢٧٨ ) :

لايحسن الفحش وينكي العدى ويعتريه الجود من كل باب

٥٨ ـ وقال بشار متوعدا ( ١ : ٣٥٧ ) :

قد أنضج العير كيّا تحت فائله وربما ناله حلمي وقد شعبا

قال الشارح في تفسير البيت : « والمعنى انه يعاقب الرجل الشديد المشبه بالعير عقابا كالكي وربما عفى عنه » .

( شعبا ) بالعين المهملة صوابها بالغين المعجمة ، وربما كانت ( شعبا ) بالعين المهملة من اخطاء الطباعة . وشغب وشغاب ومشغب كلمات كثيرة الدوران في شعر بشار .

٥٩ ـ وقال بشار متغزلا بفتاة اسمها بانة ( ١ : ٣٥٨ ) :

١ ـ هيهات ، أفرخ روع بانة ، لايحول المغرب
٢ ـ مازلت عنك وقد أرى أن القلوب تقلّب
٣ ـ أيام أطعم كل مائلة الحمان وأشرب
٤ ـ ثم انقضى ذاك الزمان وغاب دهر أنكب

ضبطت كلمة ( المغرب ) في البيت الاول بضم الميم وكسر الراء ، ولم يتكلم عليه الشارح ولا المراجعان ، ولا يدرى ماالمقصود من هذا الضبط . ونرى ان الصواب فيه أن يكون بضم الميم وفتح الراء ( المغرب ) وهو الابيض . قال الشاعر ( الصحاح : غرب ) :

فهذا مكاني أو أرى القار مغربا وحتى أرى صمّ الجبال تكلّم

يريد بشار : محال أن يتحول الابيض عن لونه وكذلك أنا فاني لاأتحول عن حبها . وقال بشار في استحالة رجوع انسان عن غيّه ، وضرب لذلك مثلا بابيضاض القار من رجز له ( ٣ : ٢٤٢ ) :

دون تناهيك ابيضاض القار

وفي البيت الثالث قوله ( مائلة الحمان ) ، قال فيه الشارح : ( لم أعرف

للحمان معنى في العربية فلعل فيه تحريفا ) . وقال فيه المراجعان : ( قلنا : لعل الحمان محرفة عن الجفان ، والجفان ج جفنة ، وهي وعاء الطعام وربما كانت الكلمة ( مائلة ) التي قبلها محرفة عن ( مئكلة ) ونحوها . ان لم تكن أريد بها معنى الميل ) .

قلت : ( مائلة ) صحيحة سليمة والتحريف في قوله ( الحمان ) فهي محرفة عن ( الخمار ) وتركيب ( مائلة الخمار ) تركيب عربي معروف ، والبيت في الغزل فلا يصح أن تكون محرفة عن الجفان ، يريد ، أيام أذوق النساء المعتدات بجمالهن ، لأن ( مائلة الخمار ) كناية عن المرأة التي تبرز محاسنها ثقة منها بجمالها . قال : جران العود ( د : ١٥ ) :

وفي الحيّ ميلاء الخمار كأنها     مهاة بهجل من أديم تعطّف

وقال الراجز ( وهو منظور بن مرثد الأسدي ( السمط ٢ / ٦٨٤ وفيه أي في السمط في هذا الموضع شرح معنى اسقاط الخمار والكشف عن الوجه اعتدادا بالجمال )

جارية في سفوان دارها     قد أعصرت أو قد دنا إعصارها
تمشي الهوينا مائلا خمارها

وفي البيت الرابع قوله ( غاب ) تصحيف يعكس المعنى ، لان الشاعر يذكر أيام تلذذه بمن يحب ، ثم يذكر انقضاء ذلك الزمان الجميل فصحة ( غاب ) ( ناب ) أي ثم جاء زمان أنكب غيّر من عيشي وكدّره .

٦٠ ـ وقال في هجاء أبي هشام الباهلي ( ١ : ٣٦٤ ) :

دعوني واني من ورائي معضد     كفيتكم رايَ استه بذنوب

علق المراجعان وحدهما على البيت على قوله ( راي ) فقالا : ( ربما كان راي محرفا عن ريّ بتشديد الياء دون ألف وهو مصدر للفعل روى ) . قلت : الصواب فيها ( داء ) - يرميه بالأبنة - كما قال في حماد ( ٣ : ٣٠٦ ) :

لقد شاع لحمّاد بداء في استه ذكر

٦١ - وقال يتغزل في حبّى تمهيداً لهجاء الباهلي ( ١ : ٣٦٧ ) :

لقد ودعت حبّى وهام رقيبي وأصبح وادي اللهو غير عشيب

( هام ) هنا محرفة عن ( نام ) ، يريد : ودعت محبوبي فاستراح رقيبي وعبّر عن الاستراحة بالنوم كما قال ( ١ : ٣٦٤ ) :

فهذا أوان لأعوج على الصبا سمعت لعذالي ونام رقيبي

٦٢ - وقال في هجاء الباهلي أبي هشام ( ١ : ٣٦٧ ) :

شتمتَ فريخَ الزنج عرضي خسارة فان كنت كعبيا وكنت حبيبي

قوله ( خسارة ) نرى ان صوابها ( جسارة ) أي شتمك لي جسارة منك علي وأما الشطر الثاني من البيت فقد اصلحه المراجعان الى مايلي :

لأن كنت كعبيا وكنت جنيبي

وقد استندا في اصلاح ( حبيبي ) الى جنيبي الى قول بشار ( ١ : ٣٦٤ ) :

وقد جاءني من باهلي يسبني فأعرضت ان الباهلي جنيبي

وقد فسرا الجنيب في هذا البيت بالمجنوب وقالا في البيت الذي

نتكلم عليه : « لأن بشارا يذكر أن أبا هشام الباهلي جنيبه حين يسبه ويشتمه » . وماذهبا اليه من اصلاح الشطر والكلمة صحيح ، ولكن لم نتبين المعنى الذي أراداه من تفسيرهما ( الجنيب ) بالمجنوب ، كما لم يتكلم الشارح على البيت ، وهو يحتاج الى تبيان : وخلاصة ذلك ان الجنيب هنا بمعنى التابع ( أمالي القالي ج ٢ ص ٢٥٩ ) وهذا يقتضي أن يكون أبو هشام الباهلي تابعا لبني كعب الذين منهم بنو عقيل قبيلة بشار ، والحق أن بشارا ذكر أن هذا الباهلي كان عبدا لبني قشير حقبة من الزمان وقشير وعقيل أخوان من كعب ، ومن ثم جاز لبشار أن يجعله جنيبا وتابعا له فبين ذلك بقوله ( ٣ : ١٠٧ ) :

لقد كان عبدا للقشيري حقبة وبئس الفتى عولي اليدين رقاد
يقول له الكعبي في جنباته علاجك يابن الفاعلين جهاد

٦٣ ـ وقال يهجو حماد عجرد ويتهمه بحب الغلمان ( ١ : ٣٧٠ ) :

يختلس القلب بابرامه منه واطماع وتجنيب

نرى أن الهاء في قوله ( ابرامه ) صوابها أن تكون تاء ( بابرامة ) .

٦٤ ـ وقال في رثاء عمر بن حفص هزارمرد ( ١ : ٣٧٢ ) :

غلب العزاء على ابن حفص والاسى ان العزاء بمثله مغلوب

عدل المراجعان في ضبط الشارح لكلمة ( غلب ) بالبناء للمعلوم كما ضبطت كذلك في المخطوطة الى ضبطها بالبناء للمجهول وهو الصحيح . وبقي في البيت اصلاح آخر في ضبط ( الاسى ) فقد ضبطت الكلمة بفتح الالف ، والاسى بفتح الهمزة الحزن ، ولا يصح هنا ان يكون الاسى

مغلوبا وانما صحة الكلمة ان تضبط اما بضبط الهمزة من ( الاسى ) أو بكسرها وهي جمع ( أسوة ) بضم الهمزة أو كسرها والأسوة هنا مايتأسى به الحزين أي مايتعزى به ، ثم سمي الصبر ( أسى ) ( التاج : أسا ) وأما الأسى بفتح الهمزة فكلمة مفردة .

والمراد بالأسى هنا ( بضم الهمزة أو كسرها ) الصبر أي : غلب ( بالبناء للمجهول ) العزاء والصبر على ابن حفص ... الخ .. .

وقد قرن الشعراء الصبر والعزاء وانهما مغلوبان : فمن ذلك قول الحطيئة :

قالت أمامة لاتجزع فقلت لها     ان العزاء وأن الصبر قد غلبا

وقال حيان بن ظبيان السلمي الخارجي ( الطبري ٥ : ١٧٤ ) :

خليليّ مابي من عزاء ولا صبر     ولا اربة بعد المصابين بالنهر

وقال في اللسان ( أسا ) : ( الإسْوةَ والأُسْوةُ بالكسر والضم لغتان وهو مايأتسي به الحزين أي يتعزّى به وجمعها إساً وأُساً ، وانشد ابن بري لحريث بن زيد الخيل :

ولولا الأسى ماعشت في الناس ساعة     ولكن اذا ماشئت جاوبني مثلي

ثم سمي الصبر أساً ) .

٦٥ ـ وقال بشار يهجو ( ١ : ٣٧٤ ) :

ان كنت جانبت مهديا فان لنا     ...فما بالنا تخفى على الناب

ذكر الشارح ان في المصراع الثاني بياضا ( وقد بينا ذلك بالنقط ) وقال في الشطر الثاني ( الناب ، كتبت هكذا ولعل صوابه النابي أي البعيد ) . قلت صواب الشطر الثاني : فما بالنا نجفى على الباب .

وكثيرا ماصحفت كلمة الباب الى الناب وقد مر مثل ذلك في ( ٥٧ ) ومثله في ( ١ : ٣٧٦ ) :

أخي أنت النصيح فلا تلمني   فما دوني من النصحاء باب

حرفت كلمة باب الى ناب ، وصححها الشارح .

٦٦ ـ وقال يفتخر بالعجم ( ١ : ٣٧٩ ) :

حتى استلمنا ملكها   بملكنا المستلب

( استلم ) هاهنا لاتصح ، لان الاستلام خاص بلمس الحجر اما بالقبلة أو باليد ( الصحاح : سلم ) ، وأما معنى الأخذ فيقال فيه ( تسلّم ) . ومثل هذا لايخفى على بشار فقد قال في فتاة ( ٢ : ١٢٠ ) :

لها نصفات حولها يستلمنها   كما استلم الركنَ النواسكُ بالراح

فالصواب في ( استلمنا ) ( استلبنا ) وبذلك يتقابل المعنى في الشطر الأول بالشطر الثاني من البيت[18] .

## الحواشي والتعليقات

(9) كان الشارح رحمه الله قد علق على هذا الموضع بقوله : « وكتب ( يهزني ) بالزاي ، ولعله ( يهرّني ) بالراء » . فالتقى الشارح والناقد معا . وهرّه الناسُ : اذا كرهوا ناحيته ، قال الأعشى :

أرى الناس هرّوني وشهر مدخلي   ففي كل ممشى أرصد الناس عقربا

(10) الذي جاء في مخطوطة الديوان « بعد تهدير » بدال بعد الهاء ، وقد غيّرها الشارح الى « تهرير » براءين ، ثم قال في طبعة الديوان الثانية ( ٣ : ٢٠٢ ) : « وكتب في الديوان ( تهدير ) بدال بعد الهاء ، وهو صحيح ، إلا أنه بالراء هو المناسب لـ ( كعمت ) » . وأرى أن ( التهدير ) بالدال هي الصحيحة . فقد شبه بشار الشعراء المجائين الذين أسكتهم بفحول الإبل ، فهو قد كعمهم وسدّ أفواههم بعد تهدير ، والبعير يكعم وكذلك الكلب ، والتهدير للبعير ، وهو تردد صوته في حنجرته ، وفي المثل : كالمهدّر في العُنّة . قال الوليد بن عقبة يخاطب معاوية :

قطعت الـدهرَ كالسـدم المعنّى تهـدّرّ في دمشـق فـما تريمُ

ولامعنى لقول الشارح أن التهرير ( براءين ) هو المناسب لكعمتُ . فالكعم للبعير ، وقد يجعل الكمام ( بكسر الكاف ) على فم الكلب لئلا ينبح . وهم يكعمون البعير بعد تهدير ( بالدال بعد الهاء ) . ثم اني لم أجد كلمة ( التهرير ) براءين في المعجمات التي بين يدي للدلالة على مبالغة ( هرير الكلب ) كما ذكر الشارح . ( اللسان والتاج / هدر ، شرح نهج البلاغة مج ٢ : ٣٢٤ ).

(11) ذكر المراجعان تفسيراً آخر للبيت حين عرضا لقول بشار ( ٢ : ١٢٤ ) :

مستهـام النهـار مرتفـق اللـيـل إلى أن أعـاين الإصبـاحـا

فقد قالا : لعله يعني بقوله : « مرتفق الليل » انه يقضي ليل الحبين ساهراً لايضجع ضجعة النوم ، بل يرتفق ، اي يتكئ على مرفقه .... ولهذا المعنى الذي ذكرناه في الارتفاق أن يجري في قول بشار :

يقضي سـواد الليـل مرتفقـاً مـاتنقضي منهـا عجـائبـه

اذا كان أول هذا البيت ياء . وهناك وجه آخر ذكرناه في موضعه .

أما الشارح فقد عرض لتفسير ( مرتفق ) في طبعة الديوان الثانية ( ١ : ٢٤٤ ) فقال : « مرتفقا : حال من ضمير تقضي ، أراد نفسه ( كذا ) ، والمرتفق : المتكئ على مرفق يده . أي يقضي الليل غير مضطجع » . ثم أسقط ( الديوان ٢ : ٩١ ، ط ٢ ) ماقاله المراجعان في الحاشية المطولة التي سطراها على بيت بشار ( الديوان ٢ : ١٢٤ ، ط ١ ) .

(12) ذكر اللغويون : أن زاغ واوية يائية . والياء أفصح . وقالوا :

زاغ عن الطريق : عدل عنه .

زاغ الرجلُ : مال عن القصد وجار وعدل عن الحق .

أزغتُه وزغتُ به ـ يقال في كل ماجرى في المنطق .

ومن المجاز :

زاغت الشمسُ : مالت

زاغ البصرُ : كلَّ .

وأنشد ابن جني في ( زاغ ) الواوية :

صحــا قلبي وأقصر واعظــايــه وعلّــق وصــل أزوغ من عظــايــه

جعل الزوغان للعظاية .

وقالوا : زال ومال وزاغ متقاربة ، لكن زاغ لايقال الا فيما كان عن حق الى باطل ( لسان العرب ، القاموس المحيط ، تاج العروس ، التكملة للصغاني ، اساس البلاغة / زاغ ) .

وقال بشار ( الديوان ٣ : ١٠ ) :

يـاابنـة الخير عـدينــا [ مـوعـدا ] واذا زغت فمنينــا غــدا

وقال ( الديوان ٣ : ٦٩ ) :

ألانت لنــا يـوم التقينـا حـديثهــا أمــانيَّ وعــدٍ ثم زاغت بمــا تعــدُ

( وهذا تعليق عرض ، حين انشاد الشاهد الـذي أورده ابن جني ، وهو من الاستطراد الذي يدفع اليه التداعي . رووا أن المنصور أمير المؤمنين قال :

وهــاجرةٍ نصبتُ لهــا جبيني يقطّـع ظهرهــا ظهر العظــايــه

فأجازه بشار بقوله :

وقفتُ بهــا القلـوص ففــاض دمعي على خــدي واقصر واعظــايــه

انظر كتاب العقد لابن عبد ربه ٥ : ٣٨٢ والأغاني ٣ : ١٧٨ ـ ١٧٩ ) .

(13) جاء بيت بشار في المختار من شعر بشار ( ص : ٦٤ ) :

وألــدَّ بينهم الخصــومُ اذا بــدا بصـواب منطقــه وغير صـوابــه

ولم يشر محقق المختار الى التصحيف الذي وقع في البيت .

وجاء في المعجمات أن ( الترغم ) بالراء : الغضب بكلام وغيره .

وأن ( التزغم ) بالزاي والغين المعجمة : الغضب بكلام

وقد روي بيت لبيد بن ربيعة :

فـــأبلـغ بني بكر اذا مـــالقيتهـــا على خير مـــايلقى بـــه من ترغمـــا

روي ( ترغما ) بـالراء ، وروي ( تزغمـا ) بـالزاي ( لسـان العرب ـ رغم ، زغم ، ديوان لبيـد : ٢٨٥ ) .

(14) جـاء بيت بشـار بروايـة ( يراقب ) في طبقـات ابن المعتز : ٢٨ ، وراقب الشيءَ مراقبـة : حرسه . والرقبـة : التحفـظ والفرق . ورقيب القوم : حـارسهم . والرقوبُ والترقب والارتقاب : الانتظار ( اللسان ـ رقب ) .

(15) حَمِس الشرُّ وحمس الوغى وحمس الأمر حمساً ( من باب فرح فرحاً ) : اشتدّ .
حَمِس الرجلُ : اشتد وصلب في الدين والقتال . فهو حَمِسٌ ( كفرِحٍ ) وأحمسُ ، بيّن الحَمَسِ ، من قومٍ حُمْسٍ .

ورجلٌ حَمِسٌ وحميسٌ وأحمس : شجاع ( اللسان والقاموس والأساس ـ حمس ) .

ومن شعر بشار ( الديوان ٢ : ٣٠٣ ) :

لله درُّهُمُ جنـــــداً إذا حمســـوا وشبت الحرب نـــاراً بعـــد إخمـــادِ

(16) جاء بيت بشار في مجالس ثعلب ( ١ : ٣٦ ) :

ليس بـــالصـــافي وان صـــافيتـــه عيشٌ من يصبـــح نصبـــاً للريبْ

(17) كنتُ أعلمت في حاشيـة الـديوان ( أيـام كنت أتقلب في غيسـات الشبـاب ) أن التصحيف سطا على شطر البيت فأفسده ، وبدا لي آنذاك أن صحته : ( وهواها يئوب من كل باب ) ، أو ( وهواها يثوب من كل باب ) .

(18) في ( استلبنا ) خللٌ طباعي ، سلب البـاء الموحـدة نقطتهـا ، وجعلهـا أقرب الى الميم ، ولكنهـا ليست إيـاهـا . وقـد استعـادت صحتهـا وسلامتهـا في طبعـة الـديـوان الثـانيـة ( ١ : ٣٩١ ) .

# ( آراء وأنباء )

## انتخاب أعضاء مراسلين

انتخب مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق في جلسته المنعقدة في ( ١٢ / ٨ / ١٤٠٥ هـ ١ / ٥ / ١٩٨٥ م ) عضوين مراسلين هما :

١ ـ الأستاذ عبد الرحمن ناجونغ ( الصين )

٢ ـ الأستاذ الدكتور مختار الدين أحمد ( الهند )

وقد صدر قرار تعيينهما ( القرار رقم ١ تاريخ ١١ / ٦ / ١٩٨٥ ) .

كما انتخب مجلس المجمع في جلسته المنعقدة في ( ٢٦ / ٨ / ١٤٠٥ هـ ـ ١٥ / ٥ / ١٩٨٥ م ) الأعضاء المراسلين السادة :

١ ـ الأستاذ الدكتور محي الدين صابر ( السودان )

٢ ـ الأستاذ الدكتور عبد الله الطيب ( السودان )

٣ ـ الأستاذ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع ( الجمهورية العربية اليمنية )

٤ ـ الأستاذ أكرم زعيتر ( فلسطين ) .

وقد صدر قرار تعيينهم ( القرار رقم ٢ تاريخ ٢ / ٧ / ١٩٨٥ م )

# استفتاء وجوابه

تلقى الأستاذ الرئيس من الدكتور محمد حسين روحاني رسالة هذا نصها :

سماحة الأستاذ العلامة السيد الدكتور حسني سبح ، رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

مازلت مهتماً باللغة والثقافة العربية درساً وبحثاً وكتابةً وتدريساً منذ ما يربو على ٣٠ عاماً . وأخيراً بدأت عملي في تحضير كتاب باسم « الإعلال التفصيلي في اللغة العربية » يكون في ثلاث مجلدات ، هكذا : ١ ـ الثلاثي المجرد ( الواو والياء ) . ٢ ـ المهموز والمضاعف . ٣ ـ الثلاثي المزيد . ذهب المجلد الأول إلى الطباعة وسوف أرسل لكم نسخةً منه فور صدوره من الطبع . وأخيراً واجهت مشكلة : جاءت في المنجد هذه الأفعال :

١ ـ أوِب ـَـ : غضب
٢ ـ أوِدَ ـَـ : اعوج وانحنى
٣ ـ أيِكَ ـَـ : صار أيكة ــــ طبعة ٢١ ، ص ٢١ ـ ٢٢

السؤال : أليس من المفروض أنّ الواو والياء المتحركة والمفتوح ماقبلها تقلب ألفاً دائماً ؟ماحال هذا الاستثناء ؟ إذا كان هذا صحيحاً فكيف يكون الصرف في الماضي والمضارع فما بعد ؟

أرجو من سماحتكم الإجابة بالتفصيل . وشيء من السرعة لأننا أوقفنا

عملنا بانتظار جوابكم الكريم . أسأل الله لكم النجاح والصحة والعافية والتوفيق في سبيل خدمة الأمة العربية العظيمة .

دكتور محمد حسين روحاني

( أستاذ اللغة العربية )

تهران إيران ، خيابان انقلاب ، انتشارات نيل

وقد أحيل هذا الاستفتاء إلى عضو لجنة الأصول الأستاذ أحمد راتب النفاخ فأجاب بما هذا نصه :

لاريب أن مهيع العربية في الواو والياء إذا تحركتا وانفتح ماقبلهما ولم تكونا فاءين أن تُعَلاّ فتُقلَبا ألفاً . إلا أن هذه العلة كما بيّن المحقق الرضيّ في شرح الشافية ٣ / ٩٥ « ليست في غاية المتانة .... ولوهْنها تقف عن التأثير لأدنى عارض » . وانظر تمام كلامه ثمة . وكان من ذلك أن شذت في هذا الباب أفعال وأسماء شتى جاءت فيها الواو والياء على الصحة مع تحركهما وانفتاح ماقبلهما . ومن ذلك الأفعال الثلاثة التي ذكرها دكتور روحاني في استفتائه : أوِب ، بمعنى غضب ، وأوِد ، أي اعوجّ ، وأيك [ الأراك ] إذا التف وكثر وصار أيكة . والفعلان الأخيران نقلهما وأثبتهما غير واحد من أئمة اللغة . وأما الأوّل ـ أي « أوِب » بمعنى غضب ـ فلم يثبته من المتقدمين ـ فيما وقفت عليه ـ إلا الصغاني في الذيل والتكملة والصلة ، قال : « أوِبَ : غضب ، وأوأبه : أغضبه » ولم يذكر عمن نقل ذلك ، وتبعه المجد الفيروزابادي في القاموس ، قال : « أوِب ـ كفرح : غضب ، وأوأبته » وقال شارحه الزبيدي في التاج في « أوأبته » : « على مثال أفْعَلْتُه » وهو غريب ؛ فإن قِياس العربية يوجب أن يقال في « أفعلتُه » من هذا الحرف : « آوَبْتُه » والأصل : « أأْوبتُه » ولما اجتمعت همزتان : مفتوحة فساكنة سُهِّلت الساكنة فقُلبت ألفاً .

وإن صحّ نقل « أوأبتُه » بهذا المعنى من المقلوب قُدّمت فيه العين إلى موضع الفاء ، والوجه أن يقال في زنته : « أعْفلتُه » .

ونظير ماذكر الدكتور من الأفعال قولهم : « عَوِرَ ، وحَوِل ، وصَيِد » وقد ذهب أصحاب العربية في هؤلاء الأفعال إلى أن الواو والياء صحتا فيهنّ لأنهن في معنى مالابدّ من خروجه على الصحة لسكون ماقبل الواو والياء فيه . يريدون أنه كان من حقّهن من حيث دلالتهن على عيوب حسية ظاهرة أن يُبنَيْن على مثال « افْعَلّ » الموضوع للدلالة على هذا المعنى فيقال : « اعْوَرّ ، واحْوَلّ ، واصْيَدّ » ولما عُدِل بهن إلى بناء « فَعِل » صحت الواو والياء فيهن كما تصح فيهن إذا بنين على مثال « افْعَلّ » . وقد سُمِع الإعلال فيهن ، أي حكي عن بعض العرب « عار ، وحال ، وصاد » وجاء في معجم العين ( صيد ) ٧ / ١٤٤ « أهل الحجاز يثبتون الياء والواو في نحو صَيِد وعَوِر ، وغيرهم يقول : صاد يصاد ، وعار يعار » وجاء فيه أيضاً ( حول ) ٣ / ٢٩٩ : « الحَوَل : إقبال الحدقة على الأنف ، حَوِلت تَحْوَل ..... ولغة تميم : حالت عينه تحول حَوَلاً » . وقد سُمِع أيضاً : « اعْوَرّ » و « احْوَلّ » وأما « صَيِد » فلم أصب نصّاً صريحاً على أنه سمع فيه أيضاً : « اصْيَدّ » .

وما علّلوا به صحة الواو والياء في « عَوِر ، وحَوِلَ ، وصَيِد » يصدق ـ فيما أرى ـ على أحد الأفعال التي ذكرها الدكتور ، وهو « أوِدَ » كما يصدق على قولهم : « عَوِج » أيضاً ؛ فإن كليهما يدلّ على عيب حسّيّ ظاهر ، وكان الأصل أن يُبنَيا على مثال « افْعَلّ » . وكأن أبا الفتح بن جني ألمع إلى ذلك بقوله في المنصف ١ / ٢٥٩ ـ ٢٦٠ بعد كلامه في « عَوِر » وأخوَيْه : « وحكى أبو زيد « أوِدَ البعير يأوَدُ أَوَداً » وإنما صح

هذا عندي لأنه رسيل « عَوِج يَعْوَج عَوَجاً » فأجْرِيَ مُجْرى نظيره . ولم أسمعهم استعملوا من « أوِدَ » : « افْعَلّ » ولو جاء لكان قياسه : اِيوَدَّ » .

وأما « أوِبَ » إن صح نقله ، و « أيك » فلم أجد مايشبه أن يكون علّة لتصحيح الواو والياء فيهما إلا أن يكونا أُجْرِيا مُجْرى « عَوِر » وأخواته لموافقتهما لها في الزنة وإن كانا خلْواً من العلة التي عُلِّل بها تصحيح تلك الأفعال .

والوجه في تصريف هذه الأفعال أن تصح الواو والياء في مضارعاتها والأمر منها وفي مصادرها تبعاً لصحتها في الماضي ، فيقال : « أوِبَ يأْوَبُ أَوَباً ، وأوِدَ يأوَدُ أَوَداً ، وأيِكَ يأيَكُ أيَكاً » . وإذا استعمل الأمر منها فالوجه أن يقال : « اِيوَبْ ، واِيوَدْ ، واِيَكْ » تقلب الهمزة التي هي فاءٌ ياءً لسكونها بعد همزة مكسورة ، فإذا وقع قبلها حرف متحرك وسقطت همزة الوصْل حُقِّقت الهمزة التي هي فاء لزوال موجب تسهيلها . ولايجوز في « اِيوَدْ ، وايوَبْ » أن تقلب الواو ياء وتدغم في الياء التي قبلها لاجتماعها والسابقُ منهما ساكن ، لأن الياء فيهما همزة مسهَّلة تسهيلاً قياسياً ، وماهذه سبيله من الهمزات فحكمه حكم الهمزة المحقّقة .

# تنبيه

**الأستاذ وهيب دياب**

تحت عنوان ( مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة ) قرأتُ في جزء نيسان ١٩٨٥ من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق أخبار جلسات المؤتمر، وقد جاء في الصفحة ٣٨٩ مايلي :

( لجنة الألفاظ والأساليب

أ ـ كلمات فصاح فاتت المعجمات :

١ ـ رهيب : لفظة رهيب مما لم يرد في المعاجم ، ولكنها جاءَت في شعر أبي ذؤيب الهذلي :

بيضٌ رِهــــابٌ ريشهن مُقَـــزَّعُ

ـ ٤٢٧ المفضليات ـ

بيض رهاب : نصال رقاق مرهفة ، ورهاب جمع رهيب بمعنى مرهوب ، وجميع المعاجم لم تذكر هذا اللفظ المفرد . وتخريج ذلك صرفياً أنها محولة عن مفعول والتحويل كثير أو قياسي . )

وفي حاشية الصفحة ٤٢٧ من كتاب المفضليات للضبي ، نجد كلام الأستاذ المرحوم أحمد محمد شاكر والأستاذ الكريم عبد السلام محمد هارون ، وهما شارحا الكتاب ، وهذا نص شرحهما :

[ رهاب : رقاق مرهفة ، يعني نصالاً ، واحدها « رهيب » ، وهذا المفرد ليس في المعاجم ، بل فيها انه « رهب » ]

أقول : جاء في الصفحة ٣١ من الجزء الأول من شرح أشعار الهذليين لأبي سعيد السكري :

فـدنـا لـه رب الكـلاب بكفـه     بيض رِهــاب ريشهن مُقَـزَّعُ

ويروى : « فبـدا لـه » . و « الرهـاب » ، الرقـاق الشفرات المرهفـة ، والواحد « رَهْبٌ » ، يريد نصالاً تتلألأ وتبرق . )

وجاء في الصفحة ٣٩٠ من مجلة المجمع بدمشق ، والكلام مما تقـدمت به لجنة الألفاظ والأساليب في المؤتمر :

( ٤ ـ قَذيف بمعنى دَعيّ النسب .

وردت هذه اللفظة بهذا المعنى في شعر لسبيع بن الخطيم ، وهو جاهلي :

مِن غير مـاجُرْم أكـون جَنَيْتُـهُ

فيهم ، ولا أنـا إن نُسِبْتُ قَـذيفُ

ـ ٣٧٤ المفضليات ـ

واللفظة مما لم يرد في المعاجم بهذا المعنى . )

وحين نرجع الى المفضليـات نجد شرح الأستـاذين الكريمين شـاكر وهارون ، وهذا نصه :

( أي لستُ بدخيل في قومي فـأقـذف بـذلـك ، فقـذيف هنـا بمعنى دعي النسب ، ولم يُذكر في المعاجم . )

أقول : هذا التفسير قد أخطأ الصواب ، والشاعر إنما أراد ، ولا أنـا إن نُسبتُ بعيـد في النسب . يقـول ابن دريـد في الجمهرة ـ ٢ / ٣١٥ ـ : ( منزل قذف وقذيف : بعيد ) والظـاهر أنـه يوصف بقـذيف غير المنزل ، لأن ابن دريد نفسه يقول في احدى قصائده :

إنَّ حُكْمَ المُقَـل النُّجْـل على الخَلْـق يَحيفُ

هُــــنَّ قَــــرَّبْــنَ إلــيَّ الــوَجْــدَ والــوجــدُ قــذيفُ

والقصيدة في كتاب أمالي الزجاجي ، في الصفحة ٧٠ ومابعدها ، وهو من تحقيق الأستاذ هارون ، وفي الصفحة ٧٣ يقول الزجاجي في شرح القصيدة : ( القذيف : البعيد ) .

وجاء في الصفحة ٣٩٢ من مجلة المجمع بدمشق ، والكلام مما تقدمت به لجنة الألفاظ والأساليب في المؤتمر :

( ٩ ـ المعينُ بمعنى الأجير ، لأنه يعاون صاحب العمل في أمره وهذه اللفظة بهذا المعنى وردت في شعر المثقب العبدي وهو جاهلي ، يمدح عمرو بن هند ملك الحيرة :

كأنَّ نَفِيَّ مــاتنفي يــداهــا قِــذافُ غريبــةٍ بيــدي مُعين

ـ ٢٩١ المفضليات ـ

شَبَّهَ ماتنفي يدا الناقة من الحصا في سيرها بحجارة تقذف بها ناقة غريبة أتت حوضاً غير حوضها لتشرب منه فَرُمِيَتْ . )

وفي حاشية الصفحة ٢٩١ من كتاب المفضليات يقول الأستاذان الكريمان شاكر وهارون : ( شَبَّهَ ماتنفي يداها من الحصى بحجارة تقذف بها ناقة غريبة أتت حوضاً غير حوضها لتشرب منه فَرُميت ) .

وهذا التفسير يحتاج إلى إعادة النظر فيه ، فقول الشاعر ( قِذاف غريبة ) يعني قِذاف كَبْداء ، ورحى اليد اسمها الغريبة واسمها الكبداء . يقول الزمخشري في مادة ( غ ر ب ) في أساس البلاغة : ( ومن المجاز : استعيروا لنا الغريبة وهي رحى اليد لأنها لاتقر عند أربابها لكونها متعاورة ) . ويقول الصغاني في مادة ( ك ب د ) في التكملة والذيل

والصلة : ( الكبداء : الرحى التي تدار باليد ، سُمِّيَتْ : كبداء ، لما في ادارتها من المشقة ) . ويقول الأزهري في مادة ( غرب ) في كتابه تهذيب اللغة : ( ورحا اليد يقال لها غريبة ، لأن الجيران يتعاورونها ، وأنشد بعضهم :

كأن نفي ماتنفي يداها نفيُ غريبة بيدَي مُعينِ

والمعين أن يستعين المدير بيد رجل أو امرأة يضع يده على يده إذا أدارها ) .

وفي التكملة والذيل والصلة مثل هذا الكلام ، وهو في لسان العرب لابن منظور وفي تاج العروس للزبيدي .

اني أرجو من لجنة المعجم الكبير في مجمع القاهرة أن تنعم النظر في الألفاظ التي وصى المؤتمر بإدخالها في المعجم الكبير لأن الغلط في المعجم يساوي ألف ألف غلط .

# التقرير السنوي

## عن أعمال المجمع في دورته المجمعية

## ( ١ / ٩ / ١٩٨٤ ـ ٣١ / ٨ / ١٩٨٥ )

### أولاً ـ جلسات المجمع :

عقد مجلس المجمع احدى وعشرين جلسة نوجز فيما يلي أهم ما بحث فيها :

١ ـ جدد انتخاب الأستاذ الدكتور حسني سبح لمدة أربع سنوات أخرى ، وذلك بعد اعتذاره واصراره على عدم تجديد ترشيحه ، فشكلت لجنة لمقابلته واقناعه بالعودة ، ثم انتخب باجماع السادة الأعضاء ، وصدر بذلك المرسوم ذو الرقم ٣١ ، تاريخ ٥ / ١ / ١٩٨٥ م .

٢ ـ جدد تعيين الأستاذ عبد الهادي هاشم عضواً في اللجنة الادارية لمدة أربع سنوات اعتباراً من ١٣ / ١٠ / ١٩٨٤ م ( القرار ذو الرقم ١٢٢ تاريخ ١٥ / ١٠ / ١٩٨٤ ) .

٣ ـ شكلت لجنة من السادة الأستاذ المهندس وجيه السمان ، الأستاذ أحمد راتب النفاخ ، الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان لعرض المعوقات التي تعترض أعمال المجمع ، وقد درست اللجنة هذه النواحي وأقر المجلس المشروع ، ورفعت رئاسة المجمع بياناً بذلك إلى وزارة التعليم العالي في الكتاب ذي الرقم ٨٣٤ / ص تاريخ ١٠ / ١٢ / ١٩٨٤ م .

٤ ـ شكلت لجنة من الأستاذ الرئيس الدكتور حسني سبح والأستاذ الدكتور عدنان الخطيب والأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان ، تضم

إليها من تشاء من المختصين ، لتقوم بإعادة النظر في القانون والأنظمة المتعلقة بالمجمع وملاكه ، ولتضع له مشروع قانون جديد ومشاريع أنظمة داخلية جديدة . وتقوم اللجنة حالياً بتأدية هذه المهمة ، وقد رفع مشروع القانون المذكور بعد أن اقره مجلس المجمع إلى الجهات المختصة بالكتاب ذي الرقم ٥٥١ / ص تاريخ ٢٧ / ٧ / ١٩٨٥ م .

٥ ـ شكلت لجنة من السادة ماجد الذهبي ومطيع الحافظ وسماء المحاسني لانتقاء الكتب النادرة والمتكررة ، لنقلها إلى مكتبة الأسد تنفيذاً لكتاب رئاسة مجلس الوزراء ذي الرقم ٣٧٢٦ / ١ تاريخ ١٦ / ٩ / ١٩٨٤ م ومازالت اللجنة تقوم بمهمتها .

٦ ـ مدد تكليف الأستاذ الدكتور شاكر الفحام نائب الرئيس الاشراف على مجلة المجمع ( القرار ذو الرقم ٣٤ تاريخ ١٣ / ٢ / ١٩٨٤ ) .

٧ ـ كلف الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي تمثيل المجمع في الندوة التي أقامتها المستشارية الثقافية بمناسبة مرور ثمانمئة عام على ولادة الشاعر سعدي الشيرازي فألقى بحثاً بعنوان « شيراز وابنها سعدي » ونشر في مجلة التراث العربي .

٨ ـ تقرر ترشيح الأستاذ الدكتور حسني سبح رئيس المجمع لتمثيل المجمع بتونس في الاحتفال بالذكرى المئوية لولادة المؤرخ العلامة التونسي حسن حسني عبد الوهاب العضو المراسل في المجمع والمزمع إقامته في ٨ / ١١ / ١٩٨٥ م .

٩ ـ عُدّلت لجنة المجلة والمطبوعات فأصبح أعضاؤها على النحو التالي : الأستاذ الدكتور شاكر الفحام ، الأستاذ المهندس وجيه السمان ،

الأستاذ أحمد راتب النفاخ ، الأستاذ الدكتور عبد الحليم سويدان .
وصدر بذلك القرار رقم ٥٨ / ن تاريخ ١١ / ٥ / ١٩٨٥ م وينص على تكليف الأستاذ الدكتور شاكر الفحام الاشراف على المجلة .

١٠ ـ عدلت لجنة المخطوطات وإحياء التراث ، فأصبح أعضاؤها على النحو التالي : الأستاذ الدكتور محمد كامل عياد ، الأستاذ عبد الهادي هاشم ، الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي . وصدر بذلك القرار رقم ٥٧ / ن تاريخ ١١ / ٥ / ١٩٨٥ م .

١١ ـ كُلِّف عدد من السادة أعضاء المجمع وبعض الخبراء دراسة مشروعات المعاجم المرسلة من مكتب تنسيق التعريب في الرباط وهي معاجم الفيزياء العامة والفيزياء النووية والكيمياء الخاصة بالمرحلة الجامعية والتي سيناقشها المؤتمر الخامس للتعريب في عمّان والمزمع عقده بين ٢١ ـ ٢٥ / ٩ / ١٩٨٥ م .

## ثانياً ـ أعمال لجان المجمع

١ ـ درست لجنة المصطلحات عدداً من الرسائل الواردة إلى المجمع ، منها رسائل المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس والمصطلحات ، ورسالة مركز التدريس وبحوث طب الفم من وزارة التربية وناقشت عدداً من المصطلحات الفيزيائية ، ومصطلحات طب الأسنان . وأخذت في دراسة مشروع ملحق المعجم العسكري الموحد بقسميه الأول الأول ( انكليزي ـ عربي ) والثاني ( فرنسي ـ عربي ) . وقد بلغت الجلسات المعقودة لدراسة مشروع ملحق المعجم العسكري احدى عشرة جلسة في هذه الدورة المجمعية .

٢ ـ تابعت لجنة المجلة والمطبوعات جهودها في إصدار أعداد المجلة وأقرت

طبع عدد من الكتب .

٣ ـ درست لجنة المخطوطات واحياء التراث الكتب المقدمة إليها ، وأقرت طبع الجزء الثاني من كتاب معرفة الرجال ، ومازال بين يديها عدد من الكتب للمناقشة والدراسة .

## ثالثاً ـ مشاركات المجمع خارج القطر :

١ ـ شارك الأستاذ الرئيس الدكتور حسني سبح ، والأستاذ الدكتور عدنان الخطيب أمين المجمع في المؤتمر السنوي لمجمع القاهرة ، والذي انعقد في الأسبوع الأخير من شباط عام ١٩٨٥ م .

٢ ـ شارك الأستاذ المهندس وجيه السمان ممثلاً عن المجمع في مؤتمر منظمة الاتحاد العالمي للاتصالات السلكية واللاسلكية لمناقشة المصطلحات المتعلقة باختصاصها وذلك في المرحلة الأولى في دمشق من ١٠ / ٨ ـ ١٠ / ٩ / ١٩٨٤ وفي الرباط من ١٦ / ٩ ـ ١٥ / ١٠ / ١٩٨٤ م ، وسيشارك في المرحلة الثانية التي ستعقد في دمشق من ١٠ / ٨ ـ ١٠ / ٩ / ١٩٨٥ م وفي الرباط من ١٥ / ٩ ـ ٦ / ١٠ / ١٩٨٥ م .

## رابعاً ـ أعضاء مراسلون جدد في المجمع :

انتخب مجلس المجمع مراسلين من مختلف البلاد العربية والبلاد الصديقة ، وهم الأستاذان محي الدين صابر وعبد الله الطيب من السودان والقاضي اسماعيل بن علي الأكوع من اليمن والأستاذ أكرم زعيتر من فلسطين ، والأستاذ مختار الدين أحمد من الهند والأستاذ عبد الرحمن تاجونغ من الصين .

## خامساً ـ مطبوعات المجمع :

أً ـ الكتب التي أنجز طبعها خلال هذه الدورة

١ ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر :

أ ـ ( جزء فيه تراجم الأحمدين ) . بتحقيق الأستاذ عبد الغني الدقر .
ومراجعة الأستاذ مطاع الطرابيشي .

ب ـ ( جزء فيه ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه ) بتحقيق الأستاذة سكينة الشهابي .

ج ـ ( جزء فيه قسم من السيرة النبوية ) « القسم الأول » بتحقيق الأستاذة نشاط غزاوي .

٢ ـ شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي
صنعة الأستاذ مطاع الطرابيشي ( ط ٢ ) .

٣ ـ معرفة الرجال ليحي بن معين « الجزء الأول » بتحقيق الأستاذ محمد كامل القصار .

٢ً ـ الكتب التي يجري طبعها

١ ـ الأشباه والنظائر لجلال الدين السيوطي .

أ ـ « الجزء الأول » بتحقيق الأستاذ عبد الإله نبهان .

ب ـ « الجزء الثاني » بتحقيق الأستاذ غازي طليمات .

٢ ـ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر

أ ـ ( جزء فيه تراجم عبد الله بن سالم ـ عبد الله بن أبي عائشة ) بتحقيق الأستاذ مطاع الطرابيشي .

٣ ـ المبسوط في القراءات العشر لابن مهران الأصبهاني بتحقيق الأستاذ سبيع الحاكمي .

٤ ـ المحب والمحبوب والمشموم والمشروب للسري الرفاء بتحقيق الأستاذين مصباح غلاونجي وماجد الذهبي .

٥ ـ معرفة الرجال ليحي بن معين « الجزء الثاني » بتحقيق الأستاذين محمد مطيع الحافظ وغزوة بدير .

٦ ـ الفهرس العام لمخطوطات دار الكتب الظاهرية .

## ٣ً ـ الكتب التي تقرر طبعها بعد دراستها

١ ـ اعراب الحديث النبوي للعكبري بتحقيق الأستاذ عبد الإله نبهان ( ط ٢ ) .

٢ ـ البغداديات لأبي علي الفارسي بتحقيق الأستاذة رفاه طرقجي .

٣ ـ ديوان أبي الفتح البستي بتحقيق الأستاذين لطفي الصقال ودرية الخطيب .

٤ ـ شعر خداش بن زهير بتحقيق الدكتور يحي الجبوري .

٥ ـ المسائل المنثورة لأبي علي الفارسي بتحقيق الأستاذ مصطفى الحدري .

٦ ـ المستدرك على فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ( فهرس الشعر ) وضع الأستاذ رياض مراد .

## سادساً ـ مطبوعات المجمع في معارض الكتب :

مثلت مؤسسة دار الفكر للطباعة بدمشق مجمع اللغة العربية في عرض مطبوعاته خلال الدورة المجمعية بمعارض الكتب التالية :

١ ـ معرض الجزائر الدولي الثالث للكتاب وأقيم في الجزائر من ٢١ ـ ٢٨ / ٩ / ١٩٨٤ .

٢ ـ المعرض السادس للكتاب وأقيم في جامعة صنعاء من ٢٤ / ٩ ـ ٨ / ١٠ / ١٩٨٤ .

٣ ـ المعرض العاشر للكتاب العربي وأقيم في الكويت من ٤ ـ ١٤ / ١٢ / ١٩٨٤ .

ـ معرض تونس للكتاب ( الدورة الرابعة ) وأقيم في تونس من ٣١ / ٥ ـ ١٠ / ٦ / ١٩٨٥ .

## سابعاً ـ مكتبة المجمع الخاصّة :

كانت الزيادة في مكتبة المجمع خلال هذه الدورة المجمعية ثلاثين كتاباً شراء ومئتين وواحداً وسبعين كتاباً إهداء ، وبلغ ماورد إلى المجمع من مجلات خلال هذه الدورة أيضاً ثلاثمئة وثلاثة وثمانين عدداً .

## ثامناً ـ موازنة المجمع :

بلغت الاعتمادات التي رصدت للمجمع في الميزانية العامة للدولة عام ١٩٨٥ م مبلغ ( ٠٠٠ , ٧٧٨ , ١ ليرة سورية ، كما بلغ المرصود للمجمع من الميزانية الاستثمارية للعام نفسه مبلغ ( ٠٠٠ , ٢٥٠ , ٤ ) ليرة سورية خصصت من أجل استكمال مشروع إعداد مخزن للكتب وكسوة قاعة المحاضرات ودفع أتعاب المهندسين والمشرفين .

وقد صرف من الاعتمادات المرصودة من الميزانية العامة حتى تاريخ ٣١ / ٨ / ١٩٨٥ م مبلغ ( ٢٣٤ , ٣٥١ , ١ ) ليرة سورية . وصرف من الاعتمادات المرصودة من الميزانية الاستثمارية حتى التاريخ المذكور مبلغ ( ٠٠٠ , ٨٣٠ ) ليرة سورية .

## تاسعاً ـ افتقاد مجمعيين :

١ ـ افتقد المجمع خلال هذه الدورة عضوين بارزين من كبار أعضائه العاملين وهما : الأستاذ عبد الكريم زهور عدي الذي توفي رحمه الله في دمشق يوم الثلاثاء ٢٦ رجب ١٤٠٥ هـ الموافق ١٦ نيسان ١٩٨٥ م . والأستاذ الدكتور شكري فيصل الذي توفي رحمه الله في جنيف يوم السبت ١٧ ذي القعدة ١٤٠٥ هـ الموافق ٣ آب ١٩٨٥ م

إثر عملية جراحية ودفن بمقبرة البقيع في المدينة المنورة .

٢ ـ كما افتقد المجمع عضوين من أعضائه المراسلين وهما : الأستاذ محمد عبد الغني حسن من جمهورية مصر العربية والأستاذ أحمد حامد الصراف من الجمهورية العراقية رحمهما الله .

**عاشراً ـ دار الكتب الظاهرية :**

١ ـ بلغ عدد الكتب المطبوعة الموجودة في دار الكتب الظاهرية مع نهاية هذه الدورة ( ٦٨٩٥٠ ) كتاب ، وذلك بعد أن ضُمّ إليها ( ٦٠٠ ) كتاب عربي وأجنبي .

٢ ـ بلغ عدد الكتب المعارة ( ٢٥٥٤١ ) كتاب .

٣ ـ بلغ عدد رواد المكتبة نحو ( ٢٥٠٨١ ) زائر .

٤ ـ تلقت الدار في هذه الدورة ( ١٧٩ ) دورية باللغة العربية و ( ١٨٠ ) دورية باللغات الأجنبية .

٥ ـ بلغ عدد مستعيري الدوريات ( ١٤٨ ) قارئ .

٦ ـ صورت مكتبة الاسد ( ٢٦١ ) مجلد من الصحف السورية .

٧ ـ نقلت المخطوطات كلها من دار الكتب الظاهرية إلى مكتبة الأسد بناء على كتاب رئاسة مجلس الوزراء ذي الرقم ١ / ٣٧٢٦ تاريخ ١٦ / ٩ / ١٩٨٤ ونظم بذلك ضبط رسمي مؤرخ في ١ / ٧ / ١٩٨٥ م وأودع المجمع نسخة مصورة منه .

٨ ـ تسلمت مكتبة الأسد ( ٢٢٥٠ ) كتاب من الكتب المتعددة النسخ كما تسلمت ( ١٠٥ ) كتاب باللغة الروسية .

٩ ـ يجري جرد باقي محتويات الدار من الكتب لتسليم مكتبة الأسد الكتب النادرة والمطبوعة في سورية ونسخة من كل كتاب مكرر .

# الكتب المهداة

## لمكتبة مجمع اللغة العربية بدمشق

## خلال الربع الثالث من عام ١٩٨٥ م

محمد مطيع الحافظ

- **الفتح والبشرى في مناقب الزهراء** - للسيد محمد الجفري ، تحقيق محمد سعيد الطريحي - بيروت ١٩٨٥ م .

- **العالم المجاهد عبد الله بن العباس الجراري** - تأليف عباس الجراري - الدار البيضاء ١٩٨٥ م .

- **عهد الوفاء ( تأبين عبد الله بن العباس الجراري )** - الدار البيضاء ١٩٨٣ م .

- **الفكر والوحدة** - عباس الجراري - الرباط ١٩٨٤ م .

- **المدينة الإسلامية** - أشرف على النشر ر . ب . سرجنت - ترجمة أحمد محمد تعلب - اليونسكو ١٩٨٣ م .

- **ديوان الجواهري ( الجزء الخامس )** - أشرف على طبعه ووضع فهارسه د . عدنان درويش . دمشق ١٩٨٤ م .

- **ديوان السيد هلال بن بدر البوسعيدي** - تحقيق محمد علي الصليبي . سلطنة عمان ١٩٨٥ م .

- **مختـــارات من الشعر الافريقي** - ك . اي سينـــاتـو ، وت . فانسانت - ترجمة جميل الضحّاك . دمشق ١٩٨٥ .

- **البسطي آخر شعراء الأنـدلس** - د . محمـد بن شريفـة - بيروت ١٩٨٥ م .

- **عبد المعين الملوحي يرثي نفسه** - دمشق ١٩٨٤ م .

- **ثمار الجليد** - ( **شعر** ) - فايز خضور - دمشق ١٩٨٤ م .

- **المرثية الدائمة** ( **شعر** ) مصطفى خضر - دمشق ١٩٨٤ م .

- **البينـا ( دراما في ثلاثة فصول )** - يـوردان يـوفكـوف - ترجمة ميخائيل عيد - دمشق ١٩٨٥ م .

- **آلام وأحلام** ( **شعر** ) - إبراهيم سلمان - دمشق ١٩٨٤ م .

- **قصـائـد مشرفـة على السهـل** ( **شعر** ) - صقر عليشي - دمشـق ١٩٨٤ م .

- **قتلوا الحمام ( ثلاث مسرحيات شعرية للأطفال )** - صالح هواري - دمشق ١٩٨٤ م .

- **السمفونية الهادئة ( مسرحية في فصل واحد )** - وليد فاضل - دمشق ١٩٨٥ م .

- **كنتة الشرقيون** - بول مارتي - عربه محمد محمود ولد ودّادي - دمشق .

- **إصلاح ما غلط فيه أبو عبد الله النمري في أبيات الحماسة** - لأبي محمد الأعرابي الملقب بالأسود الغندجاني - معهد المخطوطات العربية - الكويت ١٩٨٥ م .

- **رسائل المستشرق المجري الراحل الحاج عبد الكريم جرمانوس إلى عيسى الناعوري** - عليكرة الهند - ١٩٨٢ م .

- **منقولات الجاحظ عن أرسطو في كتاب الحيوان** - نصوص ودراسة - د . وديعة طه النجم - الكويت ١٩٨٥ م .

- **الماء وما ورد في شربه من الآداب** - محمود شكري الألوسي - تحقيق محمد بهجة الأثري - الرباط ١٩٨٥ م .

- **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي** - لأبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي ، عرف بابن الزيات - تحقيق أحمد التوفيق - المغرب ١٩٨٤ م .

- **رد الشمس** - محمد سعيد الطريحي - بيروت ١٩٨١ م .

- **من كتاب بين الجدران فيما فسر ومادل على تفسير القرآن من نفس القرآن** - سيد مهدي محمد السويج - عجمان .

- **تذكرة وكلاء المجتهدين والمقلدين** - سيد مهدي السويج .

- **التبصرة في القراءات** - مكي بن أبي طالب القيسي - تحقيق د . محيي الدين رمضان - الكويت ١٩٨٥ .

- **مقالة في التوحيد للشيخ يحيى بن عدي** - تحقيق الأب سمير اليسوعي - جونية ١٩٨٠ .

- **مَيْمَر في وجود الخالق والدين القويم** - ثاوذورس أبو قرة - تحقيق الأب د . اغناطيوس ديك - جونية ١٩٨٢ .

- **مقالة في التثليث والتجسد وصحة المسيحية لبولس**

**البوشي** ـ تحقيق الأب سمير اليسوعي ـ جونية ١٩٨٣ .

ـ **حواشي ابن المحرومة على كتاب تنقيح الأبحاث للملل الثلاث** لابن كمونة ـ حققه المطران حبيب باشا ـ جونية ١٩٨٤ .

ـ **كتاب مصباح العقل ـ ساويرس بن المقفع** ـ تحقيق الأب سمير خليل اليسوعي القاهرة ١٩٧٨ .

ـ **تاريخ المسرح ( ٣ )** ـ فيتوبواندولفي ـ ترجمة الأب إلياس زحلاوي ـ دمشق ١٩٨٤ .

ـ **مختارات من الأدب الافريقي** ـ عدد من المؤلفين ـ ترجمة شوكت يوسف ـ دمشق ١٩٨٥ .

ـ **عرس حلبي وحكايات من سفر برلك** ـ عبد الفتاح رواس قلعه جي ـ دمشق ١٩٨٤ م .

ـ **أحياء حلب وأسواقها** ـ خير الدين الأسدي ـ حققه وزاد عليه وقدم له ووضع فهارسه عبد الفتاح رواس قلعه جي ـ دمشق ١٩٨٤ م .

ـ **التفاحة ( مجموعة قصص )** ـ أنيس إبراهيم ـ دمشق ١٩٨٤ م .

ـ **سر الرمح المنقوش ( رواية للفتيان )** ـ دياب عيد ـ دمشق ١٩٨٤ م .

ـ **الكنز ( حكايات من العالم )** ـ اقتباس سعد صائب ـ دمشق ١٩٨٤ م .

ـ **المدينة الأخرى ( رواية )** ـ خيري الذهبي ـ دمشق ١٩٨٥ م .

ـ **قصة فتاة في مقتبل العمر** ـ ج . ل . بريسلي ـ ترجمة موفق

شقير - دمشق ١٩٨٤ م .

- **بسبوس الأعرج ( قصة للأطفال )** - محمود البكر - دمشق ١٩٨٤ م .

- **البنت الوفية ( حكايات من العالم )** - اقتباس : سعد صائب - دمشق ١٩٨٤ .

- **أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه** - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - الكويت ١٩٨٥ م .

- **تاريخ الأفكار السياسية : الجزء الأول من الأصول إلى القرن الثامن عشر** - جان توشار - ترجمة ناجي الدراوشة - مراجعة علي الخش - دمشق ١٩٨٤ م .

- **تاريخ الأفكار السياسية : الجزء الثاني من القرن الثامن عشر إلى أيامنا** - جان توشار - ترجمة ناجي الدراوشة - دمشق ١٩٨٤ م .

- **السياسة من كتاب الخراج وصناعة الكتابة** - لقدامة بن جعفر الكاتب - تحقيق وتقديم د . مصطفى الحياري - عمان ١٩٨١ م .

- **الخراج وصناعة الكتابة** - قدامة بن جعفر - شرح وتعليق د . محمد حسين الزبيدي - بغداد ١٩٨١ م .

- **الأطفال يكتشفون صحوناً طائرة** -جان كلود ديره - ترجمة أديب العاقل - مراجعة ميشيل كيلو - دمشق ١٩٨٤ م .

- **المادة كما ترى اليوم ( أحاديث أجراها إميل نويل مع عدد من الباحثين )** - ترجمة وائل أتاسي - دمشق ١٩٨٥ م .

- **الواقع الاجتماعي** - هارفي فاريرمان ، أريك غود - ترجمة ندرة اليازجي - مراجعة عبد المجيد النشواتي - دمشق ١٩٨٥ م .

- **الأشباح الأربعة ( الجزء الأول والثاني ) ( مشاكل اجتماعية معاصرة : التلوث - الفقر - المجاعة - العنف )** - استربنشيف - ترجمة فاروق بريك - دمشق ١٩٨٥ م .

- **الماوردي في نظرية الادارة الإسلامية العامة** - د . فاضل عباس الحسب - عمان ١٩٨٤ م .

- **ارتحال في أعماق الكون** - المهندس فايز فوق العادة - دمشق ١٩٨٤ م .

- **أوربة التقنية ( القسم الأول والثاني )** - دافيد . س . لاند - ترجمة روزيت خوري - دمشق ١٩٨٤ - ١٩٨٥ م .

- **تعليم الكبار بالراديو والتلفزيون ( دروس من الخبرة العالمية )** - اجناسي فانيفتش باريس ( اليونسكو ) - ١٩٧٣ م .

- **التربية البيئية على ضوء مؤتمر تبيليسي** - اليونسكو ١٩٨٣ م .

- **كلمات تربوية** - الأستاذ محمد نجيب السيد أحمد - دمشق .

- **تربية اليُسْر وتخلف التنمية** - د . عبد العزيز عبد الله الجلال - الكويت ١٩٨٥ م .

- **نحو عالم الغد ( تأملات في النظام الاقتصادي الدولي الجديد )** - اليونسكو - باريس ١٩٧٦ م .

- **التربية من أجل التعاون والسلام على الصعيد الدولي في مرحلة التعليم الابتدائي** - اليونسكو - باريس ١٩٨٣ م .

- **المرأة في الحياة المهنية من أجل تكافؤ الفرص بين الجنسين** - جرمين بورسيل - اليونسكو - باريس ١٩٨٤ .

- **الشخصية ( الجزء الأول )** - الشاذلي الساكر - تونس ١٩٨٥ م .

- **التغير الاجتماعي ( ١ - ٢ ) ( مصادره - نماذجه - نتائجه )** - اميتاي اتزيوني ، وايفا اتزيوني - ترجمة محمد أحمد حنونه - مراجعة عبد الكريم ناصيف - دمشق ١٩٨٤ م .

- **الغرب والعالم ( تاريخ الحضارة من خلال موضوعات ) القسم الأول** - كافين رايلي - ترجمة د . عبد الوهاب المسيري ، د . هدى حجازي ، د . فؤاد زكريا .

- **تعليم الكبار والتنمية ( ١ - ٢ ) مختارات من مستقبل التربية )** - اليونسكو - باريس ١٩٨٢ م .

- **محو الأمية ( التقدم الذي أحرزته جهود محو الأمية في مختلف القارات )** - اليونسكو - باريس ١٩٨٠ م .

- **تعليم البنات** - إيزابيل ديبلي - اليونسكو - باريس ١٩٨١ م .

- **التربية المستديمة وإعداد العاملين في التربية** - جيمس لينش - اليونسكو - باريس ١٩٨٣ م .

- **كشف الأسرار المخفية في علم الأجرام السماوية والرقوم الحرفية ( الجزء السادس )** - عمر بن مسعود المنذري - عُمان ١٩٨٤ م .

- **جوانب من سياسة الجزائر الثقافية** - سيد أحمد بغلي - اليونسكو - باريس ١٩٨٠ م .

- **السياسة الثقافية في السودان** - إعداد محمد عبد الحي - اليونسكو - باريس ١٩٨١ م .

- **السياسة الثقافية في العراق** - عبد الجبار داود البصري - اليونسكو - باريس ١٩٧٩ م .

- **السياسة الثقافية في المغرب** - إعداد محمد بن بشير ، نجيب مولاي محمد - اليونسكو - باريس ١٩٨٠ م .

- **السياسة الثقافية في المملكة العربية السعودية** - د . محمد المنيع ، د . عبد الرحمن السبيت - اليونسكو - باريس ١٩٨٠ م .

- **السياسة الثقافية في تونس** - رفيق سعيد - اليونسكو - باريس - ١٩٨٠ م .

- **السياسة الثقافية في الأردن** - د . هاني العمد - اليونسكو - باريس - .

- **السياسة الثقافية في الجمهورية العربية اليمنية** - عبد الرحمن الحداد - اليونسكو - باريس ١٩٨١ م .

- **علم النسج والتشريح المقارن** - د . محمد أبو حرب - دمشق ١٩٨٤ م .

- **علم الخلية والتكاثر** - د . محمد أبو حرب ، د . نجاح بيرقدار - دمشق ١٩٨٢ م .

- **الغـدد الصم والتنسيـق الحـاثي** - د . محمـد أبـو حرب - دمشـق ١٩٨٢ م .

- **التطبيقـات العمليـة في علم الحيـاة الحيـوانيـة** - د . محمـد أبـو حرب ، د . نجاح بيرقدار ، هيفاء الحمصي - دمشق ١٩٨٤ .

- **توحيد مسميات الهياكل التنظيمية في الدول العربية** - د . بشير الخضرا - عمان ١٩٨٥ م .

- **بروتين أحادي الخلية من المشتقات الهيدروكربونيـة لتغذيـة الحيوانات** - د . ابراهيم يوسف حمدان - الكويت .

- **التمرس بتدريس الكيمياء** - اليونسكو - باريس .

- **مرشـد اليـونسكـو لمدرسي العلـوم** - ترجمة د . إبراهيم حـافـظ - اليونسكو - باريس ١٩٨٤ م .

- **نتعلم ونعمـل ( رصـد واقـع التربيـة ، مختـار من « مستقبليات » )** - اليونسكو - باريس ١٩٨٣ م .

- **التربية العلميـة والتكنولوجية في التنميـة الوطنيـة** - نقلـه إلى العربية أحمد شفيق الخطيب - بيروت .

- **منابع المستقبل** - أحمد مختار أمبو - اليونسكو - باريس ١٩٨٢ م .

- **دور العلم والتكنولوجيا في التنميـة** - دانييل بيرمـان - بـاريس - اليونسكو - ١٩٨٠ م .

- **توافـق الآراء والسـلام** - عـدد من المؤلفين - اليـونسكـو - بـاريس ١٩٨٤ م .

- **فلسفة لتنمية جديدة** - فرانسوا بيرو - بيروت ١٩٨٣ م .

- **التنمية الثقافية تجارب إقليمية** - عدد من خبراء اليونسكو - ترجمة سليم مكسور ، مراجعة عبده وازن - بيروت ١٩٨٣ م .

- **من التشاور إلى اتفاق الرأس ( اليونسكو وتضامن الأمم )** - أحمد مختار أمبو - اليونسكو - باريس ١٩٧٩ م .

- **اليونسكو ( ١٩٨٤ - ١٩٨٥ ) مقدمة مشروع البرنامج والميزانية** - اليونسكو - باريس ١٩٨٣ م .

- **هل يقدم تعليم واحد للذكور والإناث** - بياتريس دوبون - اليونسكو - باريس ١٩٨١ م .

- **بناء المستقبل ( اليونسكو وتضامن الأمم )** - أحمد مختار أمبو - اليونسكو - باريس ١٩٨١ م .

- **مجموعة اتفاقيات النقل الجوي الدولي ( الجزء الأول )** - جمعها ورتبها المحامي رضا التكريتي - دمشق ١٩٨٥ م .

- **المخطوطات العربية في الهند** - عصام محمد الشنطي - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ( معهد المخطوطات العربية ) - الكويت ١٩٨٥ م .

- **المخطوطات العربية في يوغسلافيا** - عصام محمد الشنطي - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - ( معهد المخطوطات العربية ) - الكويت ١٩٨٥ م .

- **فهارس الخزانة الحسنية بالقصر الملكي ( الرباط ) ( المجلد**

**الرابع )** ـ محمد العربي الخطابي ـ الرباط ١٩٨٥ م .

ـ **الفهرس الشامل للتراث المخطوط ( القرآن وعلومه ) : المصاحف ـ التجويد** ـ طبعة تجريبية ـ المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية ـ عمان ١٩٨٥ م .

ـ **المؤسسات الإدارية في المغرب العربي** ـ ( حكومات الجزائر والمغرب وتونس ) ـ د . ميسوم صبيح ـ ترجمة أمين مسعود ـ عمان ١٩٨٥ م .

ـ **إدارة مؤسسات التنمية الإدارية** ـ تحرير ميلان كوبر ـ ترجمة د . محمد قاسم القريوتي عبد الجبار ابراهيم ـ عمان ١٩٨٥ م .

ـ **منهاج النظم ( إطار متكامل لدراسة الظواهر الاجتماعية ، نموذج تطبيقي لظاهرة الإدارة في الدول العربية )** ـ اعداد د . طارق حمادة ـ عمان ١٩٨٥ م .

ـ **بعض سياسات الافراد بالجهاز الحكومي في المملكة الاردنية الهاشمية** ـ د . نادر أبو شيخة ، د . عبد المعطي محمد عساف ـ عمان ١٩٨٥ م .

ـ **تنظيم المحفوظات لدى المنظمة العربية للعلوم الإدارية ( نموذج استشاري )** ـ اعداد د . حنا سليم قاقيش ـ عمان ١٩٨٥ م .

ـ **تنظيم الادارة المحلية في المملكة الاردنية الهاشمية ( دراسة تحليلية )** ـ د . عبد المعطي محمد عساف ، د . نادر أحمد أبو شيخة ـ عمان ١٩٨٥ م .

# فهرس الجزء الرابع من المجلد الستين

## الفهارس العامة للمجلد الستين

## أ ـ فهرس أسماء كُتّاب المقالات

## منسوقة على حروف المعجم

## ب ـ فهرس المقالات منسوقة على حروف المعجم

ـ ا ـ



ـ ت ـ



ـ ج ـ

- ح -



- د -



- ر -



- س -



- ش -



- ع -



- ف -

- ق -



- ك -



- م -



- ن -

NO. 4 VOL. LX

REVUE

DE L'ACADÉMIE ARABE DE DAMAS

تباع مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

في كلٍّ من المكتبات الآتيـة :

- المكتبة العربية : السيد أحمد عبيد ( شارع غسان - دمشق )
- دار الكتاب الجديد : السيد الدكتور صلاح الدين المنجد ( بيروت - لبنان )
- مكتبة دار البيان : السيد علي الخاقاني ( بغداد - شارع المتنبي - العراق )
- مكتبة السيد محمد حسين الأسدي ( كتابفروشي - اسدي ) ( ميدان بهارستان - طهران - إيران )
- مؤسسة دار الكتب الثقافية - السيد محمود الخطيب ( الكويت )
- مكتبة المتنبي : السيد حامد سعد الدين ( ١٤ شارع الجمهورية - القاهرة )
- دار البشير : السيد الدكتور إسحاق فرحان ( عمان )
- مكتبة دار نجد للنشر والتوزيع السيد عبد الرحمن فهد السويلهم (الرياض) ص.ب ١٧٠٧٣

دار الفكر للطباعة بدمشق

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م


Bibliotheca Alexandrina
0652677
